معالم الوجود الإسلامي في الغرب

من خلال الهجرة إلى الحبشة

كيف عاش المهاجرون وماذا قدموا

تأليف

د. أحمد طه عبد القادر عبد الله

دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه

قدم له

الأستاذ الدكتور العلامة

مروان محمد شاهين

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

9783942407953

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠٢٢م

معالم الوجود الإسلامي في الغرب

من خلال الهجرة إلى الحبشة

كيف عاش المهاجرون وماذا قدموا

تأليف

د. أحمد طه عبد القادر عبد الله

دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه

قدم له

الأستاذ الدكتور العلامة

مروان محمد شاهين

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف



إهداء

أهـدي هذا العمـل لصاحبَي الفضل الأول علـيَّ بعد الله تعالى:

- أبي الحبيب رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

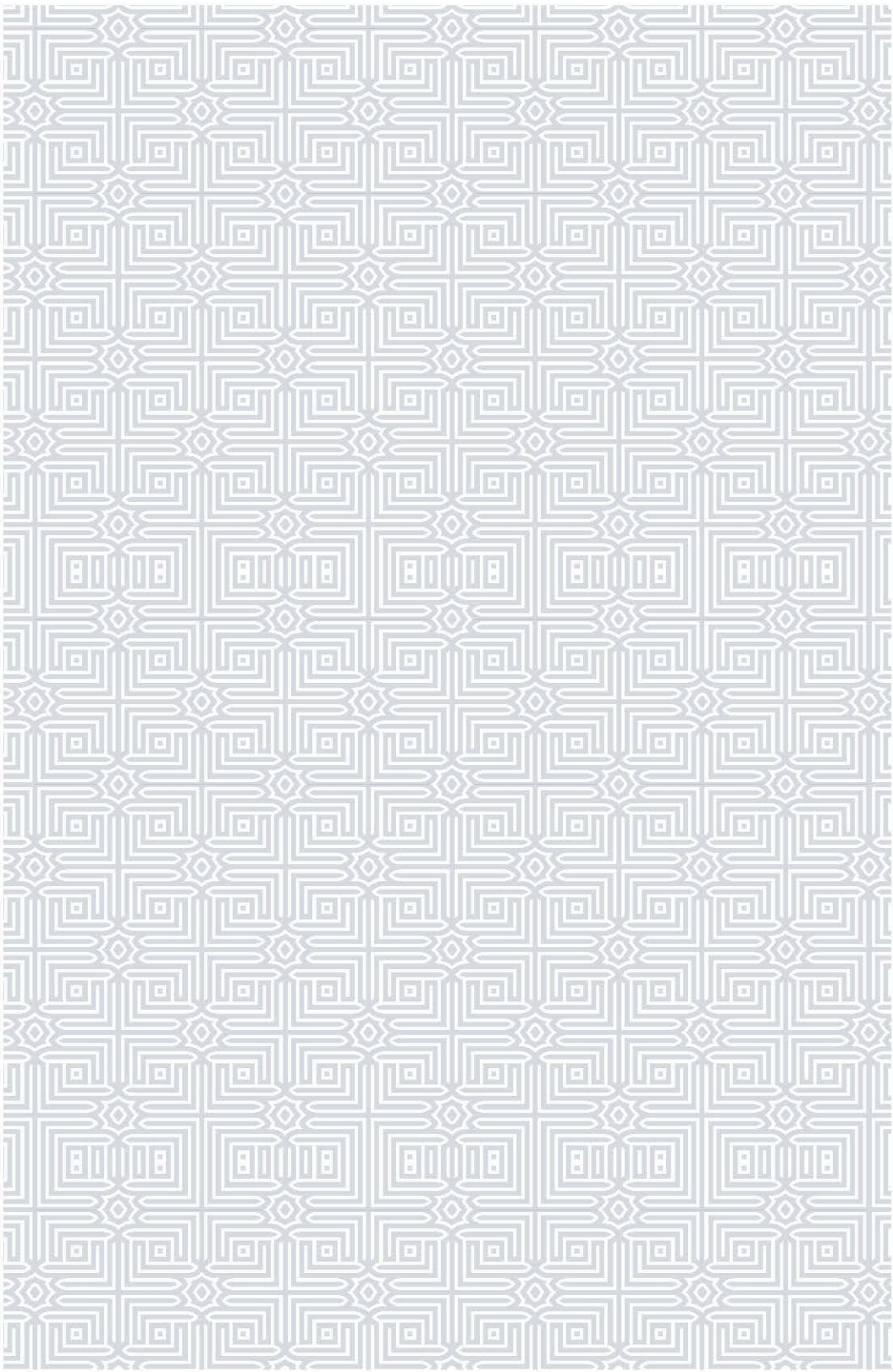
- وأمي الحبيبة أطال الله تعالى في عمرها، وجمَّل عملَها وزيَّنه بالحُسْن والصلاح.

- وإلـى الأسـتاذ الكبير أحمـد الخليفة وريـث المهاجرين الأول وأيقونة المغترب المعاصر.

جعل الله هذا العمل في موازين حسناتنا جميعًا

ابنكم

أحمد



تقديم بقلم

الأستاذ الدكتور العلامة

مروان محمد شاهين

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف

إنَّ الحمدَ لله تعالى، نَحمدُه ونَستعينُه ونُستغفرُه، ونَعوذُ باللهِ تعالى من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومُن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3][4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) هذه المقدمة تسمى خطبة الحاجة، كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.
والحديث رواه أبو داود في السنن: كتاب النكاح: باب في خطبة النكاح، ٢/ ٢٣٨، ح رقم: (٢١١٨)، والترمذي في جامعه: كتاب النكاح: باب ما جاء في خطبة النكاح، ٣/ ٤٠٥، ح رقم: (١١٠٥)، وقال: (حديث حسن)، ثم ذكر طريقين للحديث، وقال: (وكلا الطريقين صحيح)، والنسائي في السنن: كتاب النكاح: باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، ٦/ ٨٩، ح رقم: (١٤٠٤)، وابن ماجه في السنن: كتاب النكاح: باب خطبة النكاح، ١/ ٦٠٩، ح رقم: (١٨٩٢) جميعا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بألفاظ متقاربة.

أما بعد:

«فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كتَابُ اللهِ، وخَيْر الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ، وَشَرّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وبعد:

فإن البحوث العلمية الرصينة الجادة لها خصائص دقيقة تتميز بها، ومن ذلك:

أولًا: الموضوع المبتكر الذي يعالج قضية مهمة، وليس معنى الابتكار مقصورًا على عدم السبق إليه فقط، وإنما معنى الابتكار: أن الموضوع ـ وإن كَتَبَ فيه آخرون ـ فإنه لا تزال بعض جوانبه المهمة تحتاج إلى دراسة وإضافة.

ثانيًا: من الرائع جدًّا أن يكون البحث مفيدًا للبيئة التي يُنْشَرُ فيها، ويساهم في علاج بعض مشكلاتها العلمية والاقتصادية والاجتماعية، ونحو ذلك، وتلك مهمة رئيسة عظيمة من أَجَلِّ وأَعْظَم أهداف الأبحاث العلمية التي تقوم بواجبها في حَلِّ مشكلات المجتمع والأسر والأفراد في سائر المجالات، وهذا باب يظهر فيه توفيق الله تعالى للباحثين في حُسْنِ اختيار موضوعاتهم التي تحتاجها البيئة وأهلها.

ثالثًا: مراجعة الأبحاث والأعمال العلمية السابقة التي تناولت الموضوع بالبحث والدراسة، والاهتمام بالنتائج العلمية التي توصل إليها الباحثون السابقون، وذلك مما يُعين الباحث على الوصول للجديد، والاجتهاد في إضافة ما يراه مناسبًا في دراسة بحثه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه جزءًا من حديث، كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/ ٥٩٢ (٨٦٧)، واللفظ له، والنسائي في السنن جزءًا من حديث بلفظ: «**إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار**»، كتاب صلاة العيدين،باب كيف الخطبة؟ ٣/ ١٨٨ ح رقم (١٥٧٨) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ولنا في سلفنا الصالح أُسْوَةٌ حسنةٌ؛ فإنك لا تقرأ كتابًا من كتب علمائنا الأجلّاء، من كتب التفسير أو الحديث، وغيرها من سائر التخصصات إلا وتجد العالِمَ قد أحاط ـ تقريبًا ـ بكل ما سبقه من دراسات تتعلَّق بموضوع الكتاب، وإنك لَتَدْهَشُ حين تجد عَالِمًا كبيرًا، مثل شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالى قد رجع في شرح الحديث الواحد أحيانًا إلى ما يُقارب خمسين مرْجِعًا، وله تَعَقُّبات واستدراكات وإضافات على كل ما قرأ، وليس هذا صنيع ابن حجر وحدَه، بل هو منهجٌ عامٌّ عند كل علماء الأمة، ومراجعة مؤلفاتهم وأعمالهم العلمية ـ في كل التخصصات ـ يعطينا الدليلَ البارز على ذلك.

رابعًا: التأصيل الشرعي للموضوع إذا كان البحث متعلِّقا بالدراسات الشرعية من تفسير، وحديث، وسيرة، ونحوها، ونقصد بالتأصيل الشرعي: الاعتماد على الأدلة الثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الصحيحة، والرجوع إلى المصادر المتخصصة المعتمدة عند أهل كل تخصص، مع الاستعانة بأفهام أهل العلم وأقوالهم، فإن لكل علم علماءه المتخصصين الذين يُعتمد عليهم في فهم النصوص الشرعية.

خامسًا: الاحتكام إلى القواعد العلمية المقررة التي اصطلح عليها أهلُ كلِّ تخصص، مثل: شروط التفسير المقبول، وقواعد الجرح والتعديل، ومعايير صحة الحديث، وغيرها.

وأهل كل تخص لهم قواعدهم الاصطلاحية التي استقروا عليها خلال مراحل التاريخ كلها، والباحث الجاد يلتزم بتلك القواعد المتفق عليها.

سادسًا: الأدب مع أهل العلم، ومعرفة أقدارهم ومنازلهم حتى لو خالفهم الباحث في بعض الاجتهادات العلمية.

سابعًا: سلامة اللغة، ودقتها بالبحث كله، ومراعاة سائر القواعد المتصلة بذلك؛ من نحو، وبلاغة، وفصاحة...إلخ.

وإننا لنرجو لأبنائنا الباحثين التفوق في لغتهم، وظهور ذلك في أعمالهم العلمية.

وقبل ذلك وبعده، فإن المطلوب هو ابتغاء ما عند الله تعالى، ويكون ذلك: بإخلاص النية، واستقامة القصد، فليس المقصود: الحصول على درجة علمية، أو الوصول إلى مناصب عالية، أو اكتساب منافع دنيوية ـ وليس ذلك معيبًا ـ وإنما العيب: أن يكون ذلك هو المقصود الأول من الأبحاث العلمية الشرعية.

وَأَحْسَبُ ـ والله حَسِيبُنَا ـ أن كثيرًا من هذه السمات قد تحقّق ـ في الأعم الأغلب ـ في بحث ابننا الفاضل النابه **فضيلة الدكتور الشيخ/ أحمد طه**، الذي كتبه بعنوان: «**معالم الوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة**».

وقد رُزِقَ في هذا البحث سَبْقًا مَوَفَّقًا، رزقه الله تعالى من خلاله استنباط دروس طيبة من هجرة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحبشة، التي يستفاد بها في كيفية التعايش بين المسلمين وغيرهم في بلاد الغرب، فكثير من العلماء كتب دروسًا طيبة عظيمة من وراء الهجرة إلى الحبشة، لكنَّ الجديد الذي أضافه **الدكتور/ أحمد** هو الربط بين تلك الهجرة، وواقع المسلمين في الغرب، وكيف يمكن استلهام دروس تلك الرحلة في حُسْنِ التعايش بين المسلمين وغيرهم في بلاد الغرب، وهذا يدل على ثراء السيرة النبوية ـ وكل العلوم الشرعية ـ وامتلائها بالدروس والعبر التي تكشف عنها وقائع الزمان وحوادث الدهر.

هو باحث واعد متميز، له صلة جيدة بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أرجو أن يحافِظ عليها، وأن يزيد منها، وادعو له بالتوفيق والسداد، وأن يبارك الله له في عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، وَأَهْلِهِ، وفي كل نعمه عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

الأستاذ الدكتور العلامة

مروان محمد شاهين

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة، والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فلا شك أنّ الدين الإسلامي قد اكتمل، والنعمة من الله تعالى قد تمّت، ولم يعد هناك أدنى ريبةٍ لأي إنسانٍ مسلمٍ منصفٍ أنّ في شريعة الإسلام ومصدريها حلولًا عملية واقعية لما يمرّ بالمسلم ـ على اختلاف الأزمان والأماكن ـ من مستجداتٍ ومشاكل ومُحدثاتٍ تحتاج إلى أجوبةٍ كافيةٍ شافيةٍ يطمئنُّ إليها المسلمُ في بيئته.

ونحمدُ الله تعالى على تمام منته، وجميل ما خلفه لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لنسير في دورب الحياة على بصيرة مضيئة، وطرق مُعبّدة مدروسة نثق بها في حياتنا، وتصاحبنا في حلنا وهجرتنا، ولنغنم السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن أهم هذه المستجدات القديمة الحديثة ما يتعلق بالوجود الإسلامي في بلاد الغرب، فهو بابٌ كبيرٌ يحتاج فيه الوجود الإسلامي حلولًا عمليةٍ، وفقهًا واقعيًّا، ورسمًا واضحًا لكل ما يمرّ به المسلم من أمورٍ تتعلق بدينه، ودنياه، وآخرته ـ مع فقر المكتبة الإسلامية في هذا الباب ـ تُيسّر له حركة حياته في هذه البلاد، وتعصمه من كثير من ألوان الزلل والخطأ.

وعليه فهذا بحثٌ أفردتُه لما يتعلق بالوجود الإسلامي في بلاد الغرب، ركّزتُ الكتابة فيه على ما يتعلق بمعالم الحضور المتنوع للوجود الإسلامي في الغرب

وكيفيته، وما يتبعه من مفاهيم وقضايا مُلحّة تهمُّ هذا الوجود على مستوى الأفراد والمجتمعات، جمعتُ فيه الأدلة النبوية الشريفة التي تتعلق بهم وبوجودهم، محللًا في ذلك الدليل والرواية، جامعًا لهما، لرسم حياة شبه متكاملة تُستنبط من هذه الأدلة والروايات، وتكون دستورًا وقانونًا يحل كثيرًا من مشاكلهم الحياتية، وتوضيحًا ورسمًا لقضايا ينبغي أن تُتبنّى في الغرب، وأن يُعار لها الاهتمام، وأجوبة أخرى لكثيرٍ من التساؤلات التي تُبرزها هذه الدراسة.

ولقد أخذت أنموذجا لهذه الدراسة (الهجرة إلى الحبشة) تطبيقًا وتنزيلًا، لما تحمل هذه الهجرة من أمورٍ كثيرةٍ، جديرةٍ بالبيان والتوضيح، قل من تعرّض لها وأعطاها حقّها من الدارسين، فهي حقبة زمنية طويلة تصل إلى ستة عشر سنة، مليئة بالتفاصيل التي يجب أن تظهر وتدرس، ويستنبط معانيها ودروسها، ولما فيها من أوجه الشبه الكبير التي تجمع بينها وبين الهجرات التي جاءت بعدها وحتى يومنا هذا، فأبين من خلالها كثيرًا من الأمور المشتركة التي يجب تفعيلها، وأُجلي أيضًا من خلال عرضها زخمًا من التساؤلات والشبهات التي تدور في واقع الوجود الإسلامي اليوم، ومن ثم يستطيع الوجود الإسلامي من عرض أحداثها أن يرسم طريقه الصحيح والواضح تعايشًا واندماجًا.

ولقد جاء هذا البحث مشتملًا على مقدمة، وتمهيد، وثمانية فصول، وملحقين، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها بيان سبب الموضوع وتقسيمه.

وأما التمهيد: ففيه ما يلي:

أ ـ عنوان البحث، وبيان مفرداته، والمقصود به.

ب ـ أهم الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع.

ت ـ ما الذي أضافته هذه الدراسة لما سبق؟

ث ـ المناهج المتبعة في البحث والدراسة.

ج ـ منهجي في هذه الدراسة.

ح ـ الكلام على ضوابط التعامل مع السيرة النبوية ومؤلفيها.

والفصل الأول: الهجرة إلى الحبشة والغرب (الأسباب والدوافع).

الفصل الثاني: (الحبشة وبلاد الغرب) الوطن الجديد أسس الاختيار، ومنطلقات التوجه.

الفصل الثالث: معالم التعايش والحضور بين المسلمين في بلاد الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة.

الفصل الرابع: صعوبات ومخاطر تواجه الوجود الإسلامي من خلال الهجرة إلى الحبشة.

الفصل الخامس: معالم الحضور والعيش بين الوجود الإسلامي والآخر من خلال الهجرة إلى الحبشة «فقه التعامل مع المُضيف).

الفصل السادس: معالم تعامل الدولة الجديدة مع الوجود الإسلامي من خلال هجرة الحبشة.

الفصل السابع: معالم تعامل الدولة الإسلامية (الدولة الأم) مع الدولة المضيفة وأتباعها.

الفصل الثامن: معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي المغترب.

الملحقات وفيها:

ملحق (أ) وفيه: أهم المسائل الفقهية والعقدية المتعلقة بالحبشة وأهلها.

ملحق (ب) وفيه: تخريج ودراسة أهم الأحاديث والآثار المتعلقة بالهجرة إلى الحبشة.

ثم الخاتمة: وفيها أهم التوصيات والنتائج.

وختامًا...

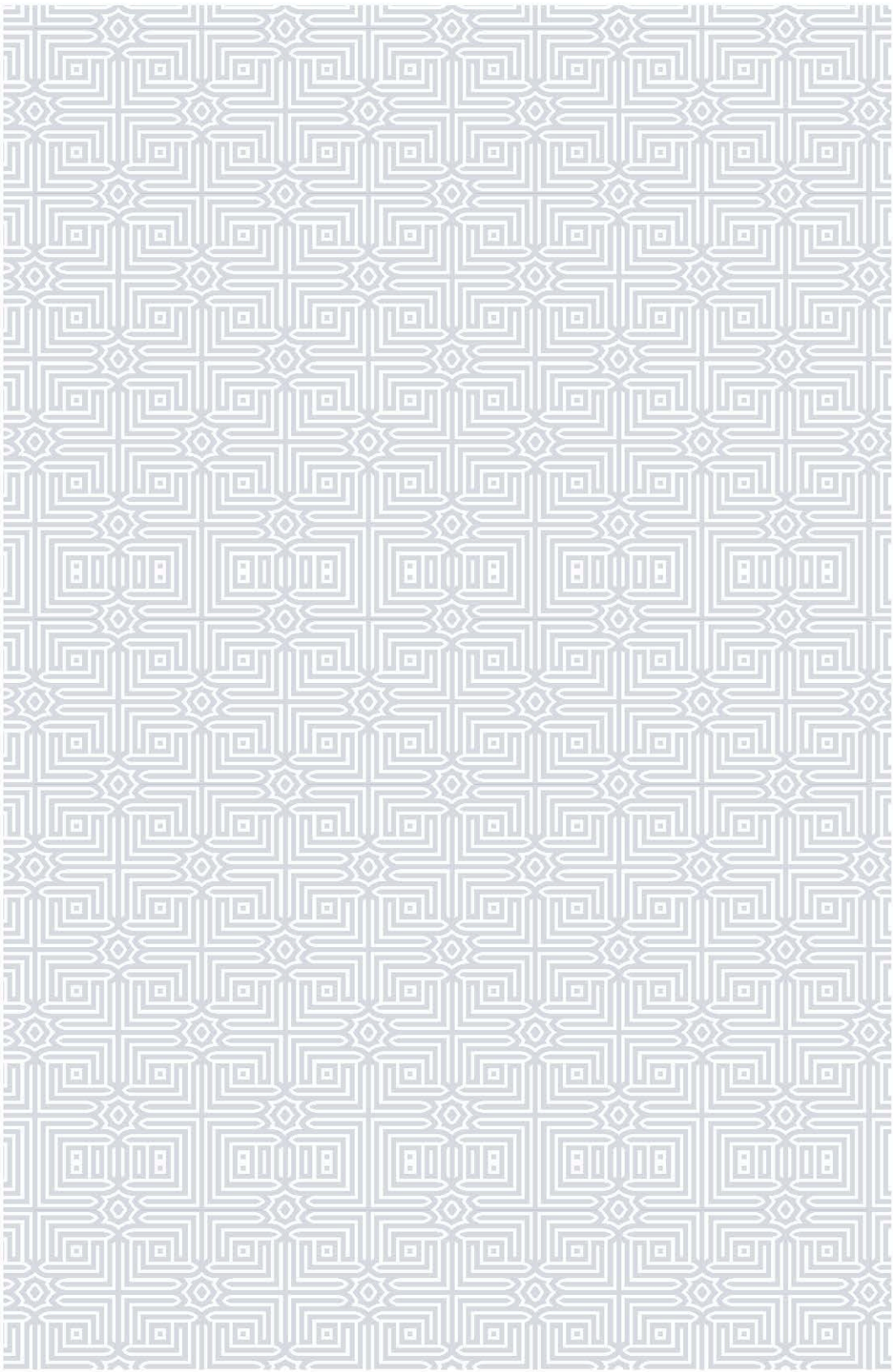
فإني أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، وأن يتقبله مني، وأن ينفعني به وإخواني من المسلمين... اللهم آمين.

وكتبه

د. أحمد طه عبد القادر عبد الله

تمهيد

عنوان البحث وبيان مفرداته



(١)
عنوان البحث وبيان مفرداته

عنوان هذا البحث «معالم الوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة»، وسأقف على أهم ما ينبغي بيانه في هذا العنوان.

كلمة (معالم) في ميزان اللغة:

جاءت كلمة معالم في كتب اللغة بمعان متعددة تدور على الوسم والدلالة ومظنة الشيء وحدوده، يقال: (معالمُ واحد معلم) مأخوذ من علم: ويُقال: علم يعلم علمًا.

والعلم: علم الطّريق، وهو كل ما نُصب على الطُّرق ليُهتدى به من الحجارة وغيرها، وجمعها كلها أعلام.

والعلم: ضدّ الجهل يقال: رجل عالم من قوم عُلماء وعالمين.

وأعلام القوم: ساداتهم.

ومعالم الدّين: دلائله، وكذلك معالم الطّريق، والواحد معلم، وفُلان معلم للخير، أي مظنّة له.

والمعلم: ما جعل علامة وعلمًا للطرق والحُدود؛ مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه.

وفي لسان العرب: وكله راجعٌ إلى الوسم والعلم...

والمعلمُ: الأثرُ يُستدل به على الطّريق، وجمعُه المعالمُ[1].

والخلاصة: أن المعالم تدور حول الوسم والدلالة والأثر، والمقصود بها هنا دلائل وهدايات وعلامات للوجود الإسلامي في الغرب.

كلمة: (الوجود الإسلامي):

جاءت جذر كلمة الوجود من (وُجد):

قال ابن فارس: (الواوُ والجيمُ والدّالُ، يدُل على أصلٍ واحدٍ، وهو الشّيء يُلفيه. ووجدتُ الضّالة وجدانًا)[2].

وقال ابن سيده: (وجد الشّيء يجده ويجُده... والمصدر وجدا، وجدة، ووُجدا، ووُجودًا، ووجدانًا، وأجدانًا)[3].

وللكملة معانٍ متعددة، قال صاحب تاج العروس: (وتواجد فُلانٌ: أرى من نفسه الوجد، ووجدتُ زيدًا ذا الحفاظ: علمتُ، والإيجادُ: الإنشاءُ من غير سبق مثالٍ، ويعبّر عن التمكُّن من الشيء بالوجود نحو: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[4]. أي: حيثُ رأيتُموهم، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[5]، وقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾[6]، .....

(١) ينظر: مادة (ع ل م) في: جمهرة اللغة ٢/ ٩٤٨، تهذيب اللغة ٢/ ٢٥٤، لسان العرب ١٢/ ٤٢٠، تاج العروس ٣٣/ ١٣٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٦/ ٨٦.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٥٣٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: (٦).

(٥) سورة النمل، الآية: (٢٣).

(٦) سورة النمل، الآية: (٢٤).

وقوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾[1]، ووُجود بالبصيرة، وكذا قوله: ﴿وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾[2]، وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾[3]، أي: إن لم تقدروا على الماء)[4].

وفي معجم اللغة المعاصرة: (وُجود: مصدر وُجد ووجد، وهو كل ما هو موجود، أو يمكن أن يوجد، كونُ الشّيء واقعًا وهو نوعان: ذهنيٌّ وخارجيّ، عكسه العدم، ظهرت السيّارة الجديدة للوجود، غاب عن الوجود: أُغمي عليه، برز إلى الوجود، في حيّز الوجود، أثبت وجوده)[5].

فالكلمة من حيث اللغة: تدور بعض معانيها على وجود الشيء وتمكنه وبروزه سواء كان على مثال سابق أم لا.

وقد قال الإمام عبد الرؤوف المناوي: (الوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس نحو، وجدت زيدًا، ووجود بقوة الشهوة نحو: وجدت الشبع، ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط، ووجود بالعقل أو بواسطة العقل، كمعرفة الله والنبوة، ويعبر عن التمكن من الشيء بالوجود نحو: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[6]..)[7].

والخلاصة أن المقصود بالوجود الإسلامي: مجموعة المسلمين الموجودين البارزين في بيئة معينة وجودًا متمكنًا حقيقيًّا بجميع أضربه السالف بيانها.

---

(١) سورة النور، الآية: (٣٩).
(٢) سورة الأعراف، الآية: (٤٤).
(٣) سورة النساء، الآية: (٤٣).
(٤) ينظر: تاج العروس ٩/ ٢٦٠.
(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٤٠٣.
(٦) سورة التوبة، الآية: (٦).
(٧) ينظر: التوقيف على مهمات التعريف، ص٣٣٤.

لماذا هذا المصطلح؟

إن اختيار كلمة الوجود الإسلامي دون غيرها من المسميات والتعريفات (كالأقليات والجاليات) وغيرهما له أبعاد أشمل وأوسع بيّنتها توصيات وقرارات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ١-١٧٤ - (١/ ٢٨٣) قرار رقم ١٥١ (٩/ ١٦) بشأن معاملة الأقليات المسلمة وفيه:

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) ٣٠ صفر - ٥ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ، الموافق ٩-١٤ نيسان (إبريل) ٢٠٠٥ م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع رعاية الأقليات المسلمة، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرّر ما يلي:

١ـ ينبغي استبعاد تسمية الوجود خارج العالم الإسلامي بـ (الأقليات) أو (الجاليات)؛ لأن تلك التسميات مصطلحات قانونية لا تعبّر عن حقيقة الوجود الإسلامي الذي يتصف بالشمولية والأصالة والاستقرار والتعايش مع المجتمعات الأخرى، وأن التسميات المناسبة هي مثل (المسلمون في الغرب) أو (المسلمون خارج العالم الإسلامي).

٢ـ يجب اتخاذ شتى الوسائل للحفاظ على الوجود الإسلامي للمسلمين خارج البلاد الإسلامية والدفاع عن خصوصياته الدينية والحضارية والثقافية[1].

فالأصل في استخدام هذا المصطلح ما يحمله من شمولية وأصالة واستقرار وتعايش، وغير ذلك من المعاني والمقررات التي لا تُفرزها وتقررها المصطلحات

(١) ينظر: القرارات كاملة في كتاب المقدمة في فقه العصر ١/ ١٤٣.

والمسميات الأخرى، وهو أمر مهمٌّ جدًّا في بناء الوعي، وديمومة الانطلاق، وأسس التعامل.

كما أنه أوضح في تفعيل قضية المواطنة وتأكيدها؛ فقد أكّد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في بيانه الختامي لدورته العادية السادسة عشرة على أن المسلمين الذين يعيشون في البلاد الأوروبية هم:

ـ إما مواطنون قد ضمنت لهم القوانين جميع حقوق المواطنة، ومنها: حرية التدين، والمحافظة عليه، والتمكين من التعريف به... إلخ.

ـ وإما مقيمون وعليهم جميعًا التقيد بأحكام الشرع وآدابه وأخلاق أهل الإسلام[١].

وقد أكّد هذا المصطلح وأطلقه مجموعة من العلماء والفقهاء المعاصرين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور عبد المجيد النجار[٢]، والدكتور عبد الله بن أحمد الراوي[٣]، والدكتور سفر الحوالي[٤]، والدكتور وهبة الزحيلي[٥]، والدكتور ماجد عرسان الكيلاني[٦]، والدكتور رؤوف شلبي[٧]، والدكتور منير

(١) ينظر: المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث عدد (١٠-١١)، الجزء الثاني، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، (ص ٣٠٢-٣٠٥).

(٢) للدكتور عبد المجيد النجار كتابه: الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي في الغرب.

(٣) للدكتور عبد الله كتابه: الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) تعرض الدكتور سفر الحوالي لهذا المصطلح في كتابه العلمانية ونشأتها وتطورها. ينظر: ص٥٣٠.

(٥) ذكر المصطلح الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته ٧/ ٥٠٠٣.

(٦) ينظر: كتابه أهداف التربية الإسلامية، ص٤٠٢.

(٧) ينظر: كتابه الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، ص٣٣.

الغضبان[1]، والأستاذ سعيد حوى[2]، والشيخ محمد متولي الشعراوي[3] وغيرهم.

وعليه فإننا نستطيع أن نُعرف الوجود الإسلامي في الغرب بأنهم: «المسلمون المواطنون والمقيمون في بلاد الغرب، سواء كانوا وافدين أو من أبناء هذه البلاد، تجمعهم رابطة العقيدة والانتماء إلى الإسلام على اختلاف أعرافهم ولغتهم وألوانهم وثقافتهم).

كلمة (الغرب):

يؤسس للكلمة الخليل بن أحمد الفراهيدي فيقول: (الغربُ: المغربُ. والغُروب: غيبوبةُ الشمس. ويقال: لقيته عند مغربان الشمس. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾[4].

الأول: أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف.

والآخر: أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء...

والغُربةُ: الاغترابُ من الوطن. وغرب فلانٌ عنا يغرُبُ غربًا، أي: تنحّى، أغربته وغرّبتُه، أي: نحيته)[5].

وفي المحكم: (وأغربوا: أتوا الغرب، وتغرّب: أتى من قبل المغرب)[6].

---

(١) ينظر: كتابه فقه السيرة النبوية، ص٤٧٦.

(٢) ينظر: الأساس في السنة النبوية ٢/ ٦٨٥.

(٣) ينظر: تفسير الشيخ الشعراوي ٦/ ٣٤١٣.

(٤) سورة الرحمن، الآية: (١٧).

(٥) ينظر: العين ٤/ ٤١٠.

(٦) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥/ ٥٠٦.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: (الغرب: جهة غروب الشمس، يقابله: شرق «هبّت الرّيحُ من الغرب» والمقصود بالغرب: البلدان الغربيّة، ويُقصد بها أوروبا الغربيّة والبلدان الأميركيّة)[1].

فمقصدي ببلاد الغرب هي بلاد أوروبا والأمريكيتين، وكذا كل بلد تقابل المشرق العربي والإسلامي.

والخلاصة:

على ضوء ما سبق فإن المقصود بهذا البحث هو: بيان المعالم والأهداف المتنوعة التي توضح وترسم شكل الحياة للمسلمين في بلاد الغرب، وتقدم للمسلمين في بلاد الغرب نموذجًا صحيحًا؛ من حيث العيش والمواطنة والاندماج، وكل هذا من خلال نموذج في السيرة النبوية وهو نموذج الهجرة إلى الحبشة.



(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٦٠٣.

(٢)
أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع

لقد تنوعت الدراسات في الكلام على الهجرة إلى الحبشة قديما وحديثا، ويمكن أن نقسم الدراسات التي تناولت هذا الحدث المهم إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: مؤلفات المتقدمين في السيرة النبوية.

القسم الثاني: مؤلفات المتأخرين في الهجرة إلى الحبشة.

أما القسم الأول: مؤلفات المتقدمين في السيرة النبوية.

فلا تجد كتابًا تناول سيرة النبي ﷺ إلا وتناول معها حدث الهجرة إلى الحبشة بدايةً من سيرة ابن إسحاق وجامعها السيرة النبوية لابن هشام، وشرحه الروض الأنف للسهيلي، وجوامع السيرة لابن حزم، والسيرة النبوية لابن كثير وغيرهم.

ويمكن أن نضع أهم ما جاء في هذه الكتب والمصنفات مما يخص هذا الحدث في نقاط رئيسة:

أولًا: جميع هذه الكتب كان جل اهتمام مؤلفيها ذكر الحدث وبيان الروايات التي جاءت فيه، وتلخيص الحدث؛ من حيث توثيق أحداثه، وبيان من هاجر منهم، وعددهم، وأنسابهم وبطونهم، وترجيح القول في المختلف عليه شخوصًا أو أحداثًا.

ثانيًا: جميع هذه الكتب تناولت الحدث ـ حدث الهجرة إلى الحبشة ـ إجمالًا دون تفصيل أو شرح أو استخلاص للدروس والعظات والعبر، بل منهم من مرّ على هذا الحدث مرورًا سريعًا في خضمّ الكلام على محطات السيرة النبوية، وهذا كان دأب الكتب الأولى التي كانت تهتم بذكر الموقف والحدث في السيرة النبوية من حيث جمعه وتوثيقه وتأكيد حدوثه فقط.

ثالثًا: غلبة الاهتمام بالتوسع في ذكر أشياء تنبع من أمورٍ كانت مهمة آنذاك؛ كذكر الأنساب وإطالة الكلام فيها، ومحاولة حصر أسماء الأفراد، والترجيح في بعض أسمائهم، ومدة إقامتهم وعودتهم، وغير ذلك من أمور مهمة تعتبر توثيقًا عظيمًا يُستخلص من ورائه كثيرٌ من الدروس والعبر.

رابعًا: الاهتمام بشكل عام بجمع الروايات على حساب التوثيق والتحقيق للحدث والموقف، وهذا شأن مجموعة كبيرة من المصنفين؛ تجميع المادة العلمية بإسنادها أولًا، دون الكلام على صحّة ما ورد فيها من ضعفه، وهو منهج معروف يرمز إليه بالقاعدة الحديثية: (من أسند فقد أحالك).

خامسًا: الاهتمام بما يُساق من أشعار ونظم يخص الحدث، أو يتعلق به من شعر الجاهلية أو صدر الإسلام للصحابة ومن بعدهم، وهذا أيضًا كان له فوائده المستخلصة منه.

سادسًا: المنهج التعقيبي والاستدراكي الذي كان يقوم بين أصحاب هذه المؤلفات تباعًا بين السابق واللاحق منهم في تأكيد حدث، أو تفنيده، أو تصويب معلومة، أو غير ذلك، وهذا نجده عند ابن كثير، وكذا عند السهيلي في كتابيهما.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد البوطي: (لقد كان منهجهم ـ كُتّاب السيرة المتقدمين ـ المعتمد في ذلك اتباع ما يسمى اليوم بالمذهب الموضوعي في

كتابة التاريخ، طبق قواعد علمية سنشير إليها، ومعنى هذا أن كُتّاب السيرة النبوية وعلماءها، لم تكن وظيفتهم ـ بصدد أحداث السيرة ـ إلا تثبيت ما هو ثابت منها، بمقياس علمي يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن، وفي قواعد الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم، فإذا انتهت بهم هذه القواعد العلمية إلى أخبار ووقائع، وقفوا عندها، ودوّنوها، دون أن يُقحموا تصوراتهم الفكرية، أو انطباعاتهم النفسية، أو مألوفاتهم البيئية إلى شيء من تلك الوقائع بأي تلاعب أو تحوير)[1].

القسم الثاني: مؤلفات المتأخرين في الهجرة إلى الحبشة، وهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: من ألف من المتأخرين في السيرة النبوية وتناول حدث الهجرة إلى الحبشة في أثناء عرضه لمواقف السيرة.

ويمثلهم جميع من كتب من المتأخرين في فقه السيرة النبوية كالشيخ الغزالي، والدكتور محمد رمضان البوطي، والدكتور منير الغضبان، والدكتور رؤوف شلبي، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ أبي الحسن الندوي، وغيرهم من المعاصرين المتأخرين الذين كتبوا في السيرة النبوية وتناولوا الهجرة إلى الحبشة.

وتمتاز هذه المؤلفات إجمالا بما يلي:

١ـ الاهتمام بالدروس والعظات والعبر المأخوذة من الحدث والموقف؛ كل بما يرى من وجهة نظره وتحليله لأحداث السيرة النبوية، ومنها الهجرة إلى الحبشة.

(١) ينظر: فقه السيرة، ص٢٠.

٢ـ تنوع تناول الحدث من زوايا مختلفة ترجع إلى المؤلف وبصيرته، وكذا ما يهتم به من حيث التدوين والتأليف في السيرة النبوية، ويظهر في ذلك شخصية المؤلف وتأثر قلمه ببيئته وعصره، ومثال ذلك: كتاب المنهج الحركي، والتربوي والجهادي للسيرة النبوية للدكتور منير الغضبان، الذي انطلق في استخلاص الدروس والعظات والعبر من أحداث السيرة النبوية من حيث منطلقات كل منهج.

٣ـ تعقبات المستشرقين والمتكلمين في السيرة النبوية بشكل عام وأحداث الهجرة إلى الحبشة بشكل خاص بما لا يصح سندًا ولا يقوى اعتمادًا في حكمهم وآرائهم حول أحداث السيرة النبوية، كما فعل عماد الدين خليل في كتابه المستشرقون والسيرة النبوية، والدكتور وليد العمري في كتابه السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، والدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة كمحاولة لتطبيق قواعد المحدّثين على روايات السيرة النبوية، وغير ذلك.

٤ـ اهتمام ثُلة من العلماء بتصحيح السيرة النبوية بشكل عام وتنقيح مروياتها من الدخيل والضعيف، من ذلك: كتاب السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحية لأبي عمر محمد بن حمد الصوياني، وكتاب الموسوعة في صحيح السيرة النبوية لمحمد إلياس الفالوذة، وما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية للدكتور محمد عبد الله العوشن، وغير ذلك.

وجميع ما سبق إضافات مهمة إلى السيرة النبوية أثرت المكتبة الإسلامية من حيث تناول السيرة النبوية تناولًا مهمًّا وجديدًا يستفاد منها من يقرأ في السيرة النبوية، وخاصة في عصرنا الحالي.

الثاني: من ألف في الهجرة إلى الحبشة استقلالا.

وقد تنوعت الكتابة في هذا القسم أيضًا تنوعًا ملحوظًا، ومن خلال بحثي يمكن الوقوف على أهم هذه الدراسات والمؤلفات التي استقلت بالتأليف في هذا الحدث حدث الهجرة إلى الحبشة، وبيان ما لها وما عليها على النحو التالي:

١ـ كتاب: (تنوير الغبش في فضل أهل السودان والحبش) للحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ[١].

وقد ذكر رحمه الله تعالى سبب هذا الكتاب في مقدمته فقال: (أما بعد... فإنّي رأيت جماعة من أخيار الحبشان تنكسر قُلوبهم لأجل اسوداد الألوان، فأعلمتهم أن الاعتبار بالإحسان لا بالصور الحسان، ووضعت لهم هذا الكتاب في ذكر فضل خلق كثير من الحبش والسودان، وقد قسمته ثمانية وعشرين بابًا، والله المُستعان).

وقد ذكر هذه الأبواب إجمالًا وما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة فيها من الباب الثامن في ذكر من هاجر من الصحابة إلى الحبشة حتى الباب الثالث عشر في ذكر ما سمعه رسول الله ﷺ من كلام الحبشة فأعجبه، وأما بقية الأبواب فتتعلق بقضية السواد وأسماء الملوك وغير ذلك مما لا يدخل في بحثنا.

ويمتاز الكتاب بإيراد ما فيه بالإسناد من المؤلف إلى الحدث، وبعض التعقبات للإمام ابن الجوزي على الأحداث، لكنه لم يستوعب حدث الهجرة، وكذلك لم يزد اهتمامه على إيراد المرويات دون الكلام عليها، أو استخلاص ما وراءها من

(١) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: مرزوق علي إبراهيم الناشر: دار الشريف - الرياض- السعودية - الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الدروس والعبر، وإن توسّع في أشياء أخرى لا علاقة لها بالهجرة إلى الحبشة؛ كمبحث المبرّزين في العلم من أهل السودان وما بعده.

٢ـ كتاب: (رفع شأن الحبشان) للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ[١].

وهو كتاب على غرار ما ألفه ابن الجوزي رحمه الله تعالى، اهتم فيه المؤلف ببعض الأمور المتعلقة بالحبشة وأهلها، فأورد فيه ما جاء في بيان الأحاديث الواردة فيهم، وفيما نزل فيهم من الآيات، وفيما ورد بلسانهم في القرآن الكريم، وما ورد في بعض ما تكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لغتهم، وفي ذكر أسماء المهاجرين، وبعض قضايا الهجرة إلى الحبشة؛ كقضية إسلام عمرو بن العاص، وزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أم حبيبة، ودور النجاشي في ذلك، وتكلم في فصل كامل عن خيار أهل الحبشة بداية بلقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنجاشي وبلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعدّد أكثر من ثلاثين شخصية من الرجال والنساء المنسوبين إلى الحبشة، وبيان ذكر محاسنهم وخواصهم، ثم الكلام على بعض المنثورات؛ كسبب سواد ألوانهم، وأبناء الحبشيات من قريش وغير ذلك.

والكتاب يعتبر في فصوله الأولى مادة علمية مهمة في سرد ما جاء فيهم في القرآن والسنة، وكلام أهل العلم، لكن يؤخذ عليه ورود كثير من الأحاديث والآثار التي اعتمدها المؤلف هي في دائرة الضعف بل الضعف الشديد، كذلك لم يتناول

(١) كتاب رفع شأن الحبشان، للإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة٩١١هـ دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عبد الوهاب فضل، أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف – الناشر المؤلف – تاريخ النشر ١٤١١هـ – ١٩٩١م، عدد الأجزاء ١.

حدث الهجرة تناولًا كاملًا، بل انصب اهتمامه على أهلها ولغتهم ومن ينسبون إليها، وبالتالي فهو كتاب فريد في بابه غير أنه بعيد عن موضوع دراستنا.

٣ـ كتاب: (الهجرة إلى الحبشة دراسة مقارنة للمرويات) للدكتور محمد بن فارس الجميل[١].

وقد تكلم فيه عن الهجرة وأسبابها والهجرة الأولى إلى الحبشة، وعودة المهاجرين، ثم الهجرة الثانية، والكلام على موقف قريش والنجاشي من المهاجرين، وعلاقة النبي ﷺ بالنجاشي، وعودة جعفر وأصحابه رضي الله عنهم، وانصبّ اهتمام المؤلف على قضية المقارنات بين الروايات والجمع والترجيح بينها، وتقديم بعض الأجوبة على الأسئلة المطروحة حول الهجرة إلى الحبشة وأسبابها ودوافع اختيارها.

ومن أجمل ما قام به الدكتور في كتابه الملحقات في آخر كتابه التي اهتمّت بالفوارق بين الروايات للحدث الواحد، وكذلك الملحقات المتعلقة بأسماء من هاجر وعاد، أو هاجر ورجع مع جعفر في السفينة.

لكن يؤخذ عليه عدم تعرضه للدروس والعظات والعبر المأخوذة من الحدث، وكذلك توسعه في الكلام على الروايات دون الدراسة الحديثية المتعمقة فيها، لكنه كتابٌ مهمٌّ في بابه، وقد استفدت به من خلال بحثي في المقارنة بين الروايات التي تتبعها فضيلة الدكتور، وإن كنت لم أتماشى دائمًا مع ما خلص إليه في الترجيح بين الروايات، لكنه كتاب مهم في محاولة لجمع مرويات الهجرة إلى الحبشة من كتب السيرة والتواريخ.

(١) كتاب: الهجرة إلى الحبشة دراسة مقارنة للمرويات، للدكتور محمد بن فارس الجميل، طبعة دار الفيصل الثقافية بالرياض- الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤ـ كتاب: (الإسلام والحبشة عبر التاريخ) للمهندس فتحي غيث[١].

ويمكن أن يصنّف هذا الكتاب في كتب التاريخ لا السيرة؛ فقد جاء كتابه بعيدًا عن موضوع الهجرة إلى الحبشة، أو لم يتعرض لها إلا في بعض صفحات الكتاب، فقد انصبّ اهتمامه في التأليف على ما يتعلق بجغرافية المكان وطبيعة السكان والأرض، والقبائل الحبشية التي سكنت فيها، وثلث بتقديمٍ موجزٍ لتاريخ الحبشة القديم، ومن أثّر فيهم أو دخلها من البلاد؛ كالقدماء المصرين والعرب واليهود، ثم تحول للكلام على دخول المسيحية في الحبشة، وتعرّض لمصطلح الحبشة، ومن أين جاءت التسمية؟ ثم تتبع تاريخ الحبشة في عصور الإسلام الأولى، وتتبع الممالك الإسلامية التي وفدت على حكم الحبشة في عهود الدول والخلافات الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث عشر، وتعرّض أيضًا للحروب الصليبية وعلاقة الحبشة بها، كل هذا في تتبع تاريخي قبل الإسلام وبداية الإسلام وختامًا بالعصر الحديث.

وساعده على تدوين هذا الكتاب وتأليفه أنه انتدب للعمل في أرض الحبشة في بداية القرن الماضي، فعاش في هذه البلاد وزار مواقعها، ووقف على جملة من المصادر والمؤلفات التي وثّق من خلالها عرض أحداث كتابه.

والكتاب فريد في بابه إلا أنه لم يخدم الهجرة إلى الحبشة إلا فقط في سرد الحدث ووصفه كحقبة تاريخية مرت بها الحبشة.

٥ـ كتاب: (إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية) للدكتورة سامية عبد العزيز منيسي[٢].

---

(١) كتاب الإسلام والحبشة عبر التاريخ، للمهندس فتحي غيث، إصدارات مكتبة الإسكندرية- بدون تاريخ طبع.

(٢) كتاب إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، للدكتورة سامية عبد العزيز =

وقد ركّزت فيه الدكتورة على الحبشة والنجاشي؛ فتكلمت على إسلامه ولقبه، واحتضانه لأصحاب النبي ﷺ في أرضه معززين ومكرمين، ثم تكلمت على دوره في الدعوة الإسلامية، واهتمت كذلك في كتابها بالكلام على الموقع الجغرافي للبلاد، وطبيعة سكانها، وعلاقتهم بالجزيرة العربية قبل الإسلام، وتكلمت كذلك عن أحداث الهجرة، وعن استقبال النجاشي، وكيف كان معهم؟ ومن ثم تجهيزه للمهاجرين عند عودتهم، والكتاب عبارة عن سرد للمرويات التاريخية والحديثية دون تحقيق لها، ومن أفضل ما يميز الكتاب هو تسليط الضوء على النجاشي ودوره الدعوي، لكنه يفتقد للدروس والعظات والعبر المستخلصة من أحداث الهجرة إلى الحبشة، وإن كان قضية النجاشي قد استوفت فيها كثيرًا على اعتبار أنه أصل بحثها وكتابها.

٦ـ كتاب: (الإسلام في الحبشة، وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام)، للمؤلف يوسف أحمد[١].

وهو كتاب ماتع لكنه يدخل تحت العرض التاريخي للحبشة من قبل الإسلام حتى العصر الحديث، فتكلم عن علاقة الحبشة بالعرب، واحتلال الحبشة لليمن، ثم الكلام على الهجرة إلى الحبشة وما لاقوه من النجاشي من كرم ومعاملة في عرض وصفي للحدث دون تحليل أو تعمق، ثم انتقل بعدها على الكلام على الإسلام في الحبشة بعد الهجرة، وأول سرية للمسلمين في عهد عمر سارت

= منيسي، طبعة دار الفكر العربي- الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.

(١) كتاب الإسلام في الحبشة وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام، للمؤلف: يوسف أحمد، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة الطبعة بتاريخ ٢٠١٤م.

إلى الحبشة، ثم تتابع للكلام على انتشار الإسلام هناك، والممالك التي حكمت الحبشة، ونظام الملك فيها، وما حدث من عدائية للإسلام وملاحقات لأهله هناك، وما دوّن فيها من مؤلفات خاصة في القرن الثامن، كما فعل المقريزي في كتابه الإلمام، ثم تحدّث عن بعض الوقعات الحربية التي دخلت فيها الحبشة مع المسلمين وأهمها واقعتين واقعة (صبر كوري)، وواقعة (بادقي)، والكلام على ضعف السلطة الإسلامية وما حدث للحملات الإسلامية وخاصة للحملة المصرية من قتل وتعذيب هناك، وذلك بين عامين ١٨١٧-١٨٧٥ ميلادية، والكلام على إكراه المسلمين على التنصر، وما حدث للسلطنة الإسلامية هناك، ولم ينس أن يتحدث عن دور الأزهر الشريف وبعثاته في إحياء الإسلام هناك، وخاصة من بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

والكتاب موثق بشهادات لأناس عاشوا في تلك الحقبة، وهم شهود على عصرهم، وما حدث في بلادهم، لكنه ـ كما قلت ـ لم يتعرّض للهجرة إلى الحبشة إلا تعرضًا وصفيًّا كحقبة تاريخية من بقية حقب الإسلام في بلاد الحبشة، لكنه يعتبر مرجعًا مهمًّا في تتبع الإسلام في الحبشة قديمًا وحديثًا.

٧ـ كتاب: (الهجرة الأولى في الإسلام، فقه المرويات) تأليف الدكتور سليمان ابن حمد العودة[١].

وهو من أفضل الكتب التي تعرضت للهجرة إلى الحبشة وتتبع مروياتها، وقد جاءت مقدمة المؤلف مهمة في طرح بحثه وكتابه فقال: (ومع أهمية هذه الأحداث، وحاجة قارئ السيرة للاطلاع عليها، فثمة أحداث أخرى في الهجرة لا تكاد تبرزها

(١) كتاب الهجرة الأولى في الإسلام- فقه المرويات، تأليف الدكتور سليمان بن حمد العودة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

المصادر، وهي حريّة بالتتبع والاستقراء والاستنتاج، وثمة تساؤلات تتردد في ذهن القارئ وقد لا تجد لها إجابات مباشرة أو كافية في عدد من المصادر مع أهميتها، وعسى أن تجيب عنها هذه الدراسة...).

وبالفعل فالكتاب من أهم الكتب التي ألفت في الهجرة إلى الحبشة واعتبره العمدة في الكتب التي اهتمت بهذا الحدث، فتكلم عن التعريف بموضوع الحبشة وديانة أهلها، وآيات الهجرة في القرآن الكريم وأحاديث الهجرة، والكلام على صنيع كُتّاب السير، والحديث في تناول الحدث، ثم الكلام على أسباب الهجرة، وسبب اختيار الحبشة، والمهاجرين والنجاشي وما قام به، ثم الكلام على الإسلام والمسلمين بين مكة والحبشة، والعائدين إلى مكة وأحداث الهجرة وآثارها من إسلام النجاشي وإسلام غيره، وقضية تنصر عبيد الله بن جحش، وزواج النبي ﷺ بأم حبيبة، وختم بالكلام على أهم دروس الهجرة النبوية.

والكتاب عظيم في جمع الروايات والتوفيق والترجيح بينهما، والكلام على الحدث في محاولة لاستقصاء ما فيه، وقد استفدتُ منه كثيرًا في جانب الروايات والترجيح بينهما، وكذلك بعض الدروس والفوائد والإجابات المستخلصة من الحدث، لكن يبقى أن الصنعة الحديثية هي الأصل فيه، وأنه لم يستقص كثيرًا من الدروس والعظات والعبر، كما أنه لم يتناول الحدث كما شرعنا في بحثنا هذا بما يخدم قضية المغترب.

٨ـ كتاب: (الهجرة إلى الحبشة)، للدكتور عمار منلا[1] الباحث في السيرة النبوية والمتخصص في آثارها بمدينة رسول الله ﷺ.

وكتابه رائع طرح فيه فضيلته جملةً من التساؤلات التي حاول الإجابة عليها

(١) كتاب الهجرة إلى الحبشة، للدكتور عمار منلا، تحت الطبع.

وبيانها في تتبع رائع، فتكلم عن الموقع الحالي للحبشة وما نزل من القرآن والسنة في الحبشة وأهلها، ثم الكلام على مرويات الهجرة إلى الحبشة من السنة النبوية في محاولة لجمع جميع مروياتها من السنة النبوية، فجمع ما يقارب خمسين حديثًا متعلقة بالهجرة إلى الحبشة من بطون السنة المشرفة، ومن ثم طرح عدة أسئلة تتعلق بأمر الهجرة، ومن خرج في الهجرة الأولى ومن عاد وبقي، ومن عاد ورجع، وتراجم الصحابة الأعلام الذين هاجروا، ووقفات مع بعض هذه الأعلام ومواقفهم، وأفرد فصلا للنساء المهاجرات وخاصة أسماء بنت عميس، وأم سلمة وأم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، ثم أورد فصلا للكلام على النجاشي، اسمه ومتى أسلم؟ وهل هو واحد أم أكثر؟ وهل كان يعرف العربية أم يحتاج إلى مترجم؟ ودوره كداعية، وكيف كان اسلامه؟ وهل كان يؤدي شعائر الإسلام أم لا؟ في عرض لأقوال أهل العلم من الفقهاء والمحدّثين، والكلام على علاقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به؟ ثم الكلام على التواصل مع المهاجرين في الحبشة كيف كان؟ وهل كان قويًّا أم ضعيفًا؟ والكلام على قصة الغرانيق وعلاقتها بمهاجرة الحبشة، والكلام على هجرة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأطال النفس فيها، وفي بيان بعض المواضع التي وردت في قصته ودخوله في جوار ابن الدغنة عائدًا، والكلام على بعض الاستنباطات والفقهيات من حدث الهجرة، وكيف كان الصحابة يعيشون هناك؟ وهل كانوا يتواصلون مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ والكلام على قضية عبيد الله بن جحش وردّته.

والكتاب يعتبر جامعًا لمادة الروايات الحديثية المتعلقة بالحبشة، وكذلك للتراجم التي هاجرت، وأيضًا أجوبة لأسئلة مهمة تخص الهجرة والمهاجرين، وقد تعرّض لبعض الدروس والعبر التي قل من يتناولها في الحدث، إلا أنه يؤخذ عليه أولًا: عدم التحقيق لبعض الروايات تحقيقًا حديثيًّا يبين صحيحها من سقيمها، كما أنه طرح عدة أسئلة في أثناء البحث لم يُجب عنها، أو كانت إجاباته مختصرة جدًّا،

ويؤخذ عليه كذلك ضعف التنسيق للتتبع التاريخي للأحداث، فالبحث الذي بين يدي أشبه بمسوّدة لم تخرج في ثوبها النهائي، وفق الله سعادة الدكتور إلى إخراجه وتحقيقه لينفع الله عَزَّوَجَلَّ به الناس.

٩ـ بحث بعنوان: (هجرة المسلمين إلى الحبشة، دراسة تاريخية تحليلية)، للباحثة صفاء موسى بيلو عثمان[1].

وهو بحثٌ قام على المنهج التاريخي التحليلي، كما جاء في عنوانه، تكلمت فيه الباحثة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، فتكلمت في التمهيد عن علاقة الحبشة بالجزيرة العربية قبل الإسلام، وبداية الدعوة الإسلامية، ثم تكلمت في الفصل الأول عن صور اضطهاد الصحابة والاستهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفصل الثاني عن الهجرة الأولى إلى الحبشة وأسباب العودة، ثم الفصل الثالث عن الهجرة الثانية إلى الحبشة، وملاحقة قريش، وأهم الأحداث في أرض الحبشة، وعودة المهاجرين ثم الخاتمة.

وقد جاء اهتمام الباحثة بالتمهيد والفصل الأول؛ حيث جاء في نصف البحث تقريبًا، وأما الكلام على الهجرة إلى الحبشة وما بعدها فجاء في نصفه الآخر، ولا يزيد فكرة البحث عن العرض التاريخي للحدث وبعض الدروس المأخوذة منها، ولكنها اهتمت اهتمامًا عظيمًا بالجانب التعريفي للبلاد والديانات والتراجم الذين وردت أسماؤهم في البحث، وهو جُهد مشكور إلا أنه لا يخدم حدث الهجرة من حيث الدروس والعظات والعبر، وكذلك لم يتعرّض للمرويات والترجيح بينها.

---

(١) بحث بعنوان: هجرة المسلمين إلى الحبشة، دراسة تاريخية تحليلية للباحثة: صفاء موسى بيلو عثمان، بحث ماجستير، جامعة الجزيرة، كلية التربية حنتوب بالسودان، قسم الجغرافيا والتاريخ، تم مناقشته في مارس ٢٠١٦م.

وختامًا...

فليس هذا جميع ما ألف في الحبشة من كتب وأبحاث، إلا أن ما ذكرته من نماذج من أكثر ما تدفقت فيه الكتابة وتناولت من خلاله الموضوع، وانتشر بين يدي الباحثين والمهتمين بالجانب السيري، وخاصة هذه الحقبة التاريخية في السيرة النبوية، ولقد وقفت على غيرها لكنها شبيهة بما ذكرته من مؤلفات ودراسات خدمت موضوع الهجرة إلى الحبشة.



(٣)
ما الذي أضافته هذه الدراسة لما سبق؟

١ـ هذه الدراسة هي عبارة عن حلقة جديدة لاستكمال ما كتبه الآخرون في الهجرة إلى الحبشة من المتقدمين والمتأخرين، فالحدث الواحد يجوز تناوله من جوانب مختلفة ومتنوعة، وكل مؤلف وكاتب له غاية في مؤلفه، وله توجُّه في قلمه، وخطة في دراسته.

٢ـ وإيمانا مني بأن السيرة النبوية متجددة في طرحها، وما زالت مواقفها وحوادثها تحتاج إلى دراسات متنوعة، وقراءات عميقة لاستخراج كنوزها، بل إن السيرة النبوية كما قال الأستاذ الدكتور مروان محمد شاهين: **(هي ديوان الإسلام، وسجله الأكبر، وتطبيقه العملي، وكل حدث من أحداثها وكل موقف من مواقفها فيه من العظات والعبر ما لا يكاد يُحصى، بل إن مرور الأزمان وسير الحوادث في أيام الدنيا ينبهنا إلى دروس جديدة لم يذكرها السابقون، والباب مفتوح إلى يوم القيامة في ضوء حوادث الدهر)**[1].

ولذا فإني أعتبر هذه الدراسة هي بمثابة محاولة جديدة مني لقراءة حدث من أحداث السيرة النبوية؛ وهو الهجرة إلى الحبشة، عايشتها وكأني واحدٌ منهم ومهاجر معهم، وفي عرصات هذه المعايشة طرحتُ على نفسي أسئلة دفعتني

(١) ينظر: كتاب العسل المصفى في سيرة النبي المصطفى ﷺ ١/ ٩، للأستاذ الدكتور العلامة: مروان محمد مصطفى شاهين، أطال الله عمره ونفعنا بعلمه.

للبحث والتحري عنها للوقوف على أجوبة لها، وشدّني إليها تعلقي الكبير بكل ما أثر عن السلف الصالح، وخاصة قرون الخيرية وفي الصدر منهم الصحابة الأماثل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم خير من عاشوا في الدنيا، وتمسكوا بالدين، وفازوا بالآخرة، وهم خير من يُقتدى بهم إلى يوم القيامة.

٣ـ تمتاز هذه الدراسة بالتركيز الشديد على أمر غفل عنه كثير ممن كتب في السيرة النبوية عامة والهجرة إلى الحبشة خاصة تتعلق بالكتابة في فقه الاغتراب والأقليات، وتأسيس منهج متكامل من خلال هذا الحدث، فيما بين أيدينا ـ من روايات ومصادر ـ يصلح لكل وجود إسلامي.

٤ـ فهذه الدراسة اهتمت بالمغترب والمهاجر، ونظرت إلى حدث الهجرة إلى الحبشة على أنه أول نموذج للوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب، فأردتُ من خلالها الوقوف على إبراز معالم تعايشهم وتعاملهم وحياتهم هناك للاقتداء أولًا، وتقليل الفجوات بين الوجود الإسلامي القديم والحديث ثانيًا، وللنظر في أوجه الاختلاف والتشابه بين الهجرات من حيث ما لها وما عليها، وأيضًا لتخبرنا كيف كان الصحابة الأكارم في دار غربتهم يخطون بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم معالم وجودهم، ليؤكدوا على أهميتها؟، في محاولة مني لإبراز كل ذلك لحاجة الوجود الإسلامي المعاصر لها اليوم.

٥ـ والدراسة تؤكد على أنها لا تستقصي كل المعالم للوجود الإسلامي اليوم، كما أنها لا تخوض في تحديد الوسائل المتبعة، فنحن نقرّ أن الهجرة إلى الحبشة لم تستوف كل معالم الوجود الإسلامي المعاصر، لكثرة المستجدات والمتغيرات التي تزداد بطبيعة الحال لعوامل الزمان والمكان والثقافة، وكذلك للاختلاف البشري وتنوع الوسائل الموجودة، لكنها أبرزت أهم المعالم التي لا غنى لوجود

إسلامي عنها ولا يصلح وجود بغير تحقيقها، وهذا هو الهدف والغاية المرجوّة من هذه الدراسة والخدمة الرئيسة التي قدّمها هذا البحث في قراءة حدث الهجرة إلى الحبشة.

٦ـ أيضًا هذه الدراسة اهتمت بشكل أساسي بسيرة المهاجرين والمغتربين الأول لتُجيب عن عدة أسئلة، وهي:

ـ ما هي سمات تكوينهم وحركتهم؟
ـ وكيف عاش هؤلاء المهاجرون في وطنهم الجديد؟
ـ وماذا قدموا له؟

في محاولة مني للوقوف على كل جزئية وردت عنهم حملتها لنا روايات السيرة والسنة المشرفة، لنجيب عن هذه الأسئلة المهمة، وفي هذه الإجابة كثيرٌ من الفوائد التي توقف القارئ على النموذج الأول للمغترب المسلم، وتجيب على كثير من التساؤلات التي تجوب الخواطر والعقول في معرفة سمات هذا النموذج، ولترد على كثير من الشبهات التي أثارها بعض المعاصرين من المستشرقين وغيرهم حول مهاجرة الحبشة من رَمى بضعف، أو استغلال لسلطة، أو تهميش لدور، أو تضييع لمعتقد، أو غير ذلك.

٧ـ كما أن هذه الدراسة جاءت بفقه الواقع المعاصر، وانطلقت ممن عاش في بلاد الغرب أعوامًا متعددة، وانشغل بالوجود الإسلامي في الغرب؛ لكونه واحدًا منهم، وتلمس حاجة الناس لمثل هذه الدراسة، ورسم نموذج مثالي لهذا الوجود مأخوذ من قدواتهم العظيمة المتمثلة في صحابة النبي ﷺ، فقد عشت ولا أزال وأنا أخطت هذه الدراسة قرابة عشرة أعوام في بلاد أوروبا، وقفت فيها على كثير من هذه الأمور المطروحة في هذه الدراسة يحتاجها الوجود الإسلامي،

وأجبتُ فيها على كثير من التساؤلات، ورددتُ فيها على كثير من الشبهات، وحاولتُ أن أضع بين يدي الوجود الإسلامي المغترب نموذجًا جامعًا للحفاظ عليه، وبيان ما ينبغي أن يهتم به تكوينًا وتوظيفًا.

٨ـ وأخيرًا فإن المكتبة الإسلامية فقيرةٌ فيما كُتب للوجود الإسلامي والأقليات في جميع الجوانب التخصصية إذا ما قورنت بين ما كتب فيها لهذا الوجود وما كتب لغيرهم، وما زلت أؤكد أن على الدعاة والعلماء والمؤلفين ممن يقطنون في بلاد الغرب أن تنبري أقلامهم ـ وجوبًا ـ في خدمة هذا الوجود الإسلامي كتابةً وتأليفًا ودعوةً، فلن يستطيع أحدٌ أن يخدم الوجود الإسلامي ويُذخر المكتبة الإسلامية بمؤلفات وكتابات تخدمهم أكثر ممن عاش بينهم ولامس واقعهم، وعلم أولوياتهم واحتياجاتهم واهتماماتهم، وهذه ثغرة لا تُسد إلا بهم.

وهذا الكتاب أعتبره خطوة أكمل بها جُهد من سبق فألف وكتب للوجود الإسلامي، وأفتح من خلاله بابًا لغيري لاستكمال هذا الدور وتضافر الجهد عليه كل من خلال تخصصه وفنه.



(٤)
المناهج المتبعة في البحث والدراسة

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تتعدد مناهجها المتبعة في البحث والدراسة، وهي على النحو التالي:

أولًا: المنهج الاستقرائي.

فقد عكفتُ على جمع كل رواية وردت حول هذه الدراسة والحدث ـ الهجرة إلى الحبشة ـ باحثًا عنها في بطون كتب السنة النبوية المشرفة والسيرة النبوية المعتمدة، وكذلك كتب التراجم التي ذخرت بأسماء المهاجرين الأول، وقد أخذ هذا مني وقتًا وجُهدًا كبيرين في تتبُّع كل جزئيات هذه الهجرة الكريمة، واستقرأتُ جميع تفاصيلها، ولم أكتف بكتب السيرة النبوية، بل انصبّ اهتمامي أولًا على ما سُطر في كتب الحديث الشريف، فوجدتُ فيها ما لم يكن في كتب السيرة النبوية من روايات خدمت هذه الدراسة وجلت لها كثيرًا من عناصرها

ثانيًا: المنهج التحليلي.

وهو المنهج الذي يعتمد على تحليل كل معلومة وفق القواعد المقررة عند أهل العلم، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الحديثي ومروياته من حيث القبول والرد، وقد عقدتُ ملحقًا في نهاية الكتاب يتعلق بدراسة الأحاديث العمدة في الهجرة إلى الحبشة (الأحاديث الطوال)، فقمت بدراستها دراسة تحليلية على ضوء قواعد أهل

الحديث بما يتعلق بتخريجها ودراسة أسانيدها والحكم عليها.

ثالثًا: المنهج الموضوعي.

وهو المنهج الذي يهتم بدراسة موضوع معين في ضوء المصادر والمرويات الحديثية دراسةً موضوعيةً شاملةً تخدم هذا الموضوع وتُجليه وتُبرز أهميته واحتياج الناس له وبيان ما لهذا الموضوع وما عليه، وهذه الدراسة اعتمدت في أساسها على خدمة موضوع معين من خلال حدث الهجرة إلى الحبشة، ألا وهو موضوع المغترب ومعالم الوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب عيشًا ونظامًا.

رابعًا: المنهج النقدي.

وهو المنهج الذي يقوم بدراسة ونقد كل ما يكتب حول هذه الدراسة بعد جمع مروياتها؛ سواء من حيث نقد المرويات التي جاءت فيها، أو من حيث نقد المعلومات التي سيقت بأقلام من ألف في هذا السيرة، وخاصة هذا الحدث الشريف، وهذا يجده القارئ في مواطنه عندما يحتاج هذا الموطن إلى نقد رواية حديثية أو كلام أحد من السادة العلماء في تقريره ونتائجه وفق ما يكون عليه المنهج النقدي من أدلة وبراهين يعرفها أهل التخصص.

خامسًا: المنهج الاستنباطي.

وهو ثمرة هذه الدراسة وأهم مناهجها، وعليه أغلب ما كُتب في هذه الدراسة، فبعد ما مرّ من مناهج سابقة معتمدة في هذه الدراسة يأتي هذا المنهج الاستنباطي ليستخرج الدروس والعظات، وليوضح المعالم التي يحتاجها الوجود الإسلامي المعاصر من الوجود الإسلامي الأول، في محاولة مني لاستفراغ الجُهد وقراءة

الحدث والتعمق فيه لاستنباط كل ما يصلح أن يكون معلمًا لهذا الوجود الإسلامي، ولا أدّعي حصر جميعها، فكم ترك السابق للاحق.

وختامًا...

فلا ضير إن تعدت المناهج في الدراسة الواحدة إذا كانت طبيعتها تقتضي ذلك وتحتاج إلى تفعيلها جميعًا في هذه الدراسة، لتخرج في صورة جيدة لا يشوبها عوارٌ علميٌّ أو نقص منهج تحتاج إليه.



(٥)
منهجي في هذه الدراسة

١ـ عزوتُ الآيات القرآنية في هذه الدراسة إلى أماكنها بذكر اسم السورة ورقم الآية، متبعًا في إيرادها رسم المصحف الشريف، مع ذكر التخريج في حواشي الكتاب.

٢ـ عزوت الأحاديث النبوية ومرويات الهجرة إلى الحبشة إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة النبوية الشريفة، والسيرة النبوية المعتمدة.

٣ـ قمت بتخريج الرواية بذكر موطنها ببيان الجزء والصفحة ورقم الحديث، وأحيانًا أذكر الكتاب والباب إذا كان الحديث في الكتب التي صُنّفت على الكتب والأبواب الفقهية.

٤ـ قد أتوسع أحيانًا في تخريج الحديث والأثر لأهميته، وكذا لوروده بعبارات متنوعة بين مروياته، وإن كنتُ أنص على موطن الرواية عند الاستشهاد في الهامش وأقدم له في الذكر عند حصر التخريج.

٥ـ أقمت هذه الدراسة على الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة ضعفًا يسيرًا، آخذًا بقول من أجاز الاستشهاد والعمل بها من المحدّثين في فضائل الأعمال والسير، وهذا بالطبع إذا لم أجد غيرها، ولم أورد فيها حديثًا مضعفًا ضعفًا شديدًا أو موضوعًا.

٦ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بذكره، وبيان موطنه، مع التنصيص على أي رواية قدمتُها منهما، دون التعرض لدراسته؛ إذ إيراده فيهما يكفي ويُغني عن البحث والتفتيش عنه.

٧ـ إذا كان الحديث في غير الصحيحين أخرّجه من مصدره، وأسوق إسناده، وأعلق عليه بما يقتضي البحث والحكم، وأقوم بدراسته في خارج نطاق الكتاب خشية الإطالة، وأخلص في الدراسة إلى النتيجة مع التعليل.

٨ـ إذا كانت الرواية في كتب السيرة دون كتب السنة، فإني أعتمد على الكتب المعتمدة في السيرة النبوية، وأحاول أن أستقصي من نص على هذه الرواية أو أخرجها من أئمة السيرة المعتمدين ـ خاصة إذا كانت ضعيفة ـ وأقدم من له الإمامة والعلم بالصنعة الحديثية؛ كابن كثير[١]، وابن سيد الناس، والذهبي[٢] رحمهم الله تعالى.

٩ـ استأنستُ في الحكم على الأحاديث بمن تكلم فيها، وحكم عليها من العلماء المتقدمين أولًا ممن لهم الريادة في الصنعة الحديثية من العلماء والمحدثين، ثم ثنّيت بذكر أقوال المحدّثين المتأخرين وحتى عصرنا هذا، دعما للحكم على الرواية وتأكيدًا على ثبوتها.

---

(١) يراجع كتاب: منهجية التأليف في السيرة عند ابن كثير، للمؤلف: عبدالرحمن بن علي السنيدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، فقد وضح منهجه في التعامل مع السيرة وتعامله معها وتفعيل طرق النقد فيها.

(٢) يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: (فكبار المحدثين أمثال الحافظ ابن سيد الناس في كتابه «عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير»، والحافظ الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» عندما كتبا السيرة النبوية اعتمدا على الكتب السنة: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، لكنهما لم يتمكنا من الاستغناء عن كتب السيرة والتاريخ). ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٤١.

١٠ـ إذا كان العنصر أو المبحث الذي عنونت له في أثناء الدراسة، له في الاستشهاد عليه أكثر من رواية، فإني أرتب الروايات فيه على حسب الأصحية، وأحيانًا أتجاوز ذلك فأقدم غير الصحيح عليه للأهمية، أو للملاصقة الشديدة الواضحة بين الدليل والعنوان.

١١ـ أعقّب على أقوال العلماء أحيانًا سواء في المنحى الحديثي أو في استدلالهم منها والكلام عليها، مُظهرًا وجهة نظري في ذلك من خلال الأسس العلمية والأدلة العقلية.

١٢ـ أستشهدُ على كل عنصر من عناصر البحث بما يتماشى معه أو نُص عليه ممن كتب فيه، سواء كان ذلك من خلال كُتّاب السيرة أو غيرهم، تأكيدًا على الفكرة ومزيد وضوح لها.

١٣ـ تتكرر الروايات والنصوص أحيانًا تبعًا لمفردات البحث وعناصره، ومعلوم أن الراوية الواحدة قد تحمل أكثر من توجيه واستنباط وتسلط الضوء على عناصر مختلفة من عناصر الموضوع، وهذا من إثراء السنة المشرفة وعظيم ما تحمله من معانٍ ومعالم وتوجيهات، وهذا أمر معروف عند المحدّثين وصاحب الريادة في ذلك الإمام البخاري رحمه الله تعالى وصنيعه العظيم في صحيحه.

١٤ـ ترجمتُ للأعلام المذكورين في البحث، وركزت على الأعلام غير المشاهير الذين لا يعرفهم كثيرٌ من القراء أو طلاب العلم، ولم أتعرض للأعلام المشاهير المعروفين خشية الإطالة وإطالة الهوامش.

١٥ـ عند الكلام على الهجرة إلى الحبشة فإني أتكلم عنها كحدث واحد دون تخصيص في كل مرة، أي الهجرتين منهما ـ الأولى أم الثانية ـ إلا إذا كان للذكر

أهمية في سياق الكلام وعرض المبحث، فإني أنص عليه كما فعلتُ عند الكلام على المرجعية الإسلامية في الوجود الإسلامي.

١٦ـ أحيانًا أتوسع في العنصر وأكثر الكلام حوله وأستطرد فيه إذا كان مهمًّا ويعالج أمرًا متعلقًا بالواقع المعاصر في الغرب وأوروبا.

١٧ـ لم أترك مصدرًا مما استطعت الوصول إليه في حدث الهجرة إلى الحبشة، سواء من كتب السنة أو كتب السيرة، أو حتى الكتب التي خصصت في حدث الهجرة إلا ورجعت إليه واستفدت منه واقتبست من بعضه، فقد كانت فترة الجمع والقراءة والتحرير طويلة نسبيًّا شارفت على عام بأكمله قبل الكتابة في هذه الدراسة.

١٨ـ لا أدعي أني أحصيتُ جميع الدراسات في الهجرة إلى الحبشة وقراءتها، وكذلك أنفي عن نفسي حصر جميع النقاط في العنصر الواحد أو الحدث الواحد، إنما هو مما فتح الله عَزَّوَجَلَّ به علي، وإني مؤمن أنه ما تُرك أكثر مما سُطّر، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

١٩ـ لا بد أن أؤكد على أن طريقة البحث في التعامل مع مرويات السيرة تختلف عن مرويات السنة المشرفة، وهذا يدفعني أن أذكّر بأهم ضوابط التعامل مع السيرة، والفروق التي تكون بينها وبين السنة النبوية في مجال التحقيق والتوثيق، وهذا في العنصر القادم.



(٦)
الكلام على بعض ضوابط التعامل مع السيرة النبوية ورجالها

وهذه النقطة المهمة يجب أن تبرز كفاتحة لمن أراد أن يقرأ هذا البحث؛ إذ إنه قد يسأل:

ـ أي منهج يُعتمد عليه في توثيق الخبر والمرويات الواردة فيه؟

ـ وهل يكفي الاعتماد على أخبار السيرة فقط في توثيق الحدث أم لا؟

ـ وماذا نصنع بمرويات الواقدي وابن إسحاق في السيرة النبوية التي لم ترد إلا من طريقهما؟

وللجواب على هذه الأسئلة يكمن في بيان بعض ضوابط التعامل مع السيرة ورجالها؛ فلقد اجتهد علماء السير في وضع ضوابط للتعامل مع السيرة النبوية ورجالها ينبغي لمن يقرأ كتابًا أو بحثًا له صلة بالسيرة النبوية أن يكون على دراية بها، ويعرف مدى التزام من كتب أخذًا بها أو لا، وهي كثيرة متعددة، ولنقف على ما يهمنا هنا منها، وفيما يلي بيان بعض المنهجيات والضوابط المهمة:

أولًا: إن العلماء الذين تعاملوا مع السيرة النبوية لم يكونوا جميعًا أبناء مدرسة واحدة في التعامل معها، وكذلك في التعامل مع مؤلفيها، بل تنوعوا وانقسموا إلى ثلاث مدارس، كما قال الدكتور محمد موسى الشريف: (إن علماء الإسلام ومؤرخيه في ذلك على طرفين ووسط:

ـ **فقسم:** أورد كل شيء، ولم يقنع إلا أن يأتي بكل ما وقف عليه من السيرة غير آبهٍ بدرجته من الصحة والضعف والوضع، وهؤلاء كلهم من القدامى، على رأس هؤلاء الإمام الصالحي في سفره (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)؛ فإني لا أعرف أحدًا من المعاصرين سلك هذه السبيل.

ـ **وقسم آخر:** أبى وشدّد إلا أن يأخذ بمناهج المحدّثين، ورفض الأخبار التي عليها مخايل الضعف، وجُل هؤلاء بل كلهم ربما من المحدّثين.

ـ **وقسم ثالث:** توسط فأخذ من السيرة جل أخبارها، ونقد ما يراه من ضعف أو نكارة أو وضع، يمثلهم ابن كثير والذهبي على سبيل المثال)[1].

وقد بين الدكتور الشريف أن كلا الفريقين عدا الفريق الأوسط لا يعوّل عليه، ولا يسلم من الشطط، وبعد أن نقل كلام مدرسة أهل الحديث في وجوب التصدي للروايات الضعيفة، وأن تنقّى السيرة النبوية منها قال: (إن الباحث إن صنع هذا فسيترك تفصيلات مهمة يحتاج إليها الجيل، لكنها لم تثبت بسند صحيح ولا ضير في إيرادها)[2].

ويؤكد هذا الدكتور أكرم ضياء العمري قائلا: (ينبغي الانتباه إلى أن الانتقاء عندما يتم على قواعد صارمة فإنه يدع مجالًا لتفلت العديد من النصوص التاريخية التي يمكن التعامل معها وفق معايير أقل صرامة، ومن ثم فإن قراءة نصوص الواقدي وفق منهج النقد التاريخي تتيح الفرصة لإضافات أخرى لمادة السيرة، وهذا ينطبق على الروايات التي أوردها ابن إسحاق دون إسناد... إن هؤلاء الرجال المتخصصين في فن السيرة قد عوملوا من قبل النقاد القدامى بتساهل كبير بُغية

(١) ينظر: ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية، ص ١٢، وما بعدها.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٤.

الإفادة من رصيدهم التاريخي)[1].

ويخلص إلى نتيجة مهمة وهي أن: (المطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها، ثم الحسنة، ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام... وعند التعارض يقدّم الأقوى دائمًا... أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسدّه الروايات الصحيحة والحسنة، على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي؛ لأن القاعدة: (التشدد فيما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة)، ولا يخفى أن عصر السيرة النبوية والخلافة الراشدة مليء بالسوابق الفقهية، والخلفاء الراشدون كانوا يجتهدون في تسيير دفة الحياة وفق تعاليم الإسلام، فهم موضع اقتداء ومتابعة فيما استنبطوا من أحكام ونظم لأقضية استجدت بعد توسع الدولة الإسلامية على أثر الفتوح، أما الروايات التاريخية المتعلقة بالعمران كتخطيط المدن... أو المتعلقة بوصف ميادين القتال وأخبار المجاهدين الدالة على شجاعتهم وتضحيتهم فلا بأس من التساهل فيها)[2].

ثانيًا: ينبغي أن يُعلم أن هناك ضوابط لإيراد الخبر في السيرة النبوية عليه يتم التعامل، وهذا الذي استنبط من أقوال العلماء النقاد القدامى منهم والمحدثين، وهي باختصار، كما سطرها الدكتور محمد موسى الشريف:

١ـ ما كان من أخبار تتعلق بالعقائد أو الفتن أو الحكم على الأشخاص بالنفاق والكفر، أو الأخبار بالمغيبات، فهذا لا بد أن يثبت بسند صحيح أو حسن ولا تُقبل فيه الأحاديث الضعيفة.

(١) السيرة النبوية الصحيحة، ص٢٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤٠.

٢ـ ما كان فيه من أخبار متعلقة بالكمالات النفسية والمجاهدات والرقائق وأخبار الزهد والشجاعة والبطولات، فهذا يُقبل بضوابط أساسية:

أ ـ أن تكون واردة في كتب السيرة النبوية الأصلية وليست الفرعية، ومن تلك الكتب الأصلية سيرة ابن إسحاق، وابن هشام، وابن سعد، ونحوهم ممن جمعوا أخبار السير عن أشياخهم الذين كانوا بين صحابة وتابعين.

ب ـ ألا تكون مما يفحش ذكره ويسوء إيراده.

ت ـ ألا تكون من الإسرائيليات، فهذه لها حكم خاص.

ث ـ ألا تكون خارجة عن القواعد العامة للشريعة الإسلامية ومقاصدها العلية.

ثم قال: (إن هذه الأخبار قد ترد بإسناد ضعيف، وقد ترد بدون إسناد فلا ضير ـ عندي ـ إن اندرجت تحت ما ذكرتُه آنفًا من الضوابط، وذلك لأنّ وجود هذه الأخبار في تلك السيرة الأصلية باعثٌ على الاطمئنان، على أن لها أصلًا، وهذا له أسباب)[1].

ثالثًا: هذا التوجه إنما هو توجه عند كثير من أهل الحديث والسير من المتقدمين والمتأخرين، وهو من مباحث التعامل مع الحديث الضعيف في كتب علوم الحديث جمع أكثرها الإمام السخاوي في فتحه[2]، وأيضًا فضيلة الدكتور عبد الله الجديع في كتابه الماتع .....

(١) ينظر: ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية، ص ١٧، وما بعدها، وللتوسع يرجع إلى ما بعد ذلك من الضوابط والمعايير في الكتاب، كما يمكن الرجوع إلى كتاب التجديد في عرض السيرة النبوية مقاصده وضوابطه، للدكتور محمد يسري، فقد أقر هذا النهج، ص٤١- ٤٥.

(٢) ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ١/ ٣٤٩.

(تحرير علوم الحديث)[1] ومن هذه الأقوال قول عبد الرّحمن بن مهديٍّ، أنّه كان يقولُ: (إذا روينا في الثّواب والعقاب وفضائل الأعمال، تساهلنا في الأسانيد والرّجال، وإذا روّينا في الحلال والحرام والأحكام تشدّدنا في الرّجال)[2]، وقول أحمد: (الأحاديث الرقائق تحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم)[3]. وعنه في ابن إسحاق: (ابنُ إسحاق رجُلٌ تُكتبُ عنه هذه الأحاديثُ ـ يعني: المغازي ـ ونحوها، وإذا جاء الحلالُ والحرامُ أردنا قومًا هكذا، وقبض أصابع يديه الأربع)[4]، وعن أبي زكريّا العنبريّ يقولُ: (الخبرُ إذا ورد لم يُحرّم حلالًا، ولم يُحل حرامًا، ولم يوجب حُكمًا، وكان في ترغيبٍ أو ترهيبٍ أغمض عنهُ، وتسهّل في رواته)[5].

يقول الدكتور عبد الله الجديع معقبًا: (قلت: هذه النصوص عن هؤلاء الأئمة دلت جميعًا على أن الأحاديث التي تُروى في غير إثبات الشرائع والأحكام، كانوا يتساهلون في روايتها وكتابتها عن الضعفاء؛ وذلك لثبوت أصولها في الجملة، ولكونها لم تأت بحكم ليس في المحفوظ المعلوم)[6].

رابعًا: قد طبق هذا المنهج الحافظ ابن حجر مع ابن إسحاق والواقدي في التعامل مع ما جاء في السيرة عنهم، ومثال ذلك ما جاء عند البخاري من حديث أبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنّ نبيّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين

(١) ينظر: تحرير علوم الحديث ٢/ ١١٠٨، وما بعدها.
(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي ٢/ ٩١.
(٣) ينظر: النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر ٢/ ٨٨٨.
(٤) ينظر: فتح المغيث ١/ ٣٥٠.
(٥) ينظر: المرجع السابق.
(٦) ينظر: تحرير علوم الحديث ٢/ ١٠١٠.

رجُلًا من صناديد قُريشٍ، فقُذفوا في طويٍّ من أطواء بدرٍ خبيثٍ مُخب... الحديث)، يقول ابن حجر: (ولم أقف على تسمية هؤُلاء جميعهم بل سياتي تسمية بعضهم ويُمكن إكمالهم ممّا سرده ابن إسحاق من أسماء من قُتل من الكُفّار ببدرٍ)[1]، وبالرجوع إلى سيرة ابن إسحاق نجد أنه أورد هذه الأسماء بدون إسناد في سيرته[2].

وفي حديث عائشة، قالت: (دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنّيان بغناء بُعاث... الحديث). يقول ابن حجر: (قولُ عائشة كان يومُ بُعاثٍ يومًا قدّمه الله لرسوله فقدم المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم، وكذا ذكره ابن إسحاق والواقديُّ وغيرُهما من أصحاب الأخبار، وقد روى ابن سعدٍ بأسانيده أنّ النّفر السّتّة أو الثّمانية الذين لقوا النبيّ ﷺ بمنًى أولُ من لقيه من الأنصار، وكانوا قد قدموا إلى مكّة ليُحالفوا قُريشًا كان في جُملة ما قالوه له لمّا دعاهم إلى الإسلام والنّصر لهُ، واعلم أنّما كانت وقعةُ بُعاثٍ عام الأول فموعدُكُ الموسمُ القابلُ، فقدموا في السّنة التي تليها فبايعوه وهي البيعةُ الأولى، ثم قدموا الثّانية فبايعوه وهم سبعون نفسًا، وهاجر النبيُّ ﷺ في أوائل التي تليها، فدل ذلك على أنّ وقعة بُعاثٍ كانت قبل الهجرة بثلاث سنين وهو المُعتمدُ)[3].

وفي حديث صلح الحديبية في حوار عروة بن مسعود مع النبي عن المغيرة، قال ابن حجر: (وفي رواية ابن إسحاق، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس! قال ابن هشامٍ في السّيرة أشار عُروةُ بهذا إلى ما وقع للمُغيرة قبل إسلامه، وذلك أنّه خرج مع ثلاثة عشر نفرًا من ثقيفٍ من بني مالكٍ فغدر بهم وقتلهم وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان بنو مالكٍ والأحلافُ رهطُ المُغيرة، فسعى عُروةُ بنُ مسعودٍ عمُّ

(١) ينظر: فتح الباري ٧/ ٣٠٢.
(٢) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق ١/ ٧٠٨.
(٣) ينظر: فتح الباري ٢/ ٤٤١.

المُغيرة حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفسًا واصطلحوا، وفي القصّة طول، وقد ساق ابن الكلبيّ والواقديُّ القصّة، وحاصلُها أنّهم كانوا خرجوا زائرين المُقوقس بمصر...)[1].

خامسًا: أما الكلام على ابن إسحاق والواقدي والزهري في السير والمغازي، فقد أجمع العلماء على إمامتهم فيهما، وأكتفي هنا بمن جمع فيهم الكلام وأطال النفس في بيان أحوالهم من المعاصرين اختصارًا وإتمامًا للفائدة.

أما ابن إسحاق:

فقد قال الدكتور البوطي: (وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن إسحاق يعدّ من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد)[2].

ويقول الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف: (إذا نحن وصلنا إلى ابن إسحاق فقد وصلنا إلى إمام الأئمة وأكبر علماء السير والمغازي على الإطلاق، وفي كل العصور، ومن عليه كان اعتماد كل من كتب في السيرة النبوية ومغازي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن جاءوا بعده، فهو فارس هذا الميدان دون منازع، ولقد شهد له بذلك جمعٌ من العلماء، منهم أستاذه، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، حيث قال: (من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق).

وقال عنه الإمام الشافعي: (من أراد التبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق).

ويقول عنه ابن خلكان ـ وهو راوي هذه الأخبار ـ: (وأما في المغازي والسير

(١) ينظر: المرجع السابق ٥/ ٣٤١.
(٢) ينظر: فقه السيرة، ص١٨.

فلا تجهل إمامته).... (والذي تقرّر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية.. وكان أحد أوعية العلم، حبرًا في معرفة المغازي والسير، وأقوال العلماء فيه مستفيضة، وكلها مجمعة على إمامته في المغازي والسير، لذلك رأينا أن نخصه بمزيد من التقصي والتفصيل لأخباره حتى يعرف المسلمون علماءهم، وأصحاب الفضل في إيصال أخبار وسير ومغازي وجهاد رسولهم وصحابته إليهم... وكتابه في سيرة الرسول ﷺ عمدة في ذلك العلم الجليل، وعليه اعتمد ومنه أخذ ونهل كل من كتب بعده في سيرة الرسول ومغازيه)[1].

وأما الواقدي:

فيقول الأستاذ الدكتور عبد الشافي: (اختلف علماء الحديث حول الواقدي اختلافًا كبيرًا، بين معدّل له وبين مجرّح، وقد حكى الخطيب البغدادي أقوالهم على اختلافها، وملخصها أن الإمام مالك بن أنس كان يثق في رواياته ـ بينما كان لا يثق في روايات ابن إسحاق كما سبق ذكره ـ وكذلك كان يثق في الواقدي من فقهاء الحنفية: محمد بن الحسن الشيباني، بل لقبه بأمير المؤمنين في الحديث، وذلك قبل أن يصبح هذا اللقب مقصورًا على الإمام البخاري فيما بعد، ووثق به من فقهاء الشافعية: القاسم بن سلام، أما الذين طعنوا عليه فمنهم، علي بن محمد المديني، ومن أقواله فيه: (عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها).

وقال عنه يحيى بن معين: (أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث).

وقال عنه أحمد بن حنبل: (الواقدي يركب الأسانيد).

---

(١) ينظر: أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، ص٤١.

والظاهر أن مطاعن المحدثين عليه كمطاعنهم على غيره من كتّاب المغازي والسير؛ لاختلاف المنهج بين الطائفتين؛ فهو لم يكن يتقيد بمذهبهم من ناحتين:

الأولى: أنه كان يأخذ من الصحف، ويعتمد على الكتب، وثقات المحدّثين كانوا يكرهون تلك الطريقة أشد الكراهية، ويرون أنه لا يصح للمحدّث أن يحدّث بحديث إلا إذا كان قد سمعه بأذنه ممن روى عنه.

الثانية: أنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويجيء بالمتن واحدًا، مع أن جزءًا من المتن لبعض الرواة، وجزءًا آخر لرواة آخرين، وكان المحدثون يعدون هذا عيبًا، وقد عابوا ذلك على الزهري وتلميذه ابن إسحاق من قبل.

وكان عذر الواقدي لاستعماله تلك الطريقة، أنه لو أفرد كل حديث بسنده لطال الأمر جدًّا، فقد روي أنه لما طالبه تلاميذه بإفراد كل حديث بسنده، أراد أن يبرهن لهم على سلامة منهجه، فجاءهم بالأحاديث الخاصة بغزوة أحد بإفراد كل حديث بسنده فاستكثروا ذلك؛ وقالوا: ردنا إلى الأمر الأول.

والخلاصة:

أنه مهما كان من أمر اختلاف العلماء حول الواقدي ـ والناس لا يختلفون عادة إلا على الأشياء الكبيرة ـ فقد كان واسع العلم بالمغازي والسير، كما كان عالمًا بالفقه والحديث والتفسير، وكان من أكبر المصادر التي عوّل عليها واعتمدها كبار المؤرخين، خاصة الطبري، وقد سبق أن ابن النديم عدّ للواقدي ما يقرب من أربعين كتابًا في مختلف العلوم الإسلامية، أشهرها في السير والمغازي، والفتوح، كفتوح الشام، وفتوح العراق، فرحمه الله وجزاه عن العلم خير الجزاء)[1].

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٧٩، وما بعدها.

مراسيل الزهري:

تكلم علماء الحديث عن مراسيل الزهري فوصفوها بأنها لا شيء.

قال ابن رجب الحنبلي: (عن يحيى بن سعيد يقول: مرسل الزهري شرٌّ من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكل ما يقدر أن يسمى سمي، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه، وقال يحيى بن معين: مراسيل الزهري ليس بشيء، وقال الشافعي: إرسال الزهري ـ عندنا ـ ليس بشيء، وذلك أنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم، وقد روي أيضًا تضعيف مراسيل الزهري عن يحيى بن سعيد، وأن أحمد بن صالح المصري أنكر ذلك عليه، لكن من وجه لا يثبت)[1].

ويعقب الدكتور محمد العواجي على ما سبق قائلا: (فلعل الزهري ـ والله أعلم ـ كان يحذف بعض الرواة اختصارًا، ولذلك يسميهم عندما يُسأل عنهم، فقد روي عن مالك بن أنس أنه قال: كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المُنكدر، فيقول الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه، فقلت: الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به؟ قال: ابنه سالم، قال ابن عبد البر: فهكذا مراسيل الثقات، إذا سئلوا أحالوا على الثقات).

وهذه الرواية تدل على أن ما ذكره القطان من قوله: (... وإنما يترك من لا يحسن أو يستحي أن يسميه). ليس مسلم به في كل الأحوال، كما أن يحيى بن سعيد القطان من متشددي أئمة الجرح والتعديل في الحديث، وعلى كل حال فهذا حكم المحدثين في الحلال والحرام، أما في باب المغازي والسير فمراسيل الزهري مقبولة، وخاصة التي لا علاقة لها بالأحكام وصح مخرجها إلى الزهري، قال البيهقي: (كل حديث

(١) ينظر: شرح علل الترمذي ١/ ٥٣٥.

أرسله واحد من التابعين أو الأتباع، فرواه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يذكر من حمله عنه، فهو على ضربين:

أحدهما: أن يكون الذي أرسله من كبار التابعين الذين إذا ذكروا من سمعوا منه ذكروا قومًا عُدولًا يوثق بخبرهم، فهذا إذا أرسل حديثًا نظر في مرسله، فإذا انضم إليه ما يؤكده من مرسل غيره، أو قول واحد من الصحابة أو إليه ذهب عوام أهل العلم، فإنا نقبل مرسله في الأحكام.

والآخر: أن يكون الذي أرسله من متأخري التابعين الذين يعرفون بالأخذ عن كل واحد، وظهر لأهل العلم بالحديث ضعف مخارج ما أرسلوه، فهذا النوع من المراسيل لا يقبل في الأحكام، ويقبل فيما لا يتعلق به حكم من الدعوات وفضائل الأعمال والمغازي، وما أشبهها)[1].

وختامًا...

مما سبق فقد ظهر للقارئ الكريم أن منهج أهل السير يختلف عن منهج المحدثين، وأنه لا ضير في الأخذ بمرويات السيرة بالضوابط والمعايير التي نص عليها أهل العلم في التعامل معها، وطبقها المتقدمون والمتأخرون تطبيقًا عمليًّا، وعليه فقد يجد القارئ رواية من هذه الروايات التي اعتمدها في كتابي هذا انطلاقًا من هذا الباب، وهذه الضوابط تكمل السياق التاريخي والحدث المسلسل، فأقوم ببيانها والنص عليها، وأعتمدها في إيراد بحثي هذا، وما يستنبط منها، مؤكّدًا في هذا على كلام المحدثين وأهل السير في ابن إسحاق والواقدي والزهري في مراسيله،

(١) ينظر: مرويات الإمام الزهري في المغازي ١/ ٢٨، وما بعدها، محمد بن محمد العواجي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

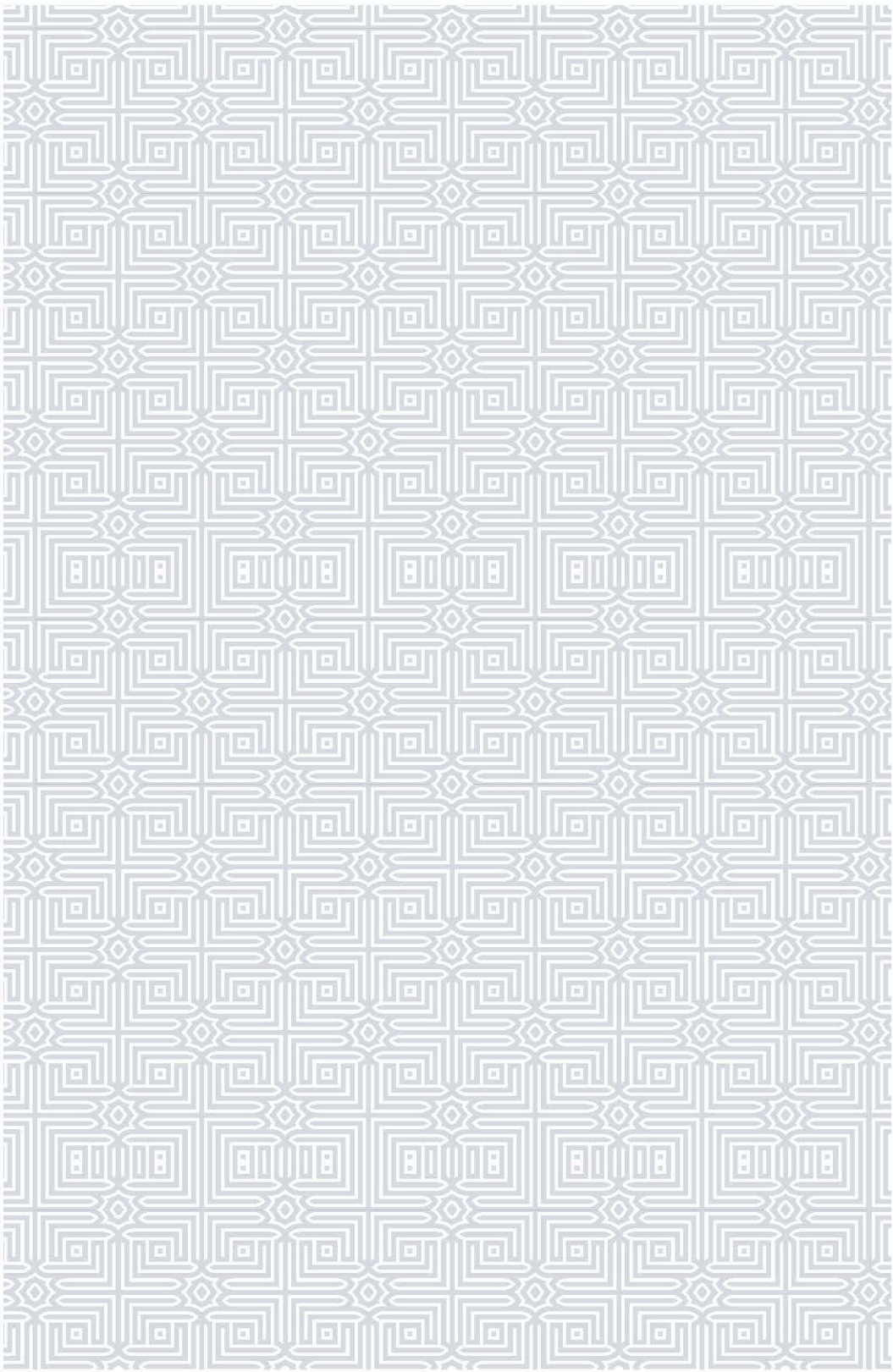
وأنهم معتمدون في السيرة والمغازي، وهذا ما اخترته في خطتي، واطمأنت إليه نفسي في هذا الكتاب.

وبالله التوفيق وعليه الاعتماد.



الفصل الأول

الهجرة إلى الحبشة والغرب
(الأسباب والدوافع)



أسباب ودوافع انتقال المرء من وطنه

الأوطان: هي تلك الأرض التي تخُطُ بمعالمها وتضاريسها وجوها وتربتها قصة حياة كاملة المعالم والتفاصيل والتواريخ، وهي تلك اللوحة الفنية التي تستغرق ممن يرسمها كيانه الكامل وتفكيره العميق وريشته الرشيقة، لتكون عنوانًا لمروره حاملًا فيها عبق ماضيه، وجمال حاضره، واستشراف مستقبله، وهي القصيدة الشعرية التي تدل مفرداتها وكلماتها على مكامن الفخر، وسمات التفرد، وواحة الابداع، وجماليات الوجود.

الأوطان: هي قرة أعين أبنائها مهما بعُد هذا الوطن وترامت أطرافه، ومهما كانت مقدراته وثرواته وأوضاعه، ومهما كانت أنظمته التي تحكمه أو تتولى شئونه وأمره، عادلة كانت أم ظالمة، فلا يحول ذلك عن حبه والتعلق به، فقد غرس الله عَزَّوَجَلَّ محبته في قلوب أبنائه على اختلاف أنواعهم وألوانهم وتوجهاتهم، فالجميع متعلق به أرضًا وسماءً، يتمنى الخير له، ويرى جماله وحسنه وإن كانت بلاده مفاوز وبيداء.

سطر لنا ذلك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمشاعره وهو يهاجر مرغمًا تاركًا بلده ووطنه مكة المكرمة.

فقد أخرج الإمام احمد بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرّحمن، أنّ عبد الله بن عديّ ابن الحمراء الزُّهريّ أخبرهُ، أنّه سمع النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو واقفٌ بالحزورة

في سوق مكّة: «والله إنّك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولولا أنّي أُخرجتُ منك ما خرجتُ»[1].

فالخروج منه ليس سهلًا، ولا البعد عنه بمستساغ، غير أن هناك أسبابًا ودوافع تجعل الإنسان دائمًا يتحول عنه جسدًا لا قلبًا، ويهاجر وينتقل منه إلى بلدٍ جديد، يحط فيه رحله ليبدأ فيه حقبة من عمره ربما طالت به إلى النهاية...

وفي هذا الفصل سنقف على أهم الأسباب التي دعت المهاجرة أن يهاجروا ويتركوا بلادهم، ونوضح من خلال نموذج الهجرة إلى الحبشة أوجه الشبه الواضحة والمتكررة على مدار الأزمنة والأماكن لأسباب الانتقال والهجرة.



(١) إسناده صحيح؛ أخرجه أحمد (٣١/ ١٠)، حديث رقم: (١٨٧١٥) قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرنا أبو سلمة به... والترمذي في (أبواب المناقب)، (باب: في فضل مكة)، (٦/ ٢٠٥)، حديث رقم: (٢٩٣٥)، وابن ماجه في (كتاب: المناسك)، (باب: فضل مكة)، (٢/ ١٠٣٧)، حديث رقم (٣١٠٨) كلاهما من طريق عقيل بن خالد عن الزهري بلفظ مقارب، والنسائي في الكبرى (كتاب: المناسك)، (باب: فضل مكة)، (٤/ ٢٤٨)، حديث رقم (٤٢٤٠) من طريق معمر عن الزهري بلفظ مقارب، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه روى له أصحاب السنن سوى أبي داود. أبو اليمان: هو الحكم بن نافع، وشعيب: هو ابن أبي حمزة، والزهري: هو محمد بن مسلم بن شهاب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن: هو ابن عوف الزهري). مسند أحمد طبعة الرسالة ٣١/ ١٠.

(١)
الافتتان في الدين، والتضييق على العاملين

من أعظم الأسباب وأولها لانتقال المرء من وطنه إلى بلد جديد لم يعرفه، ومكان لم يألفه، هو أن يُفتن في دينه ومعتقده، ويضيق عليه فلا يعلم للحرية طريقًا، ولا يخلى بينه وبين شعائره، وشرائعه، ومشاعره، فلا يغنم أجواءهم وثمرتهم، ولا ينعم هو وإخوانه بحريتهم، بل يدفعه نظام الدولة الظالمة الجائرة بفتنتها وتضييقها إلى الانتقال منها، والنجاة بدينه وأصحابه من تسلطها.

فقد أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن أُمّ سلمة زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لمّا فُتن أصحابُه بمكّة أشار عليهم أن يلحقوا بأرض الحبشة فخرجنا أرسالًا...) الحديث[1].

فكان السبب الأول والأهم: هو البعد الديني والمعتقدي وموقعه من حياة الأفراد حرية أو تضييقًا، ما يجعل عندئذ الحياة تصعب عند فقده، أو التهديد فيه، والبحث حينها عن موطن آمن لا يعرف لغة التضييق عليه ولا الافتتان فيه، وهو

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٤/ ٧١)، حديث رقم (١٨٣٥) قال: أخبرنا وهب ابن جرير بن حازم، حدثني أبي، نا محمد بن إسحاق، حدثني الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعن عروة بن الزبير، وصلب الحديث، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد سبق تخريجه في الفصل الأول، وهذا إسناد حسن لوجود محمد بن إسحاق، وهو صدوق مدلس، وقد صرح بالتحديث هنا.

سبب حاضر في كل زمن، ومع كل هجرة ومغادرة للأوطان للنجاة بدين الإنسان والظفر به إلى بيئة آمنة عادلة.

قال السهيلي في سبب خروج الصحابة إلى الحبشة: (قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كُفرٍ لمّا كان فعلُهم ذلك احتياطًا على دينهم ورجاء أن يُخلى بينهم وبين عبادة ربّهم يذكُرونه آمنين مُطمئنّين، وهذا حُكمٌ مُستمرّ متى غلب المُنكرُ في بلدٍ وأوذي على الحقّ مُؤمنٌ ورأى الباطل قاصرًا للحقّ ورجا أن يكون في بلدٍ آخر ـ أيّ بلدٍ كان ـ يُخلى بينه وبين دينه ويُظهرُ فيه عبادة ربّه، فإنّ الخُروج على هذا الوجه حتمٌ على المُؤمن، وهذه الهجرةُ التي لا تنقطعُ إلى يوم القيامة؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]...)[2].

صور الافتتان بين الماضي والحاضر:

ولهذا الافتتان صورٌ متعددة بين الماضي والحاضر، وأوجه الشبه بينهما حاضرة،

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١١٥).

(٢) ينظر: الروض الأنف ٣/ ١٥٠.

وقال الدكتور البوطي رحمه الله تعالى مؤكدا هذا المعنى في تعليقه على الهجرة إلى الحبشة: (إن الدين والاستمساك به وإقامة دعائمه، أساس ومصدر لكل قوة، وهو السياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وكرامة، ومن أجل هذا كان واجب الدعاة إلى الإسلام والمجاهدين في سبيله أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية الدين ومبادئه، وأن يجعلوا من الوطن والأرض والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها، حتى إذا اقتضى الأمر بذل ذلك كله في سبيلها، وجب بذله، ذلك أن الدين إذا فقد أو غلب عليه، لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضًا من ورائه، أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود.. يعود أقوى من ذي قبل؛ حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة). ينظر: فقه السيرة للبوطي، ص٩٢.

والأحداث ببصمتها متكررة، يجمعها غاية واحدة أليمة، وهي عدم وجود بيئة آمنة وحرية حقيقية للإنسان في المعتقد والدين؛ وصور الافتتان هذه كثيرة تعرض لها المهاجر الأول، كما جاءت بها الروايات نجليها فيما يلي:

١ـ الصورة الأولى: ترك الدين بالكلية والارتداد عنه.

فقد جاءت الروايات تـدل على هذا المعنى بحرفـه وصورتـه، كما في رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قائلة: (فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله)[١].

فقد بينت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعظم الصور وأخطرها في الافتتان في الدين، وهو رفض الدين بالكلية وجودًا في أرض المسلم ووطنه، فلا مكان له، ولا حرية في اختياره، ولا مساحة للتفاهم حوله، ولا سبيل للحوار عليه، ولا يُرضى له بقاءٌ على كافة المستويات أفرادًا أو جماعات، مكانًا أو زمانًا، حضورًا أو تهميشًا.

ولعل هذا هو الذي يجعل الهجرة واجبة وجوبًا عينيًّا لمن استطاع؛ لا يُقبل معه توانٍ ولا تمهُّل مخافة الردة في الدين والنيل منه ومن المسلمين.

يقول الدكتور سليمان العودة: (كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سببًا من أسباب هجرتهم إلى الحبشة، وكيف لا يكون ذلك كذلك والإيمان أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة، وأولئك المهاجرون يعرفون قدر الإسلام والإيمان فهم لتوّهم خرجوا من حماة الجاهلية وظلمات الكفر... فسلامة الدين وتحقيق العبودية لرب العالمين هدف ينشده المسلمون ومن أجله يخرجون)[٢].

(١) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديث إسناده حسن، وتفصيل دراسته في المحلق آخر الكتاب.
(٢) الهجرة الأولى في الإسلام بتصرف، ص٢٢.

وقال الإمام الطّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مؤكدًا على هذه الصورة: (وقد تكونُ الفتنةُ في الدّين مثل الارتداد وإكراه الغير على المعاصي وإليه أشار بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفّني غير مفتونٍ»...)[1].

٢ـ الصوة الثانية: الحيلولة الدائمة بين الدين وتعاليمه وبين أتباعه.

وروايـة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا ذكرت هذه الصورة عندما تحدث جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبين الأسباب التي دفعتهم إلى مفارقة الوطن واللجوء إلى بلاد الملك العادل، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وحالوا بيننا وبين ديننا)[2].

وهذه الصورة تعني عدم الحرية في وصول تعاليم الدين، وخاصة ما يجدُّ منه إلى أتباعه، كما تعني صرف الناس بكل الوسائل والسبل عن هذا الدين، من دخل منهم بالحيلولة عن الاجتماع معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لا يتمكّن الدين من قلبه، ومن خرج عنهم بالصد عنه وتفريق الناس من حوله، وتشتيت الانتباه له، ونشر الأكاذيب من حوله، وقد جاءت الروايات تؤكده.

فعند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرضُ نفسه على النّاس بالموقف فيقولُ: «هل من رجُلٍ يحملُني إلى قومه، فإنّ قُريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي..»[3].

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٢٨٦، والحديث عند الترمذي من حديث معاذ بن جبل (٥/ ٢٢١)، حديث رقم (٣٢٣٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل، عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) حديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/ ٣٧١)، حديث رقم: (١٥١٩٢) قال: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا إسرائيل، عن عثمان، يعني ابن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال =

٣ـ الصورة الثالثة: الحمل على استحلال المحرمات والعودة إلى مظاهر الجاهلية.

وهذا واضح كما في رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (وأن نستحل ما كُنّا نستحل من الخبائث)[١]، وهذا بيّنه جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال لهُ: (أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبدُ الأصنام، وناكُلُ الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف...).. الحديث[٢]، وهذا سبب من أسباب الهجرة إلى الوطن العادل الحر أرضًا وأنظمةً.

فلا ترض أنظمة الظلم والطغيان من وجود الحرية الدينية على أرضها، ولا سريان الأخلاق السوية بين مجتمعاتها، بل يفرحون بتفشي الأمراض غير الأخلاقية؛ من جور، وإباحة، واعتداء، وتفشي سيئ الأخلاق، وغير ذلك، ولا يأنسون فيما بينهم بصاحب خلق جميل ولا بسلامة فطرة قويمة، لسان حالهم في كل زمن لسان حال قوم لوط في حمل المسلمين الطاهرين على اتباع نهج حياتهم وخبث حركتهم، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٣].

= الشيخين غير عثمان بن المغيرة، فمن رجال البخاري. إسرائيل: هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي)، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٣١٠، والدارمي (٣٣٥٤)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٨٦) و (٢٠٥)، وأبو داود (٤٧٣٤)، وابن ماجه (٢٠١)، والترمذي (٢٩٢٥)، وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية، ص ٨٥، والنسائي في الكبرى (٧٧٢٧)، والحاكم ٢/ ٦١٢- ٦١٣، وأبو نعيم في الدلائل (٢١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات، ص ١٨٧، وفي الشعب (١٦٨)، وفي دلائل النبوة ٢/ ٤١٣- ٤١٤ من طرق عن إسرائيل ابن يونس، بهذا الإسناد. وبعضهم يختصره.

(١) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو حديث حسن.

(٣) سورة النمل، الآية: (٥٦).

٤ـ الصورة الرابعة: الإيذاء الجسدي والمعنوي المستمر.

وله صور جاءت في الروايات الحديثية ولها معان مهمة وهي:

١ـ القهر والغلبة لهم بإخماد صوتهم وحريتهم: كما في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فلمّا قهروناوظلمونا، وشقّوا علينا)[١].

٢ـ القسوة في التعامل: (ففارقنا عند ذلك قومنا فاذونا وقسونا)[٢].

٣ـ الظلم المادي والمعنوي. (فلمّا قهرونا وظلمونا)[٣].

٤ـ التعذيب الجسدي: (فعدا علينا قومُنا فعذّبونا)[٤].

٥ـ السجن: كما جاء عن عُروة قال: (فلمّا كثُر المُسلمون، وظهر الإيمانُ فتحدّث به المُشركون من كُفّار قُريشٍ بمن آمن من قبائلهم يُعذّبونهم ويسجنونهم)[٥].

٦ـ الإخافة الدائمة: كما قال جعفرُ بنُ أبي طالبٍ: (يا رسول الله، ائذن لي أن آتي أرضًا أعبُدُ الله بها لا أخافُ أحدًا حتى أموت)[٦].

---

(١) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو حديث حسن.

(٢) حديث أم سلمة، وهذه رواية ابن راهويه في مسنده، وتخريجه في الملحق في نهاية الكتاب.

(٣) حديث أم سلمة.

(٤) حديث أم سلمة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في (كتاب: المغازي)، (باب: من هاجر إلى الحبشة)، (٥/ ٣٨٤)، حديث رقم: (٩٧٤٣) عن معمر عن الزهري عن عروة، وابن سعد في الطبقات في (باب: ذكر هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أرض الحبشة (١/ ٢٠٣) من طريق هشام بن سعد عن الزهري موقوفا عليه، والحكم على الإسناد؛ إسناده صحيح إلى عروة، وهو من مراسيله.

(٦) حديث جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إسناده حسن، وتفصيل دراسته في المحلقات نهاية الكتاب.

٧ـ المشاقة والإعنات لهم: (وشقّوا علينا)[١].

٨ـ إلحاق ما يكرهونه من أمور أخرى: ومنها على سبيل المثال: السخرية والاستهزاء والتحقير والتهوين والمقاطعة وغير ذلك، كما في رواية أم سلمة: (فلمّا بلغ منّا ما نكرهُ)[٢].

يقول الشيخ أبو زهرة جامعًا كثيرًا من هذه الصور: (وعدّد الذين اتبعوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتابعوه في الصبر على الأذى يزيد ويكثر، ولم يقتصر على الضعفاء، بل دخل فيهم أشراف من مكة المكرمة، وبتزايد العدد يتزايد الاضطهاد ويكثر ويتنوع، فمن إيذاء بالأيدي والسياط، والإلقاء في الرمضاء في الحرور، ومن أفعال لا تصدر إلا عن السفهاء الأنذال، كما فعل أبو جهل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره، ومن استهزاء وسخرية، ومن منعٍ من العبادة ويجدون في ذوى الكرامات مرتعًا خصيبًا للنيل من كراماتهم، أصبح الإيذاء عامًّا ولا مناص من التخلص منه، وهم بمكة المكرمة وما حولها، فلا بد من الهجرة، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، وإلى أي أرض يهاجرون)[٣].

وقال أيضًا: (سافر أولئك المهاجرون إلى أرض الحبشة فرارًا بدينهم من أن يفتنوا فيه، وفرارًا بأنفسهم من المهانة والاستهزاء والسخرية)[٤].



(١) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذه رواية إسحاق بن راهويه.

(٣) خاتم النبيين لأبي زهرة ١/ ٣٦٠.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٦٢.

(٢)
عدم وجود المنعة في أرضهم أو عناصر الاستقواء المعهودة في زمنهم

السبب الثاني من أسباب الهجرة إلى الأرض البديلة وترك الوطن: هو عدم وجود المنعة من وصول الأذى إليهم، أو وجود عناصر القوة معهم، وهذا قد أشارت إليه أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في روايتها بقولها: (ولم نقدر على الامتناع)[1].

وهذا الامتناع لم يكن له صور محققة موجودة على أرض الواقع، وعانى المسلمون من غيابه وانعدامه، وصور الامتناع القوية آنذاك ممثلة في عناصر منها: (النفوذ الشخصي، والقبلي، وقوة العشيرة، وتفعيل قانون الحماية والجوار، ووجود المصلحة التجارية، والارتباط النسبي، وكثرة وجود الموالي، والقوة الجسدية والحربية والعتادية، وغير ذلك، وجاءت الروايات الحديثية والسيرة النبوية لتدل على غياب هذه العناصر في واقع المسلمين، وحتى إن كانت مع أحدهم فلم تستمر معه طويلًا أو بشكل دائم كرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أُمّ سلمة زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: (لمّا ضاقت علينا مكّةُ، وأوذي أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفُتنوا، ورأوا ما يُصيبُهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستطيعُ دفع ذلك عنهم، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منعةٍ من قومه ومن عمّه، لا يصلُ إليه شيءٌ ممّا يكره ممّا ينالُ

(١) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذه رواية إسحاق بن راهويه.

أصحابُهُ)[1] وقالت: (إنّ رسول الله ﷺ قال للمُسلمين بمكّة حين شطّت بهم عشائرُهم: «تفرّقوا في الأرض»[2]...).

---

(١) حديث أم سلمة رضي الله عنها، وهذه رواية البيهقي في السنن الكبرى.

(٢) حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها، وهذه رواية الإمام الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٨٥)، حديث رقم: (٧٤٤٠) قال: حدثنا محمد بن أبان، ثنا محمد بن عبادة الواسطي، ثنا يعقوب بن محمد الزهري، ثنا إسحاق بن جعفر بن محمد، ثنا عبد الرحمن ابن عبد العزيز، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن وهب بن زمعة، يزيد بعضهم على بعض عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ قال للمسلمين بمكة حين شطت بهم عشائرهم: «تفرقوا في الأرض»، فتفرقوا إلى أرض الحبشة... الحديث.

قلت: وهذا إسناد حسن؛ وإن كان فيه يعقوب بن محمد الزهري وهو متكلم فيه، قال فيه الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وثقه غير واحد وضعفه بسبب التدليس، وقد صرح بالتحديث عن شيخ ثقة، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٨/ ٣٩)، حديث رقم: (١٢٧٨١).

قلت: وهو هنا يروي عن صدوق، وهو إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق، وكذا لم يعنعن، بل صرح بالتحديث عنه، كما أومأ الهيثمي على حديثه دفعًا لتضعيف الرواية، وعمومًا فالحديث حسن بشواهده، كما جاء عند أحمد وغيره من حديث أم سلمة، والله أعلم.

ويعقوب هو: ابن محمد بن عيسى الزهري أبو يوسف المدني نزيل بغداد، قال ابن حجر: (صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء)، وقال صاحب التحرير متعقبًا: (بل ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد).

قلت: وهو الراجح الغالب فيه، فأكثر أهل الجرح والتعديل على تضعيفه، لكن في هذه الرواية حسن الحديث فروايته عن صدوق، فهو أقرب إلى الحسن منه إلى الضعيف، والله أعلم، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين.

ترجمته في: الجرح والتعديل ٩/ ٢١٥، الثقات ٩/ ٢٨٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٦٧، وما بعدها، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٦، تقريب التهذيب، ص٦٠٨، تحرير تقريب التهذيب ٤/ ١٢٨.

وقال ابنُ إسحاق: (فلمّا رأى رسولُ الله ﷺ ما يُصيبُ أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمّه أبي طالبٍ، وأنّه لا يقدرُ على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء. قال لهم: «لو خرجتُم إلى أرض الحبشة»... الحديث[1]).

وهذا دفع أبا بكر للهجرة أيضًا (فقد خرج أبو بكرٍ مُهاجرًا قبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابنُ الدّغنة، وهو سيّدُ القارة، فقال: أين تُريدُ يا أبا بكرٍ؟ فقال أبو بكرٍ: أخرَجَني قومي، فانا أُريدُ أن أسيح في الأرض، فأعبُد ربي)[2].

ومع غياب قانون الامتناع وعناصر الاستقواء استوجب الأمر للهجرة بعيدًا للحفاظ على الدين والنفس وما يتبعهما من كليات أمَرَنا الشرعُ من أول وهلة

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية عن زياد البكالي عن محمد بن إسحاق موقوفًا عليه (١/ ٣٢١)، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣٠) عن محمد بن حميد، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (باب: الهجرة إلى الحبشة...)، (٢/ ٢٨٥) بإسناد آخر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، ببغداد قال: أنبأنا أبو بكر بن عتاب قال: حدثنا القاسم بن عبدالله بن المغيرة، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة في كتاب المغازي بلفظ: (ثم إن قريشا ائتمرت رويتهم واشتد مكرهم، وهموا بقتل رسول الله ﷺ أو إخراجه حين رأوا أصحابه يزدادون ويكثرون، فعرضوا على قومه أن يعطوهم ديته ويقتلوه، فأبى ذلك قومه ومنع الله عَزَّوَجَلَّ رسوله بحمية رهطه، واشتدوا على من اتبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة وزلزالًا شديدًا، فمنهم من عصم الله، ومنهم من افتتن..).
وإسناده إلى موسى بن عقبة إسناد حسن، فيه إسماعيل بن أبي أويس صدوق وبقية رواته ثقات.

(٢) أخرجه عبد الزاق من حديث عروة، وقد سبق تخريجه وإسناده صحيح إلى عروة، وهو من مراسيله.

بالمحافظة عليها، واجتناب ما ينقض عُراها أو يضيعها.

ولعل صور المنعة تختلف قليلًا في زماننا، أو يضاف لها ـ مع ما سبق ـ صورٌ أخرى ممثلة في إجراءات وقوانين، منها على سبيل المثال: القوانين العامة المطبقة في بعض الدول، ومنها قانون الحريات الشخصية، وقوانين حقوق الإنسان، وحرية المعارضة والتعبير، وقانون حق اللجوء السياسي، ووجود الإعلام الحر النزيه وغير ذلك.



(٣)
غياب صفات البيئة المحمودة والمجتمع السليم

ومن أسباب الهجرة وترك الوطن أيضًا: غياب صفات البيئة المحمودة، والمجتمع السليم، وأعني به هنا غياب المناخ المناسب للمسلم للعيش في هذه البيئة من أخلاق وقوانين، وغير ذلك مما يساعده على الثبات الأخلاقي والديني أولًا، ومن ثم التطور والترقي للأحسن دينيًّا وأخلاقيًّا، وحياتيًّا ثانيًا، ولا أقول هنا بالمثالية البيئية والمجتمعية، فهذا أبعد ما يكون توفره ووجوده، ولكن المقصد هو وجود السمات المحمودة لتحقيق درجات السلامة والصلاح في البيئة والمجتمع للبقاء والبناء.

يقول ابن القيم: (إن طلب السلامة يتأكَّد في المواضع التي هي مظان العطب ومواطن الوحشة، وكلما كان الموضع مظنة ذلك تأكَّد طلب السلامة وتعلقت بها الهمة... وطلب السلامة النفسُ عليها أحرص؛ لأن العبد فيها قد انتقل من دار كان مستقرًّا فيها موطن النفس على صحبتها وسكناها إلى دار هو فيها مُعرَّض للآفات والمحن والبلاء)[1].

قلت: وكلام ابن القيم رحمه الله تعالى محمول على الأصل، وهو أن السلامة مستقرة موجودة في بلد المهاجر، فكيف إذا كان العكس؟! وهذا ما فُقد تمامًا في البيئة القرشية، فلا ثوابت أخلاقية، ولا مساحات من الحرية، ولا مقوِّمات للبناء

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٦٨ بتصرف يسير.

والتقدم والحضارة، ولا مجال لعرض الرأي أو التحاور على قضية من القضايا الجديدة المطروحة ميدانيًّا، وهذا جميعه مهمٌّ يلزم المسلم البحث عنه في البيئة المحيطة به، ويحاول إيجاده، وهذا أمر دُلل عليه بأحاديث كثيرة.

ففي حديث قاتل المائة دلالة عظيمة على أهمية البيئة والأرض في البقاء أو الانتقال، وأنها عنصر مهم في فساد الفرد وصلاحه، فقد أخرج البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم عن أبي سعيدٍ الخُدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ نبيّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كان فيمن كان قبلكُم رجُلٌ قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهبٍ، فأتاه فقال: إنّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتلهُ، فكمّل به مائةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجُلٍ عالمٍ، فقال: إنّه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التّوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أُناسًا يعبُدون الله فاعبُد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنّها أرضُ سوءٍ...**» الحديث[1].

والحديث يبرهن على أن أهم الأسباب التي تُبنى عليها فكرة الهجرة والانتقال؛ قضية البيئة والمجتمع، وأن عدم وجود عناصر السلامة مدعاة للانحطاط الأخلاقي والارتداد الديني ما يجعل الهجرة عندئذ واجبة، وهذه العناصر منها على سبيل المثال (الأمن ـ العدل ـ الصدق ـ الطمأنينة ـ السلام ـ حسن الجوار... إلخ).

وفي الهجرة إلى الحبشة وصفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصف يبرهن على أهمية

(١) أخرجه البخاري في (كتاب: أحاديث الأنبياء)، (باب: حديث الغار)، (٤/ ١٧٤)، حديث رقم: (٣٤٧٠)، ومسلم في (كتاب: الرقائق)، (باب: قبول توبة القاتل)، (٤/ ٢١١٨)، حديث رقم: (٢٧٦٦)

هذا الأمر، ويؤكد أن هذه السمات موجود بعضها في بيئة الحبشة، كما جاء: «وهي أرضُ صدقٍ»[1].

قال ابن حبان: (فخرجوا حتى قدموا أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة)[2].

وهي كما يقول الدكتور سعد المرصفي: (هجرة للأمن والسلام)[3].

ويقول الدكتور منير الغضبان: (فالبقاء بين براثن الشرك حتى يتمكّن الشرك من إبادة المسلمين عملية خرقاء، صحيح أن الجندي يتحتَّم عليه أن يتحلى بالصبر، ويتقبل المصيبة بصدر رحب ويثبت على دينه، لكن مهمة القيادة الأساسية هي حماية جنودها من الخطر، غير أن هذه الحماية لا تكون على حساب العقيدة أو الشريعة، في هذا الإطار تتحرك القيادة، ومن أجل هذا نرى سيد القادة محمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبحث في الأرض كلها عن مكان آمن ولا تستطيع يد الشرك أن تطاله، وكان هذا المكان هو أرض الحبشة)[4].

قال صاحب صحيح الأثر: (فسبب الهجرة إلى الحبشة وجود الأمان والعدل في مملكة الحبشة ذلك الزمان)[5].

---

(١) رواية ابن إسحاق عند ابن هشام في السيرة: (قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا). سيرة ابن هشام ١/ ٣٢١.

(٢) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان ١/ ٧٧.

(٣) الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٤/ ١٢٦٢.

(٤) المنهج الحركي في السيرة النبوية ١/ ٦٣.

(٥) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١/ ١١٤.

(٤)
تحقيق سنة الأخذ بالأسباب في الأمور كلها

وهي سنة سطرها القرآن الكريم وخص بذكرها أولًا المهاجرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1].

وفي روايات الهجرة إلى الحبشة ما يدل على أن خروج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان تحقيقًا لسنة جمع الأسباب والأخذ بها، ومحاولة تقصي الوسائل المتاحة للنجاة بالدين والنفس وغيرهما من الكليات المعهودة، فقد أخرج مُحمّد بن إسحاق بسنده عن ليلى بنت أبي حثمة، قالت: (كان عُمرُ بنُ الخطّاب من أشدّ النّاس علينا في إسلامنا، فلمّا تهيّأنا للخُروج إلى أرض الحبشة، جاءني عُمرُ بنُ الخطّاب، وأنا على بعيري أُريدُ أن أتوجّه فقال: أين يا أُمّ عبد الله؟ فقُلتُ: آذيتُمونا في ديننا، فنذهبُ في أرض الله، حيثُ لا نُؤذى في عبادة الله، قال: صحبكُمُ اللهُ، ثم ذهب، فجاءني زوجي عامرُ بنُ ربيعة، فأخبرتُه بما رأيتُه من رقّة عُمر، فقال: تُرجّين أن يُسلم؟ فقُلتُ: نعم، فقال: والله لا يُسلمُ حتى يُسلم حمارُ الخطّاب)[2].

---

(١) سورة النساء، الآيات: (٩٧-٩٩).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في سيرته، ص١٨١، قال: (أخبرني عبد الرحمن بن الحارث بن =

ففي الحديث ما يبرهن على هذه السنة، وكلمة أم عبد الله بنت أبي حثمة تؤكد هذا المعنى من إدراكهم الكامل لسنة جمع الأسباب والأخذ بها، وهذا سلم لتحصيل الفرج والمخرج الإلهي، والأخذ بهذه السُّنة من أعظم الأمور التي يطالبنا بها الشارع الحكيم وخاصة عند المحن والشدائد قبل الندم وفوات الأمر.

= عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه ليلى بنت أبي حثمة...)، والإسناد حسن؛ فيه عبد الرحمن بن الحارث صدوق له أوهام، وعبد العزيز بن عبد الله بن عامر تابعي كبير، ترجم له البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا. ينظر: التاريخ الكبير ٦/ ١٣، والجرح والتعديل ٥/ ٣٨٥، وتعجيل المنفعة، ص ٢٦١، وانفراد ابن حبان بتوثيقه. الثقات ٧/ ١١٠، وهو يروي الخبر عن أمه وهي شاهدة عيان، وأخرجه المحاملي في أماليه، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثني أبو بكر بن أبي شيبة، حدثني أبو بكر بن أبي أويس، حدثني أبي، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه، عن أم عبد الله بنت أبي حثمة بنحوه، فقد تابع ابن إسحاق أبو بكر بن أبي أويس المدني في الرواية عن عبد الرحمن بن الحارث.

(٥)
التعريف بالإسلام
وتبليغه في أرض جديدة

والتعريف بالإسلام وتبليغه من أهم الأسباب للهجرة والانتقال، ولعله كان من أول الأسباب التي انطلق منها النبي ﷺ آمرًا وموجِّهًا صحابته وإخوانه بالتوجه إلى الحبشة، وقد كان منهجه الدائم ﷺ أن يُعرِّف بدينه ورسالته مع مَن يلقاه من داخل مكة أو خارجها، لا يَكِل ولا يفتر عن ذلك، ينتظر الوفود ويدعو الناس ويعرِّفهم بالإسلام ليستجيب من يستجيب منهم ويدخل في الإسلام طواعية لا كُرهًا.

ولعل هذا السبب أرسى انتقاء المهاجرين إلى الحبشة، فهم جميعهم من بطون مختلفة من قريش، ومكانتهم الاجتماعية والاقتصادية معروفة معهودة، ومن استعرض الأسماء أدرك ذلك من كونهم أهل غنى ومكانة ونسب، وهذا له أثره الكبير في الاستماع لهم والإنصات إليهم، والتفاف الناس حولهم، فالعادة مُحَكَّمة.

ولقد أكد ذلك الأستاذ أبو الحسن الندوي قائلًا: (ولم تكن الغاية الوحيدة من الهجرة إلى الحبشة الخلاص من أذى قريش، بل كانت مقترنة بالدعوة إلى الإسلام والتخفيف من هموم النبيّ ﷺ، واستعراض قائمة المهاجرين يدل على سعة الدائرة البشرية وتنوّعها وشمولها للطبقات والمستويات في المجتمع المكيّ،

ففيها الغنيّ والفقير، والكهل والشّابّ، والرجال والنساء، وينتمي أغلبهم إلى أسر مكيّة عريقة، فدل على شدّة تأثير الدعوة وقوتها وشمولها)[1].



(١) ينظر: السيرة النبوية للندوي، ص١٩٨، وفي هذا المعنى يؤكد الشيخ أبو زهرة فيقول: (ولا شك أن الهجرة لها ثمرة أخرى غير دفع الأذى، والاعتصام منه ومنع الفتنة التي أرهقوا بها عسرا، وهذه الثمرة هي التعريف بالإسلام، وبالمبادئ الإسلامية، فقد وقف جعفر بن أبى طالب المتحدث باسم المهاجرين أمام النجاشي يبين الحقائق الإسلامية، وما يدعو إليه دين الوحدانية من صلة الأرحام، والحث على مكارم الأخلاق، وما يمنعه من فساد الجاهلية والعصبية المغرقة. وقد نقلنا ذلك من قبل، وهناك ثمرة أخرى أن الهجرة إلى الحبشة تعرف النصارى بالإسلام، وما قاله في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فهي تزرع الإسلام في أرض غير أرض مكة وتباينها، كما أن الهجرة من بعد ذلك إلى المدينة كان فيها تعريف اليهود بالإسلام ودعوتهم إليه. فأسلم من أسلم وكفر وقاوم وعاند من كفر: فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها). ينظر: خاتم النبيين ١/ ٣٦٠.

(٦)
تأسيس مفهوم الأرض البديلة

لعل من أبرز الأسباب التي تؤكد على أهمية الهجرة وتدفع إليها دفعًا: هو تأسيس أرض بديلة يكون فيها الإسلام برسالته والمسلمين بكيانهم أحرارًا، وهذا باب من أبواب الاحتراز، وأخذ الحيطة والحذر من إضعاف الرسالة وأتباعها من قبل المتربص بها، الجامع لعدائها وأهلها، والباذل في سبيل تحقيق أهدافه كل ما يمكن من قوة للوصول لغايته، فماذا يحدث لو قُتل أكثرهم؟ أو استُعبدوا ومنعوا منعًا شديدًا من إيصال خيرهم لغيرهم؟ عنده ستكون الدعوة ضعيفة جدًّا، وربما تضعف من بدايتها، وتأخذ وقتًا طويلًا جدًّا في نشرها، بل ربما في كسب المتكلمين المؤمنين بها، فكان لا بد أن تكون هناك أرض بديلة تسري فيها الدعوة من رجالها، وينتشر فيها الإسلام ويحفظ، وربما تكون يومًا ما وجهة استقبال الوحي والجماعة المسلمة، كما حدث في المدينة المنورة، أو تكون تلك الأرض هي بمثابة الداعم المادي والحركي والتعبوي للمسلمين والرسول الكريم ﷺ.

دل على هذا حديث أخرجه مسلم عن أبي موسى، قال: (بلغنا مخرجُ رسول الله ﷺ، ونحنُ باليمن..). الحديث، وفيه: (فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه عندهُ، فقال جعفرٌ: إنّ رسول الله ﷺ بعثنا هاهُنا، وأمَرَنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا)[1].

(١) تفصيل تخريجه في الملحقات في نهاية الكتاب.

فالنبي ﷺ لم يأمرهم بالرجوع المباشر إلى المدينة وخاصة عند الهجرة المباركة؛ بل أبقاهم هناك لغاية معلومة مدروسة كما يفهم من كلام جعفر رضي الله عنه حتى يطمئن النبي ﷺ على الدعوة وسلامة الأرض وغياب الخطورة عنها، عندئذ كان الأمر بالعودة والرجوع إلى المدينة.

يقول الأستاذ منير الغضبان مؤكِّدا على هذا السبب: (وأهم ما يؤكدها في رأيي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم نعلم أن رسول الله ﷺ قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب وبدر وأحد والخندق والحديبية... لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خمس سنوات، وكان آخر هذا الهجوم والاجتياح في الخندق حيث قدم عشرة آلاف مقاتل لاستئصال شأفة المسلمين هناك، وبعد رد الكافرين بغيظهم قال رسول الله ﷺ: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحنُ نسيرُ إليهم**»[1].

فلقد انتهى الخطر في اجتياح المدينة بعد الخندق ـ كما في النص النبوي الآنف الذكر ـ وجاء صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة ليؤكد هذا المعنى، ويؤكد الاعتراف الرسمي من قريش بدولة المدينة، وحين اطمأنّ رسول الله ﷺ إلى أن المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله ﷺ لو سقطت يثرب في يد العدو، إنه الفقه السياسي الأعظم، والتخطيط النبوي الأعمق من الرسول ﷺ وهو يمضي في بناء دولة الإسلام، ويدرس

(١) أخرجه البخاري في (كتاب: المغازي)، (باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب)، (٥/ ١١٠)، حديث رقم: (٤١١٠) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

كافة الاحتمالات المتوقعة، ويبحث في كل مكان عن الأرض المناسبة لقيام دولة الإسلام أو لحماية العقيدة فيها)[1].



(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية بتصرف يسير ١/ ٦٨، وفي هذا المعنى يقول الدكتور السباعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن على الداعية إذ وجد جماعته في خطر على حياتهم أو معتقداتهم من الفتنة، أن يهيئ لهم مكانًا يأمنون فيه من عدوان المبطلين، ولا ينافي ذلك ما يجب على دعاة الحق من تضحية، فإنهم إذا كانوا قلة استطاع المبطلون أن يقضوا عليهم قضاء مبرمًا، فيتخلصوا من دعوتهم، وفي وجودهم في مكان آمن ضمان لاستمرار الدعوة وانتشارها. ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٥٠.

(٧)
إيلام (الدولة الظالمة)
بفقد ثروتها البشرية لهجرتها من بلادهم

ثروة كل بلد في أبنائها وخاصة القدوات وأصحاب التخصصات المختلفة منهم، ولعل من أسباب الهجرة إلى الحبشة أن تهتز قريش بفقد أعظم أبنائها، وأحسن من تتباهى بهم في القبائل والأندية الدولية ومواسم الحج وزيارة البيت، الأمر الذي يجعل هجرتهم بمثابة ردع قوي لهم، وإيلامٍ لما أجرموا في حقهم من أفعال وأقوال شنيعة، وهذا قديم حديث وصوره المتشابه ما زالت موجودة في عصرنا حتى الآن، فمن أعظم أسباب الهجرة إلى الغرب في الآونة الأخيرة: أن أبناء الوطن حوصروا في بلدهم، ومُنعوا من إبداعهم، وأخذ أماكنهم الطبيعية في مجتمعهم، واحترام تخصصاتهم والاستفادة منها، مما دفعهم بقوة للهجرة والانتقال لمن يُقدّر طاقتهم وإمكانيتهم وإبداعهم فكان الغرب ـ للأسف ـ أعظم استقبالًا لهم، وأحسن ترحيبًا بهم، وتقديرًا لإبداعهم.

وإنك لتدهش عندما تجد الوطن الأول يتغنى بأبنائه الذين برزوا في مجتمعات هجرتهم وأوطانهم الغربية ونالوا أفضل الأوسمة، ووضعت بين يديهم المقدرات والإمكانيات لمزيد عطاء وإبداع حتى حققوا أحلامهم ونفعوا مجتمعهم مجتمع المهجر، فتعجب من الوطن الأول بمؤسساته ووسائله الإعلامية حينما يبرزون يشيدون اللقاءات والندوات والحوارات يحاولون أن يتفاخروا بابنهم العالم،

والمبدع النابغة، في محاولة باهتة لاستثماره ولو إعلاميًّا، أو كسب فضل ليس لهم، أو حفظ ماء وجوههم، فأين كانت هذه المؤسسات في الوطن الأم وقد طلب منها احترامه وتقديره وإتاحة المجال له في وقته؟! وهذا يؤكد أن كثيرًا من القائمين علي هذه المؤسسات في مراكزهم غير أكفاء، وأنهم بسياستهم ونظام تعاملهم وغياب أولوياتهم معاول هدم لا أداوت بناء، يخسرون كل يوم من أبنائهم أفضل ما أنجبت بلادهم، وهذا أحد أهم الأسباب التي دفعت هذا المبدع للخروج والانتقال والهجرة.

وحوار عمر بن الخطاب مع أم عبد الله بنت أبي حثمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دليل قوي يحمل من العبارات والشعور ما يجعل الفقد صعبًا وخسارة كبيرة على المشركين، فقد سبق كما مرّ قول عمر لأم عبد الله بن أبي حثمة كما جاء في الحديث: (فقال: إنّه الانطلاقٌ يا أُمّ عبد الله، قالت: قُلتُ: نعم، والله لنخرُجنّ في أرض الله، آذيتُمونا وقهرتُمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجًا).

ومن ذلك حوار ابن الدغنة مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما خرج مهاجرًا إلى الحبشة.

أخرج البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (لم أعقل أبويّ قطُّ إلا وهما يدينان الدّين، ولم يمرُر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفي النّهار بُكرةً وعشيّةً، فلمّا ابتُلي المُسلمون خرج أبو بكرٍ مُهاجرًا قِبل أرض الحبشة، فلقيه ابنُ الدّغنّة وهو سيّدُ القارة، فقال لهُ: أين يا أبا بكرٍ؟ فقال: أخرجني قومي فأنا أسيحُ في الأرض وأعبُدُ ربي! فقال له ابنُ الدّغنّة: إنّ مثلك يا أبا بكرٍ لا يخرُجُ ولا يُخرجُ، إنّك لتُكسبُ المعدوم وتصلُ الرّحم وتقري الضّيف وتحملُ الكل وتُعينُ على نوائب الحقّ، فأنا لك جارٌ، فارتحل ابنُ الدّغنّة ورجع معه أبو بكرٍ...) الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري (كتاب: الكفالة)، (باب: جوار أبي بكر في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعقده)، =

فهذا الحديث يوضح بقوة ما سيؤلم به رؤساء مكة وصناديدها عند هجرة هؤلاء الصحابة الكرام الذين يتباهى المجتمع بهم وبكونهم منهم وفيهم، وأنهم يحملون من الصفات ما أصبحت لا تلصق إلا بالعزيز فيهم، النسيب بينهم كأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا يوقف قريشًا لاسترجاع طريقتهم في التعامل بوحشية ودموية مع أبنائهم، وخاصة أن من هاجر من المسلمين هم من أعظم البيوت نسبًا وعلمًا ومكانةً، فتوصل هجرتهم رسالة إيلام لهم كما يُؤلِمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولعل هذا من جملة الأسباب التي دفعت صناديد قريش أن ترسل في أثرهم لاسترجاعهم لما اغتاظوا به من فقدهم، مع وجود الطمع الدائم لارتدادهم عن الإسلام والعودة إلى أحضانهم.

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى: (وربما كان وراء هذه الهجرة أسباب أخرى؛ كإثارة هزة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش، وأبناؤها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم، فرارًا من الجاهلية، تاركين وراءهم كل وشائج القربي، في بيئة قبلية تهزّها هذه الهجرة على هذا النحو هزًّا عنيفًا، وبخاصة حين يكون من بين المهاجرين مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان، زعيم الجاهلية، وأكبر المتصدين لحرب العقيدة الجديدة وصاحبها)[1]،

= (٣/ ٩٨)، حديث رقم: (٢٢٩٩).

(١) تفسير في ظلال القرآن ١/ ٢٩.

(٨)
تخفيف هموم
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعبائه

لا شك أن هجرة الصحابة وترك مكانهم حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يشق عليه، ويفطر قلبه معه، لكن فقه تحمل أخف الضرر ودفع أعظمه واضح جلي ونموذجه عملي عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجوده وهو مؤطَّر من أول وهلة أشرقت فيها أنوار بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلامة المجموع مع بُعدهم أولى، وبُعدهم مع بقاء إيمانهم أحسن وأخف ضررًا من بقائهم وفتنتهم، الأمر الذي يخفف بعضًا من هموم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعبائه، ليتفرغ وينشغل بالرسالة تعريفا، وبالباقين القاعدين دفاعًا، وبالوافد الجديد دعمًا.

ولقد أكد هذا الأستاذ أبو الحسن الندوي قائلًا: (ولم تكن الغاية الوحيدة من الهجرة إلى الحبشة الخلاص من أذى قريش، بل كانت مقترنة بالدعوة إلى الإسلام والتخفيف من هموم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

وقال الدكتور سعد المرصفي: (ونبصر تخفيف الأزمات النفسيّة التي كانت ـ لو استمرّ المهاجرون في إبقائهم بمكّة لم يهاجروا ـ تضيف أعباء جديدة إلى الأعباء التي يتحملها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلقي الوحي برسالته، وحمل أمانة

(١) ينظر: السيرة النبوية للندوي، ص١٩٨.

تبليغها والإنذار بها، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُؤذون أشدّ الأذى، ويعذّبون أقسى العذاب، ولا يستطيع منعهم وحمايتهم مما يلاقون، دون أن يؤذن لهم ـ كما أسلفنا ـ في رد الاعتداء!)[1].

(١) ينظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية (٤/ ١٢٦٤).

(٩)
ترك فسحة للمسلمين
لالتقاط الأنفاس وترتيب الأوراق

فمن أول ما بدأت الدعوة ودخل فيها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والسرية وتضييق الخناق عليهم هو الرسم الوحيد بينهم، وهذا مع طول الأمد يُتعب ويُضعِف القوى، ويجعل التلذذ بالدين وتعاليم الكتاب المبين في حالة استثنائية وليس في طوره الطبيعي، ومَن يرصد حياة الصحابة في مكة وبدايات الدعوة يتأكد من هذا[1]، فلغة التعذيب والخفاء والخوف هي الأكثر حضورًا ووجودًا، الأمر الذي يدعو إلى إيجاد حل ترجع فيه الأمور إلى الأجواء الطبيعية التي تعود فيها الحرية إلى نصابها السليم، وينعم فيها المسلمون بتعاليم الدين.

---

(١) من ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في (كتاب: المناقب)، (باب: علامات النبوة)، (٤/ ٢٠١)، حديث رقم: (٣٦١٢) عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».
فهذه صورة بسيطة مما يدل به على الحالة التي كان يعيش فيها المسلمون الأوائل والصحابة الكرام، وأنه وصلت إلى مرحلة صعبة لا يستمتع فيها بالإسلام استمتاعا كاملا كمن يعيش في أجواء أخرى طبيعية يشعر فيها بنعمة الحرية.

قال الدكتور سعد المرصفي: (هنا أراد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمنح المضطهدين فترةً من الوقت، يستردّون فيها أنفاسهم، ويعودون ثانيةً إلى ساحة الصراع وهم أقدر وأصلب... وعسى الله أن يجعل بعد عسر يسرًا، فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة)[1].

وقال مؤلف صحيح الأثر ما يؤكد ذلك: (تلك قصة الهجرة إلى الحبشة، هجرة قوم انخلعوا من دنياهم وفرّوا بدينهم، قصة قوم أرادوا لأرواحهم فسحة، يعبدون الله تعالى بعيدًا عن جبروت الجبابرة والطغاة)[2].

(١) ينظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية، ص١٢٥٥.

(٢) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ص١١٨.

(١٠)

التخوف من نفاد صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وهذا سببٌ مهمٌّ جدًّا من أهم أسباب طلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صحابته الهجرة إلى الحبشة والأذن لهم بذلك، وهو الخوف من نفاد صبر صحابته على المشركين مما يفعلونه بهم، ما يدفعهم ذلك لردود أفعال غير مدروسة ولا محسوبة يقومون بها ردًّا عليهم بدافع الحَمِية والأَنَفَة والأعراف التي نشئوا عليها، ما قد يُعجّل هذا بموجة عاتية من القتل والتعبيد والإضعاف أكثر مما كانت موجودة، وخاصة أن من التفّ حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا من الشباب وفورة ذلك في تكوينهم وفعالهم أكيدة، وهذا يُثقل الأمر على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة والشباب ما زالوا حديث عهد بدينهم والتزامهم، فكانت سياسةً رشيدةً من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبعد الكثير منهم ممن قد يقوم بردة فعل كهذه مما قد يقلب حسابات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتخطيطه الجيد لدعوته.

وهذا أمر دلت عليه بعض المواقف الفردية التي قام بها بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مكة، فقد ذكر ابن إسحاق في سيرته قال: (كان أصحابُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلوا ذهبوا إلى الشّعاب، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم، فبيّنا سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفرٍ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شِعبٍ من شِعاب مكّة، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المُشركين وهم يُصّلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، واقتتلوا، فضرب سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رجُلًا من

المُشركين بلحي بعيرٍ فشجّهُ، فكان أول دمٍ أُهريق في الإسلام)[1].

قال الدكتور سعد المرصفي: (ونبصر البعد عن إثارة المعوّقات في طريق سير الرسالة، وتبليغ دعوتها؛ لأن المؤمنين المهاجرين كانوا في كثرتهم من شباب قريش خاصّة، وشباب قبائل العرب عامّةً، تملؤهم النّخوة والحميّة والأنفة من الرضا بالضّيم، والاستسلام للظلم، وربما نفد صبرهم، وضاقت أنفسهم مما يلقونه من جور واستبداد بهم، فتدفعهم طبيعتهم البشريّة، وحميّتهم العربيّة، إلى مقاومة الظلم، وردّ الاعتداء)[2].

(١) السيرة النبوية، لابن إسحاق، ص١٤٧، السيرة النبوية، لابن كثير ١/ ٤٥٤.
(٢) ينظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية، ص١٢٦٢.

(١١)
كشف حقيقة قريش للمجتمع الدولي

إن من أعظم أسباب الهجرة إلى الحبشة ومن في صورة مهاجريها من مضطهديها يكشف حقيقة الطغاة في مجتمعهم ووطنهم، فقد تُصدِّر الأنظمة الحاكمة نفسها في الظهور الإعلامي بالصورة المثالية في الإنسانية والحرية والديمقراطية وغير ذلك مع كونها في الداخل مع أتباعها المخالفين على عكس ذلك تمامًا، وخاصةً إذا أحكمتْ قبضتَها على الإعلام الداخلي ومنعت الإعلام الخارجي، وهذا من الأسباب المهمة في الهجرات الجماعية وتدفُّق اللاجئين لكشف زيف الأنظمة والسلطات وبيان حقيقتهم للمجتمع الدولي، خاصةً إذا كانت ثمّت مصالح وثمار تجنيها هذه الأنظمة من زيفها وخديعتها من الأمم حولها، وهذا كانت تحققه قريش ـ مكانةً وشهرةً ونفوذًا ـ وأيضًا إذا لم يستطع المضطهدون من إيصال أصواتهم إلى المجتمع الدولي من داخل بلادهم، ولهذا فقد كانت كلمات جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان حال قريش ورجالها قد كشفت معدنها الحقيقي، وأظهرت وجهها القبيح أمام النجاشي ومؤسساته، ولم يستطع رسولَا قريش إنكار ما قاله لكونه عين الحقيقة، وهذا يؤثر لا محالة على العلاقات الدولية، وتغيير الصورة من الأنظمة العادلة في التعامل مع الدولة الظالمة فُتورًا أو تجنُّبًا.

يقول الدكتور محمد عدنان السمان: (حادث الهجرة إلى الحبشة أحدث أمرًا خفيًّا لم تتوقعه قريش، وهو أن فرار المسلمين المهاجرين بدينهم جعل من قريش

محل شك وريب من القبائل الأخرى، والتي ربما يكون لقريش معهم مصالح مشتركة، والدافع لهذا الشك هو موقف قريش من هؤلاء المهاجرين، فهم تجاوزوا حدود الإيذاء والتضييق مما اضطرّ هؤلاء المهاجرين إلى ترك أوطانهم ومساكنهم وأموالهم)[1].



(١) ينظر: من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي في الدعوة الإسلامية الهجرة إلى الحبشة نموذجًا، ص١٩.

(١٢)
مراعاة تفاوت الصبر على البلاء والإيذاء

وهذا سبب آخر لم أجد من تكلم فيه ممن اضطر للهجرة إلى الحبشة، لكنه استوقفني طويلًا وأراه مهمًّا في طرحه، فالمسلمون متفاوتون في استقبال البلاء صبرًا وتحمُّلًا، وكل يؤجَر على تحمله ويعفو الله عن عباده، لكن الأسماء التي هاجرت وهم من نفائس القبائل ومعظمهم من الأحرار وذوي المكانة الاجتماعية تجعلنا أمام موقف صعب، وهم فقط لا يُجرَّدون مما كانوا عليه حياتيًّا، بل يُعذَّبون ويسجنون وغير ذلك، وهذا الأمر في تحمله فترات طويلة أمر صعب خاصة لمن لم ير في حياته فقرًا أو كدرًا؛ فإنه أصعب عليه وأشد، وربما لا يثبت معه طويلًا، فمن أسباب هجرة هؤلاء الصحابة الكرام ذوي المكانة الاجتماعية هو محاولة لتخفيف صبرهم، وتقبل بلاء يثبتون معه وهو الهجرة من بلاء ربما لا يثبتون معه ـ وخاصة وهم في بداية إسلامهم ـ إن طال وهو التعذيب والسجن وغيرهما ترهيبًا، أو مراودة وإغراء وتزيينًا، ترغيبًا، وإعادة لجاهليتهم، فالهجرة كانت بالنسبة لهم نجاةً وتثبيتًا مع ألم الفقد وقلة المؤنة.

ولعل هذا كان أحد أسباب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سجن منهم ولم يستطع أن يهاجر الهجرتين مما يخاف على طول بلائه وسجنه؛ فقد أخرج البخاري عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في القُنوت: «**اللهم أنج سلمة بن هشامٍ، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عيّاش بن أبي ربيعة، اللهم**

أنج المُستضعفين من المُؤمنين، اللهم اشدُدْ وطأتك على مُضر، اللهم سنين كسنيّ يوسُف»[1].

فما الحكمة من تخصيص هذه الأسماء التي دعا لها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخصّهم مِن جملة مَن نتكلم عنهم، ثم عمّم في الدعاء لجميع المستضعفين؟

والجواب عندي: من جملة أسباب ذلك أنهم كانوا من ذوي المكانة الاجتماعية، ولعلهم لا يتحملون البلاء الطويل كتحمل الضعفاء، ولذلك خصّهم النبي ثم عمم الجميع

قال الكوراني: (وعياش هذا أخو أبي جهل لأمه، كان هو وسلمة بن هشام ابن عمّ خالد بن الوليد، والوليد بن الوليد موثقين بمكة، لا يُمكَّنون من الخروج إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخصّهم، ثم عمهم بقوله: «**أنج المستضعفين**»..)[2].

(١) أخرجه البخاري في مواطن عدة منها (كتاب: الجهاد والسير)، (باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة)، (٤/ ٤٤)، حديث رقم: (٢٩٣٢).

(٢) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ٣/ ١٠٩.

صور وأسباب أخرى للهجرة والانتقال قديمًا وحديثًا

هناك صور وأسباب أخرى تدعو الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص أن يترك بلده وموطنه ويرتحل، منها صور جديدة لم تدل عليها الروايات الحديثية، ومنها صور مشتركة تجمع أوجه الشبه بين ملامحها قديما وحديثا، وأكثرها محقق الآن في الواقع الغربي، منها:

١ـ الهجرة والانتقال بدافع الرزق وتقوية الاقتصاد والتجارة وتكوين الثروة.

٢ـ الهجرة والانتقال بدافع الوظيفة والعمل، وخاصة في الوظائف والشركات المتقدمة تقنيًّا وعلميًّا.

٣ـ الهجرة والانتقال للزواج وتكوين الأسرة.

٤ـ الهجرة والانتقال بدافع البحث عن نمط حياة مختلف توفر الاستقرار والحرية والعيش الرغيد.

٥ـ الهجرة والانتقال بدافع اللجوء الصحي والسياسي والاجتماعي.

٦ـ الهجرة والانتقال الممثل في البعثات العلمية ومراكز البحث العلمي لتبادل الخبرات والاستفادة العلمية ودراسة الماجستير والدكتوراه.

٧ـ الهجرة من بلد تكثر فيها الأوبئة والأمراض لضعف منظومتها الصحية إلى بلد متعافٍ ومهتم بالبيئة والصحة.

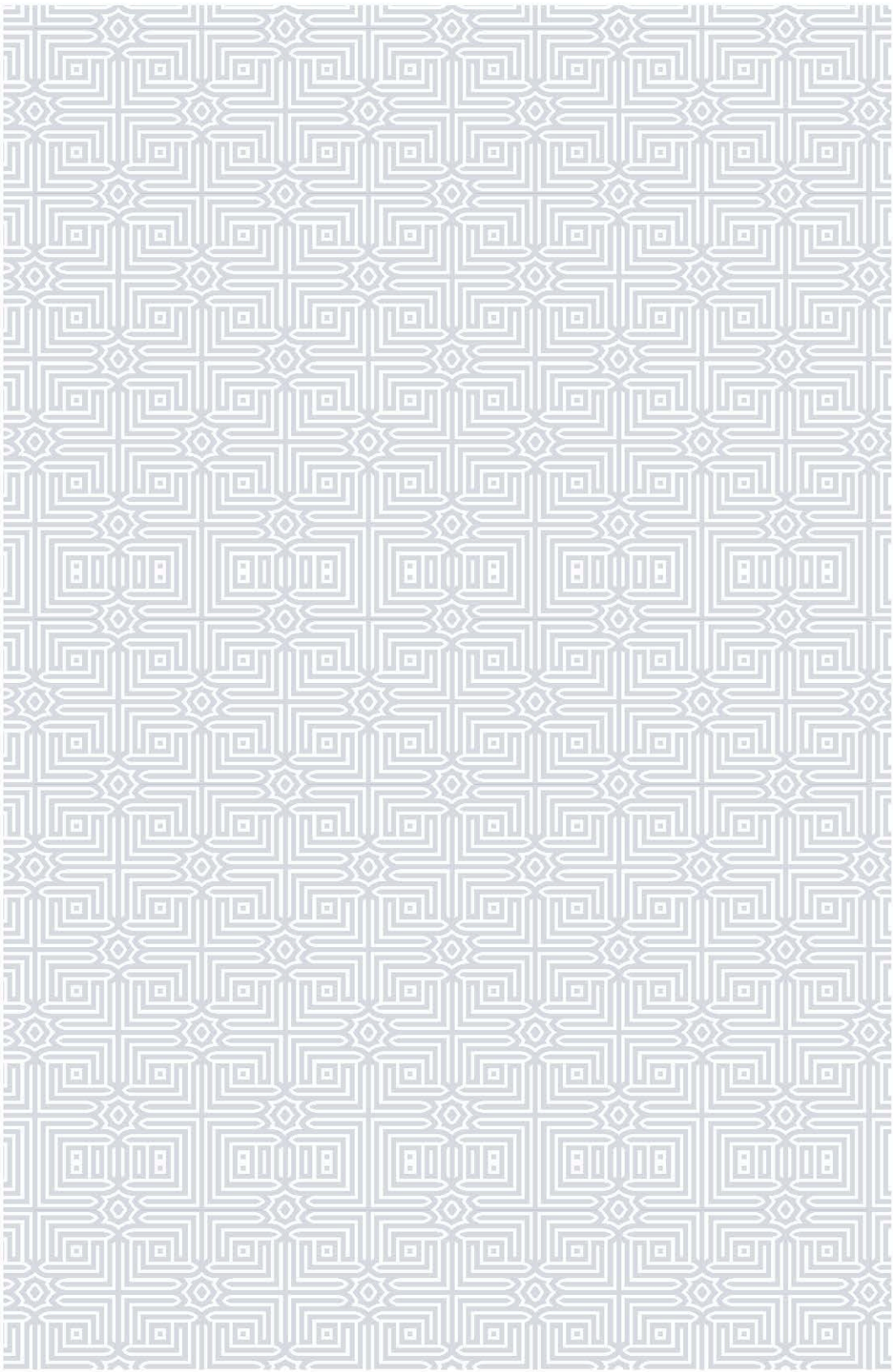
٨ـ الهجرة والانتقال بدافع تأسيس نافذة جديدة لخدمة قضية إنسانية أو وطنية.

٩ـ الهجرة والانتقال للعلاقات الدولية والدبلوماسية المعهودة والمقررة الممثلة في السفارات والقنصليات وجميع صور التمثيل الدولي والدبلوماسي.

وغير ذلك من الأسباب والصور التي تحمل الوجود الإسلامي على البقاء هنا في الغرب، وتؤكد مع الوقت كونه نسيجًا مهمًّا في مجتمعه، وجميعها يهدف إلى البقاء والعيش بصورة طبيعية كاملة.

الفصل الثاني

(الحبشة وبلاد الغرب)
الوطن الجديد



أسس الاختيار ومنطلقات التوجه

اختيار الأرض والوطن البديل اختيارٌ يحمل أُسُسًا مهمةً ومنطلقاتٍ قويةً، ينبغي الوقوف معها والنظر الدائم في اجتماعها، تحقق ذلك قديمًا في زمن النبي ﷺ وهو يؤسس لاختيار الأرض بتخطيط جيد ومعرفة كاملة منه ﷺ، ويتحقق كذلك حديثًا في الهجرات المعاصرة المتشابهة بشكل من الأشكال مع الهجرات القديمة.

ومن خلال الروايات الحديثية فإن تلك الأسس والمنطلقات تكمن في ثلاثة أمور مهمة:

١ـ طبيعة الأرض ومواصفات العيش بها.

٢ـ النظام الحاكم ومؤسسات الدولة فيها.

٣ـ المشترك الإنساني بين الوطنَيْن القديم والجديد.

(١)
طبيعة الأرض
الوطن الجديد ومواصفات العيش فيه

١ـ وطن يتوفر فيه مقدرات العيش والكسب:

إن الناظر في الهجرات القديمة والحديثة وخاصة الهجرات الجماعية ليوقن أن من أهم عوامل وأسباب اختيار الموطن والبلد التي يتوجه نحوها المهاجرون أن تكون بلادًا واسعة غنية تستطيع أن تحملهم وتستوعبهم، فيغنمون فيها رغَدًا من العيش وكسبًا حلالًا، لا أن يكونوا عبئًا عليها أو يتنقلوا فيها من ضيق الوطن القديم لضيق آخر وربما أشد، فلا تستقرُّ لهم حياة ولا ينعمون بتغيير على المستوى الدنيوي، ومعلوم أن الاستقرار المادي عامل مهمٌّ في تأمين بقية جوانب الاستقرار الديني والاجتماعي وغيرهما.

وقد جاءت الروايات الحديثية تؤكّد هذا المعنى، منها: ما أخرجه الطبري عن عُروة، عن أبيه أنّ عبد الملك بن مروان كتب إليه يسألُه عن أشياء، فكتب إليه عُروةُ: سلامٌ عليك،... الحديث وفيه: (ثُمّ ائتمرت رُءوسُهم بأن يفتنوا من اتّبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنةٌ شديدةُ الزّلزال، فافتُتن مَن افتُتن، وعصم الله من شاء منهم، فلمّا فُعل ذلك بالمُسلمين أمرهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخرُجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملكٌ صالحٌ، يُقالُ لهُ: النجاشيُّ، لا يُظلمُ أحدٌ بأرضه، وكان يُثنى عليه مع ذلك، وكانت أرضُ الحبشة

متجرًا لقُريشٍ يتّجرون فيها، ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رفاغًا من الرّزق، وأمنًا ومتجرًا حسنًا، فأمرهم بها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب إليها عامّتُهم لمّا قُهروا بمكّة، وخافوا عليهمُ الفتن...) الحديث[1].

فمن سبل التخطيط الجيد في اختيار الوطن الجديد هو استقرار حالة هذا الوطن من حيث وجود فرص العمل والتجارة والكسب، ومازال هذا الدافع مستمرًّا حتى الآن في الهجرات، وقائمًا بشكل واسع وملحوظ، ومُحرِّكًا بقوة لمن ضاقت عليه بلده وضيقت سبل الكسب والرزق والتعايش فيها للبحث عن أماكن وبلاد أكثر سعة وعيشا قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾[2]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾[3].

٢ـ وطن معهود بالمصداقية والخيرية في التعايش والتعامل:

من منطلقات الاختيار والتوجه نحو الأوطان في الهجرات قديمًا وحديثًا طبيعة هذه الأرض والبيئة من حيث مقاييس الخيرية والمصداقية في الشعوب والمؤسسات فيها، وهذا يعرف من عدة أمور:

أ ـ المعرفة المسبقة التي تنتشر بين البلدان والقبائل بالذيوع والشهرة.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (جامع البيان)، (١١/ ١٨) قال: حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، وإسناده إلى عروة إسناد صحيح وهو من مراسيله، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٠٤، قال حدثنا فاروق الخطابي، ثنا زياد بن الخليل، ثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا محمد بن فليح، ثنا موسى ابن عقبة، عن ابن شهاب الزهري، قال: (كانت الحبشة متجرًا لقريش يجدون فيها رفقا من الرزق وأمانا). وإسناده حسن إلى الزهري، وهو من مراسيله.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٥٦).

(٣) سورة الملك، الآية: (١٥).

ب ـ مخالطة بعض من أهلها مخالطة قوية يستمد منها الحكم على البيئةِ القادم إليها.

ج ـ التعامل التجاري والمالي وما يتبعه من أخلاق تدل على وجود الخيرية فيهم.

د ـ تاريخ هذه البيئة وما يترتب عليه من دلالات[1].

وسبب اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الأرض راجع إلى وجود تلك العناصر والأسباب عنده، واطلاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها؛ مما يبرهن على حسن التخطيط والاختيار، ووضع الأسس العملية بين المهاجرين في اختيار وجهتم وانتقاء الشعوب الذين سيخالطونهم، وقد وصفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الوصف كما جاء عند ابن إسحاق: قال لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لو خرجتُم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ»**[2].

وكذلك ما جاء في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما أشارت إلى طبيعة الأرض ووصفتها بالخيرية قائلة: (فنزلنا بخير دارٍ، وإلى خير جارٍ)[3].

٣ـ وطن مناخه يساعد على التكيف البيئي، والاستقرار الحياتي:

ومن أسباب اختيار الحبشة وأرض المهجر: هو المناخ الذي يساعد المهاجر على التأقلم السريع في البيئة الجديدة، ويكون من سمات هذا المناخ أنه يحمل من أوجه التشابه بينه وبين موطن المهاجر الأصلي، فالمناخ الجيد يساعد على الحركة

(١) وقد دل على هذه الأمور روايات في الحديث والسيرة النبوية.
(٢) سبق تخريجه وهو عند ابن هشام في السيرة ١/ ٣٢١.
(٣) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الدءوبة، والمشي في مناكب الأرض للكسب والرزق بشكل يساعد على الاستقرار الحياتي، ولعل هذا أيضًا كان سببًا جعل النبي ﷺ يوجه الصحابة رضي الله عنهم إلى هذه الأرض ـ مع بقية الأسباب الأخرى ـ مما يدل على المعرفة الكاملة بأصحابه وما ينفعهم، وبالبيئة التي تساعدهم على تحمل متاعب الاغتراب وألم الفراق، وتُعِينهم على الاندماج السريع والاستقرار الطبيعي ليستكملوا رسالتهم في دنياهم حركةً، وتعميرًا، وكسبًا.

قال ابن حبان رحمه الله تعالى مؤكدا على هذا المعنى: (وأشار ﷺ قبل أرض الحبشة، وكانت أرضًا دفئة ترحل إليها قريش رحلة الشتاء)[1].

٤ـ وطن تمنع طبيعته الجغرافية من وصول الأذى والاعتداء إلى المهاجرين:

من عوامل الاختيار الجيد للوطن البديل: هو أن يكون بمنأى عن أعداء الحرية وعبّاد القسوة والظلم، المتربصين بالمهاجرين، ولذلك تلعب الطبيعة الجغرافية محورًا مهمًّا في اختيار البيئة الجديدة للمغترب والمهاجر، فماذا يستفيد المسلم المظلوم والمهاجر القسري من سكن أرضٍ لا تحول بينه وبين ظالميه والمعتدين عليه؟ ولهذا كان سببًا رئيسًا في الاختيار النبوي لهذه الأرض طبيعة الحبشة الجغرافية، والتي بطبيعتها تستطيع أن تحول بين الوجود الإسلامي وأعدائه من أن يصلوا إليه، أرض يفصلها بحرٌ عن أهل الجزيرة وأرضها، ولها امتداد وتوغل برّي كبير من الناحية الأخرى يذهب إليه المهاجر إن تجاوز أعداؤهم هذا الممر المائي، وهذا مما يضاف بقوة للتخطيط الجيد الذي قام به رسول الله ﷺ.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: (لا بد من أرض تتوافر فيها الحرية، وتكون بعيدة

(١) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان، ١/ ٧٢.

عن سطوة مكة ومن فيها قريش، ولهم مكانة في القبائل، وتكون تحت سلطان حاكم فيه طيبة لا يؤذي ولا يُمَكِّن أحدًا من الإيذاء، حتى يكونوا في بُعد عن الاضطهاد واحتماله، وذلك في أرض الحبشة، فهي بعيدة عن سطوة قريش، وهى لا تدين لقريش بالاتباع كغيرها من القبائل، وفيها حاكم طيب عُرف بذلك واشتهر، فأشار النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالهجرة إليه)[1].

٥ـ وطنٌ معروف بالحماية والأمن والحرية:

ومن أهم عوامل اختيار الوطن الجديد: هو أن يكون وطنًا آمنًا تتوفر فيه عناصر الحماية والاطمئنان والحرية، وتسري فيه جملة من القوانين الحاكمة المطبقة على أرض الواقع، وكذا التدابير الوقائية المتخذة التي تضمن للجميع حياة مستقرة، وحرية مستحقة.

وهذا كان سببًا من أسباب اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحبشة؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن شهابٍ الزُّهريّ، قال: (كانت الحبشةُ متجرًا لقُريشٍ يجدون فيها رفقًا من الرّزق وأمانًا)[2].

قال الشيخ أبو زهرة متحدثًا على النجاشي وموقفه مع المهاجرين: (وتركهم في أرضه أحرارًا مطمئنين)[3].

---

(١) ينظر: خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١/ ٣٦٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء١/ ١٠٤، قال: حدثنا فاروق الخطابي، ثنا زياد بن الخليل، ثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا محمد بن فليح، ثنا موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري، قال: كانت الحبشة متجرًا لقريش يجدون فيها رفقًا من الرزق وأمانا. وإسناد حسن إلى الزهري، وهو من مراسيله.

(٣) ينظر: خاتم النبيين ١/ ٣٦٢.

ويقول الشيخ سعيد حوى: (لقد هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى قُطرٍ كافرٍ فيه عدالة وحرية يستطيعون من خلالهما أن يأمنوا وأن يقيموا شعائر الإسلام، وهذا يفتح أمامنا آفاقًا واسعة في العمل والحركة، فهناك بلدان في العالم تسمح للمسلم بأن يقيم شعائره الدينية وتُعامله كما تعامل أبناءها في الحقوق والواجبات، مثل هذه البلدان تصلح للتفكير فيها إذا ما اضطهد المسلم في بلده بل تصلح للإقامة فيها، ولا حرج إذا ما ضمن المسلم إمكانية تربية أسرته، بل قال فقهاء الشافعية: لو أن مسلمًا استطاع أن يُظهر شعائر الإسلام في دار كفر، فالأولى له البقاء؛ لأنه بذلك تصبح داره دار إسلام في أرض كفر، والمسألة تخضع في النهاية للموازنات بين المصالح والأضرار، كما تخضع للفتوى البصيرة من أهلها)[1].

٦-وطن يخدم قضايا المهاجر واللاجئ ويقف بجواره:

وقد دلت وتضافرت الروايات الحديثية على هذا الأمر في الحبشة، فما فعله النجاشي مع الصحابة رضي الله عنهم من حمايتهم وردّ المعتدين عنهم، وعدم السماح لهم، يُبرهن بقوة على أن هناك وقوفًا حقيقيًّا مع قضايَا المهاجر وحقوقه ما جعل النجاشي يتكلم باسمهم في مواطن مهمة، ويخوض الحوار بدلًا عنهم للتأكيد على الوقوف معهم بجوار قضيتهم.

قال محمد هيكل: (فليس تخشى قريش عليهم من الناحية الدينية أن يتّبعوا محمدًا ﷺ، فهل تراهم عنوا بالأمر وبعثوا يستردون المسلمين لأنهم رأوا

(١) ينظر: الأساس في السنة النبوية السيرة النبوية ١/ ٢٥٥، وقال مؤلفو صحيح الأثر: فسبب الهجرة إلى الحبشة هو: الفرار بالدين، ووجود الأمان والعدل في مملكة الحبشة ذلك الزمان. ينظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، ص١١٤.

أن حماية النجاشي إيّاهم بعد سماعه أقوالهم قد تكون ذات أثر في إقبال أهل جزيرة العرب على دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباعهم إياه؟ أم هم خافوا إن بقي هؤلاء في الحبشة، أن تشتد شوكتهم، فإذا عادوا بعد ذلك لمعونة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عادوا أقوياء بالمال والرجال)[1].

ويقول الدكتور أكرم ضياء العمري: (إن مبادرة قريش لإرسال وفد لاستعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة تدل على إدراكها لخطورة الموقف إذا ما حصل المسلمون على مأوى لهم يأمنون فيه، والحبشة نصرانية، وملكها عُرف بالعدل، وهي قريبة من مكة، وكل ذلك يشكل خطرًا على قريش في المستقبل)[2].

٧ـ وطن معهودُ نظامه معروف طبيعة شعبه:

فهذا أمر لا بد أن يكون واضحًا حين التوجه وعند الاختيار بين البقاع، فالأوطان لا بد أن تكون معروفة بنظامها، معهودة طبيعة شعبها، هل هم أهل ودٍّ وألفة؟ أم أهل نفرة وقسوة؟ هل تحضر فيهم معالم الإنسانية وجمال الفطرة؟ أم تغيب ولا تقرب منهم مكانًا وأعيانًا؟

كل هذا يجعل المنطلق إليهم أكبر، وعوامل التحفيز أشد، والاندماج معهم أسرع، والتعايش بينهم منسجم، وقد جاء ما يدل على معرفتهم بها، كما قال ابن شهاب الزُّهريّ: (كانت الحبشةُ متجرًا لقُريشٍ يجدون فيها رفقًا من الرّزق وأمانًا)[3].

---

(١) ينظر: حياة محمد، ص١٠٨.

(٢) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ١/ ١٧٤.

(٣) سبق تخريجه وهو في حلية الأولياء ١/ ١٠٤.

قال الدكتور سليمان العودة: (كانت قريش على صلة بالحبشة؛ فمعها علاقات تجارية؛ إذ من المعلوم أن التجارة عماد اقتصاد القرشيين والحبشة من مراكز التجارة في الجزيرة، وكان لهم رحلتان في الشتاء والصيف، وحين يفكر المسلمون في الهجرة خارج بلادهم يجدون في الحبشة ما يخفف قليلًا من آلام الغربة ووحشة المهجر الجديد، فربما عرفها بعضهم لذهابه في تجارة إليها أو ذكرها لهم من ذهب إليها قبلهم)[1].

٨. وطن يقدر القدوات والمتخصصين:

فقد كان النجاشي بقيادته الفذة وفهمه العميق وإعلانه بحظوة أهل التخصص على الملأ مثالًا في احترام المتخصصين من شعبه المتبحرين في تخصصهم، ودرسًا لقادة دول كثيرة حديثة لم تفهم ما فهمه ولم تقم بفعله، دلت بعض الروايات على هذا ففي بعض طرق حديث جعفر بن أبي طالب السابق: (فأرسل إلينا فكانت الدّعوةُ الثّانيةُ أشدّ علينا من الأولى، قال ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قُلنا يقول: هو روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى عذراء بتولٍ، قال: فأرسل فقال: ادعوا لي فلانا القس، وفلان الرّاهب. فأتاه ناسٌ منهم فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمُنا، فما تقولُ...) الحديث[2].

---

(١) ينظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص٤٤.

(٢) هذه الرواية أخرجها الطبراني في الكبير (٢/ ١١٠)، حديث رقم: (١٤٧٨) والطبراني في الأحاديث الطوال (١/ ٢٢٠)، حديث رقم: (١٤) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم الديباجي التستري، ثنا محمد بن آدم المصيصي، (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، وعبد الرحمن بن سلم الرازي، قالا: ثنا أبو كريب، قالا: ثنا أسد بن عمرو الكوفي، ثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، وأخرجها أبو طاهر المخلص في المخلصيات (٣/ ٥٣)، حديث رقم: (١٩٨٤)، وفي إسناد هذه الرواية =

ففي استدعاء النجاشي علماء الدين في دولته من القساوسة والرهبان ما يؤكد على احترامه للتخصص وأهله، وترك المجال لهم فيما يتعلق بعلومهم في الأحداث الجارية على ساحتهم، وهذه من أهم أسس وعوامل الاختيار لبلد المهجر؛ أن تكون القيادة فيه مقدِّرة للقدوات عندها من أهل العلم والتخصص، تستحضرهم وتشاورهم إذا دعت الظروف والأحداث إلى ما يتعلق بمجال تخصصهم، وتقويهم في مواطنهم استثمارًا لإنتاجهم العلمي، وتوفر لهم الإمكانات التي تساعدهم على العكوف على إنتاجهم ودراستهم وإبداعهم[1]، تمامًا كما تفعل دول الغرب اليوم مع أهل التخصص والعلماء؛ ما جعل هذا السبب من أهم أسباب الهجرة الحديثة، وعاملًا من عوامل جذب العلماء وتقوية أهم أنواع الاستثمار الحقيقي: الاستثمار البشري وتنمية موارده.

= مجالد بن سعيد، وهو وإن كان ضعيفًا إلا أن روايته عن الشعبي معظمها رواية صالحة، كما قال ابن عدي: (ومجالد له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة، وعن غير جابر من الصحابة أحاديث صالحة). ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٨/ ١٦٩، وقد سبق تخريج الحديث في الفصل الأول، حديث جعفر، وهو بمجموع طرقه حسن، وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية في السيرة النبوية، وعقب بتحسين الحافظ ابن عساكر لها كأنه ارتضاه، والله أعلم. ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ١٧.

(١) يشهد لما ذكرت ويشبه فعل النجاشي ما قامت به بلقيس في مملكة سبأ؛ حيث أبرزت هذا النهج والتعامل قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [سورة النمل، الآية: ٣٢].

قلت: ومملكة سبأ قريبة من أرض الحبشة، فلعل ما كان يميز تلك البقاع ورفع أمرها بين الناس ميزة الاحترام لأهل التخصص والقدوات فيها.

(٢)
الحاكم ومؤسسات الدولة
(معالم وسمات)

هناك معالم وسمات لا بد أن تتوافر في الأرض الجديدة، وهي التي تجعل بوصْلة المهاجرة تُشير إليها عند الشروع في الهجرة أو اللجوء، وكلما جمع هذا الوطن بمؤسساته الرسمية والمستقلة هذه المعالم كان قبلة للوافد الجديد عن غيره، وملاذًا حقيقيًّا لمن خرج لاجئًا أو مهاجرًا، وفي النقاط التالية أُجلي أهم تلك المعالم والصفات التي كانت علامةً في حاكم بلد المهجر الأول التي انطلق إليها المهاجرون الأول واختارها القائد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميَّزها عن غيرها.

١ـ عدل الحاكم ومؤسسته:

أهم علامات اختيار قبلة البلاد المهاجَر إليها؛ عدالة المؤسسة وعدل حاكمها، وكلما اشتهرت الدولة بمؤسساتها وشعبها بهذا العدل القائم فيها، كانت الفوارق لها والأوسمة منصوبة لأرضها، فإن السبب الرئيس الذي يخرج المهاجِر من أجله هو انعدام العدل في وطنه؛ واستبداله بألوان الظلم والجور، ولعل هذا هو الركيزة الأساسية التي انطلق منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرشدًا وموجِّهًا أصحابَه الأطهار في التوجيه نحو هذه الديار؛ ديار الحبشة.

فقد جاءت الرواية في خطاب جعفر مع النجاشي لتؤكد ذلك وتوضح معْلمًا

من معالم الاختيار النبوي ـ إن لم يكن المعلم الأول ـ قال: (أمرنا نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نخرُج إلى بلادك اختيارًا لك على من سواك لتمنعهم من الظُّلم)[1].

ولنقف على دلالة الكلمات وما تحمله من معانٍ تكمن خلف هذه السطور، فالعدل له صورتان:

الصورة الأولى: أن يعلو العدل في مؤسسات الدولة ويشتهر به حاكمها، وقاضيها، وهو ما يُعرف في زماننا بعدالة السلطة القضائية، لكن مناط تطبيق هذا العدل وتحقيقه يكمن فيما يُرفع إليها من قضايَا وما يصل إليها من أمور وأحداث، فكيف إذا لم تصل هذه الأمور والقضايا إلى سَدَنَة المؤسسة العادلة ومنصاتها؟ أو حال بينها وبين الوصول إلى عدلها حائل؟

عند ذلك تأتي الصورة الثانية: وهي أن ينزل العدل إلى الأرض (بسلطتيه الرقابية والتنفيذية)، فيراقب الحركة الحياتية للأفراد على الأرض مراقبة العادل الذي يرفع يد الظالم وأتباعه عن العباد والمواطنين، لا فرق في هذا بين مواطن أصلي أو مهاجِر استوطن الأرض وأقام فيها، ولهذا العدل الذي انتشر في بلاد السلطان وعلى أرض الناس دلالات نطقت بها الروايات:

من أهمها: التحري الشديد عند السماع لدعوى من طرفٍ دون آخر، فلا تتعجّل الدولة الممثلة في قائدها بالحكم المسبق والنافذ على الآخَر المدَّعَى عليه؛ حتى وإن كانت الدعْوى من قوم يحبهم، وتجمعه بهم تجارات وأسفار، أو أتحفوه بهدايا سيقت من بلادهم تتعلق بها الجنان وتعجب لها الأركان، ليقف جميع ذلك عند حدود العدل والانصاف، فإن تفعيل عدله لا مجاملة فيه، ولا يحابي فيه أحدًا، كما قال

(١) حديث أم سلمة، وهو حديث حسن، وتفصيل تخريجه في الملحقات نهاية الكتاب

النجاشي لمؤسسته وحاشيته: (قال: لا هيمُ الله، إذا لا أُسلمُهم إليهما، ولا أُكادُ قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فاسألهم...)[1].

٢ـ احترام القانون:

من المزايا التي ربما تتعلق بالنقطة السابقة هي قضية احترام القانون وقداسته؛ حتى وإن كان من الحاكم ودولته على غير رعيته وحاشيته؛ الجميع تحت سماء القانون يعمل ويُحترم ويُقاد؛ لا يجور أحدٌ على أحدٍ لقوَّته بينهم، ولا يَستعلي قومٌ على غيرهم لامتناعهم منه أو تأمينهم من سريان القانون عليهم، وفي قول النبي ﷺ العام دون تخصيص دليلٌ على تعميم ذلك على الجميع؛ قال: «**إنّ بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ فالحقوا ببلاده**» أي لا يظلم عنده أحد كائنًا من كان، حتى وإن كان بعيدًا عنهم أرضًا ولونًا وعقيدةً ولغةً وأعرافًا، فلغة القانون سائدة وأحكامه سائرة على الجميع.

٣ـ المصداقية:

لا بد أن تكون المصداقية علامةً بارزةً في مؤسسات الدولة وخاصةً حاكمها ومتصدر العهدة فيها، فبالصدق يطمئن المهاجر إلى القرار، وينعم بالاستقرار، ولولا الصدق لكان الزيف والوعود الكاذبة لاحقة بكل مهاجر، وطاردة لكل مغترب، ويجب التنبيه إلى أن مقصود الصدق هنا: ما يتعلق بالوعود للرعية وتسييس الدولة والدعوى الانتخابية التي يتمكّن من خلالها الحاكم من اعتلاء منصبه وتسير مجريات بلاده، دلت الرواية على ذلك في النجاشي عندما وصفته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: (فقالوا نُعطيه ماله فذاك أولُ ما عُرف من صدقه).

---

(١) المرجع السابق.

٤ـ الصلابة في الحكم:

وتأتي الصلابة في الحكم لأنها الأساس في تسير الأمور والناجعة في الحكم الرشيد، فبدون القوة لا يستطيع الحاكم السيطرة على البلاد وتسييس العباد، ولا يقصد هنا بالقوة استخدامها لترويع الآمنين، أو لإجبار المواطنين على ما يخالف الحريات والعقائد، إنما يقصد بها القوة التي تُرهب المعتدي وتحفظ القانون وتقوي تفعليه، وتخلف من ورائها عودة الحقوق إلى أهلها، وتأخذ بطبيعتها على يد من تجرَّأ أو تجبَّر؛ قالت أم المؤمنين أم سلمة واصفة إياه: (وعدله وصلابته في الحُكم).

٥ـ الثبات في الحكم والمبادئ، وعدم التقلب في السياسة:

من مراكز القوة في مؤسسات البلد المضيف وقائدها: الثبات وعدم التقلب والتلون وخاصة فيما يُعرف بالبنود الأساسية الدستورية للدولة التي لا تنازل عنها ولا مجال لتغييرها، وأعظمها استقرارُ سياسةِ الحكم وثبات المبادئ العامة، وعدم وجود التقلبات السياسية الذي يخضع اللاجئ أو المهاجِر أو الأجنبي إلى كونه مطية ولعبة تستخدمها الأحزاب والمؤسسات كسبًا وتفعيلًا في الأصوات الانتخابية والمكاسب البرلمانية والدولية، فالأصل أن تكون الدولة سياستها واحدة لا تتبدل، كما أن سيادتها غالبة لا تقهر، فهذا ما أظهرتْه أمُّ المؤمنين أم سلمة في ذكر مآثر العهدة النجاشية في الدولة الحبشية؛ الاستمرار في التعامل وعدم وقوع الظلم والجور مع قدم البقاء في أرضهم، ما دفعها لمقولة نقلتها عن مجموع إخوانها: (فكُنّا عنده في خير منزلٍ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكّة)، وقالت في رواية أخرى: (ولم نخش منه ظُلمًا).

٦ـ الصلاح الإنساني والعمراني:

الصلاح الإنساني والمجتمعي مؤذِن بالعمران وبقاء النعم، كما أن الفساد

بنوعيه مؤذن بالخراب والفقر وندرة المؤن، والصلاح الإنساني هو الفطرة السليمة التي أوجدها الله عَزَّوَجَلَّ في العباد وإقامة دلائله في النفس والأرض من (التمسك بتعاليم دينه السماوي ـ وتقديم النفع للغير ـ وإيثار الخير ـ وتعمير الأرض ـ وتعميم التراحم ـ ووجود الأمانة ـ والتخلق بالأخلاق النبيلة... إلخ).

كل هذا تكلم عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصفًا النجاشي رأس السلطة به قبل أن ينطلق المهاجر إليه، فالصلاح البشري عند الحاكم والمؤسسة لا يدع للمهاجر معه إلا أن يتفاعل معه تفاعلًا محمودًا، ويندمج اندماجًا حقيقيًّا لاتحاد الفطرة التي اجتمعوا عليها، وانطلقوا جميعًا من مِشْكَاتِها، فقد جاء في الرواية: (وكان بالحبشة ملكٌ صالحٌ، يُقالُ لهُ: النجاشيُّ، لا يُظلمُ أحدٌ بأرضه)[1]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصفًا صلاحه الذي ازداد بإسلامه وتعمّق في قلبه باتباع الهدي النبوي: «**مات اليوم رجُلُ صالحُ**»[2].

٧ـ الإنسانية:

وأعظم مُرغِّب في الدولة ومؤسساتها وحاكمها قضية (الإنسانية) عندهم وتعني: تكريم الإنسان بينهم وإعطاؤه كامل حقوقه كإنسان دون تمييز، فهذه التي

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (جامع البيان)، (١١/ ١٨) قال: حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، وإسناده إلى عروة إسناد صحيح، وهو من مراسيله، وقال: محمد بن طاهر البرزنجي محقق تاريخ الطبري: (إسناده مرسل وهو صحيح بشواهده كما سيأتي، وهذه هي الهجرة الأولى وهي ثابتة في السيرة وقد بوب لها البخاري في صحيحه). ينظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري ٢/ ٢٦، والحديث في الموسوعة في صحيح السيرة النبوية ١/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب: مناقب النصار)، (باب: موت النجاشي)، (٥/ ٥١)، حديث رقم: (٣٨٧٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يبحث عنها المهاجرون ليلًا ونهارًا عندما يفتقدون معالمها على أرضهم وأوطانهم، فلا تعرف لغة التكريم إلا لطائفة قليلة منهم اشتروا تكريمهم بلغات معهودة معروفة، أما الوطن الحقيقي هو الذي يكرم الإنسان أيا كان نوعه وبلده ولونه ومعتقده، فتجد كثيرًا من دول المهجر حققت قول الله فيها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]، فكانت ملاذًا ومستقرًّا للناس، وهذا التكريم لا غنى عنه لإنسان حرٍّ يرى الآدمية مصانة، والتكريم حاصلًا على أرضه، متمثلًا في واقعه، منصفًا عند الاحتكام إليه في موطن الاختلاف.

ولقد تجلت معالم الإنسانية في كل المواقف التي نقلتْها لنا الروايات الحديثية بين النجاشي والصحابة المهاجرين من احترام لهم، والسماع منهم، والوقوف معهم، ونصرة قضيتهم، وتأمين معاشهم، وتفعيل قوانين في صالحهم، واحترام عقيدتهم، وغير ذلك؛ كل ذلك معهود معروف، يقول الأستاذ الندوي وهو يسجل هذه الإنسانية في وصفه للحبشة وصاحبها: (بلدٌ امتاز عن كثيرٍ من البلاد النّصرانيّة بالتّسامُح وإيواء المُضطهدين، وعُرف حاكمُه بالعدل والإنسانيّة)[2].

٨ـ النزاهة والترفع عن الأعراض الدنيوية:

من أهم ما يمتاز به الحاكم والمؤسسة في بلاد المهجر: النزاهة والترفّع عما في أيـدي الناس، فلا وجـود لأرض الطمع، واستغلال مساحات النفوذ، وتغيير السياسات بناء على المكاسب الدنيوية، فالحاكم لا يصلح إذا كان يقبل الرشوة، أو الاستحواذ، أو يظفر لنفسه وحاشيته بالثروات، كل هذا دليل على عدم الوثوق به، مُظْهِر لحقيقته، ومرجِّح لعدم الهجرة إلى أرضه.

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧٠).
(٢) ينظر: السيرة النبوية، ص١٣٥.

ومن أجمل ما امتاز به النجاشي: أنه كان نزيهًا مترفعًا عن حطام الدنيا، وعوامل الإغراء لتغيير السياسات وإصدار الأحكام، ما منعه أن يطمع فيه الطامعون، أو أن يشتري ذمته الراشون، ودلالة ذلك ما جاءت به الروايات، فقد أمر بردّ الهدايا التي لم تكن النية فيها خالصةً سليمةً، والغاية من ورائها ليس تكريمًا دبلوماسيًّا ولا محبة لشخصه ـ إن جاز التعبير ـ بل رشوة ينالون من ورائها ما طمحوا إليه، ورغبوا فيه، ففي الحديث: (وأمر بهديّة الآخرين فرُدّت إليهما)[1]. وفي رواية أنه قال: (فوالله ما أخذ الله منّي الرّشوة حين ردّ عليّ مُلكي، فآخُذ الرّشوة فيه وما أطاع النّاس فيّ، فأطيعهم فيه)[2]. وفي أخرى: (رُدّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها...)[3].

٩ـ مواصفات أخرى للحاكم والمؤسسة:

استنبط العلماء وأهل السير من الروايات مواصفات أخرى للحاكم المتميز بخلاف ما سبق جديرة بذكرها، والتنبيه عليها، وهي دليل على رفعة صاحبها النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فمن ذلك:

أ ـ الذكاء والعلم: كما وصفه به ابن كثير رحمه الله تعالى في جملة من الأوصاف قائلا: (وكان عبدًا صالحًا لبيبًا ذكيًّا، وكان عادلًا عالمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاهُ)[4].

ب ـ الطيبة والكرم: قال الشيخ أبو زهرة: (فوجدوا حاكمًا طيبًا، أكرم مثواهم، وتركهم في أرضه أحرارًا مطمئنين)[5].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود، وهو حديث حسن، وسيأتي تخريجه كاملًا في الملحقات في نهاية الكتاب.

(٢) حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو حديث حسن.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ٢٩.

(٥) ينظر: خاتم النبيين ١/ ٣٦٢.

ت ـ الرشد والعقل وسلامة الاعتقاد في دينه: قال الشّيخُ مُحمّد الغزالي رحمه الله تعالى: (الظّاهرُ أنّ هذا النجاشيّ كان رجُلًا راشدًا نظيف العقل، حسن المعرفة لله، سليم الاعتقاد في عيسى عبد الله ورسوله عليه السّلامُ)[1].

ث ـ مرونة الفكر: قال الشيخ الغزالي: (وكانت مُرونةُ فكره سرّ المُعاملة الجميلة التي وفّرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته، فارّين بدينهم من الفتن)[2].

ج ـ المعرفة باللغة العربية: فلقد كان النجاشي على دراية بها ومتكلم بلسانها، كما ذكر ذلك أهل السير كالسهيلي معقبًا على حدث تولي النجاشي الحبشة، وذكر ما كان في بدايته في الصغر من الرعي في الجزيرة العربية، وخاصة في مكان غزوة بدر لسيد له من بني ضمرة: (كُنت أرعى فيه الغنم على سيّدي، وهو من بني ضمرة، وأنّ الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينهُ، فدل هذا الخبرُ على طول مُكثه في بلاد العرب، فمن هُنا ـ والله أعلمُ ـ تعلمُ من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تُليت عليه حتى بكى، وأخضل لحيتهُ)[3].

وبالطبع فمعرفته باللغة العربية فيه من الأهمية العظيمة المتعلقة بمعرفة معدن أصحابها، وشيمهم الأخلاقية، وإدراك كثير من ثقافتهم، كما أنه مهم في التواصل المباشر مع الوجود الإسلامي والمهاجرين؛ وهذا يوفر كثيرًا من الجُهد والوقت في فهمهم والتعرف عليهم، وهو باب عظيم لسدّ ثغرات وشبهات توقعُها الترجمات والمترجمون، كما أنه مهمٌّ جدًّا في التأثير والتأثر بقضايا الوجود الإسلامي.

---

(١) ينظر: فقه السيرة، للغزالي، ص ١١٤.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ينظر: الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ٣/ ١٥٧.

ح ـ قد سطر فيه أبو طالب جملة من المفاخر والصفات: (كالمجد والكرم والجود والحماية، وغير ذلك) قال ابن إسحاق: (فقال أبو طالبٍ ـ حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ـ رسولا قريش ـ أبياتًا للنّجاشيّ يحُضّه على حسن جوارهم، والدّفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النّأي[1] جعفرٌ ... وعمـرٌو وأعـداءُ العـدو الأقاربُ
وهل نالـت فعالُ النجاشـيّ جعفرًا ... وأصحابـه أو عاق ذلك شـاغبُ[2]
تعلـم ـ أبيت اللعـن ـ أنّـك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يشـقى لديك المُجانبُ[3]
تعلـم بـأنّ اللـه زادك بسـطةً ... وأسـباب خيـرٍ كُلها بـك لازبُ[4]
وأنّـك فيـضٌ ذو سـجالٍ[5] غزيرةٍ ... ينالُ الأعـادي نفعهـا والأقارب[6]

قلت: وهذه المواصفات التي أشار إليها السادة العلماء من الأهمية العظيمة؛ حيث تبين في جلاء واضح كم هي مواصفات الحكم الرشيد؟ والحاكم المستحق لاعتلاء منصبه؟

والناظر في تلك الصفات السابقة جميعها يتجلى له بقوةٍ المفارقات الكبيرة بين الحاكم ومؤسساته بين الأمس واليوم، مع ما ينبغي أن يكون حاضرًا في

(١) النأي: أي البعد.
(٢) عاق: منع. وشاغب: من الشغب، ويروى: شاعب (بالعين المهملة). والشاعب: المفرق.
(٣) أبيت اللعن: هي تحية كانوا يحيون بها الملوك في الجاهلية، ومعناه: أبيت أن تأتى ما تذم عليه، وقيل معناه: أبيت أن تذم من يقصدك. والمجانب: الداخل في حمى الإنسان المنضوى إلى جانبه.
(٤) لازب: لاصق.
(٥) الفيض: الجواد. والسجال: العطايا، واحدها: سجل، وأصل السجل: الدلو المملوءة، ثم يستعار للعطية، ينظر: شرح الأبيات في سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٤.
(٦) ينظر: سيرة ابن إسحاق، ص٢٢١.

الصورة الذهنية من مقومات الحكم الرشيد في زماننا، والتي كانت غير حاضرة أيام النجاشي، من تنوع علمي، وكثرة متخصصين، وسهولة الاتصالات، وتعدد للخبرات، وتكنولوجيا حديثة، وطفرة عمرانية، وثروات طبيعية، وغير ذلك، من مقومات العيش الرغيد والحكم العادل، ومع ذلك فالمقارنة تركن إلى كفة النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع انعدام هذه المقومات الحياتية والعمرانية في زمنه، فكيف لو أصبحت الشعوب على مثل هذه الصفات في الحاكم مع هذه المقومات المعاصرة؟!



(٣)
المشترك الإنساني
بين الوطنَيْن القديم والجديد

الأساس الثالث من أسس الاختيار ومنطلقات التوجه نحو البلد الجديد عند المهاجر واللاجئ: هو مدى أوجه الشبه بين الوطن الذي خرج منه والوطن الذي يقدم عليه، وليس شرطًا أن يبحث المهاجر عن التشابه بينهما كلية للانتقال إليه، بل ربما دفعتُه مفاسد وطنه ومجتمعه إلى أن يبحث عن أوجه الاختلاف وتكون هي الفاصلة في الاختيار كلما كثرت، لكن هناك مشتركات لا يختلف عليها أحد في أن وجودها ترجّح كفة الوطن الجديد وقبلته وخاصة عند المهاجر المسلم.

ومن خلال الهجرة إلى الحبشة وروايات الحديث الشريف التي تحضرنا في هذا المبحث يتجلى لنا: لماذا اختار النبي ﷺ هذه الأرض؟ مع ما مرّ من أسس ومقومات أجليها في النقاط التالية:

١ـ وجود الروابط والمشتركات الدينية:

لا شك أن من أسس اختيار الوطن الجديد؛ وجود الروابط والمشتركات الدينية والتي تسمح للمسلم أن يعيش بسلام في وجودها، فالبيئة التي لها رسالة سماوية وكتاب مقدس تختلف تمامًا عن غيرها ممن لا تعترف بالله ولا بوجوده، وبالطبع لا تؤمن برسله وأنبيائه، الأمر الذي يدلل على أهمية أن يجاور المسلم شعوبًا تؤمن

بالله تعالى وتؤمن برسله، وتعرف أن هناك توجيهات سماوية يجب الالتزام بها، فيصبح الحوار والتعايش معهم له ضوابط معلومة، وانطلاقات مشتركة، وأرضية فكرية واحدة، بخلاف غيرهم، فالأمر شديد، والتعايش بعيد، والاختلاف أكثر من الاتفاق، والأحقاد حاضرة ومشجعة على العداوة والإنقاض، وتأكيد ذلك في جملة من الأحاديث التي تدل على أن القرب والموافقة لأهل الكتاب كان أحب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غيرهم؛ منها: ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبُّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يُؤمر فيه، وكان أهلُ الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المُشركون يفرُقون رُءوسهم، فسدل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناصيتهُ، ثم فرق بعدُ)[1].

يقول عماد الدين خليل في ضوء الحديث عن الهجرة إلى الحبشة: (فالمسلمون بهذا يكسبون حليفًا قويًّا تجمع بينهم وبينه الرابطة الدينية، والمشركون يقع في نفوسهم شيءٌ من الخوف والتوجّس والجنوح إلى الارعواء بسبب توثق الصلة بين المسلمين وهذا الحليف القوي)[2].

ويؤكد الدكتور مصطفى السباعي أهمية وجود المشترك الديني في بلاد المهجر، فيقول: (إن في أمر الرسول أصحابه أولًا وثانيًا بالهجرة إلى الحبشة، ما يدل على أن رابطة الدين بين المتدينين ولو اختلفت دياناتهم هي أقوى وأوثق من رابطتهم مع الوثنيين والملحدين، فالديانات السماوية في مصدرها وأصولها الصحيحة متفقة في الأهداف الاجتماعية الكبرى، كما هي متفقة في الإيمان بالله ورسله واليوم

(١) ينظر: البخاري (كتاب: المناقب)، (باب: صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (٤/ ١٨٩)، حديث رقم: (٣٥٥٨)، ومسلم في (كتاب: الفضائل)، (باب: في سدل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعره)، (٤/ ١٨١٧)، حديث رقم: (٢٣٣٦).

(٢) دراسة في السيرة، ص٦٥.

الآخر، وهذا ما يجعل وشائج [روابط] القربى بينها أوثق من أية وشيجة من قرابة أو دم أو موطن مع الإلحاد والوثنية والكفر بشرائع الله)[1].

٢ـ رقة قلوبهم، وسلامة فطرتهم:

المشترك الثاني الدافع إلى الاختيار، وهو أحد أوجه الشبه القوية بين المسلمين المهاجرين وبلد المهجر من أبناء أهل الكتاب رقة القلب وسلامة الفطرة، فصاحب القلب الرقيق والفطرة السليمة ـ غير المنكوسة ـ يستطيع أن يقبل الآخر ويتفاعل معه، ويتعايش مع قضاياه بالعاطفة والوجدان والمشاعر التي تنمّ على وجود بذرة الخير في قلبه، واستعداد إنسانيته وفطرته للمعايشة مع ضيفه، وهذا بالطبع بخلاف غيرهم من القساة الغلاة، وقد جاءت الروايات التي تدل على هذا المشترك والشبه بين الوطنيين والشعبين وهو كما يلي:

أ ـ التأثر القلبي عند سماع كلام الله تعالى:

سجل القرآن الكريم هذا التأثر منهم عند سماعهم كلام الله تعالى، وأوضح بذلك وجهًا من أوجه الشبه والمشترك الموجود بين المسلمين والنصارى، والذي يصب في وجهة المهاجر لاختيار الأرض التي ينتقل إليها؛ وهذه الآيات نزلت في أهل الحبشة كما قال الواحدي في أسباب النزول وهي آية سورة المائدة[2]، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ

(١) ينظر: السيرة النبوية، لمصطفى السباعي، ص٥٠. ومثله عند عماد الدين خليل. ينظر: دراسة في السيرة، ص٦٥.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي، (ص٤٠٢) وتفسير ابن كثير٣/ ١٦٦. وأخرجه ابن جرير (٧/ ٤) وعبد بن حمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه. فتح القدير ٢/ ٦٩ عن سعيد بن جبير به، وهو مرسل صحيح الإسناد إليه.

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وجاءت رواية أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تنقل أجواء اللقاء بين المسلمين والنجاشي ومؤسسته، عندما طلب النجاشي أن يسمع شيئًا من كلام الله تعالى (القرآن الكريم) الذي نزل على قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فافتتح جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صدر سورة مريم وبدأ في القراءة والاسترسال لعظيم الآيات وما تحمله من رسائل ودلالات؛ فخشعت قلوبهم، وفاضت أعينهم، ونطقت ألسنتهم بالحق، قالت أم سلمة: (فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيتهُ، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشيُّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرُجُ من مشكاةٍ واحدة...) الحديث[2].

وقد جاءت رواية أخرى تشهد لتأكيد هذا المشترك العظيم وبيان طبيعة القلوب وكيفية تعاملها مع القرآن الكريم عند الإمام البيهقي عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (تلا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[3]، فقال: «**أوقد عليها ألفُ عامٍ حتى احمرّت، وألفُ عامٍ حتى ابيضّت، وألفُ عامٍ حتى اسودّت، فهي سوداءُ مُظلمةٌ لا يُطفا لهبُها**». قال: وبين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلٌ أسودُ يهتفُ بالبُكاء، فنزل عليه جبريلُ عليه السّلامُ فقال: يا مُحمّدُ، من هذا الباكي

(١) سورة المائدة، الآيتان: (٨٢- ٨٣).

(٢) حديث أم سلمة عند أحمد، وهو حديث حسن سيأتي تخريجه في الملحقات في نهاية الكتاب.

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٤).

بين يديك؟ قال: «رجُلٌ من الحبشة»، وأثنى عليه معروفًا، قال: فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «وعزّتي وجلالي، لا تبكي عينُ عبدٍ في الدُّنيا من مخافتي إلا أكثرتُ ضحكها معي في الجنّة»[1].

فما مر يؤكد الطبيعة البشرية التي تميز بها المجتمع الحبشي من رقة القلب، والتأثر بالحق، وسلامة الفطرة، وغير ذلك من خصال الخير والجمال في المشترك الإنساني الذي ينم على ما في هذه الأرض من خير يسكن أفئدة معظم الناس، وأن جمال البشر بما يحملون في قلوبهم من خير ونور، لا بما يبرق من ظواهرهم وأجسادهم، وهذا مجتمع يستطيع أن يتعايش فيه المسلمون بسلاسة وأريحية كاملة لما يحملون جميعًا من مشتركات تدعو إلى الاندماج والتعايش المحمود، والتعرف على أنوار الحق والهداية والتأثر بهما.

ب ـ الايمان بالله وبالغيب والتحاكم إليه:

المشترك الثاني الدال على سلامة الفطرة ورقة القلب: الإيمان بالله وبالغيب، والذي يسكن في البلاد الغربية والأوروبية يدرك أن غياب الإيمان بالغيبيات عند بعض الأفراد يُصعّب أحيانًا منطلق التعامل والتحاور معه في قضية من القضايا التي لها ارتباط بالقدر أو الغيب، وأن منطلقات حركته الإنسانية مبنية على أساس مادي

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (باب: ما جاء في شدة حر جهنم)، (ص٢٨٧)، حديث رقم: (٥٠٦) قال أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأ أحمد بن عبيد الصفار، ثنا الكديمي، ثنا سهل بن حماد، ثنا المبارك بن فضالة، ثنا ثابت البناني، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رجاله ثقات إلا الكديمي، ولأوله شاهد. ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٦/ ٢٧٤٣.

قلت: إسناده ضعيف فيه محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي بالتصغير أبو العباس السامي بالمهملة البصري، ضعيف ينظر: تقريب التهذيب، ص٥١٥.

بحت، فهو يبني جميع تفاعلاته على مشترك النفعية، والتحصيل الدنيوي فقط، ويعترض أحيانًا على فكرة الابتلاء ويثور عليها، لكن عندما تجد بين يديك قومًا يؤمنون بالله وبالغيب، ويعلمون أن هناك اجتماعًا أخرويًّا، وأن هناك قَدَرًا، فهذا قاسمٌ مشترك مهم ينبغي أن نتيقظ له وأن نعي أن وجوده مهم لبيئة المسلم انطلاقًا لسلامته أولًا في بيئته، وتعريفًا بإسلامه ثانيًا بين قوم يؤمنون بالله وباليوم الآخر والغيبيات.

وقد جاءت رواية الحبشة لتبين إيمان أفراده بالله وباليوم الآخر إيمانًا يترتب عليه أعمالًا ومواقف يوم القيامة.

أخرج ابن ماجه في سننه عن جابرٍ، قال: (لمّا رجعت إلى رسول الله ﷺ مُهاجرةُ البحر، قال: **«ألا تُحدّثوني بأعاجيب ما رأيتُم بأرض الحبشة؟»**. قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحنُ جُلوسٌ مرّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحملُ على رأسها قُلّةً من ماءٍ، فمرّت بفتًى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرّت على رُكبتيها، فانكسرت قُلّتُها، فلمّا ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلمُ يا غُدرُ إذا وضع الله الكُرسيّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجُلُ، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلمُ كيف أمري وأمرُك عنده غدًا، قال: يقول رسولُ الله ﷺ: **«صدقت، صدقت كيف يُقدّسُ الله أُمّةً لا يُؤخذُ لضعيفهم من شديدهم؟»**..)[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب: الفتن)، (باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، (٢/ ١٣٢٩)، حديث رقم: (٤٠١٠) قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر، وأخرجه أبو يعلى (مسند جابر)، (٤/ ٧) عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن يحيى بن مسلم به، قال الشيخ شعيب في تحقيق سنن ابن ماجه: حديث صحيح لغيره، سويد بن سعيد متابع، وكذا يحيى بن سليم، =

ففي هذا الحديث وتلك القصة التي رويت على رسول الله ﷺ دليلٌ على بعض صفات المجتمع الحبشي، والذي يدلل على روابط مشتركة أقرّها الإسلام ورسول الله ﷺ وهي مهمة جدًّا كما بينت للمسلمين المهاجرين في بقائهم وتعريفهم بدينهم.

ت ـ تعلقهم بالآخرة وما فيها من نعيم.

ثم تأتي ثالث المشتركات الدالة على سلامة الفطرة ورقة القلب وحسن التأثر، وهو إيمانهم بالآخرة وطمعهم في الجنة، وقد جاءت رواية تدل على هذا أخرجها الطبراني عن ابن عُمر، (أنّ رجُلًا من الحبشة أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، فُضّلتُم علينا بالألوان والنُّبوة. أفرأيت إن آمنتُ بمثل ما آمنت به، وعملتُ بمثل ما عملت به، إنّي لكائنٌ معك في الجنّة؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم» ثم قال النبيُّ ﷺ: «**من قال: لا إله إلا اللهُ، كان له بها عهدٌ عند الله، ومن قال: سُبحان الله، كتب الله له مائة ألف حسنةٍ**» فقال: يا رسول الله، كيف نهلكُ بعد هذا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنّ الرّجُل يوم القيامة ليجيءُ بالعمل، لو وُضع على جبلٍ لأثقلهُ، فتقومُ النّعمةُ من نعم الله، فتكادُ تستنفدُ ذلك كُلهُ، لولا ما يتفضّلُ الله به من رحمته**»، ثم نزلت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[1]، إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝﴾[2]، فقال الحبشيُّ: يا رسول الله، وهل ترى عيني في الجنّة مثل ما ترى عينُك؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم» فبكى

= وباقي رجاله ثقات، وأخرجه أبو يعلى (٢٠٠٣) عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن يحيى بن سليم، بهذا الإسناد، وأخرجه ابن حبان (٥٠٥٨) من طريق ابن وهب، عن مسلم بن خالد عن ابن خيثم، به. وهذا سند حسن في المتابعات.

(١) سورة الإنسان، الآية: (١).

(٢) سورة الإنسان، الآية: (٢٠).

الحبشيُّ حتى فاضت نفسُه قال ابنُ عُمر: «فأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يُدليه في حُفرته»[1].

والحديث مع ضعفه ينقل جمال هذا الحوار بين هذا الحبشي وبين رسول الله ﷺ وما يدور في خلده، وما يتمناه من خاتمته، ويعظم عنده من شوق ملأ جنبات صدره وجسده لجنة ربّه، وأن يرى فيها ما يراه النبي ﷺ، وهذا جميعه يبين جمالية المجتمع الذي وجه فيه النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم.

٣ـ متشابهون في كثير من الأهداف الاجتماعية:

من عوامل الاختيار والتوجيه التي تجعل الإنسان يحدد مقصده وبوصلته نحو بلده الثاني: هو مشترك الأهداف الاجتماعية، فالمجتمع التي تعلو فيه الحرية، والكرامة، والتسامح، والعدالة، والمساواة، والأمن، وغيرها كلها أهداف نبيلة جاء بها الإسلام، وتشربها أبناؤه معينًا من الرسول الأمين ﷺ، بل كانت من أهم أسباب خروجهم لطلبها، والبحث في دائرة هذه الأهداف، والاقتراب

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢/ ١٦١، حديث رقم (١٥٨١) قال: حدثنا أحمد، قال: نا محمد بن عمار الموصلي قال: نا عفيف بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر رضي الله عنه، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف، وفيه توثيق لين. ينظر: مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٨.
قلت: أيوب بن عتبة قال يحيى بن معين: ضعيف، قال البخاري، وغيره: لين الحديث، وقال بعضهم: هو مكثر عن يحيى بن أبي كثير، وكتابه عنه صحيح، وروى: عباس، عن يحيى، قال: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: فيه لين، حدث من حفظه، فغلط، وقال ابن حبان: يخطئ كثيرًا، قال ابن حبان: باطل، قال أبو داود: كان أيوب بن عتبة صحيح الكتاب، وقال أبو حاتم: أما كتبه فصحيحة، وقال النسائي: مضطرب الحديث. ينظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٧.

من بيئتها، فكانت الحبشة بتوجيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها وعلمه بوجود هذه المشتركات فيها، وكذلك الحال في العصر الحديث، فالجميع يبحث مع ما سبق عن البيئة التي تحمل تشابهًا مع الجو الإسلامي في أهدافه ومقرراته الاجتماعية، فينطلق إليها ويسهل العيش فيها، والتجانس مع شعوبها، يدل على ذلك شعر عبد الله بن الحارث[1] :

يا راكبًـا بلغن عنّـى مُغلغلةً[2] من كان يرجـو بلاغ الله والدّين
كُل امرئ من عباد الله مُضطهدٌ[3] ببطـن مكّـة مقهـورٍ ومفتون
أنّـا وجدنا بـلاد الله واسـعةً تُنجي من الذُّل والمخزاة والهون
فلا تُقيمـوا على ذل الحياة وخز يٍ في الممات وعيبٍ غير مأمون
إنّا تبعنا رسـول اللـه واطّرحوا قول النبيّ وعالوا[4] في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا وعائـذًا بك أن يعلـوا فيُطغون

(١) عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي، قال ابن حجر: ذكره ابن إسحاق وغيره فيمن هاجر إلى الحبشة، ولم يذكر ابن الكلبي في نسبه سعيد المصغر، وذكر له شعرًا يحرض المسلمين على الهجرة إلى الحبشة، ويصف ما لقوا فيها من الأمن، فمنه:

يا راكبـا بلغا عنـي مغلغلة من كان يرجو لقاء الله والدين

....الأبيات.

وذكر ابن إسحاق والزبير بن بكار أنه استشهد بالطائف، وقال ابن سعد والمرزباني: قتل باليمامة. وكذا قال موسى بن عقبة، لكنه كنّاه أبا قيس، ولم يسمه. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٤٤.

(٢) المغلغلة: الرسالة يرسل بها من بلد إلى بلد.

(٣) مضطهد، أي مذل.

(٤) عالوا وجاروا بمعنى واحد. ينظر: غريب أبياته في الإملاء المختصر في شرح غريب السير، لابن أبي الركب الأندلسي، ص١٠٠.

يقول الندوي: (لا بُدّ أنّ جعفرًا قد انتفع بها في الدّعوة إلى الإسلام، والتّعريف به في بلدٍ امتاز عن كثيرٍ من البلاد النّصرانيّة بالتّسامُح وإيواء المُضطهدين، وعُرف حاكمُه بالعدل والإنسانيّة، ولكن العهد لم يكُن عهد تسجيل الحوادث، وليست أمامنا وثائقُ تاريخيّةٌ تُثبتُ ذلك، ولكن القياس يقتضيه[1].

هذه بعض أسس الاختيار ومنطلقات التوجيه التي اختيرت الحبشة من أجلها موطنًا لصحابة النبي ﷺ بإرشاده ﷺ، والأحاديث التي ذكرتها تدل على عمق التخطيط والإدراك الكامل للواقع والبيئة المحيطة من رسول الله ﷺ.

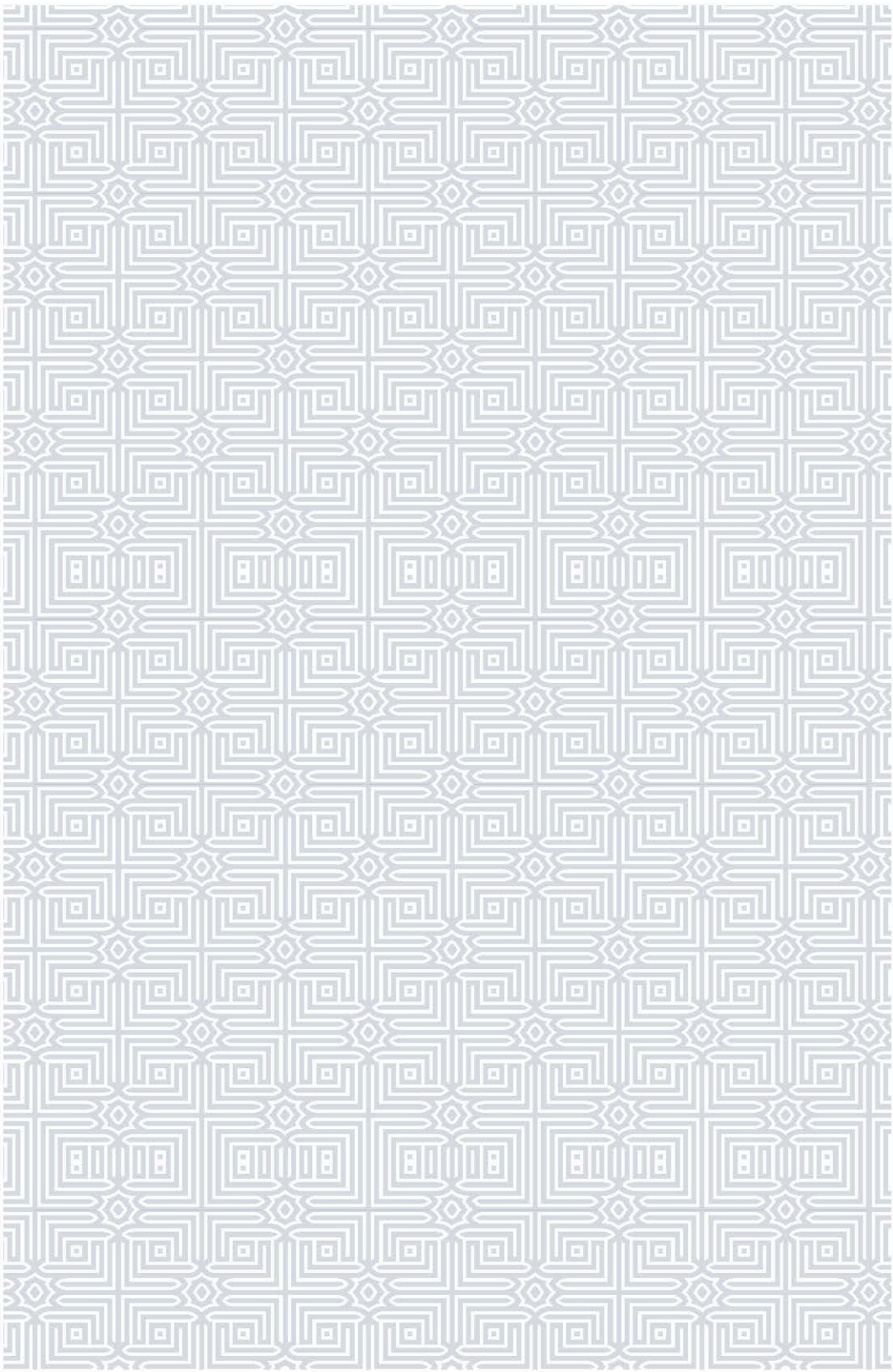
ولا أظن أنها بعيدة الآن في الاختيارات المعاصرة عند الأفراد في الانتقال وانتقاء الأوطان المهاجَر إليها، فكأننا أمام تاريخ يعيد نفسه لتخطيط الرعيل الأول، وجمالية هذه الأسس التي ينبغي أن تكون دليلًا لنا، وصراطًا مستقيمًا في حركتنا وتوجهاتنا.

ولننتقل بعد العرض إلى مرحلة جديدة في الموطن الجديد لبيان معالم الوجود الإسلامي في بلاد الغربة، أو كيف كان المهاجرون في بلاد الغربة؟

(١) ينظر: السيرة النبوية للندوي، ص١٣٥.

الفصل الثالث

معالم التعايش والحضور بين المسلمين في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة



معالم التعايش بين المسلمين في بلاد الغرب
من خلال الهجرة إلى الحبشة

في هذا الفصل معالم التعايش بين المسلمين في بلاد الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة، أحاول فيه استقراء النصوص والروايات التي تدل على هذه الأسس والمعالم قراءة عميقة، تستوجب التوقف عند كل كلمة وموقف وحرف يُنبئ بما وراءه من رسم لطبيعة الحياة التي عاشها المهاجر الأول، ويوضح نموذجًا يدل على صورة وجمالية التعايش التي كان عليها.

وعندما نتكلم على هذه الأسس فنحن بطبيعة الحال نستحضر الصورة الحالية للواقع المعاصر في بلاد الغرب، لنقف على مدى الفوارق والفجوات الكائنة والكامنة بين الهجرات القديمة والحديثة، من حيث الأرض، والمهاجر، والأحداث، وكيفية التعايش والحضور مع ذلك؛ محاولين من خلال هذه المقارنة أن نضيق هذا البون، أو نصحح أخطاءً في ظل استدراكها، ولنقف كذلك على روائع الالتفات لقضايا الأمة الإسلامية منذ الوهلة الأولى، مستلهمين من خلال قراءتنا لهذه الهجرة المباركة النموذج الأمثل الذي يسير عليه المغترب أسريًّا، ومعايشةً، وحضورًا، وإنتاجًا.

(١)
الحضور الأسري للوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة

اهتم الإسلام بالأسرة اهتمامًا عظيمًا، وأودعها جملةً من التوجيهات والتشريعات الخاصة بها التي تحافظ عليها، وتقوي أمرها، وتؤمّن سلامتها، وتعتبر هذه القضية أهم القضايا وأخطرها عند المسلمين عمومًا، وعند المسلمين المغتربين خصوصًا، بداية من انتقال الأسرة سويًّا من بلادها الأصلية، وتكوينها في هذه البلاد، مرورًا بالاهتمام الكامل بها، ورعايتها، والخوف عليها، ووصولا بها إلى بر الأمان والسلامة على المستويات كافة، ولعل هذه القضية ـ في نظري ـ أخطر القضايا التي ينبغي أن ينصب عليها اهتمام المؤسسات والجاليات المسلمة في الغرب، وأن تُكرَّس من أجلها جميع الطاقات، لنحقق فيها استقامة الحال، وإصلاح الخلل، والاطمئنان على المستقبل.

وهذه القضية إن نجح فيها المسلمون في بلاد الغرب، وصوّبوا أخطاءها، وصححوا مسارها، أُجزمُ بأن تغييرًا جذريًّا سيحدث ـ لا محالة للأفضل ـ على كافة القضايا والتحديات التي تواجه الوجود الإسلامي في بلاد الغرب، ومن يعش هنا في هذه البيئات يدرك أهمية هذه القضية وخطورتها وما تتعرّض له.

وأهم ما ينبغي أن يكون حاضرًا في العقل الجمعي والواقع العملي عند الوجود الإسلامي في بلاد الغرب: هو قضية الاستقرار الأسري؛ وكيفية تحصيله

وجمع أسبابه وتهيئة مناخه، فهذا إن تمّ فما بعده سهل التحصيل والمنال، وبدونه يكون الوجود الإسلامي اسمًا لا رسمًا ونظريًّا لا تطبيقًا ووجودًا.

ولنعرض الروايات والأحاديث التي جاءت في ملف الأسرة المسلمة في الهجرة إلى الحبشة ـ وخاصة ما يؤدي لاستقرارها ـ لنسلط بعدها الضوء على ما يُستفاد منها ونربطه بالواقع المعاصر لنا في بلاد الغرب.

١ـ الهجرة بجميع أفراد الأسرة ودلالة ذلك:

فأول ما ينبغي الالتفات إليه في الهجرة الأولى: مدى الاهتمام الكامل بالأسرة وبقاء شملها، وعدم تركها في مواجهة مواطن الفتن، والخروج بها ومعها إلى بر الأمان.

فقد أخرج عبد الرزاق بسنده عن عروة بن الزبير: (فخرج في الهجرة جعفرُ بنُ أبي طالبٍ بامرأته أسماء بنت عُميسٍ الخثعميّة، وعُثمانُ بنُ عفّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بامرأته رُقية ابنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج فيها خالدُ بنُ سعيد بن العاص بامرأته أُميمة ابنة خلفٍ، وخرج فيها أبو سلمة بامراته أُمّ سلمة ابنة أبي أُميّة بن المُغيرة، ورجال من قُريشٍ خرجوا بنسائهم)[1].

وأخرج الحاكم بسنده عن ابن شهابٍ: (أنّ عُثمان بن عفّان، وامرأتُه رُقيةُ بنتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرجا مُهاجرَين من مكّة إلى الحبشة الأولى، ثم قدِماعلى رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم هاجرَا إلى المدينة)[2].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٣٤٨)، حديث رقم: (٩٧٤٣) عن معمر، عن الزهري، عن عروة، وهو من مراسيله، وإسناده إليه إسناد صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٨٠)، حديث رقم: (٤٢٦٤)، قال: أخبرني إسماعيل ابن الفضل بن محمد الشعراني، ثنا جدي، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا محمد بن =

وهناك من هاجر بجميع أفراد أسرته زوجًا وأولادًا؛ ذكر ابن سيد الناس بعضًا منهم قال: (ثُمّ خرج جهمُ بنُ قيس بن عبد شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري، معه امرأتُه أُمُّ حرملة بنتُ عبد الأسود بن جُزيمة من خُزاعة، وابناه عمرو بنُ جهمٍ، وخزيمة بنت جهم...)[1].

وهذه الروايات تؤكد أن مكانة الأسرة في فكر المسلمين الأوائل ومسيرتهم كانت واضحةً جليةً منذ دخلوا للإسلام وتربوا على معينه العذب الممثل في

= فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال الحاكم: (قد اتفق الشيخان على إخراج حديث ابن أبي شيبة وغيره عن الزهري، عن عروة، عن عبيد الله بن عدي، عن المسور ابن مخرمة، في خروج عثمان بن عفان إلى أرض الحبشة، وساقا الحديث بطوله؛ فلذلك اختصرتُ على رواية موسى بن عقبة عن ابن إسحاق، وذكر في المغازي أن رقية بنت رسول الله ﷺ فيما ذكروا لم ير في العرب ولا في الحبش أحسن منها).

قلت: سكت عنه الذهبي في التلخيص، وإسناد الحاكم إسناد حسن، فمن شيخي إلى محمد بن فليح جميعهم صدوق الحديث.

قلت: وهناك روايات أخرى في هذه النقطة منها: - قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن صالح، عن يزيد بن رومان قال: (أسلم عامر بن ربيعة قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وقبل أن يدعو فيها). قالوا: وهاجر عامر بن ربيعة إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة العدوية، (٣/ ٣٨٦) وهو حديث مقطوع، فيزيد بن رومان من التابعين وهو ثقة ينظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٢٣).

ومن ذلك: بركة بنت يسار، وأختها فكيهة بنت يسار، أما بركة بنت يسار، قال ابن سعد: أسلمت بركة بمكة قديمًا، وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي. وكان يسار يكنى أبا فكيهة، وأختها فكيهة بنت يسار، أسلمت بمكة قديمًا وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب الجمحي. ينظر: طبقات بن سعد ٨/ ١٩٨.

(١) ينظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٣٦.

كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالجميع يعلم أن الاستقرار لن يتم إلا بوجود جميع أفراد الأسرة، وأن الاغتراب بدون جميع أفرادها يجعل الزوجين عُرضة للافتتان، ومزيد من القلق والخوف واستمراره.

وفي الروايات ما يدل على عدة معان مهمة ينبغي أن نُسلط الضوء عليها وتكون في وعي المغترب المعاصر:

أ ـ يستدل من الروايات حالة المرونة الكبيرة النابعة من المحبة بين الأزواج فيما بينهم، فلا تذمّر ولا ضجر أو ترك يدفع أحد الأفراد إلى ترك الآخر أو التخلي عنه في محنته، وهو يوضح في جلاء قداسة العلاقة وعمقها، وتحمل المسئولية المشتركة بينهما.

ب ـ أن الجميع يدرك أهمية البقاء معًا في الحفاظ على سلامة الأسرة واستقرارها؛ وأنه لا غنى لطرف عن الآخر، وهو في حد ذاته تكريمٌ للمرأة في سمو فهمها وإدراكها، ومعرفة لمكانتها في المجتمع الأول.

ت ـ الروايتان توضحان بجلاء من خلال هذا الفعل حالة الخوف الشديد من الزوجين على الآخر، وأن مناط السكن والسكينة التي أشار إليها القرآن الكريم لن يتحقق إلا في وجود الاثنين معًا، وأن الاضطراب سيكون النتيجة الحتمية عند الفصل أو التباعد.

ث ـ فيهما بيان أن الزوجة تتبع زوجها إقامة وهجرة، وأن ترك الأبويين والسفر مع الزوج هو الأمر الطبيعي النموذجي عند استحالة الجمع بينهما في أرض واحدة، وفي هجرة رقية بنت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نموذجًا قويًّا في مساندة الزوج والبقاء معه حتى مع ألم فراق الأب، ولو كان رسول الله.

ج ـ وأيضًا في الرواية ما يُعرف بالعقل الجمعي؛ فالجميع على تطبيق واحد، وأسلوب متحد وفهم توافقي، وهو ما يدل على رجاحة العقول، ونفاسة الأنفس التي تربت وأشربت معين الوحي من رسول الله ﷺ وتربيته.

ح ـ يتضح أيضًا أن فقه المؤازرة والدعم لن يتم في بلاد الاغتراب من الخارج فقط، بل ينبغي أن يكون بدايته أولًا من داخل الجالية المسلمة ومنشؤه ومبدؤه من الأسرة، وهو ما يحتاجه الفرد في بداية حياته الجديدة في المجتمع الجديد.

خ ـ وهو أيضًا يعني أن الأسرة والزوجة في المقدمة؛ وأنها أول اهتمامات المهاجر، وأنها أمامه عند الخروج وقبله في الرعاية والتعهد.

د ـ كما أن هناك عدة معان وفقهيات ممكن أن تضاف إلى ما سبق، منها: (المحافظة على سلامة الجميع واجب، وفقه المواطنة والتعايش الداخلي بدايته من الأسرة، ووضوح تجرد المهاجر من الأنا والفردية، وتقديم المجموع على الفرد، وتخفيف الأعباء بتوزيعها على أفراد الأسرة، وفقه التضحية والتحمل،... إلخ).

ذ ـ وضع النبي ﷺ قيدًا مهمًّا في هذه النقطة المتعلقة بملازمة الزوجين سويًّا ومعًا بيّنه في وصيته لعثمان ورقية في قوله: «**أخالُ واحدًا منكُما يصبرُ على صاحبه**»(١).

(١) جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠)، حديث رقم: (٦٨٤٩) قال: حدثنا أبو عبد الله الأصبهاني، ثنا الحسن بن الجهم، ثنا الحسين بن الفرج، ثنا محمد بن عمر، حدثني سليط بن مسلم العامري، من بني عامر بن لؤي، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، قال: وحدثني سعد، قال: لما أراد عثمان بن عفان رضي الله عنه الخروج إلى أرض الحبشة، قال له رسول الله ﷺ: «**اخرج برقية معك**». قال: أخال واحدًا منكما يصبر على صاحبه... الحديث. وإسناده ضعيف؛ فيه الحسين بن الفرج الخياط وهو ضعيف، وهناك من كذَّبه كابن معين، قال أبو الشيخ الأصبهاني: (حسين بن الفرج البغدادي قدم أصبهان، =

فالحياة الزوجية تحتاج إلى عون وتصبير، وكلما كان الطرف الآخر موجودا مع صاحبه قويًّا يقوي عود صاحبه كلما تجاوز الجميع المحن والصعاب، فيستأنف المسير نحو تحقيق الغاية الدنيوية والأخروية.

= وحدث بها المبتدأ والمغازي، عن الواقدي، وليس بالقوي). وقال ابن أبي حاتم: (كتب أبي عنه بالبصرة أيام أبي الوليد، وبالري، ثم تركه ولم يقرأ علي حديثه). وقال أبو نعيم فيه ضعف، وقال الذهبي: كان ضعيفا. ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ٩٢، طبقات المحدثين بأصبهان ٢/ ٢٠٠، تاريخ أصبهان ١/ ٣٢٩، تاريخ الإسلام٦/ ٣١٩.

وإن كان الصبر بين الأزواج قد ورد فيهما كثير من الأحاديث والآثار الصحيحة منها: ما أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١)، حديث رقم: (١٤٦٩): عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» أو قال: «غيره»،

وحديث: أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١١)، حديث رقم: (٥٦٤٨)، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: ثنا الحسين بن يزيد السلولي الطحان، قال: ثنا سعيد ابن خثيم، عن محمد بن خالد الضبي، عن السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن كعب بن عجرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والرجل يزور أخاه في الله في جانب المصر في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الولود الودود التي إذا ظلمت هي أو ظلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضا حتى ترضى».

قال محققو المطالب العالية: أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٤٤١)، حديث رقم: (١٧٦٤)، وفي الصغير (١/ ٤٦) قال المنذري في الترغيب (٣/ ٥٧): رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي، فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل. اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣١٢): رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه إبراهيم ابن زياد القرشي، قال البخاري: لا يصح حديثه، فإن أراد تضعيفه فلا كلام، وإن أراد حديثًا مخصوصًا فلم يذكره، وأما بقية رجاله فهم رجال الصحيح. اهـ، وقال الإمام الدمياطي في المتجر الرابح (٦٤٩): رواه الطبراني، وإسناده جيد إن شاء الله، وله شواهد. اهـ. ينظر: المطالب العالية ٨/ ٢٤٩، وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٦٠٤)، وعلى ذلك فهو حديث صالح في الشواهد، والله أعلم.

٢ـ هجرة أفراد العائلة الواحدة ودلالة ذلك:

فكما هاجر الزوجين معًا إلى الحبشة فإن هناك موعدًا آخر مع هجرة أفراد العائلة الواحدة ممن اختاروا هذا الدين القويم، وآمنوا بهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمين، لتُبرهن هذه الهجرة الأولى على أهمية وضوح فكرة شد العضد والتكاتف والدعم في مواجهة الصعاب بحضور الإخوة والأخوات في مشهد الهجرة المباركة.

وفيما يلي جملة من المرويات والآثار التي تبرهن على ذلك:

فقد أخرج ابن سعد عن أم خالد بنت خالد قالت: (قدم علينا عمّي عمرو بنُ سعيدٍ أرض الحبشة بعد مقدم أبي بسنتين، فلم يزل هُناك حتى حُمل في السّفينتين مع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقدموا على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٧٦) قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني جعفر بن محمد بن خالد عن إبراهيم بن عقبة عن أم خالد.. الحديث، وجعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي ذكره البخاري، وقال: لا يتابع عليه الأزدي منكر الحديث. ينظر: الثقات ٦/ ١٣٣، ميزان الاعتدال١/ ٤١٦.
قلت: البخاري ترجم له في التاريخ الكبير (٢/ ١٨٩)، ولم يذكر فيه جرحًا ولم أقف على عبارته، وسكوته علامة توثيق عنده، كما أنه لم يذكره في الضعفاء عنده، وكذلك ابن أبي حاتم لم يذكر فيه جرحًا (٢/ ٤٨٧)، وتوثيق ابن حبان مقدم على تضعيف الأزدي، كما هو معروف عند أهل العلم والمحدثين.
وللقصة شاهد عنده في الطبقات (٤/ ٧٦) عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: (لما أسلم خالد بن سعيد وصنع به أبوه أبو أحيحة ما صنع فلم يرجع عن دينه، ولزم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ابنه عمرو بن سعيد على دينه، فلما أسلم عمرو ولحق بأخيه خالد بأرض الحبشة ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية). ينظر: الموسوعة الصحيحة في السيرة النبوية، ص٣٣٥.

وذكر ابن إسحاق أسماء من هاجروا من بطن وعائلة واحدة منهم:

ـ **من بني جمح بن عمرو:** عثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخوه قدامة بن مظعون.

ـ **ومن بني عامر بن لؤي:** حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأخوه سليط بن عمرو بن عبد شمس، ومعه امرأته أم يقظة بنت علقمة، وابنه سليط بن سليط، وأخوه السكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس)[1]. وكذلك: (عبدُ الله بنُ مسعودٍ الهُذليُّ، وأخوه عُتبةُ بنُ مسعودٍ)[2].

فمن خلال هذه الروايات يتضح معنا أن الهجرة الجماعية لم تكن مقصورة على هجرة الأسرة ممثلة في الأزواج فقط، بل تعدت إلى الهجرة بأفراد العائلة من الإخوة والأخوات والأبناء ابتداءً أو لحوقًا، فقد لحق عمرو بن سعيد بأخيه خالد، وعثمان بن مظعون بإخوته وغيرهم، في دلالة واضحة على أهمية وجود الجو العائلي داخل الوجود الإسلامي، وانضمام الأفراد من البيت الواحد في الوطن الجديد، وهذا بالطبع يثمر تخفيفًا لفراق الوطن، واستقرارًا في الموطن الجديد، وشدًّا للعضد في مجاوزة الصعاب، وتعويضًا عن المناخات المفقودة في البيئة الأولى للأهل والعشيرة.

قلت: والتجربة في بلاد الغرب تؤكد هذا؛ فإن أكثر أفراد الوجود الإسلامي استقرارًا ومواطنة مَن يكون معه أحد أو مجموعة من أقاربه وعائلته، فإنه يستشعر بدفء وتصبير وإعانة وتحقيق ما ذكرتُه، مما قد لا يستشعره مَن قدم وحده حتى مع وجود إخوانه من الوجود الإسلامي.

(١) ينظر: سيرة ابن إسحاق، ص١٧٩.
(٢) ينظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٣٦.

٣ـ التكاثر الأسري في البلد الجديد:

وهذا استمرار للنضوج العقلي والوعي الصحيح العميق عند المهاجر الأول فبعد أن يضع رحله ويؤسس بيته ويستأنف حياته بشكلها الجديد عملًا وتعميرًا ـ يهتم بسواده وبقاء امتداده بتكاثر الذرية والنسل اللذين يستدل بهما على وضوح مفهوم الاستقرار والاندماج والتفاعل في الوطن الجديد من أول وهلة، وقد جاءت الروايات تقرر أن الصحابة تكاثروا في الحبشة، وزاد عددهم، ورزقوا الذرية فيها.

كما جاء عند عبد الرزاق: (فوُلد بها ـ الحبشة ـ عبدُ الله بنُ جعفرٍ، ووُلدت بها أمةُ ابنةُ خالد بن سعيدٍ أُمُّ عمرو بن الزُّبير، وخالد بن الزُّبير، ووُلد بها الحارثُ بنُ حاطبٍ في ناسٍ من قُريشٍ وُلدوا بها)[١].

وقد عدد أهل السير مَن ولِد بالحبشة من أبناء الوجود الإسلامي ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى[٢] وذكر الشامي بعضًا منهم تحت هذا العنوان: **من ولد بأرض الحبشة** فذكر منهم: (عبد الله وعون ومحمد أولاد جعفر بن أبي طالب من أسماء بنت عميس، وسعيد وأمة ـ بفتح الهمزة والميم بغير إضافة ـ ابنا خالد بن سعيد من أميمة بنت خلف، وعبد الله بن المطلب من رملة بنت أبي عوف، ومحمد ابن أبي حذيفة من سهلة بنت سهيل، ومحمد والحارث ابنا حاطب من فاطمة بنت

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٤)، حديث رقم: (٩٧٤٣) عن معمر، عن الزهري في حديثه عن عروة، وبين أنه عن أم المؤمنين عائشة في وسط الرواية، فالحديث صحيح.

(٢) يراجع تفصيل ذلك في قسم النساء عند ابن سعد في الطبقات الكبرى الجزء الثامن تحديدًا من صفحة ١٨٦ ترجمة أم خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى صفحة ٢٣٣ ترجمة أسماء بنت سلامة، فقد جمع ابن سعد في ذلك أسماء من هاجرت وبيان أزواجهن وأولدهن، وما رجع منهن ومن مات، وقد تفرد في ذلك رحمه الله تعالى.

المجلل، وموسى وعائشة وزينب أولاد الحارث بن خالد من ريطة)[1].

فهنا يضع المهاجر الأول مَعلمًا مهمًّا للوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب يدل على نضوج فكرة الاستقرار في عقله على أرض الوطن الجديد من أول يوم وضع رحله فيه، فهو يعيش بكيانٍ كامل في هذا الوطن الجديد، ويريد أن يصبح جزءًا منه ونسيجًا فيه، ويدلل على ذلك بالتكاثر والنسل الذي من خلالهما يثبت قدمه، ويعيش بكيانه الكامل مع الأرض الجديدة ووطنه الثاني، وأرى أن التكاثر في الوطن الجديد له دلالات مهمة يجب الإشارة إليها:

أ ـ أهمية الاستقرار الأسري للبيت الواحد بوجود الأولاد فيه، وأهمية وجود الأولاد في بقاء لُحمة البيت عمومًا، والزوجين خصوصًا.

ب ـ تخفيف آلام الهجرة وترك الأوطان بالوافد الجديد على الأسرة تسرية للأبوين، وخاصة الأم التي تتعب لفراق بلدها، وتمكث كثيرًا في بيتها بمولود يقر عينها ويخفف آلامها.

ت ـ فيه تكثير سواد الأقلية المسلمة وزيادة أعدادها، مما له من مميزات على المستقبل البعيد في جميع المناحي الحياتية: (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها).

ث ـ توريث الدين والهوية الإسلامية للأجيال والتعريف به في البيئة الجديدة من خلال أولاد نشئوا في أسرة إسلامية وفي بيئة غربية، يتحدثون بلغاتهم ويتعايشون بأعرافهم.

ج ـ في التكاثر رسالة قوية للبلد الجديد بتقديم أولاد المهاجرين بين يدي

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/ ٤٠٩.

وطنهم الجديد يقومون فيه بخدمته ورفعة مكانته وريادته، فلا ينظر فقط كونهم أهل استفادة وأخذ بل إفادة وعطاء كذلك.

ح ـ تقديم النموذج الإسلامي من خلال الأولاد في الحقائب والمناصب والوظائف المهمة للوطن الجديد.

٤ـ الزواج في بلاد المهجر بين أبناء الجيل الثاني:

من الأمور المهمة التي تدل على الحضورِ الأسري الواعي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب: الزواج بين أبناء الوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب، والذي يعيش هنا في بلاد الغرب يعلم أن قضية الزواج بين أبناء الجيل الثاني من أخطر وأصعب القضايا التي يقف أمامها أفراد الوجود الإسلامي بكامله والدعاة والأبوين منهم بشكل خاص أمام مسئولية عظيمة أمام الله تعالى أولًا، وأمام تحدٍّ من تحديات الواقع الغربي ثانيًا، وخاصة بما يتعلق بالمرأة المسلمة.

لقد جاءت بعض الروايات التي تؤكِّد زواج أبناء الجيل الثاني من بعضهم البعض؛ ما يجعل الإنسان يقف أمام هذا المُهاجر الأول الواعي في فهمه وفكره، المدرك لمآلات واقعِه وإقامته في بلاد الغرب كأقلية أولًا، والمراعي للجانب الإنساني والفطري بين أبنائه ثانيًا، ولنذكر الرواية ثم نعلق عليها بما يخدم هذه النقطة.

فقد أخرج الحاكم عن مصعب بن عبد الله بن الزبير قال: (وأُمُّ خالدٍ اسمُها أمةُ بنتُ خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وكان خالدُ بنُ سعيدٍ قد هاجر إلى أرض الحبشة ومعه امرأته ـ أميمة ـ همينةُ بنتُ خلفٍ فولدت له هُناك أمة بنت خالدٍ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى قدموا مع أهل السّفينتين، وقد بلغت أمةُ وعقلت وتزوجها

الزُّبيرُ بنُ العوام، فولدت له عُمر وخالدًا ابني الزُّبير وعاشت وعمّرت وروت عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

التعليق:

إن زواج الزبير بن العوام بأم خالد بنت خالد بن سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإن كان بعد الهجرة إلى الحبشة ـ يعد من أهم القضايا التي ينبغي أن نسلط عليها الضوء ونعيرها اهتمامًا لنعالج فجوةً غياب مثل هذا الزواج والارتباط بين أبناء الوجود الإسلامي في الغرب، والخبير بالواقع الغربي والأوروبي يعرف أن هذا الأمر أصبح يشكل عبئًا كبيرًا في الآونة الأخيرة على الوجود الإسلامي بشكل عام والبنت المسلمة في القلب منه بشكل خاص، وتكمن خطورة الأمر في عدة نقاط:

أولًا: انتشار ظاهرة العنوسة بين بنات الوجود الإسلامي في الغرب.

ومن أهم أسبابها:

ـ انتشار ظاهرة العزوف وترك الزواج عند شباب الوجود الإسلامي.

ـ الزواج بالكتابيات على حساب المسلمات.

ـ غياب فقه الأولويات وتأخير قضية الزواج عند بعضهن.

ـ عدم التواصل الجيد بين أفراد الوجود الإسلامي بشكل عام والجالية الإسلامية في البلد والمدينة الواحدة بشكل خاص.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٥)، حديث رقم: (٦٩٢٨) قال: حدثني أبو بكر محمد ابن أحمد بن بالويه، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، ثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، وإسناده إلى مصعب إسناد صحيح، وهو حديث مقطوع والقصة ذكرها كل من ابن سعد وابن عبد البر والسهيلي والذهبي وابن حجر، وغيرهم. ينظر: الطبقات الكبرى ٨/ ١٨٧، والاستيعاب ٤/ ١٨٩، والروض الأنف ٣/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٥٠، والإصابة٨/ ٢٨.

ـ عدم وجود نسبة كبيرة من الشباب المقبل على الزواج في المدينة الواحدة.

ـ التأثر ببعض مظاهر البيئة الغربية في الارتباط والتعارف.

ـ تسويف الفكرة.

ـ الثورة على طريقة الارتباط نفسها بدعوى عدم سريانها في الواقع الغربي، ما يسمى خطأ (بزواج الصالونات).

ـ اشتراط الارتباط بعد الحب والمواعدة أولًا.

ـ تعنت الوالدين أحيانًا في الارتباط.

ـ الفهم الخاطئ لقضية المساواة بين الذكر والأنثى... وغير ذلك.

ومن مآلاتها السيئة:

ـ تضييق فرص الارتباط بالشخص المناسب عمرًا وفكرًا.

ـ القبول بأنصاف الحلول المطروحة كزواجٍ ثانٍ، أو زواج لرعاية أولاد، أو زواج من طاعن في العمر للخدمة وغيرها.

ـ محاربة فكرة الارتباط والثورة عليها ومحاولة التناغم مع العيش بدونها.

ـ تفشي الحسد والغيرة الشديدة بين الأقران.

ـ تزايد الأمراض النفسية والعصبية الكثيرة.

ـ فتح باب المعصية على مصراعيه وخاصة في قضية العفاف...إلخ.

ثانيًا: انتشار ظاهرة العزوف وترك الزواج عند شباب الوجود الإسلامي.

ومن أهم أسبابها:

ـ غياب الوازع الديني أو تأخره في قضية الزواج.

ـ تقديم أولويات أخرى على الزواج؛ كالعمل واستكمال الدراسة.

ـ غياب فقه المسئولية أو الخوف منها.

ـ النظرة الخاطئة إلى الزواج كتقييد للحريات.

ـ تقديم التمتع الدنيوي عليها كالسفر والتنزه واقتناء الأشياء.

ـ التجربة السابقة الخاطئة الذائعة، وخاصة ممن هم في عمره.

ـ التربح المادي وتكوين المستقبل المالي والإنتاجي.

ـ الاشتراط المبالغ فيه في المرأة للإقبال على الزواج.

ـ ارتكاب المحرم واستسهال إتيانه عند البعض... وغير ذلك.

ومن مآلاتها السيئة:

ـ كبت الشهوة بإغلاق منافذ الحلال وتفريغها في مواطن محرمة.

ـ التعرض الدائم للفتن وخاصة في البيئة الأوروبية والغربية.

ـ تضييع التمتع بعاطفة الأبوة.

ـ انقطاع النسل والذرية.

ـ عدم تحمل المسئولية مطلقًا في جميع شئون الحياة.

ـ تنامي الأمراض النفسية والعصبية.

ـ تعظيم الهوّة والفجوة العمرية والفكرية بين الآباء والأبناء إذا تأخر سن الزوج والإنجاب.

ـ غلبة الأنا والفردية على الجماعية.

ـ غلبة الانعزالية على المخالطة والاجتماعية.

ـ تضييع وتضييق حق البنت في الوجود الإسلامي من الزواج والأمومة لكونها مطلوبة وليست طالبة.

ـ تضييع فقه التوريث المادي والمعنوي... وغير ذلك.

ثالثًا: الزواج بالكتابيات على حساب المسلمات بنات الوجود الإسلامي.

ومن أهم أسبابها:

- غياب مآلات الزواج بالكتابية وعدم الزواج بالمسلمات.
- تعميم النظرة والحكم في بنات الوجود الإسلامي بالجمود والتأخر.
- التكلفة المادية الأقل.
- سهولة الارتباط وكذلك الانفصال.
- دعوى الدعوة إلى الإسلام وإدخال وافدة جديدة إليه.
- فكرة التحرر من كل ما هو عربي أو إسلامي.
- طلب الجمال والحُسن الظاهري.
- الرفض المتكرر ممن تقدم إليهم من بنات الوجود الإسلامي.
- غياب التواصل مع الوجود الإسلامي والانعزالية عنه.
- الاندماج المبالغ فيه مع الأوروبيات لعامل الزمالة، أو الجوار، أو الدراسة، أو العمل، وغير ذلك.
- الإسراع في الحصول على الإقامة أو الجنسية... وغير ذلك.

علما بأن كثيرًا من الشباب الذين يتزوجوا بالكتابيات لا يراعي شرط الإحصان الذي أكد عليه رب العالمين في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1].

ومن مآلاتها السيئة:

- الفشل في الزواج. وأكثر الإحصائيات الموجودة في بلاد الغرب تثبت ذلك.

(١) سورة المائدة، الآية: (٥).

ـ التنازع المستمر بين الزوج والزوجة بسبب اختلاف المعتقد وطريقة التفكير وتغاير الثقافة.

ـ التلاعب بالأولاد ومطالبة بعضهن بحق تقرير المصير في الدين.

ـ التصادم المستمر في طريقة العيش وتفعيل الدين في البيت.

ـ المساومة على الأولاد وأخذهن بقوة القانون عند الانفصال وما يترتب عليه.

ـ غياب الانسجام بشكل عام في البيت الواحد وتأثير ذلك على الأولاد.

ـ تضييع حق البنت المسلمة لانحصار عدد المسلمين من أبناء الوجود الإسلامي المقبلين على الزواج.

ـ ضياع العمر والمال وخاصة فترة الشباب.

ـ التأرجح في المعتقد والمبادئ أحيانًا لكسب ودّهن أو لإثبات كونه واحدا منهم.

ـ الخوف الدائم من الانفصال وتأثيره...، وغير ذلك.

رابعًا: استقدام الزوج أو الزوجة من بلاد الأكثرية المسلمة على حساب أبناء الوجود الإسلامي في الغرب.

ومن أهم أسبابها: (غلبة القومية وجعلها مطلب أساسي ـ القرابة والرحم البعيد على حساب ابن (بنت) الوجود الإسلامي القريب ـ الرمي تعميما بالتحرر وعدم وجود ذوي الدين في بلاد الغرب ـ تعنت وتحكم الوالدين وإصرارهم على ذلك ـ دعوى العودة المستقبلية إلى بلد الأبوين والاستقرار فيها ـ التخوف من الطلاق لعدم وجود رادع في الغرب أو مرجعية عرفية ـ وغير ذلك.

ومن مآلاتها السيئة:

ـ الفشل في الزواج غالبًا لاختلافات متعددة أبرزها عامل تغيير البيئة والتفكير.

ـ التنازع المستمر وكثرة الخصومات.

ـ التنازع حول البقاء في بلاد الغرب أو الرجوع وإيصال الأمر إلى الإجبار أو الحمل على أحد الفكرتين.

ـ عدم الشعور بالأمان بعد الحصول على الإقامة أو الجنسية.

ـ استغلال الاستقدام في إعلاء لغة المنّ بين الزوجين وما يترتب عليه.

ـ غياب الظهير الأسري والعائلي المهم في مواطن الخلاف والتنازع.

ـ الافتتان بالحياة الغربية وبالتالي ضياع الدين أو تهميشه.

ـ ضياع حق أبناء الوجود الإسلامي في تكوين الأسرة.

ـ التوسع في ظاهرة العنوسة لدى البنات...، وغير ذلك.

وهذه النقاط التي ذكرتها هي التي وسّعت الهوة وأصبح من خلالها الأمر صعبًا ومقلقًا في الحال والمستقبل على أبناء الوجود الإسلامي ذكورًا وإناثًا، ولذلك أحب أن أوضح الفوائد التي تُحصّل من الزواج بأبناء الوجود الإسلامي بعضهم من بعض كما حصلها المهاجرون الأول من أبناء أرض الحبشة، ومنها:

أ ـ نشر العفاف والإحصان بين أبناء الوجود الإسلامي في بلاد الغرب وسد أبوب الكبائر والمحرمات.

ب ـ الحفاظ على هوية الوجود الإسلامي بإبقاء النسل بين أبوين مسلمين.

ت ـ تمكين البنات كأمهات من حقهن الفطري الأساسي في تكوين أسرة وإنجاب أولاد ورعايتهم.

ث ـ ديمومة تماسك الأسرة لاتحاد البيئة والثقافة والعقيدة واللغة بين الزوجين.

ج ـ تمكين تنفيذ الشريعة الإسلامية بأوامرها ونواهيها في البيت الواحد في الحياة وبعد الممات.

ح ـ إغلاق وتضييق صراعات الخلافات الناجمة عن التغيير في نمط البيئة واللغة والتفكير، سواء مع الزوجة أو مع عائلتها.

خ ـ تجنب المآلات السيئة المذكورة سابقًا في كل ظاهرة من هذه الظواهر المتفشية في الواقع المعاصر في بلاد الغرب.

كيف نضيق هذه الفجوة ونعالج هذه الظواهر؟

من خلال ما مرّ عرضه، وكذلك الوقوف على أبعاد أخرى لهذه القضية، وخاصة لمن يعيش في البيئة الغربية أضع خطوطًا إجمالية في تضييق هذه الفجوة والتعافي من هذه الظواهر، وهي كما يلي:

أولًا: يجب أن يفهم الجميع أهمية هذه القضية وأبعادها، وأن يعي خطورتها، وأن تكون من أولويات عمل الجاليات الإسلامية ومرجعيتها في بلاد الغرب.

ثانيًا: إحياء التدين والتركيز عليه بين أبناء الوجود الإسلامي، وتأكيد طلب تحصيله في الزواج.

ثالثًا: الكلام على إيجابيات الزواج من جميع جوانبه: المادية، والمعنوية، والبيئية، والنفسية، وتصدير ذلك على حساب الكلام على سلبياته.

رابعًا: إبراز النموذج الناجح في الواقع الغربي، ومحاولة تلمّس طريقته وعوامل نجاحه.

خامسًا: التأكيد على النعم المترتبة على الزواج، وخاصة في تحصيل الغنى والتمتع بالذرية.

سادسًا: إبراز مساوئ تفشي كل ظاهرة من الظواهر السابقة.

سابعًا: بيان وإبراز الخير الموجود في الارتباط بالمسلمة على حساب الكتابية.

ثامنًا: اتخاذ المراكز الإسلامية والدعاة في الغرب دورهم المحوري في تقديم هذه القضية وخدمتها، والكلام المستمر عليها في اللقاءات والجُمع، وتفعيل إنجاحها وتقليل فجوتها.

تاسعًا: فتح باب النقاش والحوار بين أبناء الوجود الإسلامي والسماع منهم، وفهم طريقة تفكيرهم ورؤيتهم، ومن ثم تغيير الصورة السلبية وتصحيح المفاهيم بعدها عندهم.

عاشرًا: عدم المغالاة في المهور والشروط التعجيزية المعطلة، التي تدفع الشباب إلى العزوف المطلق، أو الزواج بالكتابية الأقل كلفة مادية.

حادي عشر: مخاطبة الوالدين بعدم إرغام الأبناء على الزواج بطريقتهم أو شروطهم، التي لا تتناسب مع الواقع المعاصر، والتساهل في هذا الأمر وعدم التعنت.

ثاني عشر: إحياء صفحات للتعارف المنضبط، والتي يقوم عليها بعض المتخصصين في العمل الأسري والدعاة من الجنسين لتقارب وجهات النظر وتسهيل القبول والارتباط.

ثالث عشر: إنشاء جمعيات خيرية ذات نفع عام، أو لجنة من أبناء الوجود الإسلامي تقوم على هذا الدور، وتعقد اللقاءات والدورات التي توعي الشباب بالأمر وتقرب بينهم وتسهل عملية الاختيار.

رابع عشر: المرجعية الدينية والعرفية في المراكز الإسلامية، وعقد جلسات التوعية والتصالح وتقريب وجهات النظر.

خامس عشر: الانخراط في العمل المؤسسي والخيري القائم عليه الوجود الإسلامي، وكذلك الجمعيات المستقلة لطرد الانعزالية وتقريب حسن الاختيار والارتباط.

سادس عشر وأهمها: الدعاء والتضرع إلى الله، والاستخارة الدائمة بطلب تيسير الزواج وتقريب شريك الحياة.

وختامًا...

ما ذكرته ليس إلا إجماليات تحت كل منها خطوط عريضة وتفصيلات وأفكار متنوعة، وآليات تنفيذية لا يتحمل بحثنا هذا سردَها أو الإطالة فيها ـ وإن كانت تحتاج لبحث مستقل ـ ولذلك أنصح بإقامة اللقاءات الدورية عليها، وتفعيل ذلك في ورشات عمل يكون القائم عليها الشباب أنفسهم من أبناء الوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

٥ـ التماسك الأسري في الوجود الإسلامي:

آخر ما أختم به هذا المبحث (الحضور الأسري للوجود الإسلامي في الغرب من خلال هجرة الحبشة) هو قضية التماسك الأسري في الوجود الإسلامي؛ وهي قضية عظيمة أصبحت على أولويات المسلمين في الغرب، ونعاني بشدة من فقدانها وما تتعرض له في الآونة الأخير من ردة شديدة فيها وجاهلية أشد في التعامل معها.

لقد أصبحت هذه القضية ـ قضية التماسك الأسري في بلاد الغرب ـ تنذر بخطر كبير على الوجود الإسلامي، وأصبحت المحاكم الأوروبية والمراكز الإسلامية

والدعاة والأئمة في القلب منها يعانون من فرط الأمر، وكثرة الخصومات والتنازعات، بل وانتشار ظاهرة الانفصال والطلاق، ولذلك يجب التنبيه إليها والحرص على توفير هذا التماسك والمحافظة عليه.

ومن خلال الهجرة إلى الحبشة أستطيع أن أؤكد على النقاط الآتية:

أولًا: ضرب المهاجرون الأول في الحبشة أعظم نموذج في التماسك الأسري منذ الخروج بهم من أرض مكة وحتى العودة بهم إلى المدينة، أو حتى البقاء في الحبشة لمن بقي منهم.

ثانيًا: لم أقف على حالة انفصال واحدة بينهم، أو حالة تنازع بين زوجين، أو تفكيك أسري قامت في الحبشة بين المهاجرين، ولا أستطيع أن أجزم بذلك لضعف الروايات التي تخدم هذه النقطة، لكن عدم تسطيرها ولا الكلام عليها في ثنايا التراجم والروايات يؤكد تحقيقها.

ثالثًا: تتأكد قضية التماسك الأسري في حالة وجود الافتتان الشديد واختلاف الدين، كحالة أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وزوجها عبيد الله بن جحش، بل وجدنا الزوجة الصالحة تحاول أن تصلح الأمر، وتُثبّتُ الزوج، وتعينه على الرجوع عن الشرك، ولم تتركه أو تنفصل عنه حتى مات عنها.

أخرج ابن سعد عن أُمِّ حبيبة قالت: (رأيتُ في النّوم عُبيد الله بن جحشٍ زوجي بأسوأ صورةٍ وأشوهه ففزعتُ. فقُلتُ: تغيّرت والله حالُهُ! فإذا هو يقول حيثُ أصبح: يا أُمّ حبيبة، إنّي نظرتُ في الدّين فلم أر دينًا خيرًا من النّصرانيّة، وكُنتُ قد دنتُ بها. ثم دخلتُ في دين مُحمّدٍ، ثم قد رجعتُ إلى النّصرانيّة. فقُلتُ: والله ما خيرٌ لك، وأخبرتُه بالرُّؤيا التي رأيتُ لهُ، فلم يحفل بها وأكبّ على الخمر حتى

مات فأري في النّوم كأنّ آتيًا يقول: يا أُمّ المُؤمنين. ففزعتُ فأولتُها أنّ رسول الله يتزوجُني..). الحديث[1].

وعمومًا فهذه أيضًا من القضايا التي ينبغي أن توجد على أولويات الوجود الإسلامي كله بمؤسساته وأفراده، وأن يؤخذ بكل وسيلة في سبيل تحقيقها والعودة بها إلى صفائها وما كانت عليه في قرون الخيرية، مع التأكيد على أنها قضية تحتاج من حيث التأطير بحثًا كاملًا وعملًا دءوبًا للوصول بها إلى المأمول.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٧)، وأخرجه الطبري في المنتخب من ذيل المذيل، ص٧٧، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢)، حديث رقم: (٦٧٧٠) مطولا، جميعهم عن محمد بن عمر الواقدي، حدثنا عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قالت أم حبيبة، وأخرجه الزبير بن بكار في المنتخب من كتاب أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قصة تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبة بنت أبي سفيان) (ص٥٠) عن محمد بن حسن بن زبالة المخزومي، عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل ابن عمرو، قال: قالت أم حبيبة بلفظه وإسناده شديد الضعف لوجود محمد بن الحسن بن زبالة، وهو متروك، وقيل: أكثر من ذلك.

قلت: وفي الإسنادين عبد الله بن عمرو بن زهير، وهو لا يعرف حاله روى عنه الواقدي ومحمد بن الحسن هذا، ولم يذكر بجرح ولا تعديل، وعمومًا فقد ذكرت القصة في كتب الصحابة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، وابن عبد البر في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة، والذهبي في السير، وحكم بنكارتها ولم يفسر وأظنه لكونها من رواية الواقدي، فهو منكر عنده، وذكرها ابن حجر في الإصابة وعزاها إلى ابن سعد، وكذلك سبط ابن الجوزي، وابن عساكر وغيرهم. ينظر: الاستيعاب للإمام ابن عبد البر ١٣/ ٦، ١٣/ ٢٠١، ٢٠٢، وأسد الغابة ٦/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٦، وسبل الهدى والرشاد ١١/ ١٩٤، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان ٤/ ٢١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٦٩/ ١٤٣.

قلت: والقصة وإن ضعف إسنادها، لكن إيرادها وذكرها في كتب السير والتراجم يُشعر بأن لها أصلًا والله أعلم.

(٢)
الحضور النسائي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب

يعتبر ملف المرأة المسلمة في بلاد الغرب كذلك من أهم الملفات التي ينبغي تسليط الضوء عليها والنظر الدائم فيها، لما تحمله من أهمية وجدانية زمانية ومكانية، ندفع من خلال إيضاحها جملة من الاتهامات والشبهات التي تثار حول المرأة المسلمة وخاصة في بلاد الغرب، محاولين أن نغلق بابًا واسعًا من النقاش الدائر حولها وحول اتهام الآخر للإسلام والمسلمين في المرأة المسلمة بالتقليل والتحقير، وسوء المعاملة وعدم التكريم، وهذا كله لنؤكِّد في جلاء تام مكانة المرأة المسلمة في الإسلام بداية من المجتمع الأول الكريم حتى وقتنا المعاصر.

ومن خلال الأحاديث والآثار التي جاءت في الهجرة إلى الحبشة نستطيع أن نخرج بجملة من المفاهيم والدروس التي تؤسِّس لمكانة المرأة المسلمة في بلاد الغرب، ونعتبره نواة مهمةً وبابًا قويًّا لتصحيح المفاهيم.

وفي هذا المبحث سأقف على عنصرين مهمين:

الأول: أسس تكوين شخصية المرأة المسلمة المهاجرة (المغتربة).

والثاني: سمات حركة المرأة المسلمة المهاجرة (المغتربة).

وكلاهما من خلال مهاجرات الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

أولًا: أسس تكوين شخصية المرأة المسلمة المهاجرة من خلال الهجرة إلى الحبشة.

جاءت أحاديث وروايات توضح أسس تكوين شخصية المرأة المسلمة وخاصة المغتربة، وبالنظر إلى مَن هاجرن واغتربن، فإننا أمام قدوات حقيقية ونماذج رائعة من النساء اللاتي هاجرن واغتربن وهن يحملن سماتٍ قوية، وتكوينًا مثاليًّا لشخصية المرأة المسلمة، وعلى رأسهن: (أمهات المؤمنين أم سلمة ـ وأم حبيبة ـ والصحابية أسماء بنت عميس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

ومن خلال بعض أحاديثهن المتعلقة بالهجرة إلى الحبشة يظهر لنا بعض أسس تكوينهن ومميزات شخصيتهن، وهذا قليل في جانب استقراء بقية الأحاديث والآثار المتعلقة بهن، والتي تنم عن سمات كثيرة لشخصياتهن، لكني أحاول أن أقتصر على واحدة منهن بالتفصيل لبيان ما يتعلق بأسس تكوين المسلمة المغتربة.

أسماء بنت عميس[1]:

هذه الصحابية الجليلة تنقل لنا من خلال الروايات الحديثية جزءًا من تكوين المرأة المسلمة بشكل عام، وما يتعلق بالمغتربة بشكل خاص:

(١) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة ابن غانم بن معاوية بن زيد الخثعمية، وقيل: عميس هو ابن النعمان بن كعب، والباقي سواء. كانت أخت ميمونة بنت الحارث، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمها، أسلمت أسماء قبل دخول دار الأرقم وبايعت قال أبو عمر: كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب، فولدت له هناك أولاده، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمدًا، ثم تزوجها علي، فيقال ولدت له ابنه عونًا، مناقبها كثيرة، توفيت بعد وفاة سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: ترجمتها في: الطبقات الكبرى ٨/ ٢١٩، وما بعدها، والاستيعاب٤/ ١٧٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٢: ٢٨٧، والإصابة ٨/ ١٥، وما بعدها.

وأذكر أولًا بعض الروايات التي تتعلق بها وبما يستدل على تكوينها وخاصة في بلاد الهجرة والغربة، ثم أعلق على ذلك مستنبطًا سمات التكوين وعوامل التأسيس:

أخرج عبد الرزاق عن أسماء بنت عُميسٍ قالت: (أولُ ما اشتكى رسولُ الله ﷺ في بيت ميمونة، فاشتدّ مرضُه حتى أُغمي عليه، قال: فتشاور نساؤُه في لدّه فلدّوهُ، فلمّا أفاق قال: «هذا فعلُ نساءٍ جئن من هؤُلاء» وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت أسماءُ بنتُ عُميسٍ فيهنّ، قالوا: كُنّا نتّهمُ بك ذات الجنب يا رسول الله، قال: «إنّ ذلك لداءٌ ما كان الله ليقذفُني به لا يبقينّ في البيت أحدٌ إلا التدّ إلا عمُّ رسول الله ﷺ» ـ يعني عبّاسًا ـ قال: فلقد التدّت ميمونةُ يومئذٍ وإنّها لصائمةٌ لعزيمة رسول الله ﷺ)[1].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (بلغنا مخرجُ النبيّ ﷺ ونحنُ باليمن، فخرجنا مُهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرُهم، أحدُهما أبو بُردة، والآخرُ أبو رُهمٍ، إمّا قال: بضعٌ، وإمّا قال: في ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجُلًا من قومي، فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشيّ بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبيّ ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أُناسٌ من النّاس يقولون لنا، يعني لأهل السّفينة: سبقناكُم بالهجرة، ودخلت أسماءُ بنتُ عُميسٍ، وهي ممّن قدم معنا، على حفصة زوج النبيّ ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيّ فيمن هاجر، فدخل

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٤٢٨)، حديث رقم: (٩٧٥٤) عن معمر، عن الزهري قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أسماء قال ابن حجر: رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح ينظر: فتح الباري ٨/ ١٤٨.

عُمرُ على حفصة، وأسماءُ عندها، فقال عُمرُ حين رأى أسماء: من هذه؟

قالت: أسماءُ بنتُ عُميسٍ.

قال عُمرُ: الحبشيّةُ هذه البحريّةُ هذه؟

قالت أسماءُ: نعم.

قال: سبقناكُم بالهجرة، فنحنُ أحقُّ برسول الله ﷺ منكُم!

فغضبت وقالت: كلا والله، كُنتُم مع رسول الله ﷺ يُطعمُ جائعكُم، ويعظُ جاهلكُم، وكُنّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايمُ الله لا أطعمُ طعامًا ولا أشربُ شرابًا، حتى أذكُر ما قُلت لرسول الله ﷺ، ونحنُ كُنّا نُؤذى ونُخافُ، وسأذكُرُ ذلك للنّبيّ ﷺ وأسألُهُ، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ، ولا أزيدُ عليه.

فلما جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيّ الله، إنّ عُمر قال: كذا وكذا؟ قال: «**فما قُلتِ لهُ؟**» قالت: قُلتُ لهُ: كذا وكذا، قال: «**ليس بأحقّ بي منكُم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكُم أنتُم ـ أهل السّفينة ـ هجرتان**».

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السّفينة يأتوني أرسالًا، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدُّنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفُسهم ممّا قال لهم النبيُّ ﷺ، قال أبو بُردة: قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنّه ليستعيدُ هذا الحديث منّي)[1].

وأخرج الفاكهي عن مُحمّدُ بنُ سلامٍ، قال: حدّثني بعضُ أصحابنا (أنّ أول من أُسمي باسم النبيّ ﷺ مُحمّدُ بنُ حاطبٍ رضي الله عنه؛ وُلد بأرض الحبشة

(١) حديث متفق عليه، ويأتي تخريج الحديث كاملا في الملحقات آخر الكتاب.

وأرضعته أسماءُ بنتُ عُميسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأرضعت أُمُّه عبد الله بن جعفرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا)[1].

ففي هذه الروايات يتضح لنا جملة من تلك الأسس في تكوين شخصية المرأة المسلمة تجسدها أسما بنت عميس.

أولًا: حاضرة ومتفاعلة مع الأحداث.

فوجود أسماء بنت عميس عند نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقربها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ يترجم شيئًا مما كانت عليه في هجرتها وغربتها أنها قريبة من المجتمع المسلم، حاضرة في الجالية الإسلامية بقوة، مشاركة للأحداث التي تمر بها جماعتها وأمتها.

ثانيًا: متواصلة اجتماعيًّا.

فأسماء بنت عميس توضح أنها امرأة زائرة (تزور بيوت النساء وتتقرب إلي نساء مجتمعها المسلم)، وهذه الزيارة المتكررة ـ كما جاء في الروايات ـ تؤكد على سمات الشخصية المسلمة من اندماجية ومحبة واهتمام بمجتمعها، فضلًا عن مشاركتها في كل الأحداث المتعلقة بالرجال والنساء.

---

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ١٩١) ٢٠٠٨ - حدثنا الزبير بن أبي بكر، قال: حدثني محمد بن سلام، وإسناده ضعيف لجهالة من روى عنهم.
قلت: وقد ذكر القصة كل من ابن عبد البر، وابن الأثير والذهبي وابن حجر، وعزا الرواية إلى ابن أبي خيثمة عن محمد بن سلام، وكذا ذكرها تقي الدين الفاسي المكي، كلهم في ترجمة محمد بن حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ينظر: الاستيعاب ٩/ ١٣٦٩، وأسد الغابة ٥/ ٨٠، وتذهيب التهذيب ٨/ ٧١، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢/ ١٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٨.

ثالثًا: صاحبة رأي ومشورة.

فهي لا تدخّر جُهدًا في تقديم الرأي والمشورة عندما يفتح بابها أو يحتاج المجتمع إليها، وكونها تدلي برأيها في مرض رسول الله ﷺ يفهم منه قوتها في الرأي والحجة، وعدم ادخار الجهد، أو الخوف من الادلاء بما تعلم أو ما تراه صوابًا، صادقة في كلامها، ومخلصة في نصحها وإرشادها، ومستفرغة جهدها حتى وإن جاءت النتيجة بخلاف ما أدلت به.

رابعًا: مدافعة عن رؤيتها ووجهة نظرها.

وهذه من أجمل صفاتها التي تدل على تكوين شخصيتها والتي لا محالة تشكلت معظمها في غربتها ودار هجرتها الأولى الحبشة؛ فالمجتمع الذي يعرف لغة الحرية ويفتح المجال لأفراده ومواطنيه يُكوّن تلك السمات في الشخصية، خاصة عندما تأمن على نفسها من تسفيه ومظلمة، فنراها توضح لرسول الله ﷺ ما جعلتها تقدم على ما فعلت ولا تخجل منه، وهذا كان واضحًا في كلامها وحوارها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خامسًا: ناقلة للخبرات التي اكتسبتها.

وهو دليل التعليم في بلد الهجرة، وأخذ الخبرات في المجالات المختلفة، وهو يعني قوة حركتها الإيجابية في مجتمعها، وتفوقها في اكتساب الجديد في حياتها، ووعيها الشديد في طلب الحكمة وجمع المعارف والثقافات من أرض الحبشة، كما جاء في مرض النبي ﷺ.

سادسًا: مشاركة في الحوار ومتكلمة.

فهي لا تنيب عنها أحدًا إذا تعلق الحوار بها، أو السؤال عنها، أو عن وجودها

الإسلامي الذي كانت فيه، فعندما سأل عمر بن الخطاب أم المؤمنين عنها بادرت بالتأكيد عن اسمها، واستلام الحوار مع عمر بنفسها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سابعًا: جريئة في الحق.

وليس سهلا أن تتكلم بهذا اللسان ولا بقوة هذا الحوار مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد هابه نسوة المدينة[1]، بل وتدافع عن فهمها وتزاحم عمر في رؤيته وتؤكد صحة رأيها.

ثامنًا: ملمة بواقع المسلمين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو دليل المتابعة المستمرة ومعرفة الجديد في المجتمع الأول، وهو علامة عدم الانشغال عن إخوانها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورسولها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحاجز البعد المكاني أو الميداني، فهي تقص على عمر أمرهم مع رسول الله في فترة هجرتها وما كانوا عليه من حال بين يديه.

تاسعًا: لا تفرط في حقها ولا قضيتها.

وهو من أجمل ما تتميز به، فهي لم تمرر الحوار، أو تسكت معترفة بهزيمتها،

(١) كما أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري (٤/١٢٦)، حديث رقم: (٣٢٩٤) من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك».

أو تتغافل عنه، بل ما تكلم به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان دافعًا لها لإزالة التهمة، وداعيًا لنصرة رأيها، وطلبًا للإنصاف عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبيان حقها ووجهة نظرها والموافقة على ذلك، وجميع هذا يدلل على أنها امرأة تبحث عن الإنصاف والعدل، ولا تسكت عن الجور والظلم، ولا ترضخ إذا مُست في حق أو أُخرت في رتبة.

عاشرًا: صادقة في النقل وثابتة في المبدأ.

فقد قالت لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وأسألُهُ، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ، ولا أزيدُ عليه). وهذا كله علامة الصدق في النقل، وهو متطلب لعناصر الوضوح والشفافية، وتلمس الحق، وعدم استمالة الحكم ببيان أو خديعة، وسلامة الموقف، وقوة الرؤية والمنطلق، والرضا بالنتيجة بعد ذلك.

أحد عشر: تحترم مرجعيتها وترجع إليها.

فهي تعلم أن بناء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته ودولته إنما هو بناء عظيم تحترم فيه المرجعيات، وترسخ من خلاله فكرة المؤسسات، ويُعلى فيه من لغة القضاء للفصل والتحاكم عند التنازع والخلاف.

ثاني عشر: متعاونة مع الجميع في دار الهجرة.

فإرضاع أسماء لمحمد بن حاطب وهو ابن اختها المهاجرة نموذج بسيط يستدل به على التعاون والحب والإخاء الذي كانت عليه الجماعة المسلمة في بلاد الهجرة، ولعله يستنبط من ورائه أمورا، مثل:

- تعهد أولاد المسلمين والمسلمات من المهاجرة.
- تقديم يد العون والمساعدة المستمرة.

ـ العلاقات الإيجابية والتفاعل اليومي مع بعضهم.

ـ كثرة الزيارات للبيوت وتخفيف حدة الغربة على الجميع.

ـ تحمل المسئولية الجماعية، وتخفيف الأحمال والثقل على المهاجرة، وغير ذلك، وكله يضاف إلى سمات أسماء بنت عميس وغيرها من المهاجرين والمهاجرات الذين كانوا في أرض الحبشة.

على أنه جاءت رواية في السيرة النبوية تدلل على أن هذا التعاون والمساعدة لم يكن قاصرًا على أبناء المسلمين أو المكيين فقط، بل تعدى إلى أهل الوطن الجديد الحبشة، وهو دليل الاندماج وتعميم أخلاق المسلمين على من يعيشون معهم وعلى أرضهم، ذكر السهيلي في الروض الأنف ما يشير لذلك قال: (وذُكر أن جعفرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولد له بأرض الحبشة ثلاثة أولاد مُحمّد وعون وعبد الله، وكان النجاشيّ قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله، فأرسل إلى جعفر يسأله كيف أسميت ابنك؟ فقال: عبد الله. فسمى النجاشيّ ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عُميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله، فكانا يتواصلان بتلك الأُخوة، قال السُّهيلي: ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام كان ابنًا للنجاشي نفسه)[1].

ثالث عشر: متخصصة في علوم الطب والاستشفاء.

وقد بينت الرواية أنها كانت قد لدّت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد تشخيص مرضه بأن به ذات الجنب (الكُلى)، ومن خلال النظر في روايتها المتعلقة بها في السنة النبوية يتضح أن لها تمرسًا بمثل هذه الأمور، وأذكر أمثلة على ذلك:

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ٦/ ٥٨٧، وذكره ابن حجر أيضًا في الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٧٧.

فقد روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث عن أسماء بنت عُميسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (سألني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بماذا تستمشين؟» قُلتُ: بالشُّبرُم، قال: «حارٌّ حارٌّ» قالت: ثم استمشيتُ بالسّناء، قال: «لو كان في شيءٍ شفاءٌ من الموت لكان في السّناء»[1].

التعليق:

من خلال دراسة شخصية أسماء بنت عميس وأحاديثها في ظلال هجرتها إلى الحبشة أو بُعيدها يظهر لنا هذه السمات والأسس التي تكونت منها شخصيتها وكانت فيها راسخة متجذرة، والتي بالضرورة لا بد أن تكون نواةً ومثلًا لكل امرأة كانت في موقفها وتغربت عن بلادها مثلها، وهذه الصفات كفيلة بتقديم نموذج رائع عن المرأة المسلمة وجمالها للمسلمين والمسلمات أولًا قبل الآخر الذي يراقبنا ويريد أن يتعرف علينا وعلى جمال تكويننا وديننا[2].

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٠٨)، حديث رقم: (٢٠٨١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٨)، حديث رقم: (٨٢٣٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال: صحيح. قال الملا علي القاري: (يشهد له رواية ابن ماجه والحاكم بسند صحيح، عن عبد الله بن أم حرام)، وقد صححه السخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي في الأحاديث النبوية: (١/ ٢٧٦)، وكذلك رمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة، حديث رقم (٧٤١٤).

(٢) قلت: وهذا نموذج واحد للمرأة المسلمة في بلاد الهجرة والاغتراب، فضلا عن دراسة بقيتهن واستخلاص سمات تكوينهن، وخاصة أمهات المؤمنين، والذي سيظهر تباعًا في هذا الكتاب من خلال ما يستنبط من أقوالهن وأفعالهن، ولم نتعرض لذلك هنا خشية الإطالة والتشعيب.

سمات حركة المسلمة المهاجرة (المغتربة) في بلاد الحبشة

الأمر الثاني: الذي يتعلق بالمرأة المسلمة المهاجرة والمغتربة هو بيان سمات حركتها بعد أن علمنا أسس تكوينها، وهذه الأسس مع بيان بعضها ينم على حركة دءوبة قوية للمرأة المسلمة في بلاد الاغتراب، ومن خلال الأحاديث النبوية نستخلص جزءًا من هذه السمات الحركية عند المرأة المسلمة:

فقد أخرج البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (لمّا اشتكى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرت بعضُ نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يُقالُ لها: ماريةُ، وكانت أُمُّ سلمة، وأُمّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسهُ، فقال: **«أولئك إذا مات منهم الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا فيه تلك الصّورة أولئك شرارُ الخلق عند الله»**[1].

من خلال هذا الحديث الشريف يتضح لنا جملة من المفاهيم والمعالم التي توضح حركة المرأة المسلمة في بلاد الاغتراب، وتجلي من خلال استنباطات النص النبوي الشريف شبهات اتهم بها الإسلام الحنيف في ملف المرأة المسلمة، نجلي ذلك فيما يلي:

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠)، حديث رقم: (١٣١٤) ومسلم (١/ ٣٦٧)، حديث رقم: (٥٢٨)

١ـ الاندماج والتعايش مع الآخر:

فالحديث يوضح بجلاء تام الاندماج والتعايش مع الآخر من المرأة المسلمة ـ أحد عناصر الوجود الإسلامي كأقلية ـ في المجتمع الجديد، ويدفع لغة وتهمة الانعزالية والانطوائية للمرأة عن المجتمع الجديد، ويؤكد من خلاله دعوة المهاجرات للتأسي بنموذج المهاجرات الأول في التعايش والحركة.

٢ـ الزيارات الميدانية:

وخاصة لمعالم الوطن الجديد وخاصة المعالم العبادية والتراثية، تُبرهن على التعايش المحمود الذي أسسته الجماعة المسلمة، وعلى رأسها المرأة في المجتمع الجديد، وتؤكد على الانفتاح المبكر على الآخر، وفي المقدمة منه المرآة المسلمة.

٣ـ اليقظة والتفاعلية:

وهذا يتضح أيضًا من خلال زياتهما، فبيان الصورة المنقولة والوصف الدقيق لمعالم الكنيسة واسمها ما يستدل به على أن الزيارة لم تكن للرؤية فقط، أو لإضاعة الوقت والاستمتاع الدنيوي، بل ينم عن عقلية تسجل ما يمرّ عليها بعناية ودقة وهو دليل سلامة عقلها، وقوة تركيزها، وحافظتها التي يستدل بها على ما ينبغي أن يكون عليه المهاجر من إدراك لما يكون حوله، ومعرفة معالم وطنه الجديد، وعدم النسيان منهن، يجلي لنا حضور العقل ويقظته والاهتمام الرائع والتفاعل القوي الذي أبرزته أمهات المؤمنين أم سلمة وأم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤ـ حرية المرأة في الحركة المجتمعية:

ففي الحديث بيان حرية الحركة لأم سلمة وأم حبيبة وغيرهما، الأمر الذي

يوضِّح جانبًا مهمًّا من الحرية وعدم الأذى التي ذكرته تأكيدًا من روايتها، وهو دليل حسن تعامل الأحباش مع الأقليات المسلمة، وأن ما جاء من بعض الأذى المذكور في بعض الروايات لا يعدو كونه حالات فردية أو شاذة لا تسلم منها جميع المجتمعات والدول...

٥ـ المسئولية المشتركة مع الرجال:

وبيان هذا أنها تحمل من المعرفة والعلم ما لا يحمله الرجال أحيانًا أو يلتفتوا إليه، وكأننا أمام لُحمة واحدة ونسيج متوائم بين أفراد الوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب، فهناك مَن يرصد ويدقق ويلحظ ويسجل، وهناك من يُعلم ويعمل ويسعى.. إلخ، والجميع متفقون على توزيع الأدوار فيهم، متناغمون في لغة التكامل بينهم، ولا ننسى قبل هذا تحمل المسئولية منهن في التربية والصغير والدعم والصبر.

٦ـ تسجيل الأحداث والمواقف:

لعله يستنبط منه أيضًا ما يعرف بتدوين الوجود الإسلامي وحركته في بلاد الاغتراب، وممكن أن نسميه بلغة العصر الحديث (عرض الوقائع وتسجيل الأحداث)، أو (كتابة التاريخ) وفعل الصحابة، وخاصة النساء اللاتي نقلن هذا لرسول الله ﷺ والأمة من بعده دليل على وعيهم لهذا الأمر، وتسجيل أيامهم لغيرهم، فهما لأهمية ذلك للوافد والمهاجر الجديد، ودعوة ضمنية لكتابة وتسجيل ما تمرّ به الجماعة المسلمة والوجود الإسلامي من أحداث في أوطانهم، وهذا التسجيل بدأ بالرواية والقص والسرد، وانتهي بالكتابة بعد ذلك كما في جميع السيرة والأحاديث.

٧ـ العمل الجماعي:

فالزيارة كانت جماعية، وهو دليل العمل والحركة الجماعية من أمهات المؤمنين أم سلمة وأم حبيبة، وهو ما ينفي الفردية والشذوذ، ويؤكد أن هذه الحالة كانت عامة في نساء الهجرة الأولى والمجتمع الأول، وليست حالة فردية لأحد النساء، بل كان سمْتًا جماعيًّا خلفه التكوين المحمدي فيهن، فالحركة الجماعية تؤكد الروح السارية بينهن وفهمهن لتكميل بعضهن.

دلالات أخرى في التكوين والحركة للمرأة المهاجرة:

من أجمل ما ينبغي التأكيد عليه من خلال الحديثين الشريفين هو كيفية عرض المرأة المسلمة للأحداث ونقل تصورها للكنيسة أو للمعلم التراثي في بلاد الغربة، مما يترجم ويعكس جملة من المفاهيم والمعالم، وهي كما يلي:

أ ـ طريقة عرض الأمر ونقله يُشعرك بمدى أخلاق المرأة المسلمة المغتربة بصفة عامة، ومثاله: انتقاء ألفاظها في الحديث عن الآخر.

ب ـ ويدل على الاحترام الكبير من نساء الوجود الإسلامي للمجتمع الجديد ومعالمه حتى مع من يخالف عقيدتهم فلا يتبع العرض تهكم، ولا تحقير، ولا تسفيه وازدراء، مما يؤكد تكوينها وتربيتها الذي هو بالطبع سمة عامة في خريجي المدرسة النبوية المحمدية.

ت ـ يجلي أيضًا قضية الحديث بالإيجابي لا السلبي، فذكر المحاسن والجماليات إنما هو نتاج الأخلاق العالية، وإفراز لمكنون الصدور من فهم ووعي وحب وسعة صدر، وكل هذا يجعل العين تقع على الإيجابي الممدوح لا السلبي المذموم، فيطبع في القلب ومن ثم يتذكر وينقل.

ث ـ بيان لغة الإنصاف والتجرد العالي الذي يجعل المتحدث عن الشيء والناقل له يذكر روائع ما يحمله دون محاولة لغيابه لتقليل أو تسفيه أو كراهية، بل بحيادية تامة حتى لا يكون كاذبًا في نقله، موهمًا لغيره في حكمه، مزيفًا ومدلسًا لحقيقة بلد استقبله واستضافه.

التعليق على ما سبق:

من خلال ما سبق يتضح لنا جزءٌ من تكوين المرأة المسلمة في الغربة وحركتها، ويجلي معالم ومفاهيم مهمة لنا حول طبيعة المهاجرين الأول والمرأة منهم في المقدمة، من تفاعل ومعايشة وحركة في الوطن الجديد، وهو أيضًا يرد على من يتحدث عن المرأة المسلمة، سواء من أبناء دينها، أو من المخالفين لها بشيء من الانتقاص، أو التسفيه، أو الادعاء بغير حق بحقيقة الأمر وتصحيح المسار، وتوضيح ذلك كله يجعلنا نعيد النظر إلى المرأة المسلمة عامة وفي المجتمع الغربي خاصة، وندعوها لمزيد حركة وتفاعل وتعايش، ولا بد أن يكون كل ذلك ـ دون إخلال بتعاليم دينها ومعتقدها ـ قويًّا وكاملًا، وإذا كانت حركة المرأة المسلمة تبلورت في زيارتها الميدانية للكنائس والمعالم، وهما في ذروة التفاعل والتعايش مع الآخر فما دون ذلك فهو أولى وأمثل.

ولا نغفل هنا نقطتين مهمتين ينبغي الإشارة إليهما:

أولًا: أن دور العبادة في أرض الحبشة كانت مفتوحة للجميع: للزيارة، والمعرفة، والسؤال، ونقل الصورة، وهذا له مدلوله الذي يستوجب ألا يقل دور المؤسسات الإسلامية عنه في بلاد الأكثرية والأقلية من حسن تعامل بالمثل وزيادة، ودعوة إلى مزيد عقد اللقاءات التعريفية عن الإسلام ومؤسساته وتعاليمه من خلال فتحها للجميع.

ثانيًا: لم نرَ اعتراض من أحد عليهما: ممن عايش حركتهما في الحبشة واستمع لحديثهما وعلم دخولهما كنيسة الحبشة، أو أنكر صنيعهما وحقّر من أمرهما، أو رماهما بالرجعية وقلة الدين والالتزام، بل إن تعقيب النبي ﷺ عليهما ومشاركته الحديث معهما، وتصويب التصور لديهما في حقيقة الأمر إقرار منه ﷺ وموافقة على تلك الحركة التي انطلقتا بها، وتأكيدًا صريحًا على كمال فهمهما، وردًّا قويًّا على من يحجر على مثلهما أو يبدع صنيعهما.



(٣)
بناء المرجعية الإسلامية للوجود الإسلامي والالتفاف حولها

من أهم معالم وأسس التعايش بين الوجود الإسلامي في بلاد الغرب: هو بناء مرجعيتها الإسلامية التي تكون حاضرة في المشهد المتعلق بهم في بلاد الغرب خدمةً وتفاعلًا، وهذه المرجعية مكونة من قسمين أساسين: مرجعية فردية، ومرجعية مؤسسية (جماعية)، وكلاهما له دورٌ منوط به، ومنه ثمرة مرجوة من وراء تكوينه وحركته.

ومن ينظر في الهجرة إلى الحبشة ورجالها يستنبط منها: وجود نواة هاتين المرجعيتين الفردية والجماعية في مجتمع الاغتراب، ومن خلال الروايات التي جاءت في هذه الهجرة نستطيع أن نفطن إلى سمات تلك المرجعيتين وأسس بنائها وعوامل سيرها.

المرجعية الفردية في الوجود الإسلامي:

لا شك أن الوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب يمرّ بأشكال وأطوار مختلفة من حيث الكم والكيف، يبدأ بنواة صغيرة ومجموعة محدودة من الأفراد، ويصعد تدريجيًّا لتأسيس مؤسسات وجمعيات تخدم المجتمع عامة والمسلمين خاصة، ومع هذا التطور السريع والمفروض على أرض الواقع تبقى المرجعية الفردية

قائمة يحتاج إليها الأفراد لتسيير قضاياهم، وتجميع صفّهم، وتوحيد كلمتهم، وتعليم جماعتهم وأبنائهم، ومن الممكن أن يكون أهم الأدوار التي تقوم بها هذه المرجعية هي ما يتعلق بالشأن الداخلي للمسلمين في الغرب ويمثله الأئمة والعلماء وأصحاب الخبرات والرأي والفكر.

ويمكن أن يكون هذا النموذج ممثلًا في الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد كان الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول أمير ومرجعية إسلامية في بلاد الاغتراب والأقليات المسلمة، وفكرة المرجعية والإمارة فكرة تقوم في المقام الأول على القيادة للمجموعة قيادة رشيدة حكيمة، ينبغي أن يكون المتصدر لها يحمل صفاتٍ جليلةً تؤهله لهذا المنصب وذلك التكليف، وقد كان هذا الأمير مكلفًا من قِبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاءت الروايات بذلك، قال ابنُ هشامٍ: (وكان عليهم عُثمانُ بنُ مظعونٍ، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم)[1].

قلت: وقد حمل عثمان بن مظعون صفات رائعة تبين معدن وسمت هذه المرجعية التي أمّرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أقف محللًا خبرًا واحدًا منها مع كثرة ما ورد في عثمان بن مظعون من مناقب لأهمية هذا الخبر الذي كان لصيقا بأجواء الهجرة وزمانها؛ إذ كانت أحداثه بعد العودة من الهجرة الأولى إلى الحبشة مباشرة.

أخرج ابن إسحاق في سيرته قال: (فلما بلغ من بالحبشة سجود أهل مكّة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبلوا ومن شاء الله منهم، وهم يرون أنهم قد تابعوا النبيّ

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٣، وأثبته ابن كثير في السيرة ٢/ ٥، والشامي في سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٦٤، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ١٨٩، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٩٨.

ﷺ، فلما دنوا من مكّة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا، وتخوفوا أن يدخلوا مكّة بغير جوار، فمكثوا حتى دخل كل رجُل منهم بجوار من بعض أهل مكة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة.

قال ابنُ إسحاق: فحدثني صالحُ بنُ إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف، عن أبيه، عمن حدثه قال: لمّا رأى عُثمانُ بنُ مظعونٍ ما فيه أصحابُ رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروحُ في أمانٍ من الوليد بن المُغيرة، قال: والله إنّ غُدوي ورواحي آمنًا بجوار رجُلٍ من أهل الشّرك، وأصحابي وأهلُ ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبُني، لنقصٌ كبيرٌ في نفسي.

فمشى إلى الوليد بن المُغيرة، فقال له يا أبا عبد شمسٍ، وفت ذمتُك، قد رددتُ إليك جوارك، فقال له: يا ابن أخي لعله آذاك أحدٌ من قومي؟ قال: لا ولكنّي أرضى بجوار الله، ولا أُريدُ أن أستجير بغيره؟

قال: فانطلق إلى المسجد، فاردُد عليّ جواري علانيةً كما أجرتُك علانيةً. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليدُ: هذا عُثمانُ قد جاء يردّ عليّ جواري، قال: صدق، قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جواره، ثم انصرف عُثمانُ، ولبيدُ[1] بنُ ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلابٍ في مجلسٍ من قُريشٍ يُنشدُهم، فجلس معهم عُثمانُ، فقال لبيدٌ:

ألا كُل شـــيءٍ ما خلا الله باطلُ .....

قال عُثمانُ: صدقت.

(١) هو: لبيد أبي ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنى لبيد بن عقيل، وكان من شعراء الجاهلية، وأدرك لبيد الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بنى كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم. ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٦٩.

قال لبيدٌ:

..... وكل نعيـمٍ لا محالـة زائـلُ

قال عُثمانُ: كذبت، نعيمُ الجنّة لا يزولُ.

قال لبيدُ بنُ ربيعة: يا معشر قُريشٍ، والله ما كان يُؤذى جليسُكُم، فمتى حدث هذا فيكُم؟

فقال رجُلٌ من القوم: إنّ هذا سفيهٌ في سُفهاء معهُ، قد فارقوا ديننا، فلا تجدنّ في نفسك من قوله، فردّ عليه عُثمانُ حتى شرى[1] أمرُهما، فقام إليه ذلك الرّجُلُ فلطم عينه فخضّرها، والوليدُ بنُ المُغيرة قريبٌ يرى ما بلغ من عُثمان، فقال: أما والله يابن أخي كانت عينُك عمّا أصابها لغنيّةٌ، لقد كُنت في ذمةٍ منيعةٍ.

قال: يقول عُثمانُ: بل والله إنّ عيني الصّحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أُختها في الله، وإنّي لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمسٍ.

فقال له الوليد: هلم يابن أخي، إن شئت فعُد إلى جوارك، فقال: لا. وفي رواية: (فقال عثمان: جوار الله آمن وأعز وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولي برسول الله ﷺ وبمن آمن معه أسوة. فقال الوليد: هل لك في جواري؟ فقال عثمان: لا أرب لي في جوار أحد إلا في جوار الله)[2].

---

(١) شرى: زاد وعظم.

(٢) ينظر: سيرة ابن إسحاق، ص١٦٨، وأخرجه ابن هشام في السيرة ١/ ٣٧٠-٣٧١، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده مرسل، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٠٣-١٠٤ من طريق ابن إسحاق، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٩٢ من طريق موسى بن عقبة، والطبراني في الكبير ٩/ ٢١-٢٤ مرسلًا، من طريق عروة، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٣٢-٣٤: وفيه ابن لهيعة، وقد ورد شعر لبيد في حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري =

ومن خلال هذه الرواية يتبين لنا كثيرٌ من صفات تلك المرجعية التي كانت نواة صالحة وقدوة حقيقية تلتف الناس حولها وتنهل من معينها، وهي كما يلي:

أولًا: الإحساس الدائم والقوي بإخوانه.

فالمرجعية من أهم صفاتها اللازمة رهف الإحساس المستمر والعالي بمن حوله ومن تحت يديه وإمرته، وقد بات هذا واضحًا جليًّا في الرواية وهو يتعذب لما كان فيه من النجاة وإخوانه من العذاب والتضييق، وإذا لم يكن الراعي ذا إحساس عالي برعيته، فكيف يكون ملاذًا وخادمًا لهم.

ثانيًا: المعايشة الكاملة لإخوانه في السراء والضراء.

فهو لا يهنئ بالنوم وإخوانه يعذبون ويتنعم بالنعم وغيره من أبناء عقيدته يتضاغون ويفتنون، لا يستطيع أن يحترم ذاته ولا نفسه وفي أرضه إخوة له يعانون ما لا يعاني ويلقون ما لا يلقى، بل يعلمنا أن الراعي والمسئول في البلية مع الرعية من أول المعايشين لها المتعرضين لشدتها، وبهذا يزداد قدرًا ومحبة وطاعة.

ثالثًا: الحب العميق في الله.

فعثمان بن مظعون لم يتحرك إلى ترك جوار الوليد إلا لمحبته الشديدة لأصحابه وإخوانه حبًّا في الله يجعله يؤثر العنت والمشقة على الراحة والسلامة،

= في مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم: ٣٨٤٩، ومسلم في كتاب الشعر، رقم: ٢٢٥٦، ثم ذكر الحافظ ابن حجر رواية ابن إسحاق الآنفة الذكر عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. ينظر: الفتح ٧/ ١٥٣.

وينظر: الرواية في: السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ٦٠، والروض الأنف ٣/ ٢٠٩، والموسوعة في صحيح السيرة النبوية ١/ ٣٢٦، وصحيح السيرة النبوية، للعلي، ص٩٢.

وهذه لا تُشترى ولا تباع ولا تدعى، بل أمرها وعلامتها أرض التطبيق والواقع، وسرعة اللحاق بالآخر في ركبه ولحمته.

رابعًا: إيثار الجماعة المسلمة على غيرهم.

فهو رجل لا تستهويه العروض البراقة المنفردة التي تُقصيه عن ركبه وصحبه ونبيه، ولا تغريه القوانين التي تجعله آمنًا في ظاهره سجينًا في نفسه وباطنه، يعيش مع النكبات أينما كانت فلا يعتذر لنفسه ولا يسوغ لفعله، يعلم جيدًا أنه كثيرٌ بهم مهما كانوا عليه من المشقة والضعف، قليل بنفسه مهما كان فيه من الراحة والقوة، ومثله يستحق أن يكون أميرًا ومرجعية ولو على نفر قليل.

خامسًا: يحترم الآخر ولا ينقصه قدره وفعله.

فهو لا يحقر إنسانا لمخالفته لعقيدته أو حتى لعداوته لجماعته، بل يتكلم بما كان منه وما وصل إليه؛ فقال في الوليد الذي جاره: (صدق وقد وجدته وفيًّا كريم الجوار). فلا يبخس معروفًا ولا ينقص قدرًا، وهو وإن كان كذلك فإنه يدل على أمرين أساسين:

أحدهما: انه يُحسن التعامل مع المخالف له ما دام لم يصبه منه سوء، ولم يقربه بعدوان، وهو بهذا ذو رشاد وفهم عال في التعامل مع الآخر، وخاصة في أرض الحبشة، فقد يتكرر كثيرًا مثل هذا مع الأفراد والمؤسسات والحاكم.

وثانيهما: أنه بهذا الاحترام العالي في القول والفعال مع الآخر ليبرهن على أنه سيكون كذلك بين إخوانه وأكثر من باب أولى، وتلك شيم رائعة ينبغي أن تتحلى بها المرجعية المسلمة.

سادسًا: الاعتزاز بدينه والركون لربه.

فلا موطن لخجل ولا مساحة لاختباء، وهو أمر يجب أن يكون عليه المرجعية والمسئول الذي يتولى أمر رعية وأقلية، فالاعتزاز بربي وديني اعتزاز لا يقلل كرامة الآخر ولا يعاديه ولا يزدريه، لكنه في نفس الوقت بمثابة تأكيد دائم للمنطلق الذي من أجله خرجوا وهاجروا، وعليه وفيه تحملوا وضحوا، وهو تذكير دائم للجماعة المسلمة إذا وثب إليها نسيان أو غفلة أو انصهار غير محمود في المجتمع الآخر.

سابعًا: الجهر بالحق فيما يمس العقيدة والدين.

وهذا الفعل الذي قام به عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع لبيد ليتفتق عن شخصية نجيبة عالية في الفهم والوعي والإدراك.

فهو أولًا: يدرك ما يُلقى على مسامعه وجوارحه، وهو دليل الانتباه الشديد وعدم الغفلة الطاعنة في تصدره.

وهو ثانيًا: يدلل على الإنصاف الكامل الذي ينبع من قبول صدر بيت من الشعر يحمل الصدق فيه، وردّ عجزه من كذب وافتراء سيق معه، فلا سكوت ولا مداهنة في موطن البيان والتصحيح فيما يخص العقيدة والدين.

ثامنًا: التضحية والصبر.

فلا ضير أن المرجعية ينال من الأذى والمشقة ما يناله الآخرون من إخوانه، بل ربما كان هذا الأذى أحيانًا من إخوانه في بعض الأحوال والمواقف، فينبغي أن يحمل هذين الخلقين المهمين، والذي يؤخذ من عثمان بن مظعون في موقف اللطم هو دليل قناعته بالتضحية والصبر اللذان يبذلان في المواقف من إخوانه

وجماعته قبل الآخر، فهو أولى بهما عند وجود ما يستدعي حضورهما، وأحكم لضبط النفس عند دنوّ شمسهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تاسعًا: أخذ الأسوة من نبيِّه وإخوانه.

فمن جمال ما أسسه عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان سمت المرجعية الإسلامية: أنه مقتدٍ بأسوته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخوانه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو منهم وهم منه، فلا فوقية ولا استعلائية في التعامل، ولا قداسة تمنح له ولا سلطة مطلقة أو استغناء عن جماعته مما يدلل ما كان عليه وسط تلك الهجرة المباركة، وكيف كان سيره فيهم وسيرهم معه؟.

صفات أخرى مهمة:

ذكرت كتب السنة والتراجم بعضًا من صفاته وجزءًا من تركيبة شخصيته التي جعلت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختارها كأول مرجعية إسلامية للوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب.

قال ابن الأثير وتابعه النووي في وصف عثمان بن مظعون: (كان من أشد النّاس اجتهادًا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات، ويعتزل النساء[1]، واستأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التبتل والاختصاء، فنهاه عن

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٦٧)، حديث رقم: (١٠٣٧٥) عن معمر، عن الزهري، عن عروة، وعمرة، عن عائشة قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون، اسمها خولة بنت حكيم على عائشة، وهي باذة الهيئة، فسألتها: ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت ذلك له عائشة، فلقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا»** إسناده صحيح.

ذلك[1]. وهو ممن حرم الخمر على نفسه، وقال: لا أشرب شرابًا يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني)[2].

التعليق:

قلت: هذه صفات تضم إلى ما سبق من بيان مرتكزات الشخصية المجمعة وتركيبة المرجعية الإسلامية، فقد جمع الصحابي الجليل عثمان بن مظعون من جمال العلاقة وحسنها مع ربه عَزَّوَجَلَّ ومع نبيه وقدوته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومع إخوانه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ما جعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يختاره ليكون أميرًا ومرجعية لإخوانه مما يؤكد أهمية أن تكون المرجعية الفردية بهذه السمات، فلا تصدّر لمن بعُد عن محراب ربه، ولا التفاف حول من عاش بعيدًا عن واقع أرضه وقومه، وهذه أبرز الصفات وغيرها في صفحة عثمان كثيرة كبيرة.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٠)، حديث رقم: (١٥١٤)، حدثنا حجاج، أخبرنا ليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب، أنه سمع سعد بن أبي وقاص، قال: (أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل، فنهاه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولو أجاز ذلك له لاختصينا)، وإسناده صحيح.

(٢) ينظر: أسد الغابة ٣/ ٤٩٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٢٦.

(٤)
المرجعية المؤسسية (الجماعية) في الوجود الإسلامي

المرجعية الثانية التي ينبغي التركيز عليها والتي هي من أهم ما يحتاجه الوجود الإسلامي في بلاد الغرب: هي المرجعية المؤسسية، لما تحمله تلك المرجعية من أهمية قصوى تبلغ بالوجود الإسلامي في أي بلد مبلغًا عظيمًا في المواطنة والحماية والخدمة كمًّا وكيفًا، وبما لا تستطيع المرجعية الفردية وحدها أن تقدمه مهمَا كانت قدراتها وأفرادها.

من أجل ذلك فطن المهاجر الأول لهذه المرجعية منذ أول قدم له وطِئتْ أرض الحبشة، وقبل أن نخطّ بالقلم بيان أول مرجعية مؤسسية للمسلمين في أرض الاغتراب لا بد أن نشير إلى نقطتين مهمتين:

الأولى: أن الدول والحكومات العادلة تقدر وتثمن وجود مرجعية للأقليات عندها وتُعيرها اهتمامًا كبيرًا، وربما صعدت تلك المرجعية لمكانة عالية مرموقة، وأصبحت بعد فترة رقمًا مهمًّا في الدولة حوارًا وتفاعلًا، وسنرى ذلك عمليا في تقدير وتثمين النجاشي وقومه لها.

الثانية: عندما نتكلم عن المرجعية المؤسسية فنحن نتكلم عن وجود كيان متكامل للوجود الإسلامي يعمل بشكل منفصل لكنه تكاملي في نفس الوقت، فلا يشترط أن تكون المرجعية واحدة لجميع الملفات المهمة للمسلمين على

الساحة الأوروبية والغربية، بل إن الدعوة إلى إنشاء جمعيات أو مؤسسات مجمعة تخدم كل منها ملفًّا للجالية والوجود الإسلامي وتقوم عليه وتسد خلله وثغره (إعلامية ـ قانونية ـ دينية ـ اجتماعية... إلخ) بات هو الشكل الصحيح.

ولنأتي إلى الكلام على المرجعية الجماعية في المهجر الأول الحبشة:

فلقد كانت الجالية الإسلامية والوجود الإسلامي كله عبارة عن مؤسسة جماعية تحضر التفاعلات وتجتمع في الأحداث دون استثناء، وسنؤكد ذلك من خلال ما قاموا به جميعًا في بلاد المهجر في جوانبه المتعددة؛ من حضورٍ كاملٍ عند مختلف المناسبات الاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، وكذلك عند الحوادث والمشكلات؛ مما دفع النجاشي نفسه أن يطلق عليه مسمى (حزب الله)[1].

غير أنهم عند اجتماعهم كانوا يقدِّمون متحدثًا باسمهم، وعريفًا عنهم، له من المقومات التي تؤهله للتعامل مع الآخر عند عرض المشكلات والحلول، ودفع الشبهات وتوضيح الأمور، والرد على التساؤلات، وكذلك عند استدعائه من مؤسسة الحكم والدولة، مما يجعلنا أمام مؤسسة كاملة ومرجعية جماعية حقيقية يتصدرها رئيس عنهم ومتحدث باسمهم على رأس كل مشهد عند اجتماعها.

ولعل من خلال مفردات هذا الفصل تتشكل هذه المرجعية ونعلم تكوينها من خلال ما قامت به على كافة القضايا والملفات، وسأفرد هنا الحديث والبيان عن ممثلها والمتحدث عنها والمعرف بها والمنافح عن قضاياها مركِّزًا على مقوماته وأسس اختياره.

---

(١) أخرجه البزار (٤/ ١٥٤) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال نا معاذ بن معاذ، قال: نا ابن عون، قال: حدثني عمير بن إسحاق، قال: حدثني عمرو بن العاص، سنده حسن، فيه عمير ابن إسحاق، فهو حسن الحديث، وسيأتي تخريج الحديث كاملًا في الملحقات آخر الكتاب.

جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رئيس الجالية الإسلامية في بلاد الحبشة:

وقبل الخوض في مقومات وأسس اختيار جعفر بن أبي طالب أحبّ أن أوضح ما يلي:

أولًا: أن الاختيار هذا إنما وقع بشكلٍ داخلي واستفتاء وانتخاب عامٍّ من الجالية المسلمة في بلاد الاغتراب، عكس ما حدث في الهجرة الأولى من تعيين من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رأيي أن هذا الأمر من أروع ما يجب الانتباه له والتنبيه عليه؛ لكونه في المرة الأولى لم يكن المسلمون على دراية بهذه البلاد ولا طبيعتها درايةً كاملةً، وكانوا في احتياج كامل لمن يُسيّر لهم الأمور، ويجمع كلمتهم وينظر في أحوالهم، فكان التعيين النبوي لهذه المقاصد وغيرها، أما في هذه المرة: فالأمر مختلف تمامًا؛ فقد عرف المسلمون البلاد، وفقهوا كثيرًا من ظروفها وأحوالها، وأصبح عليهم أن يتحملوا أمرهم بأنفسهم، فكان شأنهم شأنًا داخليًّا محضًا، واختيارهم وانتخابهم راجع لأنفسهم، وهذا يجعلنا نجزم أننا أمام أول انتخاب مبكر وحقيقي للمسلمين بشكل عام، وفي بلاد الاغتراب خاصة، قامت به الجالية المسلمة بشكل حر تمامًا.

ثانيًا: أن أسس الانتخاب والاختيار المتعارف عليها دوليًّا تكون بين أمور:

- إما باختيار وتزكية من الجماعة أو المؤسسة للأفراد.
- وإما بالترشح من الفرد نفسه مع الانتخاب إذا كان ثمة أكثر من مرشح، أو الموافقة عليه وتعيينه إذا لم يتقدم غيره الى الترشح.

وكلا الأمرين متعارف عليهما معمول بهما في أعراف أنظمة الدول والمؤسسات والأحزاب في الانتخاب والاختيار لمن يمثلها، وهذا تقريبًا ما حدث من الوجود الإسلامي الأول مهاجرة الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ويمثل الأمر الأول: ما جاء في رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قالت: ثم أرسل ـ النجاشي ـ إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاهم فلمّا جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرّجُل إذا جئتُموهُ؟ قالوا: نقولُ والله ما عُلمنا، وما أمرنا به نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كائنٌ في ذلك ما هو كائنٌ.

فلمّا جاءوهُ، وقد دعا النجاشيُّ أساقفتهُ، فنشروا مصاحفهم حولهُ، سألهم فقال: ما هذا الدّينُ الذي فارقتُم فيه قومكُم، ولم تدخُلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأُمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفرُ بنُ أبي طالبٍ).

ففي هذه الرواية يتجلى لنا أن المرجعية الجماعية اجتمعت في مقرّهم، وأخذوا يتدارسون الأمر النازل بهم بشيء من النقاش والحوار، ومن ثم خلصوا إلى وضع نقاط معينة ومحددة تبرز في الحوار مع الملك، هذه النقاط متفق عليها ولا يجوز الحياد عنها، ومن ثم تم ترشيح المتحدث الرسمي بهذه النقاط وبتوضيحها، وهو الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويمثل الأمر الثاني: ما جاء في رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فقال جعفرٌ: أنا خطيبُكُمُ اليوم)[1].

ولا يتعارض هنا ما جاء في الرواية الأولى من انتخابهم وتزكيتهم لجعفر، مع ترشيح جعفر نفسه ليقوم بهذه المهمة بعد أن فتحوا المجال للترشح لقيادة الأمر وتصدر البيان والموقف.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي، وسيأتي تخريجه مفصلًا في الملحقات آخر الكتاب، وإسناده حسن.

جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الملكات، وأسس الاختيار:

جاءت الآثار النبوية المتحدثة عن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكثير من عناصر التكوين وعوامل التميز ما يجعلنا نعجز عن حصرها جميعًا في نقطة واحدة، ولكني سأكتفي هنا فقط باستنباط ما جاء في روايات الهجرة إلى الحبشة لنقف على بعضٍ من تلك المقومات والأسس التي بالطبع تدعو مَن يتصدر المشاهد في البيئات الغربية أن يحملها أو يُكّون نفسه عليها.

أولًا: مخالطة المرجعية للوجود الإسلامي.

ففي رواية الإمام البزار من حديث جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عمرو بن العاص: (فقُلتُ: ائذن لعمرو بن العاص، فأذن لي فدخلتُ، فقُلتُ: إنّ بأرضنا ابن عمٍّ لهذا، يزعُمُ أن ليس للنّاس إلا إلهٌ واحدٌ، وأنا والله إن لم تُرحنا منهُ، وأصحابه لا أقطعُ إليك هذه النُّطفة أبدًا ولا أحدٌ من أصحابي، فقال: أين هو؟ قال: إنّه يجيءُ مع رسولك، إنّه لا يجيءُ معي، فأرسل معي رسولًا، فوجدناه قاعدًا بين أصحابه فدعاه فجاء...) الحديث[1].

ففي الحديث دلالة مهمة وسمة من سمات التكوين وأسس الاختيار للمرجعية الإسلامية، قعّدها وأسسها جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي من وجهة نظري أهم أساس يجب أن يكون في المرجعية ويثقل فيه لما له من دور ومآلات، فعندما جاء عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جند النجاشي طالبًا جعفرًا وجده كما أخبر قاعدًا مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) ينظر: تخريج حديث جعفر من رواية البزار في الملحقات نهاية الكتاب، والحديث إسناده حسن.

ويستفاد من هذا القعود عدة أمور وهي:

ـ فقعود جعفر بن أبي طالب مع الصحابة دليل الاندماج الحقيقي الواقعي والميداني على أرض الوجود الإسلامي، فكيف بمرجعية لا تختلط إلا مع فئة قليلة من الناس، أو يندر وجودها في ملتقيات الوجود الإسلامي ومؤسساته، ثم يتكلم بعد ذلك عن مشاكل الوجود، أو يتحدث باسمهم ويخبر بأمرهم!

ـ وهو دليل على التواضع الجمّ الذي يكون عليه المرجعية مع الوجود الإسلامي؛ فهو منهم وهم منه، وهم مَن قدَّموه وانتخبوه، ولا ضير إن رجع غدا عضوًا يخدم بين صفوفهم من أي موقع كان فيه، فلم يتلوث بالمنصب وزخرفه، أو يغيره الكرسي والمكانة، كما يكون مع غيره ممن تبوؤا منصبًا أو تقدمًا وازداد مع الوقت حرصهم الشديد عليه أو حاربوا عن التخلي عنه.

ـ وقعوده هذا أيضًا يجعله بصيرًا بمواطن الخلل في الوجود الإسلامي، فيكون أسرع إلى حله وتغييره، متفاعلًا مع الأحداث فيكون أول المشاركين فيها، المتعاونين في حلها.

ـ كما أن قعوده هذا يجعله قريبًا من أفراد الوجود الإسلامي يعلم بما يصلح به كل فرد، وما يهتم به ويساعده على تعايشه واستقراره، كما أن قربه هذا يجعله يبصر بين الوجود الإسلامي العناصر المميزة وخاصة من الشباب ممن يصلح لأن يتصدر أو يتقدم لملف من الملفات أو قيادة ما، ولن يعرف هذا إلا بالمخالطة الميدانية معهم.

ثانيًا: المعرفة الجيدة لسوابق الأحداث والإلمام بها (الدراية التاريخية).

وهذا من أهم المقومات والأسس التي يجب توافرها في المتحدث والمتصدر

عن الجالية المسلمة، فأنا أعتبر أن الإلمام التاريخي بالأحداث والدراية الكاملة لموضوع النقاش بسوابقه ولواحقه من أهم ما يجعل المتحدث متمكنًا في حديثه، قويًّا في حجته، مستحضرًا من تاريخه ما يؤيد كلامه ويزعج خصومه، ونحن حتى هذه اللحظات نرى أن مَن يكون على دراية بذلك يأخذ بآذان المستمع، ويفرض احترامه عند الآخرين.

والحديث التي تصدر به جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متكلما بين الجميع، ومن خلاله تطلعت الأنظار إليه من إخوانه وأعدائه ومضيفيه، بدأه جعفر بإبراز تلك الصفة وهذه الملكة حيث قال: (أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّاعلى ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ،...)، وفي رواية: (كُنّا على دينهم وأمرهم فبعث الله إلينا رسولًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعرفُ نسبه وصدقه وعفافهُ...).. إلخ[1].

وهذه البراعة الجعفرية في الاستهلال بالكلام ـ قبل أن يرُدّ على ما أثير عن دينهم وعنهم من افتراءات وشبهات ـ تدلل بقوة على أهميته كبداية للدخول إلى نقطة الحدث الأساسي، ومهمةٌ في تحويل الكفة وتغيير قناعة الحاضرين من خلال هذا الربط بين السابق واللاحق من سرد تاريخ الحدث والموضوع المطروح؛ ليكون هذا التاريخ والإلمام محورًا أساسيًّا في فهم ما وصلت إليه الأمور ونتجت عنه الأحداث، خاصة عندما يُخفي الخصوم وهم متعمدون هذه الحقيقة في ادعائهم وشبهاتهم، وهذا ما فطن له جعفر واستحضره في مخيلته وأنفذه على أرضه.

(١) الروايتان حديث أم سلمة عند أحمد، والثانية رواية إسحاق بن راهويه في مسنده، وسيأتي في نهاية الكتاب تحقيقهما كاملتين، والحديث حسن.

ثالثًا: حسن عرضه للإسلام والقضية المطروح عليها النقاش.

إن من سمات المرجعية التي تُنتخب لتتصدر المشهد في اللقاءات الرسمية والدولية على كافة أصعدتها ينبغي أن تكون حاملة لهذا السمت من لباقة حديثه، وحسن عرضه لدينه وقضيته، وهذا أسَّسه جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتأسس به، فقد أطلق مجموعة من المعاني الرائعة التي تدل على تجذُّر هذه السمة فيه، كما جاء في الحديث قائلًا: (أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المُنكر، وأمرنا بإقام الصّلاة، والصّيام، والصّدقة، وصلة الرّحم، وتلا علينا تنزيلًا لا يُشبهُه شيءٌ غيرُه فصدّقناه وآمنّا به، وعرفنا أنّ ما جاء به هو الحقُّ من عند الله ففارقنا عند ذلك قومنا فآذونا وقسونا)[1].

ويمكن أن نشير إلي هذا المعاني الرائعة التي تدل على ملكات جعفر في حسن عرضه للإسلام ولقضية المهاجرين في النقاط التالية:

ـ إبراز مميزات وصفات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون إيجاز مخل لا يشبع محدثه، أو إطناب ممل لا يبقى معه كثير تركيز وإلمام[2].

ـ انطلق في الكلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسلام من جانبه الإنساني والفطري الذي لا ينازعه أحد فيه، سواء كان موجودًا في أرض المستمع وهو مشرب

(١) حديث أم سلمة السابق.

(٢) ساعده على ذلك أيضًا أنه كان ألصق الناس برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أعرف به من غيره، فقد عاش معه في بيت واحد، وهو ابن عمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكر ابن الأثير أنه: (روي أن أبا طالب رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصليان، وعلي عن يمينه، فقال لجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صل جناح ابن عمك، وصل عن يساره). أسد الغابة ١/ ٣٤١.

به في أقواله وأفعاله، أم بعيدًا عنه، فكلا الأمرين لا يكون معهما إلا تأكيد على ما يطرح، وموافقة لجميل الخلال والصفة للمتحدث عنه، ومن ثم يبدأ المستمع في فهم شخصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويربط ما جاء به بعظيم شخصه ومنهجه.

ـ التأكيد على القيم الأخلاقية، بل والرهان عليها بأنها الأسس التي جاء بها الإسلام ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها التي تفوز عند المنازعة، بل يخجل الجميع أمامها وتتلقى الاعتراف بها حتى من فاقدها.

ـ عمق ارتباطه بدينه وإلمامه بجزئياته التي جاء بها، فهو عندما يتحدث عنه فإنه يأخذ لب المستمع واهتمامه وإصغائه، ويفرض على الجميع من المسلمين وغير المسلمين احترامًا للفكرة والشخصية، وهذا له ما بعده من الإيجابية والتعامل.

ـ إدراكه التام عند حديثه للواقع المنطلق منه وما عليه من أدران وسوء ومهلكات، يدفع إلى أن تعقد معه المقارنات العقلية التي تصب في خدمة قضيته، وتجعل الحكم والغلبة له في تنازعه أمام خصومه.

ـ الارتباط الوثيق بالمنهج (القرآن الكريم) ليتمكن من استحضاره متى شاء أو عندما يطلب منه، وهو دليل الإيمان العميق، والفهم والتكوين الدقيق، والتعايش الكلي بكل ما جاء به الإسلام بمنهجه وكان عليه نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قدوتهم في هذا ومربيهم على ذاك.

ـ ويمكن أن نستنبط أيضًا من خلاله كلماته أجواء جديدة لا تُنكر تدعم سماته وتؤكدها؛ فتجد:

ـ سرعة بديهة في الردود والحوار.

ـ وثباتًا راسخًا في موقفه ومكانه.

ـ وهدوءًا رصينًا في كلماته وتعبيراته.

ـ وتسلسلًا رائعا في فكرته وطرحه.

ـ وأسلوبًا جذابًا في عرضه ورؤيته.

وهو ما لا يكون متوفرًا عند من نازعه أو أراد أن يحاوره وهو فاقد لتلك الملكات.

وهذا أمر مجرب عند كل من يتحدث في قضية مؤمن بها، ملم بأركانها عن غيره الذي لا يحمل إلا سطحية الفكرة وغبش الصورة، كما كان موقف عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصاحبه آنذاك.

ونقطة أخيرة:

أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتخذ أسلوب الجدل والمناظرة، وهو أسلوب يثير حفيظة المقابل ويغلق كثيرًا من أبواب القبول، بل يلقي ـ للأسف الشديد ـ بأجواء أبعد عن الانتصار للحق والحقيقة من الانتصار للنفس والآخر، بل إنه اتخذ أسلوب العرض والحكاية لتحقيق هدفه وإثبات قضيته.

قال الشيخ الندوي: (إنّ كلام جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة، وتصويره للإسلام، كلام حكيم قد جاء في أوانه ومكانه، وقد دل على بلاغة صاحبه العقلية، قبل أن يدل على بلاغته العربيّة البيانيّة، ولا يعلل ذلك إلا بإلهام من الله وتأييد هذا الدين الذي أراد الله أن يتمّ نوره، وأن يظهره على كل دين، ويدل كذلك على سلامة الفطرة، ورجاحة العقل، اللتين فاق فيهما بنو هاشم قريشا، وفاقت فيهما قريش العرب كلهم، فقد فضّل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية في الجزيرة العربية، ولما آل إليه أمرهم بعد ما أرسل الله رسوله فيهم، ودعا إلى الله وإلى الدين الحنيف السمح، ومكارم الأخلاق، وآمنوا به واتّبعوه،

وحكاية الحال ـ خصوصا إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب ـ أبعد شيء عن المناقشة والمناظرة، وأقدر شيء على غرس المعاني المقصودة، وتحقيق الأهداف المنشودة، والتهيّؤ للتأمّل والإنصاف وحسن الاستماع)[1].

رابعًا: مطّلع على الثقافات الأخرى مدرك لها:

فقد جاء في الحديث ما يدل على عظيم اللقاء الثاني الذي يجمع بين جعفر والجالية الإسلامية مع النجاشي وبلاطه وأعداء المسلمين الحاضرين من مكة من أجل الوقيعة بينهم؛ فقد جاء في رواية أم سلمة: (فأرسل النجاشيُّ فجمع بطارقته وأساقفتهُ، وأمرهم فنشروا المصاحف حوله فتكلم جعفرُ بنُ أبي طالبٍ).

فقد أثبت جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا اللقاء كونه مطلعًا على الثقافات والديانات الأخرى اطلاعًا يسوِّغ له مِن ورائه تمييز الباطل من الحق، ويبين مواطن النقص والخلل فيها، ومنافاة الدليل العقلي معها، ويؤكد الاستعداد الكامل لرد الشبهات الملقاة أمامه، وهو مع كل هذا ثابتٌ على أرض منهجه وعقيدته، غير مكترث بكثرة العدد المخالف له، ولا بمجموع ما أحضروه بين يديه من كتب وصحف ليعتمدوا عليها.

خامسًا: ذكيٌّ في إدارة الحوار (إعلاء المشتركات).

فمن أروع السمات التي تؤسس هذه الشخصية المرجعية التي تنطق باسم الجالية المسلمة منافحة عن قضيتها، وعارضة لجميع أبعادها، أنها تحمل من الفطنة والذكاء ما برهنت به الروايات والأحاديث وخاصة في إدارة الحوار، وهو حوار (دبلوماسي) رائع بامتياز، وأهم ما في هذا الحوار هو التركيز على

(١) ينظر: السيرة النبوية للندوي، ص٢٠٠.

بيان المشتركات التي تُجمّع، لا الاختلافات التي تفرّق، ولا يفتح معها القلوب والعقول، وتخلق جوًّا من العداء المسبق للفكرة ولقائلها قبل الاستماع له وعنها، وكما يقولون: (كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، إلا أن يكون موقف حق، ودونه الباطل)[1]، فقد قاد ذكاء جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لذلك عندما طلب منه أن يعرض شيئًا من الوحي على مسامع البلاط الملكي، فقد ذهب بوعيه وفطنته وقبلهما بتربيته وملازمته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجعله يكسب القلوب ولا يهيج المشاعر، وخاصة في أمور المعتقد، فكانت أروع البدايات لجميل المشتركات؛ سورة مريم وكلام القرآن عنها وعن المسيح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل من النقاء والرفعة والمكانة ما أخرجت عبرات الملك وحاشيته من قنواتها لتتفجر على وجنتيهم ولحاهم، فقد جاء في حديث أم سلمة: (قالت: فقال له النجاشيُّ: هل معك ممّا جاء به عن الله من شيءٍ؟ قالت: فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النجاشيُّ: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيتهُ، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشيُّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرُجُ من مشكاةٍ واحدةٍ...) الحديث.

وفي هذا الصدد يؤكد الأستاذ منير الغضبان باستنباط رائع قائلًا: (إن كل النقاط التي أثيرت عن الإسلام هي نقاط التقاء بين النصرانية والإسلام، بينما أغفلت لحد ما نقاط الخلاف، والدبلوماسي والسياسي المسلم هو أحوج ما يكون ليفقه هذه الدروس في المفاوضات، وهي خطوط عامة في أي لقاء أو حوار مع أية جهة أو قيادة سياسية على مستوى القمة...)، ثم قال: (وإغفال نقاط الخلاف

(١) نسبة هذه المقولة للإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لكني لم أقف على مصدرها.

والإثارة التي يمكن أن تفسد الجو بين السياسي المسلم، والجهة المفاوضة، ثم كان ختام المفاوضات في تلاوة صدر سورة مريم بطلب من النجاشي أن يستمع إلى شيء مما جاء به رسول الله ﷺ، ولا شيء أحب على قلب النجاشي من أن يسمع صدر سورة مريم العذراء الطاهرة البتول، وأصدر حكمه النهائي بعد هذا كله: «إن هذا والذي جاء به عيسى من مشكاة واحدة»، إن وفدًا يستطيع أن يُبكي ملِكًا أو رئيسًا ويبكي معه كل أعضاء وفده عن صدق وقناعة هو أعلى وفد ينجح في مهمته، بعد أن كانت البداية هي تعرّضه للطرد والإبعاد من بلد هذا الملك، وكم هذا الوفد على مستوى من الكفاءة والعبقرية، أن يكسب عقائديًّا بعد أن كسب سياسيًّا، ويضم الملك إلى الإسلام؟!)[1].

سادسًا: بعض السمات الإضافية التي أثقلت المرجعية الإسلامية جعفر رضي الله عنه.

أ ـ وساطة النسب:

وهذه لها أهمية في تمثيل الجالية الإسلامية أمام الدولة وحاكمها آنذاك، فهناك أعراف وعادات تجعل المتكلم يصدع بقوله انطلاقًا من معدن نسبه مع بقية المكونات السابقة، كما أنها تجبر المستمع على الاحترام والإصغاء الكامل، وقد حدث ما يشبه ذلك في السؤال عن رسول الله ﷺ، وذلك في حديث هرقل عظيم الروم مع أبي سفيان، وكان فيه: (سألتُك عن نسبه فذكرت أنّه فيكُم ذو نسبٍ، فكذلك الرُّسُلُ تُبعثُ في نسب قومها)[2].

(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية ١/ ٩٦ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: (كتاب: بدء الوحي)، (باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟)، (١/ ٨)، حديث رقم: (٧).

ب ـ شدة شبهه برسول الله ﷺ في الخلق والخُلُق:

مما يجعل هذه الميزة عاملًا مهمًّا في الاختيار والتقديم، وهذا معهود معروف في عوامل الانتداب والتوكيل؛ أن يبحث دائمًا عن أفضل من يمثل الراعي والرئيس ويكون حاملا لبعض من خلقه وهيئته وتفكيره وسيرته، فكيف وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ بنفسه في جعفر، كما جاء عند البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: «**أشبهت خلقي وخُلُقي**»[1]. فكأنه ﷺ هو الذي يتحدث مع النجاشي ويحاوره.

ت ـ كريم أوقف ماله في خدمة الناس:

وهذه من أهم الصفات التي ينبغي أن تكون في المرجعية الإسلامية؛ أن يجعل وقته وماله ونفسه وكل ما يملك في خدمة غيره كرمًا ورعاية، وهذا يجعل الناس يلتفون من حوله آمنين مكرّمين، ويدفع عن موقعه موطن الشبهات من استغلال منصبه في مآرب خاصة، ودليله ما أخرجه البخاري عن أبي هُريرة رضي الله عنه وفيه: (وكان أخير النّاس للمسكين جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، كان ينقلبُ بنا فيُطعمُنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليُخرجُ إلينا العُكّة التي ليس فيها شيءٌ، فنشُقُّها فنلعقُ ما فيها)[2].

---

(١) أخرجه البخاري، (كتاب: الصلح)، (باب: كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان...)، (٣/ ١٨٤)، حديث رقم: (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب: المناقب)، (باب: مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه)، (٥/ ١٩)، حديث رقم: (٣٧٠٨)، والحديث وإن كان في المدينة إلا أنه يستدل به على مسيرته وتكوينه الذي لا محالة قد غرس في بداياته وأثمر وجناه في الحبشة وعاشه في المدينة.

سابعًا: فوائد وجود الرمز الإسلامي في بلاد الغرب وأهميته:

أ ـ الالتفاف حوله وخاصة في الملمّات والأزمات:

(فالجميع كانوا حاضرين حول جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لهم دور لا يقل عن المتحدث باسمهم والمنافح عن قضاياهم، ألا وهو الالتفاف حوله، والوقوف بجواره، والتصديق على كلماته، بل المشاركة الميدانية في الحدث، وهو في حد ذاته دليل قوي وواقعي لقوة المجموع ولُحمة الجالية المسلمة، ويترتب على كل ما مضى عدة نتائج مهمة تكمن أبرزها في: إصغاء واهتمام الدولة مع الجالية، والاحترام المفروض منها بناء على قوة هذا الاجتماع المكتمل، ودراسة مقترحاتهم وطلباتهم بعين الجد والرعاية، بل وتنفيذها إرضاءً لهم واحترامًا لقوتهم واجتماعهم).

ولعلنا الآن نحتاج هذا الفقه (فقه الاجتماع) في واقعنا المعاصر، على الأقل في كل مدينة من كل بلد من بلاد الغرب، وخاصة في التعامل مع الحكومات والبرلمانات والأحزاب السياسية فيها، والتي تعير اهتمامًا بالغًا للكيانات والأقليات المجتمعة، ما يجعلها تخطب ودّها إن وجدت، وتتعاون معها في تنفيذ قضاياها، طمعًا في أصوات أفرادها ممن يحملون جنسيتها، وأرى أننا ضيعنا كثيرًا بسبب تلك الفرقة السيئة التي تتسع للأسف ولا تضيق ما ضيَّع على الجالية الإسلامية ما قد وصل إليه غيرهم وهم أقل منهم كمًّا وكيفًا.

ب ـ التكلم باسم الجميع وخاصة مع مؤسسات الدولة.

فالدولة تحتاج مَن تتحدث معه باسم المسلمين عندما يتعلق الأمر بشيء يخص عقيدتهم، أو أفكارهم، أو قضاياهم، أو حتى استفهامٍ لأمر من الأمور

لمعرفة موقف الإسلام منه، وهذا ما قام به جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والوجود الإسلامي آنذاك مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان النجاشي يرسل إليهم ويلتقي بهم لمعرفة بعض الأمور المتعلقة بالوجود الإسلامي أو السؤال عن دينهم، وهذا في الوقت المعاصر يمثله مجلس للمسلمين يضم في عضويته الجالية الإسلامية بمؤسساتها وجمعيتها على سبيل المثال في ألمانيا (المجلس الأعلى للمسلمين)، لكن يشوب هذه المجالس الآن تصارع وجود أكثر من مجلس في البلد الواحد، بل وأحيانًا في المدينة الواحدة، مما أضاع جهودًا ووقتًا طويلًا في مخاطبة مؤسسات الدولة بقضايانا، والتعريف بإسلامنا، وردّ الشبهات المثارة حولنا، وهذا بالطبع سببه الأساسي غياب فقه الوحدة والاجتماع عن هذه المجالس والجمعيات.

ت ـ تقديم واقتراح الأفكار النافعة والمفيدة:

فمن فوائد الرمز الإسلامي تقديم المقترحات والأفكار النافعة على المستوى الداخلي للجالية والوجود الإسلامي للحفاظ عليهم، ولمزيد ارتباطهم واستيعابهم، وهذا كان يقوم به جعفر مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحبشة، وما موقفه مع أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند قدومه إلا دليل على ذلك، كما يقدم على المستوى الخارجي للدولة عند الاستشارة أو احتياج الدعم، كما حدث أيام خروج ابن أخي النجاشي عليه وما دار من الحوار معه.

ث ـ خدمة الجالية على كافة الأصعدة:

وهذا أيضًا من الأصول في المرجعية والرمز الإسلامي لهذا الوجود الإسلامي، بل في أي حزب أو جالية أيًّا كان فهو يقوم بخدمة جاليته على كافة الأصعدة، وهذه الخدمة قائمة بطبيعة الحال بشقيها الفردي والجماعي، فهو في خدمة الفرد

والوقوف معه في مِحَنه ومِنَحه، كما أنه يقف معه في مطالبه الخارجية سواء بسواء، فكان جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحضر مع إخوانه جميع الفاعليات التي كانت تقام على أرض الحبشة، بل يكون في المقدمة خادمًا لإخوانه في جميعها، في المصاعب كما مرّ، وفي الزواج والأفراح كما كان حاضرًا في زواج أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كذا في خدمة اللاجئين الجدد الذين وفدوا عليه وغير ذلك.

ج ـ رد الشبهات:

كذا تقوم المرجعية والرمز الإسلامي بتقديم دور مهم يتعلق بدفع ورد الشبهات التي تثار حول الإسلام أو المسلمين، سواء كان ذلك عن تعمّد من بعض المعادين للإسلام والمسلمين، كما فعل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو كان عن غير تعمد بل جهلًا بحقيقة الإسلام وأهله، وهنا يجب الرد على ما يثار من شبهات، ومعه نشر الحقيقة بالتعريف الصحيح بالإسلام وأهله كما فعله جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النجاشي والأساقفة الذين تحاوروا معه.

وعلى الصعيد المعاصر فإن الأمر ما زال قائمًا في البلاد الغربية من تشويه للإسلام وأهله من بعض الفئات التي تضمر العداء لهما، وتحرك شبهات متوالية حول قضايا الإسلام والمسلمين، مما يخلق جوًّا من الكراهية والعدائية والتصعيد تتنامى معه ما يعرف بظاهرة (الإسلاموفوبيا) هذا إذا لم يكن للمرجعية الإسلامية أفرادًا أو مؤسسات دورٌ بارز في رد تلك الشبهات ودحرها بكل السبل السلمية الممكنة، المبنية على الحوار، والخطاب الإعلامي والحزبي، ومخاطبة الحكومات والبرلمانات بحقيقة أمر الإسلام ورسالته.

ح ـ التعريف بالإسلام:

وأقصد به التعريف الإنشائي الابتدائي الذي لا يكون ردة فعل عند وقوع حدث يطل برأسه على موقف الإسلام فيه، أو السؤال عن علاقة الإسلام به، بل ينبغي أن يكون هذا التعريف بالإسلام مقصدًا أساسيًّا، وعملا من أعمال وأنشطة تلك المرجعية من التعريف بالإسلام؛ عن طريق كل وسيلة سلمية قانونية في الحديث عنه مقروءًا، أو مسموعًا، أو مرئيًّا، وذلك من خلال كل المنافذ التي تكفلها الدولة وترعاها للجميع مدعومة وشاملة لأجواء الحريات الموجودة في البلد المهاجر، وهذا أيضًا فعله جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النجاشي والحبشة، فلم يقتصر لقاؤهم به على رد الشبهات ومحاولة التخلص ممن يكيدون لهم ويخوفونه منهم.

والواقع المعاصر تعترضه هنا عقبة كئود تكمن في أن المرجعيات الإسلامية غالبها لا يتحرك إلا عندما يناط أمرا يُتهم فيه الإسلام أو المسلمون، ويكون فعله وحراكه آنذاك ما هو إلا ردود أفعال تحمل توضيحًا أو تبرئة للإسلام مما حدث، فينحصر دور المرجعيات الإسلامية في ذلك، ولا يتحركون إلا عنده مع أن الأصل في المهمات الملقاة على عواتقهم هو التعريف بالإسلام عن طريق عقد المؤتمرات، واللقاءات الحوارية، والبيانات الدورية، والمجالس العلمية الفقهية، وكل وسيلة متاحة يصل من خلالها هذا التعريف بالإسلام وقضاياه بلغة البلد، حتى يتعرف الناس بنا وبديننا.

خ ـ التفاعل مع بلد المهجر في حوادثهم وقضاياهم:

وهذا دور منوط بالمسلمين جميعًا تعايشًا واندماجًا، فضلًا عن مرجعيتهم التي تتصدر المشهد دائمًا، فيجب أن يكونوا حاضرين متفاعلين ومؤازرين في كل

ما يكون في هذه البلد من قضايا وحوادث، كما قام بذلك جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والجالية الإسلامية الأولى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع النجاشي وحربه مع مَن نازعه في ملكه وحكمه، وقد مثلوا أروع أنواع التفاعل والحضور آنذاك، بل ربما نقول: لم يتركوا وسيلة إلا وأخذوا بها مما هي في دائرة سعتهم ليفوز النجاشي ليوطد ملكه.

الخلاصة:

مما سبق يتبين لنا أهمية المرجعية الإسلامية بقسميها المؤسسية والفردية في بلاد الاغتراب، وقد ذكرنا سمات وصفات رسَمها الرعيل الأول لتكون نواة نبني عليها مؤسساتنا وأفرادنا، حاملين تلك الصفات معنا وزائدين عليها ما يجني الوجود الإسلامي هنا من ورائه كل خير ورفعة واحترام وتقدير بين أبنائه أولًا، ومن البلد المضيف والوطن الجديد ثانيًا، ما يتلمسه الجميع، ويندمج من خلاله.

فائدة:

يجب التنويه على أن هناك نقطتين جوهريتين تؤخذ بعين الملاحظة في ضوء الحديث عن المرجعية والجالية الإسلامية معها في مجتمع الهجرة الأول في الحبشة وهما:

أولًا: أنهم جميعًا انشغلوا بقضاياهم في بيئتهم الجديدة.

وسخّروا جميع إمكانياتهم وقدراتهم لها، عاشوا قلبًا وقالبًا معها، يشغلهم الشأن العام الإسلامي ويقفون معه لا محالة، ولكن أكثر انشغالهم ووقوفهم وخدمتهم إنما هو لموطنهم الجديد، وموضع أقدامهم فيه تفاعلًا واندماجًا، كذا النظر الدائم لقضاياهم التي ترسّخ وجودهم بشكل إيجابي مع وطنهم الجديد.

وهذا للأسف في الواقع المعاصر قل مَن يلتفت إليه؛ فإنك ترى في المهاجرين

المعاصرين كثيرًا ممن يعيش جسدًا في بلاد الاغتراب لكن كيانه وقلبه مع بيئته الأولى، فلا هو متفاعل في بلد المهجر وقضاياه بشكل يخدم وطنه وجاليته، ولا هو مفيد في بلده الأم بشيء يستفاد منه الناس هناك غير الشعور الذاتي المقتصر على صاحبه، وهذا للأسف على كافة المستويات الحياتية: الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والاستثماري، فتجده يعيش هنا طوال السنة ولكنه يستثمر ويبني في بلده الذي خرج منها، ولا يرجع إليها مطلقًا أو يرجع إليها أيامًا قليلة كل عام، فهو بفعله هذا أضرّ بالوجود الإسلامي في بلاد الغربة من تقوية الاستثمار فيه، وبناء مؤسساته الخادمة والنافعة فيه بشكل عام، ولا هو استفاد بشكل حقيقي من استثماره هناك غير قضية التكنيز الذي ليس من ورائها غير التوريث والمسألة يوم القيامة أمام الله تعالى.

كذلك على المنحى السياسي: فتراه مشاركًا في برلمان دولته إن سمح دستوره ولائحته بذلك، أو منتميًا إلى حزب ليس له امتداد خارج أرض وطنه، أو متعايشًا بشكل كلي مع الوضع السياسي هناك، وهو غير مكترث بما عليه الوضع السياسي في بلده الثاني الذي يعيش فيه فترات كاملة وسنين عديدة بل ربما حتى مماته، مما أضعف الوجود الإسلامي ضعفًا كبيرًا على كافة المستويات، بل وجعلهم من خلال سوء تقديره وفعله مفعولًا به دائما متاجرًا بقضاياه من الأخر.

ثانيًا: التسليم للمرجعية والانقياد الطوعي تحتها.

فقد جاء في الحديث كما في رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها: (فاتّبعوهُ)، وهذا الاتباع المذكور له دلالات مهمة ينبغي التنبيه عليها وهي:

١ـ الانقياد الكامل الطوعي للمرجعية، انقياد لا يعني حجرًا على العقول، أو تسفيهًا للآراء، أو تهميشًا للأشخاص، بل انقياد مقصود لذاته مفهوم عوائده، لأن أول ما يعود بثماره إنما على المجموع لا على الفرد.

٢ـ والاتباع أيضًا دليل اللحمة القوية بين أبناء الوجود الإسلامي وعدم الانعزالية أو الفردية التي لا تسمن ولا تغني ولا تجلب إلا ضياعًا، بل تعني الارتباط الوثيق بين القيادة والأفراد.

٣ـ والاتباع يعني أيضًا: إعلاء الموقف، ونسيان الخلافات، وفهم كامل لدور هذه المرجعية في خدمة الجالية والوجود الإسلامي.

٤ـ والاتباع يعني أيضًا الحب: فهو لغة الاتباع الأساسية ودلالة صدقه، والذي معه يذوب كل مرض قلبي أو تنافس دنيوي مذموم، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

٥ـ والاتباع يعني التسليم، والتصديق، فلا تمرد ولا تكذيب، بل التأييد الذي لا ينم إلا على تصديق للمرجعية والثقة فيها وفي حركتها وكلامها.

٦ـ ويعني أيضًا تقدير المرجعية التي تتحدث وتتصدر تقديرًا يلاحظه الآخر مثل أبناء الجالية والمعتقد إن لم يكن أكثر، بل ويمنع من خلاله ما تسول إليهم أنفسهم النيل منه، أو الطعن فيه، أو التفريق بينه وبين أتباعه وأبناء جاليته، بناء على ملاحظة تسفيهه أو التقليل من شأنه.

٧ـ ويعني أيضًا المساعدة والتعزير والمؤازرة لا المشاهدة الميتة التي لا تحمل روحًا، ولا التصيد الأليم الذي لا يبقي ظهرًا وثباتًا، بل التسديد بالتأكيد على ما يتكلم به، ويطرحه في حواره وقضيته باللسان والأركان والجنان، فيثبت في موطنه، ويعزّ في مكانه، ويطمئن إلى أرضه الذي وقف عليها وانطلق منها.

٨ـ وهو يعني أيضًا الدعاء الدائم له، وطلب التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ إليه، وجمع

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

أشكال الضراعة والابتهال، والسؤال بين يدي الله تعالى أن يلهمه حجته، ويصلح سريرته، ويسدد بيانه وحركته.

٩ـ وهو يعني أيضًا تأجيل الخلافات وحل المشكلات الداخلية بين أبناء الجالية المسلمة، والقائمة على اختلاف وجهات النظر في أروقة مقرات هيئتهم أو حزبهم. ولا يكون ذلك بشكل علني يسيء إلى فهمنا، أو يفتح تصيد الأخطاء على أساس اختلافنا المعلن، فربما يدفع ذلك إلى المماطلة أو تضييع الفرص في الوصول إلى الأهداف المرجوة

١٠ـ ويعني أيضًا النصيحة ما فتح بابها، وسلمت النوايا في إصدارها، واحتاجتها المرجعية من إخوانها وأخواتها، فهو دليل الاتباع المحمود الذي لا ينم على عمى، أو سكوت على خطأ، أو إمرار لباطل، أو غير ذلك.

ولعل ما ذكرته هنا تسجله كثير من الروايات إن لم يكن بشكل صريح، لكن على الأقل يؤخذ من مجموع اللقاءات التي تحدثت فيها المرجعية، وتحركت بين يدي الأخرين أو بين الجالية المسلمة، فليس هناك ما يخالفه أو يؤكد عكسه، بل إن كلمة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها: (فأتبعوه). تحمل كل هذه المعاني وأكثر مما يجعلنا نتأكد على أساسيات ليتها ترجع في الوجود الإسلامي وعلاقته بمرجعياته، عندها سنكون بحق وجودًا يستحق أن ينال الاحترام والتقدير، بل والمكاسب العظيمة المترتبة على ذلك للجميع.



(٥)

الحضور الثقافي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب (التثقيف الشرعي) من خلال الهجرة إلى الحبشة

من أهم ما ينبغي الإشارة له في أسس ومعالم التعايش بين المسلمين في بلاد الغرب، وهو أمر مهم يتعلق بقضية بالغة الخطورة، ألا وهو: التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي ولأبناء الوجود الإسلامي.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (كُنّا نُسلمُ على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الصّلاة، فيرُدُّ علينا، فلمّا رجعنا من عند النجاشيّ سلمنا عليه، فلم يرُدّ علينا، وقال: «إنّ في الصّلاة شُغلًا»..)[1].

وهذا الحديث يدل دلالة عظيمة على ما عاناه المسلمون الأوائل في هجرتهم بانقطاع كثير من مستجدات الدين والعلم عنهم، أو تأخر كثير من تعاليمه في الوصول إليهم، فلم يكن هناك من وسائل حديثة تنقل إليهم هذا الجديد من الوحي، أو مراسلات بشكل منتظم تخبرهم بما نسخ وتغير أو تدرج في الشريعة، بل إن الانتقال منهم وإليهم كان محملًا بالمخاطر وعيون المراقبة من أعدائهم، وهذا أوضحته كلمة أسماء بنت عميس لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقارنتها بين المجتمعَين، فقد قالت لعمر عندما حاول أن يحاجّها بسبقه بالهجرة إلى المدينة،

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٢)، حديث رقم: (١١٩٩)، ومسلم (١/ ٣٨٢)، حديث رقم: (٥٣٨).

وبأحقية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم فقالت: (كلا والله، كُنتُم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطعمُ جائعكُم، ويعظُ جاهلكُم، وكُنّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

هذا كله يجعلنا نقف بعض الوقفات مع الروايتين، ونستنج منهما ما يؤكِّدا أهمية التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي من عدة أمور مهمة:

١ـ أن المسلمين المهاجرين كانوا يعانون معاناة شديدة من قلة التثقيف الشرعي، فهم كانوا في بداية الإسلام عندما هاجروا إلى الحبشة ليس معهم من الزاد الديني والشرعي إلا قليل في جانب مَن مكَث بمكة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهاجر معه إلى المدينة، وتعرّض لكثير من الخير تثقيفًا وعلمًا، مستفيدًا من قربه من مشاعل العلم والنبوة، الأمر الذي لم يحصلْه المهاجرون الأول الأمر الذي جعلهم متأخرين في تثقيل قلوبهم بأنوار الوحيَين القرآني والنبوي، وتأخّر عقلوهم بمعرفة ما يرجح فكرًا ويقوي فهمًا، وتأخر حركتهم في حياتهم بكل ما يضبطها من الحلال والحرام والسيرة، وهذا كان علامة فارقة وضريبة بالغة يدفعها المهاجرون بهجرتهم، وكلمة أسماء لعمر بن الخطاب عندما ذكرت ذلك بقولها في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويعظُ جاهلكُم**». ما جعلها تصف الدار التي تعيش فيها بالبغضاء والبعداء لعدم وجود مشاعل النور والعلم بينهم، وأعظمها وحي الله عَزَّوَجَلَّ القران الكريم وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢ـ تدل الروايات أيضًا على أن التمسك بالقليل الشرعي ـ عند عدم وصول غيره ـ مهمٌّ جدًّا، فهم مع قلة هذا التثقيف والزاد الشرعي كانوا مستمسكين به، يراجعونه ويثبتون عليه حتى يأتيهم المدد، أو تفتح لهم الأبواب في تلقي هدي الله

(١) حديث متفق عليه، ويأتي تخريج الحديث كاملًا في الملحقات آخر الكتاب.

وتعاليم نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا في حد ذاته جهادٌ كبيرٌ؛ فأن يبقى مجموعة من الناس على علم قليل بأمر دينهم فيثبتون عليه دون زيادة أو نقصان خير من انعدامه بالكلية، وقد جاءت بعض الروايات تؤكّد هذه المعاناة لآخرين بسبب ابتعاد بيئتهم، أو وجود العقبات الحقيقية في الوصول إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثال ذلك وفد عبد القيس(١).

٣ـ خطورة قلة التثقيف الشرعي عند الوجود الإسلامي تكمن في الشبهات التي تثار حول الإسلام من فترة لأخرى، وأيضًا الأسئلة الشائكة التي تطرحها الثقافات المختلفة والديانات الأخرى ومطلوب فيها رأي الإسلام وتوجيهه، كما أن خطورته تكمن في عدم وجود رسم أو فهم واحد للمسلمين فيه، ما يؤدي إلى التأخر في التطبيق أو الاختلاف فيه، كل ذلك استشعر معاناته الوجود الإسلامي الأول، والذي لا محالة واجه أشياء من هذا القبيل، ولعل الحوارَ الذي دار بينهم وبين النجاشي حول قضية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذجٌ على ذلك، فكيف لو زادت الأسئلة، أو تشعبت أكثر مما جاء به الموقف، بالطبع إن الأمر سيختلف لو كان

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي جمرة، قال: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس، فقال: إن وفد عبد القيس أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «من الوفد، أو من القوم؟» قالوا: ربيعة. فقال: «مرحبا بالقوم أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى». قالوا: إنا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وحده، قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم» ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت». قال شعبة: ربما قال: «النقير»، وربما قال: «المقير». قال: «احفظوه وأخبروه من وراءكم». البخاري (١/ ٢٠)، حديث رقم: (٥٣)، ومسلم (١/ ٤٦)، حديث رقم: (١٧) واللفظ للبخاري.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم ويجيب هو بالنيابة عنهم، أو كان عندهم الجديد فيه وفي غيره من الأسئلة المطروحة من الوحي والتثقيف.

٤ـ دلت رواية أسماء بنت عميس على أهمية وجود المرجعية الإسلامية بين الناس، وهنا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لتعقد مقارنات بين المجتمعين وكيف أن وجود تلك المرجعية علامة مميزة لا تقدر بثمن، مما يجعلنا نؤكد على النقطة السابقة من أهمية وجود المرجعية، وأقصد هنا المرجعية الشرعية العلمية للوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

أهمية التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي ووسائله.

تكمن أهمية التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي في بعض النقاط التالية:

أولًا: المحافظة على الدين برسمه وصفاته وتعاليمه بين أبناء الوجود الإسلامي دون إخلال أو ضياع.

ثانيًا: الممارسة الصحيحة للتعاليم الدينية، ومنع دخول البدع والخرفات فيها لقلة هذا التثقيف، أو ابتعاده عن أبنائه.

ثالثًا: أهمية الارتباط الوثيق بالوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية، والاعتصام من الفتن المتلاحقة للوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

رابعًا: عدم ضياع العلم والدين بضياع توريثه بين الأجيال، فيترتب على ذلك بعد فترة من الزمن اندثار العلم وخاصة الشرعي وعدم حمل شيء من تعاليم الإسلام إلا قشريات لا تفي ولا تسد حاجة الإنسان فيضل طريقه وهديه ويضيع إرثه الحقيقي.

خامسًا: مهمته في رد الشبهات والافتراءات التي يُتهم بها الدين الإسلامي، ومحاولة لصق التهم به، ما يجعل ضعف التثقيف الشرعي من الأمور التي تؤدّي إلى دخول الشك في اتباعه، أو الانجراف إلى تصديق ما يثار حوله، والسبب الرئيس عدم التثقيف الشرعي لأبناء الوجود الإسلامي.

سادسًا: فتح قنوات حوارية وتعريفية بين المسلمين وبين غيرهم على تعاليم الدين الإسلامي ورأي الإسلام في القضايا المختلفة محل الحوار والنقاش، وهذا لا يتأتّى دون إلمام بالدين لاتباعه ومعرفة رأيه في هذه الأمور.

سابعًا: أهمية تدفق الغذاء الروحي والمعنوي بين الوجود الإسلامي في مقابلة تيار المادية القوي الذي يفرضه واقع الحياة التي يعيش فيها المسلمون في بلاد الغرب، وهذا يوازن بين طرفي الحياة عندهم، ويقلل من حدة وانزلاق غلبة المادية على حركتهم ومعايشهم.

ثامنًا: التأكيد على أننا ما زلنا نحمل همّ ديننا، وهمّ تعاليمنا، ونخاف من ضياعها، أو أن نكون سببًا في انحصارها.

تاسعًا: خلق جيل من العلماء والأئمة من أبناء الوجود الإسلامي ليحملوا لواء التعليم ومشعل التفقيه لمن ورائهم، بدلًا من استيراد أو استدعاء من يعلمهم أو يفقهم، وقد لا يتوفر بشكل مستمر، أو تحول الظروف بينه وبين قدومه.

عاشرًا: أهمية التثقيف الشرعي لمعرفة رأي الشرع في المستجدات التي تطرح على الحياة في بلاد الغرب من جميع المناحي الحياتية: اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، ودينيًّا، وغير ذلك ما يجعلنا أقرب إلى التسديد والمعايشة والواقعية في التعامل والاندماج.

أهم وسائل التثقيف الشرعي في بلاد الغرب:

ـ **المدارس العربية والقرآنية:** التي تتكون في المدن والولايات الغربية خدمة لأبناء المسلمين لتعليمهم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم.

ـ **المراكز والمساجد:** ودورها الفعال على مدار الساعة في التثقيف الشرعي لأبناء الوجود الإسلامي من خلال الخطب والدروس والمحاضرات المقدمة فيها.

ـ **عقد اللقاءات العلمية:** التي تتناول قضية معينة يُعرف من خلالها رأي الشرع فيها، ومدى الاستفادة من خلال هذا اللقاءات في التثقيف ومعرفة الشريعة وأحكامها في القضية موضوع النقاش، وأمثلة ذلك كثيرة: العدل ـ المساواة ـ المشاركة السياسية ـ التعاملات البنكية والورقية ـ التبرع بالأعضاء ـ وغير ذلك من القضايا المهمة التي للإسلام فيها رأي ودلالة.

ـ **تقديم ما يعرف بالضروري من العلم الشرعي:** كدورات علمية تقدم في المراكز والهيئات والمدارس تهتم بالمقام الأول بعقد ما يُعرف بمقدمات العلوم الشرعية التي ينبغي لأبناء الوجود الإسلامي تعلمها، خاصة تلك العلوم المهمة التي تفيد في البيئة الغربية: كعلم الفقه، والأصول، والمقاصد، والفلسفة الإسلامية، والمنطق والعلوم العقلية وغيرها ما يفيد في التعامل معها، وهذه يقدمها متخصصون لا محالة عن طريق تلك الدورات، ما يكون نواةً وتأسيسًا لأبناء الوجود الإسلامي يكملون عليه بعد ذلك بالاطلاع والتثقيف الذاتي.

ـ **إنشاء مركز بحثي أو كلية تهتم بالعلوم الشرعية الإسلامية:** تدرس العلوم الإسلامية بأسلوب عصري يتماشى مع البيئة الغربية، ويلتقي مع عقول أبناء الوجود الإسلامي في إيصال وتفهيم هذه العلوم، كما تهتم بالدراسات البحثية التي تخدم الواقع

والوجود الإسلامي في قضاياه وتستخرج من كنوز العلوم الشرعية ما يصلح لبيئتهم من أفكار وأطروحات، وهناك نماذج رائعة في بلاد الغرب قد قدحت شرارة هذه الفكرة، وأخرجت خريجين وباحثين من بيئة الوجود الإسلامي بأبحاث ودراسات ممتازة تصلح للتطبيق، مثال ذلك: المعاهد الأوروبية الإسلامية في فرنسا وبريطانيا وألمانيا، وغيرها من المعاهد والكليات.

ـ **إنشاء مركز بحثي وإفتائي:** يختص بالأبحاث والفتاوى المتعلقة بالبيئة الغربية والوجود الإسلامي فيها، ومهمته الأولى إجابة المفتين على أسئلة الوجود الإسلامي في قضاياهم المختلفة، ودراسة القضايا الجديدة والسريعة في بيئة الغرب بما يوضح رأي الإسلام فيها، والاستقلالية التي ينبغي الانتباه إليها في عدم استيراد الفتاوى من بيئات بعيدة أو تختلف عن بيئة الوجود الإسلامي في الغرب؛ ما يجعل وجود حرَج شديد وتعسر مستمر في الأخذ بها والسير عليها لاختلاف الحالة والمنطلق والواقع، والحمد لله فقد تكون للوجود الإسلامي المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وكذلك لجان الفتوى في البيئات الأوروبية ما يفيد المسلمين ويؤسس لوجودهم، وقد أخرج لنا هذا المجلس مجلات وإصدارات تهتم وتوضح وترسم للوجود الإسلامي ذلك.

وهناك عدة أفكار تفيد في قضية التثقيف الشرعي:

ـ كعقد الندوات المشتركة بينا وبين الآخر حول قضية معينة.

ـ واستضافة علماء في تخصصات مختلفة لمؤتمرات تخدم فكرة ملحة على الوجود الإسلامي.

ـ إنشاء بعض الجمعيات التي تهتم بقضية معينة تخص جزءا من هذا التثقيف كهيئات وجمعيات الوقف، وجمعيات الإرشاد الأسري، ومجالس الصلح وفض

المنازعات، وتيسير الزواج، وغير ذلك مما يكون له دور في التثقيف الشرعي ولو كان جزئيا أو قليلا.

وأرى أيضًا أنه ينبغي على صاحب كل تخصص شرعي أو تثقيفي أن ينذر جزءًا مقتطعًا من وقته يجعله لتبليغ ما عنده من تخصص وعلم ليسد ثغرة ربما لا تسد من ورائه، فينتخب لهذا العلم مجموعة من أبناء الوجود الإسلامي فيعلمهم إياه، ويؤسسهم عليه، ولو حمل كل صاحب علم مسئولية التبليغ ولو لفرد واحد لانتشر التثقيف الشرعي والإسلامي بين أبناء الوجود الإسلامي.



(٦)
حسن استقبال الوافد والمهاجر الجديد في بلاد الغرب

من أسس ومعالم التعايش بين المسلمين حسن استقبال الوافد الجديد الذي يرد عليهم ويهاجر إليهم، وقد جاءت الروايات في الهجرة إلى الحبشة لتؤكد هذا وتبينه بجلاء تام، وهو بالطبع ينم عن أخلاق وعِبَر نوضحها بعد ذكر الرواية:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بلغنا مخرجُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحنُ باليمن، فخرجنا مُهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرُهم، أحدُهما أبو بُردة، والآخرُ أبو رُهمٍ ـ إمّا قال: بضعٌ، وإمّا قال: في ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجُلًا من قومي ـ فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشيّ بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين افتتح خيبر...) الحديث.

وفي رواية مسلم: (فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه عندهُ، فقال جعفرٌ: إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثنا هاهُنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب: فرض الخمس)، (باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين)، (٤/ ٩٠)، حديث رقم: (٣١٣٦)، ومسلم (كتاب: الفضائل)، (باب: ومن فضائل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، (٤/ ١٩٤٦)، حديث رقم: (٢٥٠٢)، واللفظ للبخاري.

فهذا الحديث جاء ليوضح جملة من المفاهيم والأسس المحمودة للتعايش بين المسلمين في بلاد الغرب، وينم أيضًا عن مجموعة من الأفكار والمعالم التي التفت إليها المهاجر الأول، وهي تدل على فهمه الرائع وإدراكه المستقبلي ما دفع جعفرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعهم إلى البقاء معه.

ويستفاد من هذا الحديث معالم للوجود الإسلامي نوضحها فيما يلي:

أ ـ فمن دلالاته أنه يبرهن على صفاء العقيدة وسلامتها، حيث الاعتماد الكامل على الله تعالى وعدم الخوف من فوات رزقه أو تضييقه علي المرء بكثرة المهاجرين إلى أرضه، وهذه نقطة جوهرية بين المهاجرين قديمًا وحديثًا، على إثرها وإثر تمكنها تجد ترحيبًا وعونًا ومساعدةً، أو خوفًا وكراهية، وعدم حضور وتفاعل، ويمكن للمرء أن يجعل هذه النقطة الجوهرية من علامة مقياس درجة الإيمان عنده، وصحة الاعتقاد في وعد الله عَزَّوَجَلَّ وتقسيم العيش على عباده.

ولعل أعظم دليل على هذه الصفائية العقدية تكمن في مجتمع الأنصار الذي برهن بقوة على تمكن العقيدة من قلبه، والدين من حركته، باستقبالهم مجتمعًا كاملًا في لحظة واحدة دون تمعّر أو خوف أو شكاية لقلة الموارد والعمل، بل كانوا هم الطالبين لذلك، الفرحين باستقبال إخوانهم، ما جعل الله يثني عليهم ويزكي فعلهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

ب ـ ودلالته أيضًا فهم المهاجر لحقيقة الأخوة الإسلامية الحقيقية: والتي تعني بالأساس تطبيقها في كل ما يحبه المرء لنفسه، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤمنُ**

(١) سورة الحشر، الآية: (٩).

أحدُكُم، حتى يُحبّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه»[1].

وحسن استقباله والتودد له علامة على حبه وأخوته، وتمني زوال الخطر عنه، ورجاء طيب العيش له واستقراره، وحفظ دينه ودنياه وآخرته، وكلها معانٍ مهمة تدل على حقيقة الأخوة وصحتها، فإن أدني درجات الأخوة النظر بعين المساواة وسلامة الصدر، وأعلاها الإيثار وكمال رؤية الفضل منه عليك، وجميع ذلك حققه المهاجر الأول مع إخوانه وأصحابه في الهجرتين المباركتين.

ت ـ أيضًا من حسن استقباله التخفيف من الكدر عنه: الذي أصابه، والمشقة القلبية والحياتية التي عان منها قبل هجرته وفي أثناء سفره، فليس ترك الوطن بالأمر الهين، ولا تغيير العيش بمستساغ، وخاصة عند دنو الأجل وكبر السن، فلا يجد بعد كل ذلك سوء تعامل، أو نفرة من إخوانه، بل يجد ترحيبًا ودعمًا وتخفيفَ همٍّ، واستبشارًا بوجوده، وكل ذلك يزيل بسرعة آلام الفرقة والهجرة عن قلبه، ومن خلاله يستأنف حياته وعمله[2].

ث ـ وأيضًا من فوائده هو الانخراط السريع في البيئة الجديدة: فكلما وجد المهاجر دعمًا ومساعدةً وأُخوةً كلما كان أسرع تكييفًا واندماجًا وانخراطًا في

(١) أخرجه البخاري، (كتاب: الإيمان)، (باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، (١/ ١٣)، حديث رقم: (١٣) ومسلم (كتاب: الإيمان)، (باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير)، (١/ ٦٧)، حديث رقم: (٤٥).

(٢) لامست ذلك بنفسي في ألمانيا خاصة عندما قدم إخواني من أهل سوريا واليمن، فرّج الله عنهم، كان منهم من جاوز الستين من عمره، وكان أمر تغيير الأرض والثقافة واللغة ووجوده في البلد الجديد حملا كبيرا عليه، لا يكاد يتحمله، وخاصة إذا كان عائلا لبيته وأسرته، وكانت حياته قبل ما حدث لهم طبيعية، بل منهم من عزم على العودة لبلده ولو هلك فيها من صعوبة وكدر ما وصل إليه، الأمر الذي استدعى التقرب منهم وعقد الجلسات المخففة عن كدرهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

عيشه، واستئنافًا لحياته، بل وإنتاجه وإبداعه لما يتقن من فن أو عمل وصنعة، ولعل هذا نستشعره ملموسًا في الهجرة النبوية المباركة، وهو من فوائد الإخاء بين المهاجرين والأنصار، ففي هذا الإخاء من الفوائد الكثيرة، ومنها: هذه الفائدة التي تستنبط من خلال الأيام الأولى للمهاجر، ودليل ذلك ما كان بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد هجرة المدينة.

ج ـ هناك أيضًا فوائد تعود على المهاجر القديم والمواطن: من إقبال المهاجر والوافد الجديد عليه لا يمكن أن نغفلها، وليست بأقل مما يقدمه المهاجر القديم للوافد، فمن يفد يأت معه علم تخصص فيه، أو صنعة أتقنها، أو تجارة يحسنها، أو مهارة يُحتاج إليها، أو معرفة اكتسبها، أو مال يستثمره، أو دعم معنوي وعددي، وكل ذلك يفيد المهاجر القديم في بيئته، بل يتعدى نفعه ويعم أبناء الوطن الجديد كله.

ولعل هذا من حيث الواقع نلتمسه جميعًا، فالهجرات الجماعية التي دخلت أوروبا في العصر الحديث استفادت منها الدول والأنظمة بهذه الأمور التي يحملها أصحابها من مهارة، وصناعة، وعلم وتخصص، كمٌّ كبيرٌ من الأطباء والصيادلة والمهندسين والتجار، وغير ذلك مما يكون وجوده إضافة حقيقة للمجتمع وفائدة جمة للجميع من حيث التقديم والتعليم والرقي.

وعلى صعيد المهاجر القديم من المسلمين فقد وفد في الفترة الأخيرة في أوروبا وخاصة اللجوء من بلاد سوريا والعراق والمغرب العربي وغيرهم أئمة وعلماء وحملة للقرآن الكريم ومعلمين للغة العربية والناشطين بقوة في هذا كله وغيره ما جعل وجودهم قد سدّ ثغرة كبيرة في المؤسسات والمراكز، بل أنشأت مراكز كاملة هم القائمون عليها، وقد أسفر هذا عن حراك علمي وتوعية دينية لم تكن موجودة قبلهم.

ح ـ وأيضا من حسن استقبال الوافد الجديد تعزيز الوجود الإسلامي بالأكثرية العددية: وهي مهمة جدًّا للوجود نفسه، كما أنها مهمة أيضًا في صناعة القرار في الوطن الجديد وخاصة فيما يخص هذا الوجود، فلا ينكر أحد أن الوجود الإسلامي التركي وبلاد البلقان في أوروبا ـ مثالا على ذلك ـ له قوته وثقله للوجود نفسه ومؤسساته، وكذلك في تعامل الدولة معه والحرص على التواصل المحمود معهم، وتذليل بعض الصعاب والاعتمادات، غير أن الأمر مع هذا غير كاف لعدم التفاعل المحمود بين أبناء الوجود نفسه واجتماعهم.

خ ـ هناك بُعد آخر يرجعنا إلى قضية أسباب الهجرة: وهو وجود ظهير إسلامي قوي موجود في بلد آخر، يكون مددًا وعونًا للدولة الإسلامية سواء كانت في مكة أم في المدينة، وربما يكون هذا الوجود والأرض وطنًا ثانيًا تحتاج إليه الدعوة ورجالها أن يكون لها فيه موطنًا ومأمنًا ووجودًا إذا حالت الظروف وظهرت الأزمات في استحالة العيش في بيئة المدينة، أو حدث تعرض كبير تأثرت به في دار هجرتها الجديدة، ولما كان خروج أبو موسى وأهل اليمن خروجًا مبكرًا عند أول الهجرة النبوية المباركة ـ كما دلت الرواية ـ وقد عزموا على الإتيان عند رسول الله ﷺ، صرفهم جعفر بن أبي طالب عن ذلك، وهو مقصد من المقاصد، والتأكيد على الروية في الأمر، والانتظار لبيان ما آلت عليه الهجرة المباركة.

وهذا ملمحٌ قويٌّ ومهمٌّ خاصة أننا لم نجد اعتراضًا من أبي موسى الأشعري وأصحابه، أو نقاشًا حول هذه الفكرة التي اقترحها جعفر رضي الله عنه، ولا يوجد تعجلًا منهم في استئناف هجرتهم بعد أن توقفت عندهم، ولا وجود لخلاف مع جعفر وأصحابه في رؤيتهم.

د ـ وهناك أيضًا دلائل مهمة في الحديث الشريف غير ما ذكر تستنبط من

الحديث الشريف تؤكد نقاطًا أساسية من أسس ومعالم التعايش وتشير إلى أخرى:

ـ فقد دل الحديث على عقلية المرجعية الإسلامية وطريقته ومنهجه التي يطمئنّ لها الوجود الإسلامي من حيث حسن الاختيار والاطمئنان على المرجعية في التعامل مع المجريات والأحداث.

ـ ويدل أيضًا على حسن التصرف مع الأزمات والمفاجآت التي تدخل على الوجود الإسلامي بشيء من الحكمة والتدبر وحسن التخطيط والتصرف

ـ ويدل أيضًا على توافق جمعي لما دعا إليه جعفر أبا موسى ومن معه من الوجود الإسلامي، فليس هناك اعتراض أو كراهية أو تأفف من قراره ورأيه، وكأنه علامة على هذا العقل الجمعي والتوافقي على أهمية زيادة الوجود للأسباب السابقة، وأيضًا التربية الأخلاقية التي تجذرت في الجميع.

ـ لعل مما يشار إليه أيضًا حسن استجابة الصحابة اليمانيين لمشورة وقرار جعفر ومرونة تعاملهم ما يستنبط من الرواية، وهو أيضًا سمة مهمة في الوافد الجديد ينبغي أن يلتفت إليها، وهي احترام مَن سبقه إلى الأرض الجديدة، واحترام تجربته وفهمه ونظرته، دون محاولة لبخس حق أو تسفيه رأي أو ازدراء إنسان، بل الاحترام والمرونة.

ـ من جميل ما يستنبط أيضًا من رواية الحديث وإن لم تنص عليه الرواية لكنه يستنبط من خلال قرار جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو تقديم الدعم الكامل والتعاون القولي والفعلي للوافد الجديد، فمن المستحيل أن يأخذ جعفر وأصحابه بهذا القرار والأمر ويشير به على الوفد اليماني دون أن يعززوا هذا القرار بتفعيل ودعم وتعاون بنّاءٍ وسريعٍ، حتى يتحقق لهم الاستقرار والمكث المحمود في الوطن الجديد.

ـ يستدل أيضًا أن المهاجرة اليمانيين لم يزاحموا على رئاسة أو تصدر للوجود الإسلامي، ولم يفرقوا الوجود الإسلامي لكونهم كثرة وثقل عددي لا يستهان به، بل دخلوا جميعًا تحت راية القيادة والمرجعية الموجودة، ليكونوا بهذا مزيد لُحمة وقوة وإثراء للوجود الإسلامي.

ـ وهذا الأمر الأخير آفة يجب أن يحذر منها الوافد الجديد، فلا يحاول تفريق مجتمع، أو تعدد لحزبية، أو دعوة لعنصرية أو قومية على حساب الوجود الإسلامي ككل، وأن يكونوا عونًا ودعمًا وإضافةً للوجود الإسلامي، تزيد من قوته وتماسكه ولا تُضعفه، سواء كان ذلك عن قصد أو بدون قصد.

ـ ولا أنسى أن أعـرّج في هذا المبحث عن حب أهـل اليمـن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتمني الاجتماع به، وسرعة الخروج من أوطانهم لمجاورته وصحبته، فما أن وصل إليهم أمر خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهجرته إلا وخرجوا جميعًا في لقائه وصحبته، وكل ذلك دليل الشوق والحب والاجتماع بالمسلمين ورسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(٧)
الحضور الاجتماعي للوجود الإسلامي من خلال الهجرة إلى الحبشة

من أسس ومعالم التعايش بين المسلمين أيضًا بل من أهمها: هو الحضور الاجتماعي بين الوجود الإسلامي في بلاد المهجر، حضورًا كاملًا في جميع المناسبات التي تحمل طابعًا اجتماعيًّا، سواء كان ذلك في السرور والأفراح أم في الأزمات والبلايا، وهذا له أثر ودلالات مهمة على الوجود الإسلامي نوضحها مع هذه الروايات التي تدل على عظم تفعيل المهاجر الأول لهذا الحضور، وعمق فهمه ومعرفة أثره على وجوده:

أخرج أحمد عن أُمّ حبيبة، أنّها (كانت تحت عُبيد الله بن جحشٍ، وكان أتى النجاشيّ ـ وقال عليُّ بنُ إسحاق: وكان رحل إلى النجاشيّ ـ فمات، وإنّ رسول الله ﷺ تزوج أُمّ حبيبة وإنّها بأرض الحبشة، زوجها إيّاه النجاشيُّ ومهرها أربعة آلافٍ، ثم جهّزها من عنده، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شُرحبيل ابن حسنة، وجهازُها كُله من عند النجاشيّ، ولم يُرسل إليها رسولُ الله ﷺ بشيءٍ، وكان مُهورُ أزواج النبيّ ﷺ أربع مائة درهمٍ)[1].

(١) أحمد (٤٥/ ٣٩٨)، حديث رقم: (٢٧٤٠٨)، حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن معمر، وعلي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة به. قال محققو المسند: حديث رجاله ثقات، وقد اختلف في إسناده =

وأخرج الحاكم: (أن أم حبيبة أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص، فوكّلته وأعطت أبرهة سوارين من فضّةٍ وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضّةً كانت في أصابع رجليها سُرورًا بما بشّرتها به، فلمّا كان العشيُّ أمر النجاشيُّ جعفر بن أبي طالبٍ ومن هُناك من المُسلمين فحضروا فخطب النجاشيُّ، فلمّا كان العشيُّ أمر النجاشيُّ جعفر بن أبي طالبٍ ومن هُناك من المُسلمين فحضروا فخطب النجاشيُّ، فقال: الحمدُ لله الملك القُدّوس السّلام المُؤمن المُهيمن العزيز الجبّار، الحمدُ لله حقّ حمده، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُهُ، وأنّه الذي بشّر به عيسى ابنُ مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أمّا بعدُ: فإنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إليّ أن أُزوّجه أُمّ حبيبة بنت سُفيان فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أصدقتُها أربعمائة دينارٍ، ثم سكب الدّنانير بين يدي القوم.

= على الزهري، فرواه عبد الله بن المبارك -كما في هذه الرواية، وعند أبي داود (٢١٠٧)، والنسائي في المجتبى ٦/ ١١٩، وفي الكبرى (٥٥١٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٦١)، والطبراني في الكبير ٢٣/ ٤٠٢، والدارقطني في السنن ٣/ ٢٤٦، والحاكم ٢/ ١٨١، والبيهقي في السنن ٧/ ١٣٩ و٢٣٢، وفي الدلائل ٣/ ٤٦٠، وعبد الرزاق ـ فيما أخرجه أبو داود (٢٠٨٦) (مختصرًا)، والدارقطني في السنن ٣/ ٢٤٦ ـ كلاهما عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة، به، موصولا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ورواه يونس- فيما أخرجه أبو داود (٢١٠٨) ـ وعبد الرحمن بن عبد العزيز ـ فيما أخرجه ابن سعد ٨/ ٩٩، والحاكم ٤/ ٢٢ ـ وعبيد الله ابن أبي زياد ـ فيما أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٤٠٣، والحاكم ٤/ ٢٠ ـ ثلاثتهم عن الزهري، بنحوه مرسلا.

قال الدارقطني في العلل ٥/ ورقة ١٨٧: والمرسل أشبههما بالصواب، وأخرجه ابن سعد ٨/ ٩٧-٩٨، والحاكم ٤/ ٢٠-٢٢ من طريق إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أم حبيبة، مطولًا. وهذا إسناد منقطع.

وفي الباب: عن محمد الباقر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، مرسلًا، عند ابن سعد ٨/ ٩٩ من طريق الواقدي.

فتكلم خالدُ بنُ سعيدٍ فقال: الحمدُ لله أحمدُه وأستعينُه وأستنصرُهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأشهدُ أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُه أرسله بالهُدى ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كُله ولو كره المُشركون، أمّا بعدُ: فقد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ وزوجتُه أُمّ حبيبة بنت أبي سُفيان فبارك الله لرسوله، ودفع الدّنانير إلى خالد بن سعيدٍ فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا فإنّ سُنّة الأنبياء عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ إذا تزوجوا أن يُؤكل الطّعامُ على التّزويج، فدعا بطعامٍ فأكلوا، ثم تفرّقوا.

قالت أُمُّ حبيبة: فلمّا وصل إليّ المالُ أرسلتُ إلى أبرهة التي بشّرتني فقُلتُ لها: إنّي كُنتُ أعطيتُك ما أعطيتُك يومئذٍ ولا مال بيدي، وهذه خمسون مثقالًا فخُذيها فاستعيني بها، فأخرجت إليّ حقّةً فيها جميعُ ما أعطيتُها فردّته إليّ وقالت: عزم عليّ الملكُ ألا أرزأك شيئًا وأنا التي أقومُ على ثيابه ودهنه، وقد اتّبعتُ دين رسول الله ﷺ وأسلمتُ لله، وقد أمر الملكُ نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهُنّ من العطر.

فلمّا كان الغدُ جاءتني بعودٍ وورسٍ وعنبرٍ وزبادٍ كثيرٍ، وقدمتُ بذلك كُله على رسول الله ﷺ وكان يراه عليّ وعندي فلا يُنكرُ، ثم قالت أبرهةُ: فحاجتي إليك أن تُقرئي رسول الله ﷺ منّي السّلام وتُعلميه أنّي قد اتّبعتُ دينهُ، قالت: ثم لطفت بي وكانت هي التي جهّزتني، وكانت كُلما دخلت عليّ تقولُ: لا تنسي حاجتي إليك، قالت: فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرتُه كيف كانت الخطبةُ وما فعلت بي أبرهةُ، فتبسّم رسولُ الله ﷺ وأقرأتُه منها السّلام، فقال: «**وعليها السّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ**»(١).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢)، حديث رقم: (٦٧٧٠) مطولا، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٤٣) جميعهم عن محمد =

فهذه الروايات للمهاجرة الأول في الحبشة تجلي لنا فهمًا رائعًا وفقهًا واضحًا في أهمية الحضور الاجتماعي دون تخلف من أحد أو ابتعاد، فبعد أن مات عبيد الله ابن جحش زوج أم المؤمنين أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحبشة وتأيمت، خطبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتولى الوكالة عنه النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي ذلك دلالة عظيمة على تقدير واحترام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنجاشي باختياره وكيلًا له، وهو درس رائع يحمل دلالات كثيرة ومفاهيم عالية، كما أن فعل النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إكرام لزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصورة وما يترتب عليه من عظيم الحب والتودد والإيمان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلها أمور نوضحها

= ابن عمر الواقدي، حدثنا عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قالت أم حبيبة، وعقب الحاكم: وإنما أصدق النجاشي أم حبيبة أربعمائة دينار استعمالا لأخلاق الملوك في المبالغة في الصنائع لاستعانة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به في ذلك، وصحح الذهبي بعض طرقه في التلخيص.

قلت: وفي إسناده عبد الله بن عمرو بن زهير، وهو لا يعرف حاله، روى عنه الواقدي ومحمد بن الحسن، ولم يذكر بجرح ولا تعديل، وإن كان حكم عليها تجويد إسنادها الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٣)، وقال: سكت عنها المنذري وأبو داود، وذكر القرطبي مرويات أخرى للرواية، ثم قال: قلت: ويصح الجمع بين هذه الروايات، فتكون الأربعمائة دينار صرفت أو قومت بأربعة آلاف درهم، وأن النجاشي هو الخاطب، وعثمان هو العاقد، وسعيد الوكيل، فصحت نسبة التزويج لكلهم، وهذا هو المعروف عند جمهور أهل التواريخ والسير، كابن شهاب، وابن إسحاق، وقتادة، ومصعب، والزبير، وغيرهم، ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ٦/ ٤٥٥، وعمومًا فقد ذكر القصة كل من ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٩٣٠، والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح ٥/ ٢١٠٢، والعظيم آبادي في عون المعبود ٦/ ٩٧، والقسطلاني في المواهب اللدنية ١/ ٥٠٠، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦٨، وابن حجر في الإصابة ٨/ ١٤١، وقال: وذكر الزبير بن بكار بسند له عن إسماعيل بن عمرو بن أمية، عن أم حبيبة نحو ما تقدم، وكأنه أيدها، ومحمد بن يوسف الشامي في سبل الهدى والرشاد ١١/ ١٩٤.

بالتفصيل عند كلامنا على علاقة الحكومات الإسلامية بالبلاد المضيفة للمهاجرة.

وأما دلالات الروايات حول مشهد الحضور الاجتماعي للجالية المسلمة فأوضحه فيما يلي:

أولًا: في اختيار أم حبيبة لخالد بن سعيد بن العاص وليًّا لها ووكيلًا عنها، دلالة العفاف والطهارة، واحترام القرابة[1] الموجودة معها، وأيضًا إعلاء لقيمة الولي وإن كان الزوج رسول الله ﷺ، قال الذهبي في ترجمة أم حبيبة رضي الله عنها: (فكاتب رسول الله ﷺ النجاشي، فزوّجها بالنبي ﷺ وأصدق عنه أربعمائة دينار في سنة ستٍ، وكان الذي ولي عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، ودخل بها النبي ﷺ سنة سبع، وعمرها يومئذ بضع وثلاثون سنة)[2].

ثانيًا: يدلل هذا الصنيع على علاقة المهاجرة بعضهم ببعض في بلاد الاغتراب وخاصة في العلاقات الاجتماعية، فهي لم تتأثر بالهجرة إخباتا أو ضياعًا وبُعدًا، بل يظل البعد الاجتماعي موجودًا وحاضرًا بقوة في مشهد التعاون والولاية، والصلة بين الجالية المسلمة، ما رسخّت قدمه، وأظهرت رأسه أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان حينما اختارت خالد بن سعيد رضي الله عنهم وليًّا عنها ليعقد لها عقدة نكاحها من رسول الله ﷺ.

ثالثًا: حضور الصحابة رضي الله عنهم جميعًا يعد المشهد المهم الذي نريده أن يكون حاضرًا بقوة في هذا الفصل الذي نتحدث فيه، والأساس الذي ينبغي التأكيد عليه،

---

(١) حيث إن خالد بن سعيد بن العاص هو من بني عمومتها وقبيلتها؛ حيث كلاهما من بني أمية ابن عبد شمس.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٤٤٧.

فإن حضور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مشهد الاحتفال بزواج أمهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوكالة مشهد ينم على أساس من أسس ومعالم التعايش بين أفراد الوجود الإسلامي، فهم يجتمعون في كل مناسبة اجتماعية، وهم لا يتأخرون عند كل دعوة ولا تمنعهم الأعذار الحياتية عنها، ولا يكون حضورهم حضورًا أحاديًّا ذا وجه واحد مبنيًّا على مَواطِن الفرح والسرور فقط أو ما يمتع النفوس حضوره، ثم لا يوجد في غيره، بل حضور في جميع الأحوال ومختلف الظروف، وربما يكون غيرها أهم حضورًا وأكثر احتياجا إليه، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حضروا في موقف المشكلة العاصفة التي حلت بهم عند النجاشي من قبل قريش وسفرائها، فكانوا جميعًا مجتمعين ومؤازرين، وساعدت تلك اللحمة وهذا الاجتماع على تجاوز الأزمة ورسم صورة لمكانتهم واحترامهم وقوتهم أمام الجميع؛ أعدائهم قبل أصدقائهم.

وهنا حضور الجميع في مناسبة الفرح والسرور دون غياب من أحد يدفع عدة معان مهمة ينبغي للوجود الإسلامي أن يعيرها اهتمامًا ويطبقها وجودًا والتزامًا:

١ـ فهي رسالة مهمة للوجود الإسلامي كله أولًا على عدم تغيير البيئة من محمود اجتماعهم، ولا شيء عندهم يشغلهم عن قضاياهم الفردية والاجتماعية، بل هو في الصدارة عندهم، وعنوان رئيس في صفحة حركتهم وحياتهم.

٢ـ وهي رسالة قوية لصاحب المناسبة أن إخوانه حوله، ومتكاتفون معه في فرح وسروره، كما في ضرائه ونوازله، فهو بهم يقوى ويسعد ويعيش بأخوة الدين التي علت كل إخوة وتصدرت كل مشهد.

٣ـ وهي رسالة أيضًا على تجاوز الأزمات وتخفيف الاغتراب وبعد المسافات عن المهاجر، ما يدفع لتفعيل هذا الأمر بالحضور المتناهي عددًا واجتماعًا ما يجمع بين غايتين عظيمتين يحتاجهما المهاجر في بلده، والوجود الإسلامي في وطنه

الجديد، فالغاية الأولى: الفرح بإخوان العقيدة والدين لمشاركته فرحته ومناسبته، والغاية الثانية: تخفيف على المغترب جزءًا من غربته وابتعاده عن موطنه الأصلي، خاصة أنه يعقد في هذه الأوقات شكلًا من المقارنات بين واقعه وبين موطنه في مظاهر العرس وصورته ما يجعله يتعب أو يحزن.

٤ـ وفيها أيضًا تأكيد على مكانة المرأة المسلمة المغتربة بين الوجود الإسلامي؛ فحضور الرجال والنساء جميعًا عرسها وعقد زواجها رسالة إلى كل وجود إسلامي أو أقلية مسلمة بأن الذكر كالأنثى، والفرح بالأخت والزوجة والأم في بلاد الغرب يفوق الوصف ويرفع القدر ويعلي الهامة، بل ويصدر كرسالة واضحة جليلة في مكانة المرأة المسلمة وخاصة المغتربة في الإسلام وبين المسلمين.

٥ـ يؤخذ من الحضور الكامل أيضًا للجالية الإسلامية لزواج أم المؤمنين أم حبيبة ما يعرف بلغة القبول العام والموافقة الجماعية للحدث الذي يشاركونه، ما يعني معه نفي لغة التحاسد، وسوء الطوية، أو استعظام أن تفوز هي برسول الله ﷺ، وخاصة من أقرانها أو من أبناء ذوات الشرف القرشيات من المهاجرات معها، فالحضور هو موافقة كاملة ودعاء ضمني وتمني الخير لها، والفرح بما حل عليها من النعمة وما رفعت بعدها من المكانة.

٦ـ في حضور الجميع هذا المشهد الاجتماعي رسالة للمجتمع الحبشي والآخر ممن ليس على معتقدهم لكنهم يشاهدون عرس الوجود الإسلامي بينهم، وخاصة أنه حدث تم عند الملك الذي لا يلبث بلاطه أن ينشر الأمر ويذيعه بين الناس، كل ذلك يؤكد على لُحمة المسلمين وتكاتفهم واجتماعهم وكونهم على قلب رجل واحد واحترام كبير بين أفرادهم نساء ورجالًا، فهم وإن كانوا أجسادًا متعددة إلا أنهم بقلب واحد.

٧ـ كما أن حضورهم عند الملك هو احترام لرغبة الملك وطلبه من جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما جاءت الرواية بذلك، ليدل على تعظيم كبير لحقه عليهم، واحترامه لطلبه بتوافدهم جميعًا عليه، وحرصًا على مستقبل العلاقات المبنية على الحب والاحترام والتقدير بينهم وبينه، حتى وإن كان هو من أبناء المسلمين.

٨ـ أضف إلى ذلك التأكيد على احترام المرجعية الإسلامية المتمثلة في جعفر ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذي أشرنا إليها من قبل في الحديث عنها، وهنا تأكيد لقضية الاستجابة والاتباع لطلبه وأمره.

٩ـ في الحضور أيضًا عدة رسائل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتمثلة في: لحمتهم القوية التي لم تغيرها الهجرات، واجتماعهم الدائم الذي رباهم عليه وأرشدهم إليه في مكة، وفرحتهم العظيمة بزواجه ومصاهرته وسروره، وتقديرهم لاختياره رملة بنت أبي سفيان زوجًا له، فهو بهذا يؤكد تتبع أخبارهم، وعدم نسيانهم، وتقدير هجرتهم، والتفكير الدائم فيهم، واحترام أشخاصهم، ومعلوم أن مثل هذا سينقل إليه وحيًا أو قصًّا من أم المؤمنين رملة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كما جاءت الرواية أنها حكت له.

١٠ـ في إمهار النجاشي وتجهيز أم المؤمنين أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عدة رسائل أيضا:

ـ فهي دليل المحبة العظيمة والتودد الكامل منه لرسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ـ وهي دليل الإكرام من النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرفانًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحاولة لشكر الله عَزَّ وَجَلَّ بما أكرم الله به الأمم والعالم به وبرسالته.

ـ وهي دليل ضمني حقيقي على حسن إسلامه والتأكيد على ذلك وما ساقه النجاشي من كلمات تؤكد هذا.

ـ وهي رسالة للجالية المسلمة الحاضرة بين يديه بفرحه بهم، وباجتماعهم على زواج نبيهم بأختهم وأمهم، واحترام وجودهم بهذه الروح في أرضه، وتأكيد على دعمه لهم وإنزالهم منزلتهم.

رابعًا: وفي النهاية نؤكد على أن الحضور الاجتماعي لم يكن فقط في الأعراس والأفراح والمناسبات السعيدة، إنما سبقه اجتماع في الخطوب والنوازل[1] ليؤكد لنا المهاجرة الأُوَل أنهم فهموا أهمية هذا الحضور وتفعيله في حياتهم وحركتهم على كافة الأحوال، فلله درهم من جيل رائع يسطرون لكل وجود ما ينبغي أن يكونوا عليه وما يغنمون من ورائه من آثار.

أثر الحضور الاجتماعي على الوجود الإسلامي اليوم.

ـ هو تجديد للدماء وشحن العلاقات بين أفراد الوجود الإسلامي، فيطرد عنها كل فتور وتباعد وانعزالية.

ـ وهو أيضًا تخفيف حقيقي من ألم الفراق والاغتراب، ومحاولة لتعويض الأجواء التي حرم منها المهاجر منذ فارق وطنه الأول.

ـ ويؤثر أيضًا في نزع فتيل أي مشكلة أو تنافر يقع بينهم، فما داموا يجتمعون ويلتقون على مناسباتهم فهو علامة على ذوبان جليد المحن والنزغ الذي يقع بينهم فيما كتب على ابن آدم.

---

(١) تعددت اجتماعاتهم في النوازل كما في الأفراح، ورواية أم سلمة تدل دلالة واضحة على ذلك: (فاجتمع المسلمون، فقالوا: ما تكلمون به الرجل، فقالوا: نكلمه بالذي نحن عليه... قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنًا في ذلك ما هو كائن).

ـ وهو أيضًا ينمي ملكة الإحساس بالآخر الذي لا بد أن يكون حاضرًا دائمًا، فما يعطى اليوم يرد غدًا، والمرء متقلب بين هذا وذاك.

ـ وهو أيضًا ملتقى للتوريث بين الجيل الأول والثاني ومَن بعدهم، لتفعيل ما تربى عليه الجيل الأول شريعةً وعرفًا، مما يضمن الحفاظ على جزءٍ كبيرٍ من الهوية الإسلامية والعربية في الموطن الجديد.

ـ وهو أيضًا مؤتمر يحمل لغة التعارف على بعضنا البعض، وخاصة عندما يتسع وجودنا وينمو عددنا، ويقدم وافدنا الجديد علينا، وفائدة هذا التعارف: لحمة أقوى، ونشأة مصاهرة، وتقديم خدمات، واستفادة تخصصات، يحتاجها هذا الوجود، ودعم حقيقي في موطن الاحتياج للآخر عند نزول النازلة أو المعضلة.

ـ وهو أيضًا يثمر تفكرًا دائمًا لإقامة المشاريع الخيرية والجمعيات التربوية والخدمية المنتجة للوجود الإسلامي، بل للوطن الجديد من خير وخدمة وإسهام، فما المراكز والمؤسسات والمدارس والجمعيات إلا ثمرة من ثمار الوجود والحضور الاجتماعي بين الناس.

ـ وهو موطن يتعرف الآخر علينا فيه عن قرب، ويفهم عندما يزورنا طبيعة إسلامنا وجمال حياتنا، فيزيل به كل شبهة ويقوي به كل صلة، ويطرد به كل شك أو ظن، ونُعرف بإسلامنا في باب مهم من أبوابه، وهو باب العلاقات الاجتماعية وجمالها في ظل ديننا الحنيف.

وأخيرا فإن الابتعاد عن هذا المشهد الحضاري الاجتماعي من أحد أبناء الوجود الإسلامي قد يؤثر عليه تأثيرًا سلبيا، ويكون أحد العوامل القوية التي قد تؤدي بصاحبها إلى موطن الهلكة والضياع، ومع كل ما يصدر من الاجتماع من أمور أحيانًا لا تتوافق مع رغبة الأفراد لكن يبقي دائما أولى من قضية الانعزالية

والفردية، وقد صدر لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدل على ذلك؛ فقد أخرج أحمد في مسنده، عن ابنُ عُمر يُحدّثُ، عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**المُؤمنُ الذي يُخالطُ النّاس، ويصبرُ على أذاهم، أعظمُ أجرًا من الذي لا يُخالطُهم، ولا يصبرُ على أذاهم**»[1].

وسيأتي بيان خطورة ذلك عند الكلام عن قضية الافتتان الداخلي والخارجي للوجود الإسلامي، وما حدث في قصة عبيد الله بن جحش.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٩/ ٦٤)، حديث رقم: (٥٠٢٢) قال محقق المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٨)
الحضور الاقتصادي والمعيشي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب

من أسس التعايش بين الناس عامة والمسلمين خاصة في بلاد الاغتراب ما يتعلق بمعاشهم واقتصادهم، وهذا الحضور الاقتصادي من أهم ما ينبغي إظهاره وتوضيحه، لما يتعلق بفوائد تتعلق بالمسلم نفسه واستقراره، كما أنها تتعلق بالبلد المضيف أيضًا تنميةً واستثمارًا، وليس هناك فيما وقفتُ عليه من الروايات ما يدلل على قضية الحضور الاقتصادي بشكل من التفصيل، إلا أنني استنبطت حضورًا اقتصاديا قويًّا للوجود الإسلامي في بلاد الحبشة ينبع من عوامل رئيسية:

الأول: طبيعة وأسماء المهاجرة الأُوَل.

فعند سرد أسماء المهاجرين الذي هاجروا إلى الحبشة نجد أن معظمهم من ذوي التجارات والغنى والأموال، نحوًا من ثمانين رجلا أغلبهم كانوا تجارًا في مكة أصحاب أموال، وكانت حياتهم مبينة على التكسب والسفر لرحلتي الشتاء والصيف، من أجل تجارتهم ونماء ثروتهم، وقد ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أسماء من هاجر وبطونهم[1] وأذكر منهم بعضًا من هذه الأسماء

ـ عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢، وما بعدها.

عتبة، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وأبو سبرة بن أبي رهم، وحاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء، وخالد بن سعيد بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وغيرهم.

فلو نظرنا إلى هذه الأسماء وغيرها لوجدناها أسماء لا تعرف لغة القعود أو البطالة وانتظار العون من الآخرين، وحسبنا من بينهم عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد نص ابن إسحاق والواقدي أنه من بين المهاجرة إلى الحبشة، ولنا في هجرته إلى المدينة ما يستدل به على نزاهته، ويديه العليا في عدم قبول ما عرضه عليه سعد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان من شأنه من أول يوم أن يذهب للتجارة في سوق المدينة ويزاحم اليهود في سوقهم وتجارتهم وقد تاجر وربح وتزوج.

أخرج البخاري عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قدم عبدُ الرّحمن بنُ عوفٍ المدينة فآخى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الرّبيع الأنصاريّ، فعرض عليه أن يُناصفه أهله ومالهُ، فقال عبدُ الرّحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلني على السّوق، فربح شيئًا من أقطٍ وسمنٍ، فرآه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيّامٍ وعليه وضرٌ من صُفرةٍ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مهيم يا عبد الرّحمن؟» قال: يا رسول الله، تزوجتُ امرأةً من الأنصار! قال: «فما سُقت فيها؟» فقال: وزن نواةٍ من ذهبٍ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولم ولو بشاةٍ»[1].

ولقد قال فيه ابن عبد البر: (كان تاجرًا مجدودًا في التجارة، وكسب مالًا كثيرًا، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف

(١) ينظر: صحيح البخاري (٥/ ٦٩)، حديث رقم: (٣٩٣٧).

على عشرين ناضحًا، فكان يدخل منه قوت أهله سنة)[1].

قلت: وغيره ممن هاجر إلى أرض الحبشة كعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهم جميعًا أهل أكارم أهل مال وتجارة، لا يقبلون أن يعيشوا في كنف أحد أو من ماله، تعففًا وكسبًا وسعيًا، وهذا كان قبل إسلامهم، فما زادهم الإسلام إلا خيرًا وحركة وكسبًا، منهم:

ـ **شرحبيل ابن حسنة:** قال ابن عبد البر أيضًا في شرحبيل: (كان شرحبيل ابن حسنة من مهاجرة الحبشة، معدود في وجوه قريش)[2].

ـ **معمر بن عبد الله بن نضلة:** كان من الوجهاء التجار الكبار، قال ابن عبد البر: (كان شيخا من شيوخ بني عدي، وأسلم قديمًا، وتأخرت هجرته إلى المدينة؛ لأنه كان هاجر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وعاش عمرًا طويلًا، فهو معدود في أهل المدينة)[3].

أخرج له الإمام مسلم في صحيحه ما يدل على غناه وتجارته؛ فعنه أنّه أرسل غُلامه بصاع قمحٍ، فقال: بعهُ، ثم اشتر به شعيرًا، فذهب الغُلامُ، فأخذ صاعًا وزيادة بعض صاعٍ، فلمّا جاء معمرًا أخبره بذلك، فقال له معمرٌ: لم فعلت ذلك؟ انطلق فرُدّهُ، ولا تأخُذنّ إلا مثلًا بمثلٍ، فإنّي كُنتُ أسمعُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: **«الطّعامُ بالطّعام مثلًا بمثلٍ»**، قال: (وكان طعامُنا يومئذٍ الشّعير)، قيل لهُ: فإنّه ليس بمثله، قال: (إنّي أخافُ أن يُضارع)[4].

---

(١) ينظر: الاستيعاب ٢/ ٨٤٧.
(٢) ينظر: (الاستيعاب ٢/ ٦٩٩).
(٣) ينظر: المرجع السابق ٣/ ١٤٣٤.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب المساقاة)، (باب: بيع الطعام مثلا بمثل)، (٣/ ١٢١٤)، حديث رقم: (١٥٩٢).

والحديث مليء بالفوائد العظيمة، غير أننا نقف على أنه كان من أصحاب التجارات المالكين.

ـ عدي بن نضلة: هاجر هو وابنه النعمان بن عدي إلى أرض الحبشة، فمات عدي هناك بأرض الحبشة، فورثه ابنه النعمان هناك، فكان النعمان أول وارثٍ في الإسلام، وكان عدي أبوه أول مورث في الإسلام(١).

قلت: وهذا يدل على أنه كان صاحب مال وتجارة وكسب، خلف كل ذلك لولده من بعده، وورثه ابنه في الحبشة دليل على كونهم أصحاب ذمة مالية مستقلة واقتصاد وتجارة والله أعلم.

والخلاصة:

أن طبيعة أسماء المهاجرين الأول تدل دلالة واضحة على كونهم أصحاب تجارات وأموال وحضور اقتصادي سرعان ما يبدءوا فيه ويتجاروا من خلاله مع أبناء الوطن الجديد.

الثاني: من أدلة الحضور الاقتصادي دلالة حديث أم سلمة: (قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشيّ، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ..). الحديث.

ففي رواية أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يستدل به على الحضور الاقتصادي بين الوجود الإسلامي في بلاد الغرب، وذلك من عدة وجوه:

أولًا: قد دللت الروايات على حال المهاجرين الأول في بلد الهجرة من كونهم

(١) ينظر: ترجمته: الطبقات الكبرى ٤/ ١٠٤، والاستيعاب ٣/ ١٠٦١، وأسد الغابة ٣/ ٥١٤، والإصابة ٤/ ٣٩٥.

نزلوا أرض الحبشة وجاوروا أهلها دون وجود أذى أو سماع ما يكره، وأول علامة بُعد الأذى وكراهية ما يسمع من الكلام هو الاستقلال المادي، وألا يستشعر أهل البلاد الأصلية أن المهاجرين إليهم أصبحوا عبئًا عليهم ماديًّا أو أنهم أهل استفادة لا إفادة.

ثانيًا: في الحديث ما يدلل على ذكر محامد النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المسلمين المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد نقلت لنا أم سلمة وغيرها بيان ما كان من أمره معهم على وجه التفصيل، والذي كان متمثلًا في الدفاع عنهم، وتأمين موطنهم وإقامتهم، وفتح الباب أمامهم دائمًا لكل سؤال أو شكاية أو طلب، وليس في الروايات ما يستدل به على دعم مادي أو إقامة مجانية للرعيل الأول مقدمة من الدولة لهم، بل الانطلاقة في طلب الكسب والمعاش كان من أول يوم وطئت أقدامهم فيه أرض الحبشة.

بالطبع دلت بعض الروايات على وجود الدعم المعيشي للوجود الإسلامي قدمته الدولة الحبشية برئاسة النجاشي فور معرفته ولقائه بهم، لكنه دعم مؤقت لفترة قصيرة، وهو بمثابة ما يكون من المضيف من إكرام وحسن استقبال لمن يفد عليه، ويحل بأرضه ضيفًا أو عابرًا، فإذا تمّت الضيافة ومضت الأيام الأولى انخرط الجميع في الحياة بحثا عن رزقه وسعيًا في تحصيل كسبه وتوفير عيشه.

من هذا رواية أبي موسى الأشعري عند ابن أبي شيبة والبيهقي في دلائل النبوة: (امكُثوا في أرضي ما شئتُم، وأمر لنا بطعامٍ وكُسوةٍ)[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٥٠)، حديث رقم: (٣٦٦٤٠)، قال: حدثنا عبيد الله ابن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم المستدرك (٢/ ٣٠٩ - ٣١٠) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٠)، وعقب قائلا: هذا =

ورواية أخرى أخرجها إسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة في دلائل النبوة بسنده عن الطبراني عن مُعتمرُ بنُ سُليمان عن أبيه نحو حديث عُروة بن الزُّبير وزاد فيه: (وقال النجاشيُّ لجعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه مرحبًا بكُم وأهلًا، لكُم عندي الذي يسُرُّكُم ويُصلحُكُم من النُّزُل والرّزق...) الأثر[1].

والنزل والرزق هنا أظنه هو ما يكون معدًّا سلفا لاستقبال الأضياف والرسل من تكريم وضيافة، ويساويه الآن البيوت والدور (بيوت الضيافة) التي تجعلها الدولة في خدمة الوافدين أو المهاجرين لاستقبالهم فيها، لإتمام أوراقهم وترتيب أوضاعهم، ومن ثم ينطلق الجميع في حياته، وبالطبع يقدم معها الطعام والكسوة

= إسناد صحيح، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة، عن أبي موسى أنه بلغهم مخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة، فوافقوا جعفر ابن أبي طالب وأصحابه عنده، فأمرهم جعفر بالإقامة فأقاموا حتى قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زمن خيبر، فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه، ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ننطلق، والله أعلم.

(١) ينظر: دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة، ص١٠٣، حديث رقم: (٩٩)، قال: وحدثنا خالد بن النضر القرشي، ثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ثنا عن معتمر وجميع رواته ثقات إلى عروة بن الزبير وهو من مراسيله، وخالد بن النضر بن عمرو ابن النضر أبو يزيد القرشي البصري، شيخ الطبراني حدث عن: محمد بن عبد الأعلى ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن موسى الحرشي، وعنه: أبو القاسم الطبراني في «معاجمه»، وابن عدي ولم يذكره في «كامله»، وأبو بكر الإسماعيلي في «معجمه» وسكت عنه، قال الدارقطني: ثقة.

قلت: (ثقة إن شاء الله). إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، ص٣٠١، والجامع في الجرح والتعديل ١/ ٢١٤، وموسوعة أقوال الدارقطني ١/ ٢٣٨.

لمرات محدودة وفترات قصيرة، وليس دائمًا أو مستمرًّا، وكل هذا لا يمنع قضية الاستقلال المادي للوجود الإسلامي وانخراطهم في الحياة العامة بشكل طبيعي.

أكد هذا المعنى الشيخ محمد أبو زهرة فقال: (استقام الأمر للمهاجرين في الحبشة، ولم يذكر التاريخ أكانوا يتولون عملًا فيها أم كانوا في ضيافة النجاشي، لم يذكر التاريخ شيئًا من ذلك، لأن مؤرخي السيرة النبوية الطاهرة ما كانوا يعنون إلا بحال المسلمين وحال الإسلام، وتحمل المسلمين للأذى في سبيل عقيدتهم، يفصلون في ذلك ما يشاء طالب الحقيقة أن يعرفه، ولكنهم ما كانوا يعنون بالأعمال المادية من صناعة ومكاسب! ولكن أردنا أن نعرف ما طواه التاريخ ولم يذكره، نتعرفه من صور الرجال الذين هاجروا، فلا بد أن نتصور من صورهم أحوالهم، لقد كان من بينهم ذو النورين عثمان التقي الطاهر، وهو مع ذلك التاجر الماهر، وقد خرج ومعه بعض ماله غالبًا، وما كان ليترك عمله في التجارة حتى تأكل النفقة ماله، ولم يثبت في التاريخ أنهم كانوا في ضيافة النجاشي؛ لأنهم كانوا يتزايدون في الهجرة ولا ينقصون، وإذا كان لا بد من فرض في هذا، فهو أننا نتصور أنه كان يعينهم ليتمكنوا من أعمالهم الكاسبة التي تدر عليهم ما يكفيهم بالمعروف من غير إسراف، ولا تقتير، ونتصور حينئذ أمرين نفرضهما فرضا:

أولهما: أن يكونوا قد قاموا بما يكسبهم القوت، ولا يعيشون كَلا على غيرهم، فليس ذلك من مكارم الأخلاق في الإسلام.

ثانيهما: أن نفرض التعاون الكامل بينهم، يعين غنيهم فقيرهم، والقادر منهم العاجز، وإذا كانت المؤاخاة قد نظمت العلاقات بين المهاجرين والأنصار، وبين الأوس والخزرج بما فعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن التعاون أو المؤاخاة الطبيعية فرضت نفسها في أرض الحبشة بحكم الاغتراب أولًا، وبحكم الحاجة

إليه ثانيًا، وبحكم الخلق الإسلامي الذى يوجب التراحم والتعاطف ثالثًا، وقد كان التعاطف امتدادًا لما كان في مكة من حماية ضعفاء المسلمين من أقويائهم، كما يفعل أبو بكر من شراء العبيد المسلمين وإعتاقهم من غير منّ ولا أذى)[1].

قلت: وهو توجيه رائع واستنباط يؤكد كثيرًا من الجوانب الحضارية في الوجود الإسلامي الأول في بلده الثاني (الحبشة)، فقد دلل فضيلته على الجانب الاقتصادي، والتعاوني، والاجتماعي، والأخوي، وغير ذلك مما نؤكده في هذا الكتاب من جوانب غرسها المهاجر الأول مؤيدًا جميعه بالأدلة، والله أعلم.

ثالثًا: من الأدلة على الحضور الاقتصادي سمة اللغة التي تحدث بها جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتي تحمل عزة ورفعة تدل على كونهم لم يأتوا إلى أرضه محتاجين، أو عالة عليه وعلى شعبه، بدأها من عدم السجود له، وختمها بلغة الحوار القوية التي تحمل عزة المؤمن واستغنائه عن غير ربه، فكان مما قال للنجاشي في حديث أم سلمة: (خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيُّها الملكُ)، فدلالة كلمتي: (اخترناك، ورغبنا)، وهي لغة لا تخرج إلا من قوم لهم رفعة وعزة، كما أنهم سيكونون إضافة للمجتمع لا عبئًا عليه لهم حضورهم وذمتهم المالية.

رابعًا: ما يستدل به أيضًا على أن لهم حضورًا اقتصاديًّا من أول يوم أنهم استوطنوا الحبشة وعاشوا فيها فترة قبل أن يلتقوا بالنجاشي ملكهم، فإن أول لقاء به كان عند الوقيعة التي أرادها مبعوثي قريش إلى النجاشي لإرجاع المسلمين معهم، وهذا يعني أن المسلمين عاشوا فترة في الحبشة قبل لقاء النجاشي دون احتياج أو عوز غير مكان يأمنون فيه على دينهم، لكنهم أكفاء لكسب معاشهم وقوت يومهم.

(١) ينظر: خاتم النبيين ١/ ٣٦٨.

خامسًا: الروايات الحديثية والسيرة النبوية حول الهجرة إلى الحبشة لم تنقل لنا ثمة من اعترض على وجودهم من أي حبشي من المجتمع والشعب، بل عامة الروايات التي نقلت لنا الأحداث هناك تؤكد أن المسلمين عاشوا منسجمين بين أهل الحبشة، بل ربما كان وجودهم إثراء لحركة التجارة والبيع والشراء، وإلا لكان أول الثائرين على وجودهم هم أبناء البلاد الأصلية، إما لضيق المعاش بعد وجودهم، وقلة الفرص وكثرة البطالة في الأعمال والكسب، أو اعتراضا على تكافل مادي كتب لهم وميزوا به عن غيرهم، وكلاهما لم يحدث، وهو دليل يضاف إلى ما سبق للحضور الاقتصادي للمسلمين من أول يوم.

سادسًا: لو لم يكن للمسلمين حضورٌ اقتصادي لكان هذا فرصة لرسولَي قريش يدخلون بها على الملك لتقوية حجتهم والوصول إلى مأربهم، فعمرو بن العاص وصاحبه لم يتركا مساحة ولا فرصة أو محاولة إلا استغلها ليظفر بهم وبعودتهم[1]، فلو كان المسلمون عالة على المجتمع أو أهل بطالة، لكان هذا أول الخيوط التي يستخدمها عمرو ليقنع بها بطارقة النجاشي قبل النجاشي بها ليردهم، وهذا أيضًا يؤكد أن الحضور الاقتصادي للمسلمين كان من أول يوم.

سابعًا: مما يزيد تأكيدا على الحضور الاقتصادي القوي للمسلمين هناك قضية استقبال الوافدين الجدد في أرض الحبشة، كوفد أبي موسى الأشعري الذين ساقتهم سفينتهم إلى أرض الحبشة ولقاء المسلمين هناك؛ جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومعلوم لو أنه ليس هناك قوة مالية أو كسب جيد للمسلمين هناك ما استطاعوا أن

(١) في هذا السياق يقول الدكتور مصطفى السباعي: (إن المبطلين لا يستسلمون أمام أهل الحق بسهولة ويسر، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة من وسائل المقاومة والقضاء على دعوة الحق، ابتكروا وسائل أخرى، وهكذا حتى ينتصر الحق انتصاره النهائي ويلفظ الباطل أنفاسه الأخيرة). ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٥١.

يستقبلوا إخوانهم، ويعرضوا عليهم البقاء معهم، كما لو أنهم كانوا يأخذون دعمًا أو يعيشون بأموال الدولة والملك لكان هذا الأمر حاجزًا قويًّا من استقبال غيرهم، وطلب المكث معهم حياءً وحرجًا من الدولة والملك، فيكفي ما هم عليه وقتئذ وما ينفق عليهم، ولما لم يكن الأمر كذلك كان طلب جعفر وأصحابه ببقائهم دليل على حضورهم القوي وكسبهم الحياتي المستقل، بل وإدراكهم للواقع من أن ذلك يعني مزيد استثمار وتجارة وقوة اقتصادية لهم ولأهل الحبشة معهم.

ثامنًا: في النهاية فإنه لم يكن هناك ما يعرف بقوانين العدالة الاجتماعية في هذا الزمان والمكان، بل إن معظم القوانين التي كانت سائدة في المجتمعات تدل على شدة الأمر في هذا الجانب ـ وإن وجدت غيرها من القوانين التي أشرنا إليها كقانون الحماية والإجارة ـ مما يؤكد على أن الحضور الاقتصادي كان موجودًا للمسلمين في كل مكان كانوا فيه، إما كسبًا وتجارةً بأموالهم، أو صناعةً وعملًا بأيديهم عند غيرهم، وهذا يؤكد حضورهم الاقتصادي كحضورهم الاجتماعي سواء بسواء.

الثالث: حديث عبد الله بن مسعود في دلائل النبوة.

فقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة أثرًا يستدل من خلاله على الحضور الاقتصادي للمسلمين في الحبشة؛ قال رحمه الله تعالى: (عن القاسم قال: خرج عبدُ الله بنُ مسعودٍ في رهطٍ من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة[1] في البحر وكان بها سوقٌ يبيعون ويشترون، فانطلق عبدُ الله وحدهُ،

(١) قد ذكرنا حديث عبد الله بن مسعود في الفصل الأول، وهو بإسناد حسن، وفيه بعثنا رسول الله ﷺ... الحديث، وممن ذكر هجرة عبد الله بن مسعود كلا من: (ابن إسحاق وتبعه ابن هشام) (١/ ٢٣٥) وابن عبد البر في: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص٥٠، والسهيلي متابعًا فيه ابن إسحاق ولم يعقب. الروض الأنف ٣/ ١٢٦، ونص =

وأخذ ما معه فقال له صاحبُ منزله: إنّي أراك تنطلقُ وحدك، وإنّي أُحذّرُك رجُلًا بلغ من شرّه لا يلقى غريبًا إلا ضربه أو قتله وأخذ ما معهُ. قال: ثم وصف لي صفة الرّجُل، فلمّا جئتُ السّوق عرفتُه بالصّفة، فجعلتُ أستخفي منه بالنّاس لا يأخُذُ طريقًا إلا أخذتُ غيره حتى بعتُ ما معي بدينارين، ثم إنّي غفلتُ غفلةً فلم أشعُر إلا وهو قائمٌ على رأسي قد أخذ ما بيدي فجعل يسألُني ما معك؟ قال: قُلتُ لهُ: أتجعلُ لي أن يُخلي سبيلي أُعطك ما معي؟ قال: وكم معك؟ قُلتُ: ديناران. قال: زدني، قُلتُ: ما بعتُ إلا بهما! قال: زدني. قال: فبينما هو إذ بصُر به رجُلان وهما على تل فانحطّا نحوهُ، فلمّا رآهما خلى سبيلي وهرب، فجعلتُ أُناديه هاك الدّينارين. فقال: لا حاجة لي فيهما واتّبعا ورجعتُ إلى أصحابي)[1].

وهذا الأثر يحمل دلالات توضح الحضور الاقتصادي للمهاجرين الأول:

ـ فقد دل الأثر على أن الصحابة المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يبيعون ويشترون في سوق الحبشة، وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن هاجر الهجرة الأولى، وهو ما يوضح أن حضورهم الاقتصادي كان موجودًا من أول وهلة وطئت أقدامهم أرض الحبشة.

= محمد بن يوسف الصالحي أنه ممن عاد من الحبشة فيمن رجع من الهجرة الأولى. سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٦٨.

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٩٩، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي، قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا جعفر بن عون قال: أخبرنا أبو عيسى، عن القاسم وإسناده، صحيح إلى القاسم ابن محمد، ورواية القاسم عن عبد الله بن مسعود مرسلة، كما قال المزي في تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٨)، وأبو عيسى المذكور في الإسناد تصحيف، والصحيح أنه أبو عميس عتبة بن عبد الله بن عتبة المسعودي، والحديث في الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٣٧.

ـ دل الأثر أيضًا على أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتردد كثيرًا وحده إلى هذا السوق، وتكرار التردد دليل كثرة البيع والشراء والتكسب الذي كان عليه هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ـ دل الأثر أيضًا على أن عبد الله بن مسعود كان قد اكترى منزلًا من أحد الأحباش، ما دفعه إلى أن ينصحه بتلك النصيحة بألا يغدوا وحده لوجود من قد يعتدي عليه، أو يستغل انفراده بغصبه ما معه، ومعلوم أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة الكرام لم يكونوا يستطيعون أن يكتروا منازل إلا إذا كان عندهم من أموالهم وكسبهم ما يستطيعون أن يكتروا به هذه المنازل.

ـ الأمر الأخير أن الرواية دلت على أن عبد الله بن مسعود هنا كان بائعًا ولم يكن مشتريًا، وهذا يدلل على أنه كان يتاجر ويبيع لا فقط يستهلك ويشتري وذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرواية دلت على أنه كان يتاجر بشيء يذهب به إلى السوق ليبيعه بقوله: (فانطلق عبد الله بن مسعود وأخذ ما معه)، وأيضا قال ابن مسعود: (حتّى بعتُ ما معي بدينارين)، وهو دلالة التجارة والتكسب.

ثانيهما: عندما عمد إليه هذا الظالم الذي أرد أن يسلبه ماله ويسرقه صدقه عبد الله بن مسعود في كونه ليس معه من المال إلا دينارين هما اللذين باع بهما بضاعته، وهذا يؤكد أنهم كانوا يتاجرون ويكسبون، وأن حضورهم الاقتصادي كان قويًا وحاضرًا بقوة منذ جاءوا جميعًا إلى الحبشة.

الرابع: دلالة شعر عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر حالهم في أرض الحبشة.

فقد جاء شعر عبد الله بن الحارث ليبين طرفًا من الحياة التي كانوا عليها،

والأرض التي انتقلوا لها وهي أرض الحبشة، ويستنبط من كلماته ما يدل على عزة ورفعة وسعة، بل قال: الحافظ ابن حجر: (له شعر يحرض المسلمين على الهجرة إلى الحبشة، ويصف ما لقوا فيها من الأمن)[1]. فقد قال:

يا راكبًا بلغن عنّي مُغلغلةً ... من كان يرجو بلاغ الله والدّين
كُل امرئ من عباد الله مُضطهدٌ ... ببطن مكّة مقهورٍ ومفتون
أنّا وجدنا بلاد الله واسعةً ... تُنجي من الذُّل والمخزاة والهون
فلا تُقيموا على ذل الحياة وخز ... يٍّ في الممات وعيبٍ غير مأمون
إنّا تبعنا رسول الله واطّرحوا ... قول النبيّ وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا ... وعائذًا بك أن يعلوا فيُطغون[2]

فهذه الأبيات التي قرضها عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تدل على أنهم انطلقوا من حال إلى حال أفضل، وهذا يشمل كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والحياتية، وخاصة حينما قال:

أنّا وجدنا بلاد الله واسعةً ... تُنجي من الذُّل والمخزاة والهون
فلا تُقيموا على ذل الحياة وخز ... يٍّ في الممات وعيبٍ غير مأمون

الخلاصة فيما سبق:

مما سبق يستدل به على أن الحضور الاقتصادي للوجود الإسلامي كان موجودًا وحاضرًا من أول وهلة قدم فيها المهاجرون الأول إلى أرض الحبشة، فطبيعة الأشخاص الذين هاجروا، والنتائج التي أسفرت عن كلماتهم وأحوالهم، واستقبال الوافد الجديد بينهم، وكذا ما دللت عليه رواية عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) ينظر: ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٤٣.
(٢) سبق بيان وشرح هذه الأبيات في فصل: المشترك الإنساني بين الوطنين القديم والجديد.

وهي واضحة جلية في هذا الجانب، وكذا ما أخبر به عبد الله بن الحارث... كل ذلك يؤكد ما بيّناه وأكدنا عليه من الحضور الاقتصادي للوجود الإسلامي.

وأما نتائج هذا الحضور الاقتصادي فهي كثيرة، أذكر منها ما يلي:

ـ هذا الحضور يؤكد أن المسلمين إضافة حقيقية للمجتمعات، وأنهم عندما يطئون أرضًا ويهاجرون إليها، فإن لهم اعتماداتهم وذمتهم المالية التي تكون معهم، أو يسعون إليها لتعز وجودهم وتثري حضورهم.

ـ أن هذا الحضور يؤكد التزام المسلمين بشرعهم وتعاليم منهجهم الحنيف الداعي في كثير من آياته وأحاديثه إلى العمل والإنتاج والسعي والعمران، وهذا لا بد أن يكون واقعًا عمليًّا وليس فكرًا نظريًّا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[1]. وهو تحقيق لما وعد الله به عباده المهاجرين قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[2].

ـ هذا الحضور يخفف وطأة تخوف المجتمع الأصلي لهذه البلاد من الوافد عليه، وخاصة إذا كانت هذه المجتمعات غير إسلامية، وهذا التخوف يكمن في (استغلال القوانين والاستفادة منها، وخاصة قوانين الإعانة الاجتماعية، والرعاية والصحة وغيرها ـ أو مزاحمتهم على الوظائف وأماكن العمل ـ أو أنهم عبء كبيرة على الدولة والشعب ولا فائدة منه ـ أو أنهم سيأخذون من أموال ضرائبهم وتصرف عليهم دون أن يكون ذلك مردود منهم على الدولة... إلخ هذه الأمور والمخاوف).

ـ هذا الحضور الاقتصادي يقوي وجود المسلمين في البلد المضيف على

(١) سورة الملك، الآية: (١٥).
(٢) سورة النساء، الآية: (١٠٠).

مستوى الوجود نفسه وعلى مستوى الدولة المضيفة، بل ربما يدفع الأحزاب السياسية والدولة إلى الاعتراف بإضافتهم، ويقرون ويعتبرونهم جزء من نسيج الدولة، بعد أن أكدوا بحضورهم مزيدًا من النماء الاقتصادي بشكل ملحوظ بعد توافدهم، وهذا يدفع إلى الدفاع عنهم واحترام وجودهم.

وقد رأينا هذا في أوروبا أهمية الوجود الإسلامي التركي بشكل أساسي والعربي أحيانًا في دعم الاقتصاد لدول أوروبا ونمائه كنموذج على هذا الكلام.

ـ لا شك أن التسهيلات التي تضعها الدول للأجانب في الحصول على إقامتها أو التجنس بجنسيتها مبنية على أمور كثيرة منها وأعظمها: الجانب الاقتصادي عند الأفراد، وكلما كان الفرد منتجًا وحضوره الاقتصادي قويًّا ومواردًا لخزينته، كلما كان مرحبًا به إقامة وتجنسًا مما يعزز حضور الوجود الإسلامي بشكل كبير.

ـ وهو أيضًا من تمام ردّ الجميل والعرفان مع ما تقدمه دول المهجر من حسن استقبال للوافدين، وتسوية أوضاعهم والاهتمام بهم، فإنه يتحرى على المسلم المقيم معهم أن يعمل بشكل يثري اقتصاد هذه الدول وينميه من باب رد الجميل والاعتراف به والعرفان لهم، وتحقيق أخلاق المسلمين في عدم إنكاره أو جحوده.

ـ أيضا الحضور الاقتصادي من أجمل ما يصدره المسلم للتعريف بدينه وبشخصه، تعريفًا يؤكد أن الإسلام إنما زاده إنتاجًا وعملًا وسعيًا ونشاطًا لا يقل عن أصحاب البلد المهاجَر إليه، ويغير في نفس الوقت القناعات الزائفة والخاطئة التي يصدّرها الإعلام أو الأحزاب العدائية للوجود الإسلامي، ويزيل شبهتهم أن المسلم مستهلك غير منتج، مستفيد غير مفيد.

ـ وهو يؤسس أيضًا دعائم مهمة للأجيال التي تأتي بعد الوجود الأول، فيكونوا امتدادًا لما كان عليه آباؤهم أو أجدادهم، ويزيدون على ما قدموا وأنتجوا في هذه

البلاد؛ وهذا له بُعد آخر حيث حماية هويتهم والارتباط بإسلامهم، كونهم رأوا تطبيقًا عمليًّا لنظرياته وكلماته في الوجود الإسلامي السابق بينهم.

وختامًا...

فإن هذا الحضور الاقتصادي للمسلمين هو بوابة عظيمة لمجالات أخرى تثبّت أركانه وحضوره، ليدعم من خلاله جمعيات ومؤسسات إسلامية واجتماعية وخدمية وإغاثية ومشاريع وقفية وغيرها، تحتاج بقوة إلى هذا الجانب الاقتصادي لتفتح أبوابها وتؤدي رسالتها ويستمر عطاؤها، ومن يعش في بلاد الاغتراب يدرك أهمية ذلك ونتائجه.



(٩)
الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب

هذا أيضًا من المعالم المهمة للحضور الإسلامي في بلاد الغرب، ينبغي أن يكون موجودًا وبقوة في الواقع المعاصر، كما كان موجودًا في الوجود الإسلامي الأول، فالإعلام أداة الرصد للواقع المعاصر، وهو المؤسسة الأولى للنشر والتبليغ والتعريف، فمن خلاله نافذته تنشر الأفكار، وتوضح المشكلات، وتعرف الأخبار، وتجلي الشبهات، ويدافع عن الحقوق، وغير ذلك.

ولأهمية هذا الجانب ينبغي أن نحلل أولًا الإعلام الموجه ضد الوجود الإسلامي؛ لنعرف من خلاله أهمية وجود الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي، وهذا كله من خلال أحاديث الهجرة.

نموذج الإعلام المضاد المتربص بالوجود الإسلامي (رسولَا قريش وبطارقة الملك).

ففي حديث أم سلمة عند أحمد: (قالت: فخرجا ـ رسولَا قريش ـ فقدمَا على النجاشيّ، ونحنُ عنده بخير دارٍ، وعند خير جارٍ، فلم يبق من بطارقته بطريقٌ إلا دفعَا إليه هديّته قبل أن يُكلما النجاشيّ، ثم قالَا لكل بطريقٍ منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منّا غلمانٌ سُفهاءُ، فارقوا دين قومهم ولم يدخُلوا في دينكُم، وجاءوا بدينٍ

مُبتدعٍ لا نعرفُه نحنُ ولا أنتُم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنرُدّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فتُشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يُكلمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثُمّ إنّهما قرّبا هداياهم إلى النجاشيّ فقبلها منهما، ثم كلماهُ، فقالَا لهُ: أيُّها الملكُ، إنّه قد صبا إلى بلدك منّا غلمانٌ سُفهاءُ، فارقوا دين قومهم، ولم يدخُلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفُه نحنُ ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرهم، لترُدّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكُن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشيُّ كلامَهم، فقالت بطارقتُه حولهُ: صدقوا أيُّها الملكُ، قومُهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا هيمُ الله، إذًا لا أُسلمُهم إليهما، ولا أُكادُ قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم: ماذا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتُهم إليهما ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني...

قالت أُمُّ سلمة: فلمّا خرجَا من عنده، قال عمرو بنُ العاص: والله لأنبئنّهم غدًا عيبهم عندهم، ثم أستأصلُ به خضراءهم.

قالت: فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرّجُلين فينا ـ: لا تفعل فإنّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنّه أنّهم يزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ، قالت: ثم غدَا عليه الغد، فقال له: أيُّها الملكُ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عمّا يقولون فيه).

تحليل الموقف إعلاميًّا:

ـ انزعاج الإعلام المضاد والكاره للوجود الإسلامي من وجوده أولًا، ومن عيشه بسلام وأمان وتنعم بأجواء الحرية المكفولة من الدولة والمجتمع لهم ثانيًا، مع ممارسة عقائدهم بشكل طبيعي (فخرجَا فقدمَا على النجاشيّ، ونحنُ عنده بخير دارٍ، وعند خير جارٍ).

ـ تسخير الأموال واستخدامها كسلاح في استمالة مواطن القوى والتأثير عليهم والقول بمقولتهم ودعوتهم وتبني فكرتهم: (فلم يبق من بطارقته بطريقٌ إلا دفعًا إليه هديّته قبل أن يُكلما النجاشيّ).

ـ الحشد والتأثير على مواطن القوى بكل وسيلة للوصول إلى المأرب المراد، واستخدام فكرة التوجيه الفردي قبل الجماعي لهم ولأفعالهم: (ثم قالَا لكُل بطريقٍ منهم).

ـ التقليل والازدراء من الوجود الإسلامي ووصفهم بما ليس فيهم، وإلباسهم وسم وصفة المارقين الخارجين عن القانون والدين: (صبا إلى بلد الملك منّا غلمانٌ سُفهاءُ).

ـ جعل الحق في خلدهم وكلامهم مقصورًا فقط إما في أتباعهم أو أتباع حلفائهم: (فارقوا دين قومهم ولم يدخُلوا في دينكُم).

ـ التخويف الدائم لمن استضافهم بخطورة وجودهم على الدولة وزوال سلطانها، كما في رواية: (فقدمَا على النجاشيّ فدخلَا عليه فقالَا لهُ: إنّ هذا الرّجُل الذي بين أظهُرنا وأفسد فينا تناولك ليُفسد عليك دينك ومُلكك وأهل سُلطانك، ونحنُ لك ناصحون وأنت لنا عيبةُ صدقٍ تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف ويأمنُ تاجرُنا

عندك فبعثنا قومُنا إليك لنُنذرك فساد مُلكك)[1].

ـ اللعب على وتر العاطفة الدينية وتغيير دين الدولة: (وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفُه نحنُ ولا أنتُم) قال عمرو: (والله لأخبرنه أنّهم يزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ، قالت: ثم غدَا عليه الغد، فقال لهُ: أيُّها الملكُ، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا).

ـ البحث عن أبواق إعلامية مساندة ومتبنية للفكرة والغاية المنشودة، وكلما كثرت وتعدت بين يدي صناع القرار والرأي العام كان أوهم عليها وألبس للباطل ثوب الحق والعدل أمامها: (فقالت بطارقتُه حولهُ: صدقوا أيُّها الملكُ، قومُهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم).

ـ محاولة إخراج الوجود الإسلامي إلى بلادهم لمحاسبتهم على قضايا وتهم ليس لها وجود أو حقيقة، والدعوى في ذلك وجود حق عليهم لبلادهم، وللقائمين عليها، إحقاقًا لدولة القانون ادعاء وزورا: (فإنّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه).

ـ محاولة الانفراد بالتغطية الإعلامية وما يبث فيها من أفكار وشبه، دون وجود مدافع عمن ينال منه أو من فكرته، أو الوقوع في دائرة المحاورة والمناظرة التي

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٤٣)، حديث رقم: (١٩٣) قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا محمد بن عمر بن خالد الحراني، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، عن عروة بن الزبير، وهذا الحديث مرسل، وفيه ابن لهيعة وهو صدوق، ولكنه خلط بعد احتراق كتبه، ولكن أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٦/ ٢٧ بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١١٥، والسيرة ٢/ ١٧٩-١٨٠.

لا يحمد عاقبتها لقوة الطرف المجني عليه وقوة أدلته: (ولم يكُن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشيُّ كلامهم).

ـ تزيين القول واختيار الكلمات وحبك الشبه بما يجعل المخاطب على مقربة من التصديق لما يقال أو يدعى، ودليل ذلك قول الملك: (حتّى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتُهم إليهما ورددتُهم إلى قومهم). فقد أصبح تسليمهم عند الملك بعد سماعه لدعواهم إذا تطابق الخبر الخُبَر.

ـ التصعيد الإعلامي في العدائية والمناهضة للوجود الإسلامي، فيبدءون بمحاولات متواضعة أو بسيطة، فإذا ما فشلت أخرجوا جميع ما في جعبتهم، وصعّدوا الاتهام والزيف لتحقيق المراد والنيل، فإن لم يظفروا ببغية رجوعهم معهم ظفروا على ـ أقل تقدير ـ لتعريضهم للقتل[1] أو السجن في بيئتهم، أو تشويههم

(١) أراد عمرو بن العاص أن يقتل بعضًا منهم، فقد جاء عند أحمد من حديث عمرو بن العاص من فيه، قال: لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق... الحديث وفيه: فقال النجاشي: أتسألني أن أعطيك رسول ـ عمرو بن أمية الضمري ـ رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: فبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامدًا لرسول الله ﷺ لأسلم... الحديث.
أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٣، وما بعدها)، حديث رقم: (١٧٧٧٧) قال محققو المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد، راشد مولى حبيب لم يرو عنه غير يزيد بن أبي حبيب، ووثقه ابن معين وابن حبان، وحبيب بن أبي أوس ـ ويقال: حبيب بن أوس ـ روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات. =

وتحصيل المخاوف والكراهية من بقائهم: (قال عمرو بنُ العاص: والله لأنبئنّهم غدًا عيبهم عندهم، ثم أستاصلُ به خضراءهم، قالت: فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرّجُلين فينا ـ: لا تفعل فإنّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا).

ـ وهنا أمر مهم ينبغي الالتفات إليه وهو دراسة هذا الإعلام العدائي لمنهجك وفكرك، محاولًا من خلال هذه الدراسة الوقوف على مواطن الثغرات والشبهات، فمعرفة عمرو بن العاص وابن أبي ربيعة بما يقال من المسلمين في المعتقدات الأخرى دليل أنه على اطلاع لدينهم ودعوة نبيهم.

ـ عدم اليأس من محاولتهم أو فشل الوصول بنجاح إلى مأربهم وتحقيق مرادهم من إلحاق الأذى بالوجود الإسلامي، فيعاودون الكرة مرة بعد مرة دون كلل أو ملل ما فتح لهم باب ونافذة: (والله لأخبرنّه أنّهم يزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال لهُ: أيُّها الملكُ، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا).

التعليق:

من خلال هذا الاستعراض الموجز يظهر لنا بعض من أوجه الشبه في استمرار الآلة الإعلامية الكارهة والمعادية للوجود الإسلامي منذ أول يوم إلى وقتنا المعاصر، فالمنطلقات والغايات شبيهة وواحدة، وإن تعدت الوسائل والأساليب ما يجعلنا نعي أهمية الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي، وثمرة دوره عليه في بلاد الغرب.

ويمكنني أن أقول بحق: إن غياب الجانب الإعلامي عن الوجود الإسلامي في

= قلت: بل سنده صحيح، وقال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى أذني، ورجالهما ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١.

أوروبا وبلاد الغرب عمومًا خسارة كبيرة على كافة المستويات التي تخص الوجود الإسلامي، والذي يمكن حصر دوره في نقطتين أساسيتين:

أولًا: التعريف بالإسلام والمسلمين على الوجه الصحيح تعريفًا يقتضي تبيين أصوله، وتوضيح رسالته، والتعريف بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهم أتباعه، وطرح أفكاره، وسرد مميزاته، وبيان منهجه في التعامل مع الأفراد والمجتمعات المنتمي والآخر.

ثانيًا: الدفاع عن قضاياه من كل محاولة تنال منه أو من دستوره، أو من نبيه أو أفراده.

ولقد قام المهاجرون الأوائل بهذين الأمرين في الحبشة أتم قيام ليضربوا مثلًا على حضورهم الإعلامي بنواته الأولى، والذي يدل على عمق فهمهم لهذا الأمر وتكوين أساس مهم من أسس عيشهم في بلاد الغرب.

أولًا: الجانب التعريفي بالرسالة وأصحابها:

من أهم فوائد وجود الجانب الإعلامي وتمثيله في الجالية المسلمة هو التعريف برسالتها ومعتقدتها وبأشخاصها، وهذا كما قلت: يجلي كثيرًا من الحقائق، ويزيل كثيرًا من الرواسب والظنون التي ربما رسخها من يجهل بنا، وبرسالتنا أو يتعمد التشويه لأغراض عنده أو مخاوف لا أساس لها من الصحة على أرض الواقع والحقيقة.

ومن منطلق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾[1]. وكما يقولون: (أهل مكة أدرى بشعابها)، فإنه لا يستطيع أحد أن يعرف بالشيء أو يتحدث عنه إلا إذا كان عالمًا به، مخالطًا به لحمه ودمه، مؤمنًا به إيمانًا كاملًا، عالمًا لدقائقه

(١) سورة فاطر، الآية: (١٤).

وتفصيلاته، فكيف يتحدث عن الإسلام من لم يسلم؟! أو لا يعرف مصدريه ولم يختلط بهما؟! أو لم يميز بين الأقلام والأفواه التي تتحدث عنه وتبرز جماله من تلك التي لا تصدر إلا عن فكر ضحل، أو مرجع مشوه، أو مصدر مبتور الإسناد منزوع الفهم، أو إنسان مغيب عن بيئة الإسلام رسمًا واسمًا؟!

لقد حضر جعفر وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقاموا بالدور الإعلامي التعريفي للإسلام ولصاحب الرسالة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمثل قيام وتعريف، ففي حديث أم سلمة: (قالت: فكان الذي كلمه جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فقال لهُ: أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ، ونعبُدهُ، ونخلع ما كُنّا نعبُدُ نحنُ وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المُحصنة، وأمرنا أن نعبُد الله وحده لا نُشركُ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام ـ قال: فعدّد عليه أُمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحدهُ، فلم نُشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كُنّا نستحل من الخبائث).

ففي هذا الحديث أبرز الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع إخوانه الجانب الإعلامي للوجود الإسلامي المهم الذي من خلاله يعرف برسالته ونبيه وواقعه وموقعه، وكلها أمور لا تتم بلسانٍ آخر ولا يصح فيها الوكالة لغير المسلمين ومرجعيتهم أن يتحدث فيها، وبنظرة سريعة على الحوار يتجلّى لنا عدة أمور من الممكن أن تكون نواة للحوار الإعلامي المميز وفنه وسماته، وهي كما يلي:

١ـ مراعاة مستوى المخاطبين وأقدارهم: وإدراك ما يعرف بـ(برتوكول) الخطابات الملكية والرسمية، وأولها تصدير التعظيم والاحترام والتقدير فصدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث الإعلامي والحواري بقوله: (أيها الملك) لما يستدل من خلالها على إنزال الأشخاص والهيئات منزلتها، وإعطائها صفتها الممنوحة لها، والمعترف بها، مما يشعر المخاطب بتربية وأدب واحترام المتكلم بين يديه، وبيان منطلقه الذي تربّى عليه مما يأخذ بالأسماع والأذهان لحواره وفكرته وقضيته دون غضب أو سوء أدب أو إغلاق قلب.

٢ـ ينبغي التأكيد على أن الجرأة في الحق لا تعني التغليظ في القول، أو التشويه وسوء الأدب، فهذا يناقض ذاك، إن فن الإقناع الجعفري يدل على الوصول للمأمول بالتعريف بدينه ونبيه بأعذب العبارات والبيانات مع الاحترام والهدوء وضبط النفس.

٣ـ من سمات الجانب الإعلامي في حوار جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عدم الاطناب والإغراق في التفصيلات التي تشتت ولا توضح، وتضيع القضية بفرعيات وجزئيات لا تزيد الأمر معها إلا تعقيدًا وتلبيسًا، فكانت كلماته دقيقة، وعباراته قصيرة، ومعناها واضح جلي لا يحتاج إلى استفهام أو شرح وبيان.

٤ـ أيضا فإن جعفرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راعى أن المستمع إليه من الحاضرين ليس لديه أدنى معرفة بدينه وقضيته، ونبيه، فهو حوار تعريفي جديد بكل أركانه لا سبق قبله عند الحضور بمعرفة ولا بذكر، ولا بفهم، فكان لزامًا أن يكون بهذه الصورة التي تلخص التعريف المبدئي أو الأولي لإسلامه، وقضيته ونبيه تعريفًا يكفي هذا اللقاء الأولّي، ويفتح المجال للقاءات حوارية وإعلامية قادمة تفصل أوسع لقضاياه، وتتلو أكثر لكلماته وآياته، وتعمق أرسخ في معانيه ومفاهيمه.

٥ـ من أنجح الحوارات الإعلامية والتي تؤتي ثمارها اليانعة: أن تعقد بين يدي المستمع المقارنات؛ بين ما كان وما هو كائن، تلك المقارنة التي لا يستطيع منصف معها أو مستمع عاقل إلا التسليم لها، والإعجاب والتأييد بما تم على أثرها من تحويل وتغيير من السيء إلى الحسن، على كافة المستويات الفردية والبيئية والمجتمعية والفكرية ما يجعل الحوار مقنعًا، والموقف مؤيدًا، والجميع مُسلمًا، وهذا ما فعله جعفر من براعة الاستهلال، وهو ما لا يتأتى إلا من شخصية فردية حملت من الركائز الذاتية والشخصية ما تقدم ذكره في شخصية جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ـ من سمات الحوار الإعلامي الناجح: ألا يكون الحوار هو الهدف في حد ذاته عند المتحدث والمحاور، بل الحوار إنما هو وسيلة للوصول إلى الغاية والفكرة، وترسيخ المفهوم، وتوضيح وإجلاء المشكل والملتبس، ولذلك لم نر من جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تنميقًا للكلمات، أو تقعيرًا للغة، أو قرضًا للشعر، أو استغرابًا باللفظ والكلمة، أو تصويرًا بالسجع، فكل هذا ربما يضيع الفائدة والغاية المرجوة من حواره وبيانه الإعلامي، وربما أدهش المستمع بالقائل ولم يلتفت للقول أو لم يمعن فيه، وللأسف الشديد بات هذا الأمر مرضًا استفحل في بعض خطباء الأمة وإعلاميها مما ضيع الغاية والفكرة، وغيّر معالم النية الصافية الخالصة أحيانًا بعد طول وقت.

٧ـ من سمات الحوار الإعلامي الناجح هنا أيضًا: أن جعفر وإن تكلَّم عن قضية واحدة وهي التعريف بإسلامه ونبيه، لكنه عند الكلام عليه وعلى ما يقابله عدد التناول بعبارات موجزة على جميع مظاهر الحياة (العقدية ـ المجتمعية ـ الأخلاقية ـ السلوكية... وغيرها) بإشارات تبرهن وتلخص حالها، وتوضح في

المقابل بدائلها، وهو هنا لا يطنب، وإنما يعدد البيان في أبواب تغلق على المستمع والحاضر أي شك في قصور الإسلام، أو تفريطه في جانب من جوانب الحياة والإنسان.

٨ـ من سمات الحوار الإعلامي مراعاة العقول التي تسمع وتحضر، وعدم الخوض فيما يورث بلبلة، أو شكًّا، أو يغلق فهمًا فيوقع فتنة، وهو هنا يؤسس ويؤكد فهمًا لما تعلَّمه الصحابة من مدرسة النبي ﷺ، أخرج مسلم عن عبدالله مسعود: قال: «**ما أنت بمُحدّثٍ قومًا حديثًا لا تبلُغُه عُقولُهم، إلا كان لبعضهم فتنةً**»(١).

٩ـ أكد جعفر بحواره الإعلامي مجموعة من المعايير التي أصبحت تدرس في أروقة الجامعات والمعاهد الإعلامية، والتي تمثل النموذج المثالي والميثاق الشرفي للإعلام والإعلاميين.

أما على سبيل الخبر والحدث:

فقد صدَّر جعفر جملة منها على سبيل المثال:

ـ النقد الموضوعي.

ـ وضوح البيان.

ـ التثبت والتحري.

ـ الشفافية في النقل والعزو.

ـ الاستدلال والبينة على الادعاء.

ـ الانصاف في الطرح.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في مقدمته (١/ ١١).

ـ التركيز على الحق والباطل دون الاستغراق أو التشنيع في الكلام على أهل الباطل إلا لضرورة وفي حدوده.

ـ الوحدة الموضوعية للفكرة المطروحة.

ـ التحضير الجيد.

ـ مصداقية المصدر... وغير ذلك.

وأما سمات الإعلامي الناجح:

ففي شخصية جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها الكثير منها، أنه:

ـ متسع المدارك.

ـ حاضر الفكر.

ـ ذو لباقة في الحوار والحديث.

ـ أمين في النقل.

ـ التواضع في غير ضعف.

ـ موثوق به.

ـ متعفف بلسانه وبيانه.

ـ متخصص فيما يتحدث فيه وملم بجزئيات الموضوع.

ـ موهوب متنامي الموهبة ومتعدد الخصال.

ـ صدوق.

ـ بعيد عن طلب الشهرة والأضواء.

ـ لا يبني نفسه على حساب فكرته ومعتقده.

ـ متعايش مع المشكلات الحياتية ومتفاعل معها.

ـ واقعي في الطرح.

ـ مدرك لأجندة أعدائه وأساليبهم.

ـ متكلم في الحادث وليس فيما يحدث.

ـ متحدث بلسان جاليته وشعبه بما يخدمهم ويعرف بهم.

ـ متمسك بمنهجه... إلخ.

ثانيًا: الجانب الدفاعي في الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي.

الصفة الثانية التي يناط بها الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي والتي لا تقل عن الصفة الأولى أهمية ـ وهي الجانب التعريفي ـ تكمن في الدفاع عن الإسلام وقضاياه ومعتقداته، وكذا عن المنتسبين له، وحقيقة الأمر: هذا الجانب في الآونة الأخيرة أصبح هو المتصدر وتراجع فيه المسلمون كثيرًا، ومرجع ذلك من وجهة نظري إلى عدة أسباب:

١ـ تقصير المسلمين في الواقع الأوروبي والغربي في الجانب التعريفي بإسلامهم، وقضاياه وغايته تقصيرًا كبيرًا ليس فقط على مستوى الآخر المخالف، بل للأسف أصبح التقصير داخليًّا بين أبناء الجالية المسلمة، فكثير من المسلمين لم يهتم بمعرفة إسلامه معرفة قوية، ولم يضع التثقيف الشرعي في حساباته ولا حسابات أولاده، الأمر الذي بات يوسع الهوة ويضيع الهوية.

٢ـ الخطاب الدعوي السيئ: الذي يصدره بعض الدعاة والخطباء، وكذا الإعلاميين والصحفيين المسلمين وهو ذو شقين:

الشق الأول: الخطاب الذي لا يخدم واقع المسلمين، ولا يهتم باحتياجاته، ولا يتناول قضاياه المتعلقة ببيئته، فتراه يدور مع الخطب الرنانة، أو التقليد الأعمى لبعض الدعاة المشاهير حول أمور أبعد ما تكون عن واقعنا الأوروبي وعن واقع المسلمين في هذه البلاد، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

الشق الثاني: الخطاب المفرق المبني على عداء الآخر وشيطنته، ورميه الدائم بالباطل والمكر والتربص وغير ذلك، وهو لم يراع للأسف الشديد أن الصورة التي وصلت إليه عن إسلامنا وقضايانا إنما وصلت إليه مشوهة من طرف واحد سرعان ما ينصف عندما يسمع حقيقتها من أصحابها.

وأنا هنا لا ألقي بالتبعة الكاملة على المسلمين لكنّ جزءًا كبيرًا من هذه التبعة للأسف الشديد كانت بأيدينا عندما قصرنا بالتعريف الصحيح بإسلامنا.

٣ـ الفتاوى المستوردة: التي يتبناها كثير من أبناء الجاليات المسلمة، وكذا المراكز والدعاة للأسف الشديد، والتي بالفعل لا تصلح لهذه البيئة لصدورها عن واقع متغير، أو على اعتماد اختيارات فقهية مذهبية تعصبًا لها ـ الأمر الذي لا يكون إلا لأصحاب التخصصات والمراكز الإفتائية ـ وهو ما جعل كثيرًا من الفتاوي تتصادم مع واقع المسلمين هنا وتنقل صورة سيئة ومشوهة عن الإسلام والتعريف به.

٤ـ صراعات المسلمين الداخلية: والتي وصلت لأمر سيئ جدًّا منشؤه ومبناه على هدم ما يقوم به البعض من مراكز أو من هيئات أو أفكار، الأصل فيها أنها أنشئت لتخدم الإسلام والمسلمين، لكنها ـ للأسف الشديد ـ ابتليت بمن لا يصلح أن يتصدرها، أو ممن لا يقوى على تبعاتها، أو قاصر النظر في دورها، والرسالة التعريفية والدعوية في كل ذلك هي الخاسر الأكبر.

٥ـ ضعف الزاد العلمي والثقافي لمن يتصدر الخطاب الدعوي والإعلامي: أو أحادية التزود من أقلام وكتاب لا يعتمد عليهم وحدهم في التثقيف الشرعي والعلمي، بل ربما كانوا ممن ينصبوا العداء للإسلام في طرحهم وكتبهم.

والزاد العلمي المنوط به هنا **أولًا: هو ما يتعلق بالإعلامي نفسه،** فلا بد من وجود دارسين لعلوم الإعلام والصحافة وما يتعلق بهما، لهم حضور وأقلام

وقنوات، فهو باب نحتاج أن نكون فيه، وينشط له من أبناء الوجود الإسلامي من يتخصص فيه لأهميته البالغة، أو على الأقل ندعم ممن على الساحة من أبناء الوطن من غيرنا من يحمل سمات الإعلامي الصادق المنصف والناشر للحقيقة، ويمكن أن نسميه زاد المحاور والمضيف.

وأما الزاد العلمي الثاني: فهو زاد الضيف الذي يُدعى ويُستكتب ويحاور في قضية من القضايا، فينبغي كذلك أن يكون من أهل التخصص في الفكرة، عالمًا بها، ملمًّا ببعض العلوم التي ينبغي توافرها في حضوره الإعلامي (كعلم المحاورة والمناظرة، والجدل، والعلوم العقلية، والمنطق، وغير ذلك)، فهي مع وجود الثقافة الشرعية مهمة جدًّا في التحاور في البيئة الأوروبية والغربية.

٦ـ ضعف التعامل مع القضايا الشائكة والأسئلة المهمة: التي تدور في فلك الواقع الغربي حول الإسلام والمسلمين، بل الهروب منها أحيانًا سواء كانت قضايا عقدية وما أكثرها ـ أو شبهات حول أمور تتعلق بالعبادات والمعاملات ـ أو الأسئلة المتعلقة بالحلال والحرام في الإسلام، ومدى اتفاقها أو اختلافها مع الحياة العامة والقوانين المحكمة وغير ذلك، ويرجع هذا الضعف حقيقة إلى عوامل كثيرة: منها ما مرّ ذكره من ضعف الثقافة الشرعية، أو الانعزالية عن الواقع الأوروبي، أو الصراعات التي ولّدت تقزمًا في أهدافها وغايتها، إضافة إلى الاكتفاء بالقراءات السابقة في تلك الموضوعات دون محاولة التوسع فيها والقراءة المتأنية المتعمقة حولها، وتلمس المقاصد من ورائها، وعقد الندوات والمؤتمرات لإدراك حقيقتها وفهم حكمها وغير ذلك من المهمات.

٧ـ غياب فقه الاجتماع بين أبناء الوجود الإسلامي، وكذا زيادة الهوة بين الأفراد والمؤسسات القائمة الخادمة للوجود الإسلامي، سواء كانت إعلامية أو خدمية

أو إفتائية أو غير ذلك، الأمر الذي لا محالة يضعف تلك المؤسسات ـ ولو بنسبة ـ ويجعل عملها بطيئًا أو غير مؤثر، سواء كان على المستوى الداخلي بين المسلمين أو على مستوى التعامل مع الآخر، وهذا فتح الباب بقوة لإعلام الكراهية والعدائية لأخذ مكانة أقوى ونشر صوته وفكره بمدى أبعد.

٨ـ تصدُّر من لا يصلح من المسلمين للدفاع عن القضية الإسلامية، وغالبًا ما يحدث ذلك بصورة فردية أو انتقائية، يتم اختيارها للظهور الإعلامي وكونها المرجعية الإعلامية المسلمة المخولة بالكلام عن القضايا الإسلامية، وللأسف كثير من هؤلاء المتحدثين عن هذه القضايا ليس لهم معها اطلاع ومعرفة حقيقية، ولا لهم فكرة متبنيه تخالفها، بل ربما وافقت الإعلام المعادي والمناهض، ويكون حرصه على الظهور أهم من حرصه على الفكرة المطروحة للنقاش.

٩ـ عدم وجود مؤسسة لرصد ما يدور في الواقع الأوروبي من مقالات، وكتب، وقنوات ومؤتمرات تتحدث عن الإسلام والمسلمين دون تجميع ونقاش واعتراض ومحاولات لتتقدم في هذه المنافذ، أو يكون لها منفذ منتشر على الشبكة العنكبوتية ترد فيه وتنشر فيه هذه الأمور بموضوعية وبيان وتوضيح.

١٠ـ عدم استغلال المسلمين كل نافذة حرة متوفرة يطرح فيها قضية من قضايا الإسلام، أو اقتصارنا واعتمادنا على منابرنا الداخلية فقط، وهذا لا يؤتي ثمرة، فما زال الحضور الإعلامي ضعيف أو غير موجود، وما زال التأليف والترجمة للأسف لتلك القضايا غير متوفر أو معتمدًا لرؤية مغايرة للواقع الأوروبي، وما زلنا لا نخاطب الساسة والأحزاب الحرة بقضايانا، ونحاول تبنيها والبحث عمن يتبناها أو على الأقل ينظر فيها بعين الإنصاف.

ومن خلال هذه الأسباب الماضية يمكننا أن نحلل حوار جعفر بن أبي طالب

الإعلامي مع النجاشي ومؤسسات الدولة، فقد انتفت فيه وإخوانه معظم هذه الأسباب العائقة، والتي تعوق الحضور الإعلامي، وفي استعراض سريع:

ـ **تفوق جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجانب التعريفي بإسلامه** ـ كما جاءت الروايات مدللة ذلك ـ بلا إفراط أو تفريط.

ـ **لم يترك مجالًا لمن يحاوره أو يتربص به إلا وكان حاضرًا فيه بقوة**، مدليًا فيه برأي وبيان.

ـ **جميع خطابه وحواره يخدم واقعه وإخوانه**، فلا هو مشتت بفكرته، ولا بعيد عن واقعه.

ـ **محاورته وخطابه نابعة من تعلمه واجتهاده ومشورته مع إخوانه**، وقد درسوا جميعًا الحدث وتوقعوا الأسئلة والشبهات المطروحة عليهم، والتي لم يتعرضوا لها من قبلُ، قالت أم سلمة: (قالت: فأرسل إليهم يسألُهم عنهُ، قالت: ولم ينزل بنا مثلُهُ، فاجتمع القومُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ماذا تقولون في عيسى إذا سالكُم عنهُ؟).

ـ **مدرك لمن يحاوره ولمن يتعرض له**، كلٌّ قد عرف منطلقه بين معتد وبين مستفهم، وكل قد فهم غايته.

ـ **متخصص في النقل والعقل** قد جمع للنجاح بحواره الإعلامي والبياني كل المقومات اللازمة من التثقيف الشرعي والعلمي، مع العلوم (العقلية) الفكرية والجدلية والمنطقية، بل إن خطابه العقلي تقدّم على خطابه الشرعي، وهذا مهم في البيئات الأوروبية التي تقيم الآخر من خلال طرحه العقلي والفكري ومدى اتساقه مع النظام العام والذوق السليم والحجج والبراهين.

ـ **مدلل مع إخوانه بحضورهم على لحمتهم ووحدة بيانهم**، ففقه الاجتماع

بينهم حاضر، زكان نافيا في الوقت ذاته كل صراع أو انفصال بين أبناء الجالية المسلمة.

ـ **على دراية بخطورة اللقاء وتبعاته،** فلا استهانة به تضيع ولا تهويل شديد له يخوف ويربك.

ـ **متوقع الأسئلة المحرجة والشائكة،** ومعد لها أجوبة مسبقة مع إخوانه وأصحابه.

ـ **إجابته واضحة لا تحمل أكثر من تأويل،** ولا تشكك من يسمعها أو تلبس عليه.

ـ **يرصد مع إخوانه ما يدور من الآخر** بفكره وأسلوبه واقفين على محاولته ومسيرته.

ـ **مستغلين كل فرصة متاحة لبيان رأيهم وفكرتهم،** وعرض إسلامهم ليس فقط على نطاق الأحداث الجسام ووقت الشدائد إنما في وقت الرخاء والراحة.

وخلاصة القول:.

بعد هذا العرض والتحليل بدا لنا أن الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي وقوته في بلاد الحبشة قد أتى أكله وحقق أهدافه تعريفًا ودفاعًا مما كان عاملًا أساسيًّا في رد كيد المتربص والمعادي، وتغيير سياسة الدولة في التعامل معه بكسب الاحترام والتقدير للوجود بفكرهم وأشخاصهم، بل وفتح المجالات الدنيوية لهم، وكذلك قوّى الوجود الإسلامي نفسه في تعزيز موضعه، وتنامي إنتاجه واستكمال عيشه المحمود في بيئة الاغتراب والهجرة.

(١٠)
الحضور الشبابي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب

يظل الوجود الإسلامي ـ بل أي أمة ـ في أي بيئة من البيئات لا يكتمل بناؤه ووجوده وحضارته بدون عنصر الشباب فيه، ولعل ما قوى دولة الإسلام في جميع مراحلها منذ مرحلة وعهد النبوة مرورًا بريادتها في زمن الخلفاء والخلافة الإسلامية في مراحل قوتها وجود الشباب بقوة في جميع حركتها ونهضتها الحضارية والعلمية.

وحقيقة الأمر: أَنَّ أيًّا من المواقف الإيجابية التي حدثت في الهجرة إلى الحبشة من المهاجرين يمكن أن يسطر ويوضع في هذا المبحث: (الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي الأول)؛ لأن جميع من هاجر وأغلبهم كان من هذه الفئة، والأمثلة كثيرة: فجعفر، وعثمان، والزبير، وعبد الرحمن، وأبي سلمة، وسهل، وأسماء بنت عميس، وأم سلمة، وأم حبيبة، وغيرهم شباب جميعهم من هذه الفئة التي تحمّلوا جميع التبعات على كافة المستويات، وقد أكد ذلك وقرره رسولا قريش حينما قالوا كما جاءت الروايات: (إنّه قد صبا إلى بلد الملك منّا غلمانٌ) وفي رواية: (فقالا: أيُّها الملكُ إنّ شُبانًا).

وما أخطُّه هنا إبرازًا واستقلالًا إنما هو غيض من فيض، أو انتخاب لما أراه مهمًّا يجب التركيز عليه لتفرده وتميزه، وكذا محاولة لبيان وجه للتشبه والاقتداء به للشباب في بلاد الغرب:

أولًا: الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي قيادة ومسئولية:

وقد مثلها جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأوضحنا سمات كلٍّ عند الكلام على المرجعية الإسلامية، وأريد هنا دفع توهّم الحديث عن دور ثانوي أو تكميلي للشباب في حضوره بين الوجود الإسلامي، إنما أريد الكلام عن الدور الأصلي والرئيس لهم في كلّ وجود إسلامي في أي موطن كان، قلّ ذلك أو كثر، فلم يكن جعفر وعثمان قائدَين ومسئولَين فقط، بل كانا مرجعيتين لغيرهما من إخوانهم، وللآخر الذي يخالطه ويكثر سؤاله ويحاوره.

والعامل الأساسي في قوة وضعف الوجود الإسلامي تكمن في هذا الحضور الشبابي وقوته وجودًا وعدمًا، فكلما قوي وتصدّر وأخذ مكانه الطبيعي الذي بوأه إيّاه رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان قويًّا وفعالًا ومفيدًا لمجتمعه ووطنه وإخوانه، وكلما غاب عن المشهد وقل حضوره أو انعدم كلما أورث ذلك ضعفًا وخوارًا وتهميشًا.

فقد كانوا جميعًا وعلى رأسهم مرجعيتهم شموسًا في القدوات والمسئوليات، ولو عدّدنا من خلال شخوصهم ومواقفهم سمات تكوينهم القيادي لخرجنا بجملة من المميزات تعتبر في حدّ ذاتها دستورًا كاملًا لما ينبغي أن يكون عليه الشباب اليوم، ليس فقط في بيئة الاغتراب، بل في كل موطن، وأذكر أهمها إجمالًا من خلال شخصيتَي جعفر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جانب القيادة والمسئولية:

- **التكوين العقدي والإيماني** الذي ظهر جليًّا في كلام جعفر وثبات موقفه، ومن دلالته قوله: (إنّا لا نسجُدُ إلا لله عَزَّوَجَلَّ). فهي تلخص ثمرة هذا التكوين.

- **الارتباط المنهجي** وقد ظهر ذلك جليًّا في استحضاره وحفظه للقرآن الكريم ما وصل إليه وأخذه عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختلط بلحمه ودمه، وأتم حفظه على أكمل

وجه، وكذا عند استعراض سيرة قدوته ﷺ وحديثه، والقضية من خلال حواره مع النجاشي تكمن في شاب جمع بين الحفظ والفهم والتطبيق لهذا المنهج.

ـ **الجرأة والإقدام:** فكونه يتصدَّر المشهد عن الجالية الإسلامية مُحاوِرًا ومتكلِّمًا بل كما جاءت الرواية هو المبادر لذلك، كما في رواية ابن مسعود رضي الله عنه: (فقال لنا جعفرٌ: لا يتكلم منكُم أحدٌ أنا خطيبُكُمُ اليوم). يجعلنا نقف على سمة من سمات التكوين الشبابي؛ من إقدام، وجرأة شبابية في محلهما، وأقصد بالجرأة والإقدام هنا اللذين ينمّان عن تُؤَدَة وحكمة وبصيرة، لا التي تدفعها الحَمِيَّة والعجلة والحسابات الخاطئة الطائشة.

ـ **الرجاحة العقلية والفكرية:** التي يدرك من خلالهما مكامن القوة والضعف في المحاور والمواجه، ويسرع ببديهته ناحية قنص الحقيقة والحق، ويلجم من خلالهما كل متصيد ومشكِّك، مع هدوء في الرد وقوة في الحجة والبيان.

ـ **التريث والتمهل عند الحدث** فيما ينبغي فيه التريث وأخذ المشورة، فيمهل فيه كما فعلوا عندما دعت الحاجة لذلك، واجتمعوا لترتيب أوراقهم وتأكيد موقفهم وتحمل تبعاتهم.

ـ **المثابرة واستفراغ الجهد:** فقد كان جعفر بن أبي طالب شابًّا مثابرًا مواصلًا ومواظبًا يستفرغ الجهد والأسباب في بيان الإسلام وتعريفه، ودفع الشبهات والافتراءات عنه، غير خائف لجلالة الموقف، ولا مرتعدًا من هيبة الدولة وأعدائه من قومه، فلم يضجر للمحاورة، ولم يملل للمجادلة، ولم يهرب عن المناظرة، ولعل هذا ما أفرز قوة موقفه وسلامة مثابرته بنجاته ونجاة صحبه رضي الله عنهم.

ـ **إدراك الواقع والاحاطة به داخليا وخارجيًّا:** فالقائد والمسئول يجب أن يكون ملمًّا بالخارج ـ أقصد خارج بيئته ـ وداخليًّا من أحداث ومواقف وأعراف

ومنطلقات، وبهذا الإدراك يستطيع أن ينجح في مهامه، ويتقدم بجاليته، وينعم باستقراره، وغير ذلك يؤدي إلى ضياع وتشتت وتصادم مستمر.

ـ **التحدث باسم الجالية دائمًا:** فالقيادة الحقّة هي التي تحاول أن تتكلّم دائمًا باسم مَن انتخبها وقدَّمها ووضعت ثقتها فيه، وهذا كفيلٌ بمعالجة كثير من الأمور ربما زلّت فيه قيادات أخرى من غرورٍ، أو كِبرٍ، أو فردية، أو التماس حظ النفس، أو المكاسب الشخصية التي تُبنى على حساب المجموع، كما أنها تذكِّر دائمًا بخيرية المجموع على الفرد، وتجعل تناول المسئولية والقيادة سهلًا مستساغًا، وتعالج في الآخر استبعاد الفرقة أو محاولة التفريق، أو استمالة القيادة دون مَن تحتها لأمر أو غرض، فقول جعفر وهو شاب لحارس النجاشي كما جاءت الرواية: (ائذن لحزب الله). دليل ذلك كله.

وتحليل سمات جعفر القائد الشاب كثيرة وعظيمة، وما ذكرته هو إشارات لما ينبغي أن يكون عليه الشاب المغترب المسئول، ويمكن الرجوع إلى ما ذكرتُه من صفات جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فصل المرجعية الإسلامية.

ثانيًا: الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي حركةً وتكليفًا.

وهذا واضح خاصة في المهام الصعبة والفريدة التي لا يصلح لها إلا الشباب، ويمثله هنا في المهاجرة الأُوَل: الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما نازع النجاشيَّ ابنُ أخيه في ملكه ودارت بينهما الحرب: (قالت: فقال أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَن رجُلٌ يخرُجُ حتى يحضُر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزُّبيرُ بنُ العوام: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا، قالت: فنفخوا له قربةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النّيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم).

ومن خلال هذا الموقف المذكور في الحديث يتجلّى لنا أحد أهم مميزات الحضور الشبابي بين الوجود الإسلامي، فهو حاضر في المهام الصعبة، ومتصدر بقوة لها، منجز للمهمة على أكمل وجوهها.

وتحليلًا لهذا الموقف أذكر ما يلي:

ـ أن الوجود الإسلامي يعتبر الجميع بين يديه من الرجال صغيرًا كان أو كبيرًا (قالت: فقال أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رجُلٌ يخرُجُ حتى يحضُر وقعة القوم). وهذه أول فارقة ينبغي الوقوف عندها، إن أول معالم القوة في الأمم وزرع الإرادة والعزيمة والاعتزاز في أفرادها عندما ترسخ مفهوم الرجولة وسماتها في فتيانها وشبابها، فتتعامل مع الشباب والفتيان على أنهم رجال كبار فيقوى فيهم حب الأداء والتضحية والعمل وخدمة الوجود الإسلامي، لأنهم تربوا على ذلك ولم يُؤخروا عن مواطن الاجتماع أو الأحداث أو المشاركة.

ـ لا يتقدم الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويتصدر لهذا الأمر إلا إذا وجد واستشعر مِن قِبَل إخوانه وكبار جاليته معنى الاهتمام به، وإعطائه مكانةً حقيقيةً، وحضورًا بينهم بشكل دائم، وهذا كله يفسر تقدمه وعرضه، وكلما اختلط الصغير بالكبير ارتفع ولم يقع.

ـ أن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هنا ضرب مثلا قويًّا لهذا الشاب الذي يتقدم مقدِّمًا نفسَه ورُوحَه في خدمة الوجود الإسلامي، وتقدمه هذا ليس بالهين تصوره فهو يترشح لحضور قتال ونزال بين فئتين غير مسلمتين، ومواطن المعارك لا تؤمن فيها الأجساد والنفوس، قالت أم سلمة: (من رجُلٌ يخرُجُ حتى يحضُر وقعة القوم فقال الزُّبيرُ بنُ العوام: أنا).

ـ هناك مواقف لا يصلح فيها إلا الشباب، ولا تستكمل أو تنجح إلا

بوجودهم، وعملهم، وهذا يدلل على أهمية الحضور الشبابي في أي وجود أممي ووطني؛ فهم أصحاب المهمات الصعبة، والسرعة الناجزة، والتغييرات المحمودة السريعة.

ـ يجب أن نؤكد هنا على الدور التكاملي للشباب في الوجود الإسلامي، فهو وإن كان له قيادة من عمره أو أسن منه، إلا أنه يفهم أن هناك مَهامًّا يقوم بها الأفراد نيابة عن القيادة، يستكمل بها القائد والجالية نجاح أعمالهم، وتطور أنفسهم، وإبصار مواقعهم، لا تتم إلا بالشباب ولا تستكمل بدونهم، فهم متكاملون بين مواطن التنظير والخبرة معاونون في الحركة والإنجاز.

ـ يجب أن ننظر أيضًا من خلال هذا الموقف الفريد: هذه المساعدة التي قدّمها الوجود الإسلامي لشابهم الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإتمام مهمته ونجاحه في عمله الذي تصدر له وكلف به كما قالت أم سلمة: (فنفخوا له قربةً)، والمساندة هنا واضحة في جانبها المادي من العمل الذي قاموا به، والمعنوي بإشعارهم الخوف عليه وعلى حياته، وطلب النجاة له، وهذا الذي يجعل الشاب يتفانى في أي عمل يقوم به بما وجده من هذا الاهتمام والحب والدعم.

ـ يبقى المشهد لا ينتهي عند هذا الحد الذي قام به الوجود الإسلامي من الدعم المادي والمعنوي، بل هو أقوى من هذا، وهو تجسيد مشهد الملاحظة له ودعمه أثناء عبوره النيل، وعدم تركه وحيدًا في المهمة وإن كان القائم بها، أو الانشغال والقعود عنه، وهذا مهم في فهم دور الشباب عند تولي المهمات، فقد تكون الحماسة قوية في بادئ الأمر منه، ثم سرعان ما تخبو جذوتها، أو أن الأمر كان أهون في عينه فلما لامس الواقع وجده شديدًا أو عسرًا، فلولا دعمه لفشل وقعد، وكذا وقوفهم علامة لطرد كل نزغ شيطاني له من تركه وحيدًا، أو التخلص

منه، أو عدم المبالاة به، كلها أمور لا تُعرف إلا بالوقوف والانتظار والملاحظة حتى يستكمل الشاب مهمته ويفرح الجميع بنجاحه فيها.

ـ السرعة التي قدَّم بها الزبير الخبر وطار صارخًا به لأصحابه تجسد فرحه بما يُفرح وجودَه الإسلامي، وتبين توحيد الاهتمام والغايات والأماني لدى الوجود جميعًا من غلبة الحكومة المناصرة لحقوقهم، والمؤمنة لوجودهم، على تلك التي لو خلص لها لأمر أرهبت وشردت، وأخافت من بعد أمن، وهذا يدل على اللحمة والارتباط وعدم وجود الفجوات في الاهتمامات بين أبناء الوجود الإسلامي، بل المسارعة في سوق البشريات لهم، ففي رواية إسحاق بن راهويه: (وأقبل الزُّبيرُ حتى إذا كان عند شطّ النّيل ألاح بثوبه وصرخ: أبشروا فقد أعزّ الله النجاشيّ وأظهرهُ، وكانت أُمُّ سلمة تقولُ: فما أذكُرُني فرحتُ فرحًا قطُّ مثله حين بدَا أن يقوم قومٌ يأتوا مكّة من غير كُرهٍ).

ثالثًا: الحضور الشبابي تعايشًا ورصدًا:

ومثل هذا لا بد له في الوجود الإسلامي؛ فالشباب أكثر الناس تفاعلًا واختلاطًا وحركةً ورصدًا، وهذا من فطرة تكوينهم، ومن مقتضيات ونتاج أعمارهم وسنهم، ولهذا ثمرة كبيرة نجليها مع هذا الحديث المتعلق بالهجرة إلى الحبشة والذي ينقل صورة من الحضور الشبابي للوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب.

أخرج ابن ماجه في سننه عن جابرٍ، قال: لمّا رجعتْ إلى رسول الله ﷺ مُهاجرةُ البحر، قال: «**ألا تُحدّثوني بأعاجيب ما رأيتُم بأرض الحبشة؟**» قال فتيةٌ منهم: بلى، يا رسول الله، بينا نحنُ جُلوسٌ مرّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحملُ على رأسها قُلّةً من ماءٍ، فمرّت بفتًى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرّت على رُكبتيها، فانكسرت قُلّتُها، فلمّا ارتفعت التفتت إليه، فقالت:

سوف تعلمُ يا غُدرُ إذا وضع الله الكُرسيّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجُلُ، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلمُ كيف أمري وأمرُك عنده غدًا، قال: يقول رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صدقتْ، صدقتْ؛ كيف يُقدّسُ الله أُمّةً لا يُؤخذُ لضعيفهم من شديدهم؟»[1].

فهذا الحديث ينقل صورة حية للشباب المسلم الذي يعيش في موطنه الثاني، ومع كونه حديثًا واحدًا لمشهد واحد، إلا أنه يعد ويحمل منهجًا كاملًا في الحضور الشبابي في قضية الاندماج والرصد، ليكمل مع ما سبق سلسة وبيان هذا الحضور المطلوب في الشباب، ولنجلي مع هذا الحديث هذا المنهج في النقاط التالية:

أولًا: الحديث يوضح أن الحضور الشبابي للوجود الإسلامي موجود بقوة في المجتمع، مختلط بأفراده بالناس، لا يعرف لغة العزلة أو الابتعاد.

ثانيًا: يتضح أيضًا من خلال قراءة الحديث أن أماكن اجتماع هؤلاء الشباب وناديهم الذي فيه يجتمعون ويتحدثون إنما هو في وسط المجتمع، والناس بين أيديهم يغدون ويروحون، فليس ناديهم بعيدًا يورّث العزلة والريبة والشبهة، وليس قريبًا لدرجة يعوق سير الناس، أو يورّث تخوفًا منهم باحتلال أرضهم، أو تغيير

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب: الفتن)، (باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، (٢/ ١٣٢٩)، حديث رقم: (٤٠١٠) قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر، وأخرجه أبو يعلى (مسند جابر)، (٤/ ٧) عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن يحيى بن مسلم به قال الشيخ شعيب في تحقيق سنن ابن ماجه: حديث صحيح لغيره، سويد بن سعيد متابع، وكذا يحيى بن سليم، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه أبو يعلى (٢٠٠٣) عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن يحيى بن سليم، بهذا الإسناد، وأخرجه ابن حبان (٥٠٥٨) من طريق ابن وهب، عن مسلم بن خالد عن ابن خيثم، به. وهذا سند حسن في المتابعات.

نظامهم وطريقة عيشهم، فهو وسط جامع بين الاندماج والمخالطة من جهة، وبين الاحترام والتقدير لمضيفهم وبلدهم من جهة أخرى.

ثالثًا: يؤكد الحديث على أن هذا الحضور الشبابي للوجود الإسلامي قائمٌ على قيَمِه وتربيته الإسلامية؛ ومن أعظم ذلك ترسيخ قيمة السلم المجتمعي، فاجتماعهم لا يمتدّ بأذى ولا ضرر لأحدٍ لا قولي ولا فعلي ولا سلوكي فهم ـ وإن كانوا شبابًا يحملون لغة العنفوان ـ إلا أنهم كبارٌ في قلوبهم وأقوالهم وتوجّهاتهم لكل مَن يخالطهم، يدهش الجميع لسلمهم ويقر بأدبهم.

رابعًا: ما ينبغي الالتفات إليه هنا أن الحضور الشبابي كان حضورًا منتبِهًا يقِظًا؛ يشاهد ما يدور حوله من الأحداث والمواقف، ذا نافذة مطلة على مجتمعه غير غافل عنه، يتفاعل معه ويشاركه هذه الأحداث وجدانيًّا وحضوريًّا، ما أثمر تعليمًا واكتسابًا منهم في مواطن الإيجابية والخيرية، وأثمر إنكارًا وتركًا في مواطن السلبية والشرية.

خامسًا: يؤكّد الحديث أيضًا أنَّ مِن دور هذا الحضور الشبابي للوجود الإسلامي هو رصد الأحداث وتسجيلها، واعتبر قضية قصهم الرواية والحكاية على رسول الله ﷺ عبارة عن تدوين رسمي لتاريخ وجودهم الإسلامي في فترة هجرتهم وإقامتهم، هذا إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الحافظة والذاكرة كانت في هذا الوقت هي المعتمدة في تسجيل الأحداث وحفظها، وأن الرواية الشفوية كانت بمثابة التوريث لهذا الرصد والتاريخ، الذي تنوع ذكره وسرده من مهاجرة الحبشة على أولادهم أولًا، وعلى مجتمع المدينة بعد عودتهم ثانيًا.

وأرجو أن ننتبه هنا إلى أنهم حفظوا الموقف بحواره كاملا، ونقلوه إلى النبي ﷺ الذي صدّق على نقلهم وكلام عجوز موطنهم الذي قدموا منه، فهم

يرصدون بعين التسجيل الذي ينتفع بما وراءه من مواقف عملية أو عبارات قولية أو تجارب حياتية.

سادسًا: يلمح الحديث على قضية مهمة تخص هذا الحضور الشبابي في هذا الوجود هو أنهم مجتمعون معًا وسويًّا في أماكن تجمعهم، فلا معايشة للأفراد بعزلة ولا فرقة، أو انصهار ينسي الواحد منهم إخوانه وجاليته، فيها يلتقون ومنها يتزودون، وعلى أعتابها ينصهرون جميعًا فلا مكان لقومية وحزبية، ولا عرقية وقبلية، الجميع يجلس مع الجميع فيعلون باجتماعهم، وتحصل الخيرات والبركات بلحمتهم ولقائهم.

سابعًا: ينبغي أن نختم ببيان مشاعر الحضور الشبابي لهذا الموقف كيف عاشوه؟ وكيف مرّ عليهم؟ هل كان جلّ اهتمامهم رصد المواقف وتسجيلها؟ أم الانخراط في اجتماعهم لا يبالون ما داموا سالمين مؤمَّنين؟ أسئلة كثيرة يُجيب عنها جعفر بن أبي طالب الذي حضر هذا الموقف، وكان جالسًا مع هؤلاء الشباب.

فقد أخرج ابن أبي شيبة عن سعد بن معبد قال: حدّثتني أسماءُ ابنةُ عُميسٍ (أنّ جعفرًا جاءها إذ هم بالحبشة وهو يبكي، فقالت: ما شأنُك؟ قال: رأيتُ فتًى مُترفًا من الحبشة جسيمًا مرّ على امرأةٍ فطرح دقيقًا كان معها، فنسفته الرّيحُ، قالت: ويلٌ لك يوم يجلسُ الملكُ على الكُرسيّ فيأخُذُ للمظلوم من الظّالم)[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٣٩)، حديث رقم: (٣٥٦٦٦) قال حدثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن سعد بن معبد عن أسماء، وأخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص٢٧٨)، حديث رقم: (٥٩٣) من طريق حماد بن سلمة عن زكريا به، وابن أبي الدنيا في الأهوال ص١٩٨ حديث رقم (٢٤٤)، وذكره ابن حجر في إتحاف المهرة (١٦/ ٨٦٣)، وعزاه إلى ابن حزيمة في التوحيد، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في العلل ولم يتعرض لتصحيحه ولا تضعيفه، بل ميز اسم سعد فقال: الأصح سعيد. ينظر: علل بن =

هنا يجب أن نفهم هذه الرسائل التي صدّرها لنا جعفر بهذه المشاعر النبيلة، وهي كما يلي:

١ـ أنهم كانوا يتعايشون مع الأحداث بكل كيانهم وحضورهم فرحًا وحزنًا، وليس هذا الأمر بمعزل عن تكوينهم وتربية الإسلام ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم.

٢ـ دلالة رقة هؤلاء الشباب المتفاعل مع المرأة العجوز التي تخالفهم في معتقدهم ولا تؤمن بدينهم ونبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالإنسانية حاضرة بقوة في مشهدهم، والمودّة والرحمة متجذرة في عاطفتهم وموقفهم، فعندما نشاهد في الواقع المعاصر مَن يكون بهذا التفاعل والرقة نفهم أنه امتداد لسلفه الصالح، وتطبيق لما كان عليه المهاجرين الأُوَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣ـ كراهيتهم لكل ظلم يقع أيًّا كان فاعله أو المفعول به، وهذه أخلاق الإسلام وأبنائه، فلا مكان للظلم الذي تأباه الفطرة السليمة التي خلقها الله، ولا التعاليم الدينية التي بلّغها الأنبياء والرسل لقومهم من ربهم عَزَّوَجَلَّ، ولا الأجواء التي عاشها هذا الوجود وذاقوا فيها جُرعات الظلم ويعلمون تبعاته، فالوجود الإسلامي يكره الظلم ويتمنى زواله، ويرجو نصرة المستضعفين والمظلومين في الأرض أيًّا كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

٤ـ نفهم أيضًا أنهم حقّقوا إنكارهم لما حدث بطريقة سلمية، أو بالأحرى بما يستطيعون أن يقدّموه وهم أقلية من إنكار قلبي ووجداني، ولا بد أن نفهم الحدث في كون الوجود الإسلامي لا يملك غير هذا، أو أن الحدث كان سريعًا لم

= أبي حاتم (٥/ ٥٤١) وإسناده حسن فيه سعد بن معبد الهاشمي وهو سعد بن معبد القرشي، الهاشمي، الكوفي، وثقه ابن حبان والذهبي، وقال ابن حجر: مقبول. ينظر: الثقات ٤/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٥٠، وتقريب التهذيب ص٢٣٢.

يستطع أحد أن يتداركه حائلًا بينه وبين وقوعه، أو لفهمهم عدم التدخل لدفع ضرر أكبر عنهم، أو تقليب أحدهم بعدها على وجودهم بتدخلهم، وأيًّا كان السبب فقد أعذروا أنفسهم أمام ربهم وأمام وجودهم بما يستطيعون، وربما نقلوا هذا الإنكار والتفاعل المحمود بالوقوف مع العجوز أمام الجميع ممن حضر المشهد وحضرهم.

٥ـ واضح أن التأثر بالحدث لم يكن قصير الزمن أو لحظي من الحضور الشبابي، وكذلك أظنه ليس فرديًّا من جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكون البكاء مستمرًّا ومصاحبًا لهم حتى الوصول إلى بيوتهم دليلٌ على عظم المشهد والتأثر به والتفاعل الكبير معه، وهذه أخلاق الشباب المسلم الصادق في مشاعره القوي في إحساسه بغيره والآخر.

٦ـ يفهم من الحديث أن جعفرا وأصحابه قد رفعوا جلستهم، وأنهوا اجتماعهم منقلبين إلى بيوتهم وأزواجهم، أو على الأقل ظلوا يتباكون على ما مرّ من مشاهد الظلم بين أعينهم حتى عادوا من لقائهم، وهو إنهاءٌ نفهم منه أن لا متعة من اجتماع يتم على أنقاض حدث يُحزِن، أو ظلم يقع، أو تجبّر يحدث، فنحن من المجتمع والمجتمع منّا نفرح لفرحه ونحزن لحزنه، ولا نستطيع أن ننفصل عنه أو نتعايش بمشاعر بعيدة عن واقعه وأحداثه.

٧ـ نفهم من هذه الرواية أيضًا أن تلك المشاعر لم تقف عند حدود الشباب في اجتماعهم، بل نقلوها لأسرهم ووجودهم، فسؤال أسماء بنت عميس لجعفر ورؤيتها له يبكي وقصّ ما حدث عليها إنما كان تأكيدًا على نقل هذه المشاعر، وتربية الجميع على المعايشة لنبذ الظلم والظالمين، ونصرة الحق والعدل والمظلومين.

وختامًا...

لا ينبغي أن ننسى أن الباكي هو جعفر رئيس الجالية الإسلامية الذي يضيف إلى ما تميز به من خلال وسمات خلة وسمة جديدة مهمة تثريه وتفرده في حضوره، وهي أنه لم يكن فقط مهتمًّا متعايشًا مع وجوده داخليًّا، بل كان مع الموطن وأهله بنفس الاهتمام والتعايش، وفي ذلك تربية وقدوة لإخوانه، وتعليم وإعلان وتقدير لإخوانه في الوطن.

رابعًا: الحضور الشبابي كقدوات علمية.

نختم هذا الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي بالكلام على النماذج العلمية التي أحبت العلم والقرآن، وهي من أبناء الجيل الثاني ثمرة من ثمار هذا الوجود الإسلامي وبيانًا لغرسه العظيم، فمن خلال التراجم لمن وِلد بأرض الحبشة من أبناء الجيل الثاني نقف على هذا النموذج الذي ينم على خلال وسمات مهمة.

عبدُ الله بنُ عيّاش:

عبدُ الله بنُ عيّاش بن أبي ربيعة عمرو بن المُغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزومٍ القُرشيُّ المخزوميُّ، قال الذهبي: (وُلد بأرض الحبشة، وله رُؤيةٌ وشرفٌ، وكان من أقرأ أهل المدينة لكتاب الله وأقومهم به، قرأ على أُبيّ بن كعبٍ، ورأى رسول الله ﷺ، وسمع من: عُمر، وأبيه، وابن عبّاسٍ، روى عنهُ: ابنُه الحارثُ، وسُليمانُ بنُ يسارٍ، وسعيدُ بنُ عمرو بن سعيد بن العاص، وزيادُ مولى ابن عيّاشٍ، وأبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القعقاع مولاه أيضًا، ونافعٌ مولى ابن عُمر، وقد قرأ على ابن عيّاشٍ القُرآن مولاه أبو جعفرٍ أحدُ العشرة، وذكر أنّه كان يُمسكُ المُصحف

على مولاه عبد الله، توفي بين سنة ٧١: ٨٠ من الهجرة)[1].

فنحن أمام نموذج من نماذج الجيل الثاني الذي يوضح كيف كان غرس المهاجرين الأول في أبنائهم في أرض الحبشة؟! ودفعهم إلى محبة القرآن ونبيهم، ما جعل هذا الفتى العربي نسبًا الحبشي مولدًا أحد أعلام القرّاء في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحد أعلام القراءات التي يؤخذ القرآن من طريقه، وهذا يحفز على إنتاج هذا النموذج القرآني العلمي الذي يخرج من بلاد الغرب ليعمّ نفعه ليس فقط في بلاده بل في العالم بأسره، فالمجال مجال نشأة وعطاء وتحبيب في القرآن الكريم.

وأخيرًا:

فإن هناك حضورًا آخر للشباب قويًّا ومتعددًا في الوجود الإسلامي يتضح من كل حركة قام بها مهاجرة الحبشة في بيئتهم وبين بعضهم، وهذا ما ينبغي أن يكون دائمًا بنفس الحرارة والحضور المحمود في أي وجود وأي دولة، وأن الجميع بدونه يفقد أهم ثروة لديه، ويكتب على حركته ووجوده بالفتور والتراجع، لذلك ألخص ما ينبغي تحقيقه في الرسائل الآتية:

أولًا: يجب أن نُفسح المجال ونوسع الطريق للطاقات الشبابية لتولي المسئولية والقيادة بشكل كامل، فجنايتنا الحقيقية على أنفسنا تكون عندما نكبت تلك الطاقات، ونهمّش من أبناء وجودنا بدعوى حداثة السن وقلة الخبرة.

ثانيًا: يجب أن نهتم بهؤلاء الشباب ونسعى جميعًا في تكوينهم من صغرهم تكوينًا شرعيًّا وثقافيًّا وعقليًّا، يستطيع من خلاله أن يتعايش الواقع ويجاري الأحداث

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ٢/ ٨٥٢.

ويتفاعل مع الأمور بشكل طبيعي غير بعيد عن دينه وعقيدته، ولا متخلف عن وطنه وتطلاعاته.

ثالثًا: استيعاب الشباب وتقليل الفجوة بينهم وبين آبائهم وجاليتهم من أهم المشاريع التي يجب أن توضع لها الآليات والوسائل، وينبري لها الجميع في تحقيقه ونجاحه.

رابعًا: يجب أن يتولى الشباب مؤسساتهم الدينية والاجتماعية والخيرية، والجميع من ورائهم معاونين ومساعدين، فالمؤسسات للأسف الشديد ردت إلى أرذل العمر كما القائمين عليها، الأمر الذي ضيع تقدمها وتطورها على كافة المستويات، وأضعف أدائها.

خامسًا: على الشباب المسلم في الوجود الإسلامي أن يستفيد من مصاحبة مَن هم أكبر منه سنًا، وأسبق وجودًا وخبرة، وأعلم واقعًا وتعايشًا، فيلازمه ويتعلّم منه ويحصل عصارة أعمارهم فتضاف إلى شبابهم وحركتهم، فلا مكان لغرور بالنفس يهلك، ولا اعتماد على الواقع فقط لتغيره فيقلق.

سادسًا: يجب على الشباب المسلم في بلاد الغرب أن يكون قريبًا من مجتمعه ووطنه، متعايشًا بشكل كامل معه، متفاعلًا مع أحداثه مؤثرًا فيها ومتأثرًا بها، فهو ليس بمعزل عنهم ولا يحمل في جنابته إلا الخير لهم، وهذا التعايش والتفاعل ليس فقط على المستوى الوجداني والعاطفي، بل على كافة الأصعدة والمستويات المادية والخدمية والتنفيذية التي تُساهم في بناء وطنه وعلوّ حضارته، كذلك تؤكّد وجوده الإسلامي المميز الذي جاء منه وأفرزه بأفضل تكوين.

(١١)

المسلمون الجدد في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة

هذا المبحث ـ حقيقة ـ يحتاج في تدوينه وتسليط الضوء عليه كتابًا مستقلًّا يجمع فيه كل ما يتعلق بالمسلم الجديد في بلاد الغرب من قضايا وأمورٍ وأسئلة يحتاج جوابها، وليكون دليلًا له، وهذا ـ من وجهة نظري ـ لا يتم إلا بعد استقراء كامل للمنهج الإسلامي قرآنًا وسنةً، وكذا فروع العلم الشرعي المتعلق بالمسلمين الجدد من فقه وعقيدة وغير ذلك، فإن هذا الموضوع متشعب جدًّا في فروعه ومسائله من جوانب متعددة؛ تبدأ بالجانب العقدي والفقهي وبقية الجوانب (أخلاقية ـ سلوكية ـ اجتماعية ـ إنسانية ـ شرعية... إلخ) مرورًا بكل ما يشغل المسلم الجديد من موضوعات وأسئلة وتغيرات وعقبات.

وختامًا..

لأن يكون هذا المسلم هو القدوة الأساسية الأصيلة للمسلمين هنا والمعرف بدينه في قومه بلغتهم، ولعل الله أن يطيل في العمر لنشرع في جمع هذا الكتاب وخطّه إن شاء الله تعالى.

ولأهمية هذ المعلم يجب أن نُلفت الانتباه إليه، وأن نؤسس من خلال الهجرة إلى الحبشة بعضًا من أسس التعامل والتعايش المتعلقة بالمسلم الجديد، والتي تؤخذ من المواقف التي عاشها المهاجرون الأُوَل، وليكون نواةً لما يجب أن نلتفت

إليه ونؤكِّد عليه في الواقع المعاصر من أمور تخصّ هذا المعلم البالغ الأهمية للوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

ويمكن أن نقول: إن جهود الوجود الإسلامي في التعريف بإسلامهم في بلاد الحبشة قد أينعت ثمرتها وأتت أكلها، فقد أصبح الإسلام حديث أرض الحبشة وكثر السؤال عنه من الملك والناس، وجاءت بعض الروايات لتؤكد إسلام بعضهم[1]، ومثل هذه الروايات تنبئ عن وجود حِراكًا عظيمًا قام به المهاجرون الأُوَل في التعريف بالإسلام والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2] ما دفع بعضهم إلى الهجرة إلى مكة والمدينة لملاقاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيعته، والتعرف عن الإسلام منه، ومِن ثَم العودة بإسلامهم إلى مجتمعهم الحبشي، كما سيأتي بيانه.

---

(١) لم ينص مصدر معتمد على عدد من أسلم من أهل الحبشة في زمن الهجرة، وإن كان مجموع الروايات التي بين أيدينا تجعل أقصى عدد يصل لمن أسلم منهم في حدود المائة يقل قليلا أو يزيد قليلا، ومن أفضل من حاول جمع مرويات وعدد الذين أسلموا من الحبشة الدكتور سليمان العودة في كتابه الهجرة الأولى في الإسلام (فقه المرويات) من ص (١٤١: ١٦٢) ومن نماذج من أسلم رواية الطبري بسند مرسل أخرج الطبري في قال: ثنا مهران قال: ثنا يعقوب، عن جعفر ابن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: (بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعفرا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به؛ فلما كان انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلًا: ائذن لنا، فنأتي هذا النبي، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإنا أعلم بالبحر منهم،...). تفسير الطبري جامع البيان (٢٢/ ٤٣٦).

(٢) قال الندوي: (فقد قدم جعفر بن أبي طالب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة خيبر، فكان بقاؤه في الحبشة خمس عشرة سنة، وهي مدة طويلة، لا بد أن جعفرًا قد انتفع بها في الدعوة إلى الإسلام، والتعريف به في بلد امتاز عن كثير من البلاد النصرانية بالتسامح وإيواء المضطهدين، وعرف حاكمه بالعدل والإنسانية، ولكن العهد لم يكن عهد تسجيل الحوادث، وليست أمامنا وثائق تاريخية تثبت ذلك، ولكن القياس يقتضيه). ينظر: السيرة النبوية، للندوي، ص٢٠١.

والمقصد في هذا الفصل هو الوقوف على المنهج الذي برز في التعامل مع المسلم الجديد تعريفًا وتكوينًا وتربيةً، ومن بعد ذلك بيان ثمرة هذا التعامل، ليكون نموذجًا عمليًّا يقوم به الوجود الإسلامي بجميع أفراده في بلاد الغرب في التعامل مع المسلمين الجدد، ولنقف على بعض نماذج مَن أسلم منهم ونستنبط معالم هذا المنهج من خلاله مواقفهم.

أولًا: إسلام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودور الوجود الإسلامي معه.

إن أعظم أثر خلّفه المهاجرون الأُوَل في الحبشة كان إسلام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والأدلة على إسلامه متوافرة، منها[1]:

١ـ إقراره بالإسلام ونطق الشهادتين:

فقد أقر بعد حواره الطويل مع جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشهادة برسالته، ونطق الشهادتين، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري عند ابن أبي شيبة (مرحبًا بكُم وبمن جئتُم من عنده، فأنا أشهدُ أنّه رسولُ الله، والذي بشّر به عيسى ابنُ مريم)[2].

---

(١) من أراد استقصاء الأدلة وتعقبات من نفي ذلك فليرجع إلى كتاب: (إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية)، للدكتورة سامية عبد العزيز منيسي، من إصدارات دار الفكر العربي، وقد قامت الدكتورة بجهد كبير في سرد الأدلة على إسلامه، وتعقبت من نفى إسلامه، وإن كنت أعيب على الكتاب عدم التحقيق المتوسع في دراسة المرويات دراسة حديثية، لكن جهدها مبارك في تتبع الأدلة وسردها وتعقب من نفاها، فجزاها الله خيرًا.
وكذلك ممن أطال النفس في الكلام على هذه المسألة اللواء الركن/ محمود شيت خطاب في بحثه (إسلام النجاشي) ضمن كتاب المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية لعام ١٩٨٥م، (القسم الأول)، ص(١٦٩: ١٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (كتاب: المغازي)، (باب: ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي)، =

وفي رواية ثانية: عن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال اجتمعت الحبشةُ، فقالوا للنّجاشيّ: إنّك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه! قال: فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه وقال: اركبوا فيها، وكونوا كما أنتُم، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيثُ شئتُم، وإن ظُفرت فاثبُتوا. ثم عمد إلى كتابٍ فكتب فيه: هو يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُهُ، ويشهدُ أنّ عيسى ابن مريم عبدُه ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم...الحديث)[1]، وغير ذلك من الروايات المتعددة[2].

٢.صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه بعد وفاته:

فقد أخرج البخاري عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعى النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه؛ خرج إلى المُصلى، فصفّ بهم وكبّر أربعًا»[3].

= (٧/ ٣٥٠)، حديث رقم: (٣٦٦٤٠) قال حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسناده صحيح رجاله رجال الصحيحين.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٤١)، أخرجه ابن إسحاق، قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر ابن محمد، عن أبيه،وإسناد ابن إسحاق إسناد متصل ورواته ثقات، وينظر: (الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٩) وينظر: السيرة النبوية، لابن كثير، وقد ذكر إسنادها كاملًا (٢/ ٢٨).

(٢) الإقرار منه بالإسلام وشهادته الشهادتين ينظر: فيه رواية البزار من حديث جعفر بن أبي طالب (٤/ ١٥٩)، حديث رقم: (١٣٢٨) ورواية عبد الله بن مسعود عند أحمد (٧/ ٤٠٩)، حديث رقم: (٤٤٠٠) وفيه قال ابن كثير: (وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن). ينظر: السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١١.

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب: الجنائز)، (باب: الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه)، (٢/ ٧٢)، حديث رقم: (١٢٤٥) ومسلم في (كتاب: الجنائز)، (باب: في التكبير على الجنازة)، حديث رقم: ٩٥١.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى على النجاشيّ، فكُنتُ في الصّفّ الثّاني أو الثّالث»(١).

٣ـ طلب الاستغفار له وإعلان إخوته:

في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: نعى لنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّجاشيّ صاحب الحبشة، يوم الذي مات فيه، فقال: «**استغفروا لأخيكُم**»(٢).

ثانيًا: ماذا يعني إسلام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رئيس الدولة)؟

ينبغي أن نوضّح نقطة مهمة تتعلق بإسلام النجاشي لم أجد كثيرًا من أهل السيرة ممن كتبوا في الحبشة تعرضوا لها تفصيلًا، وهي في وجهة نظري غاية في الأهمية والدلالة المستنبطة والمهمة في بيانها وعرضها، وخاصة لأي وجود إسلامي في أي بلد غربي.

١ـ إسلام النجاشي ورئيس الدولة هو تأكيد لانسجام ومطابقة الإسلام مع أصحاب الفطرة السليمة السوية، وهو دليل على صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفه للنجاشي وذكر سماته، فمثل هذه السمات والصفات والفطرة السليمة لا تجتمع في إنسان فيعرض عليه نور الحق إلا اتبعه وآمن به، كما آمن النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ـ يدل إسلام النجاشي على وجود نسخة من الإنجيل الذي لم يحرّف إلى وقت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان النجاشي على معرفة به واطلاع عليه، فهو

(١) أخرجه البخاري في (كتاب: الجنائز)، (باب: التكبير على الجنائز أربعا)، (٢/ ٨٩)، حديث رقم: (١٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب: الجنائز)، (باب: الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد)، (٢/ ٨٨)، حديث رقم: (١٣٢٧)، ومسلم (كتاب: الجنائز)، (باب: في التكبير على الجنازة)، (٢/ ٦٥٧)، حديث رقم: (٩٥١).

أولًا: على إيمان بنبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا ألوهيته، وهو **ثانيًا**: على اطلاع عميق على نصوصه، فما أن سمع بالنبي والإسلام من جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قارن به ما عنده من معرفة بإنجيله فأقرّه وآمن بالإسلام ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قال: (أشهدُ أنّه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّه الذي نجدُه في الإنجيل، وأنّه الذي بشّر به عيسى ابنُ مريم، فانزلوا حيثُ شئتُم). وفي رواية: (فرفع عودًا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسّيسين والرُّهبان، والله ما يزيدون على ما نقولُ فيه ما يسوى هذا)، وفي أخرى: (قال النجاشيُّ: والله إنّ هذا الكلام والكلام الذي جاء موسى ليخرُجان من مشكاةٍ واحدةٍ).

وهذا بطبيعة الحال يؤكّد أهمية ماذا لو بقيت الكتب السماوية على ما أنزلت عليه وقابلت قلوبًا كقلب النجاشي؟ كيف سيكون دخول الناس في الإسلام اليوم؟! ويدل أيضًا على خطورة التحريف والتغيير الذي أضل وضيع الحقيقة المطلقة بالاعتراف بالإسلام ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي مثله بطارقة النجاشي مخافة فقدان دنياهم ومكانتهم.

٣ـ يستنبط من إسلام النجاشي أهمية مخاطبة رئيس الدولة بالإسلام والتعريف به من أهله الصادقين، ومن ممثلي الوجود الإسلامي من مرجعيته المعتمدة المخلصة، وأن عواقب غير هذا النهج يترتب عليه ما نشاهده الآن من تشويه للإسلام ورسالته ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصل إلى تبني مواقف معادية لهما تصدرها الساسة ومسئولي الدولة ـ خطأ أو عمدًا ـ في خطاباتهم وسياساتهم.

٤ـ يجب أن نفهم من إسلام النجاشي أن الهداية وإن كانت من عند الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن على الوجود الإسلامي استقصاء كل وسيلة وسبب في التعريف بالإسلام ورسالته تعريفًا حقيقيًّا، كما عرّفه جعفر والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يستثنى من مخاطبته

به أحد، ولا يستبعد من اتباعه أي إنسان، حتى وإن كان رئيس الدولة، لكن الخطورة تكمن في ترك هذا الأمر أو انتقاء أهله.

٥ـ من إسلامه نفهم أن أهم خير وأعظم نفع يقدمه الوجود الإسلامي للمجتمع الجديد هو في عرض إسلامهم وتعريفهم بدينهم، وأن ذروة الدور الأساسي للوجود الإسلامي تكمن في هذا الأمر، فإنقاذ العالم كل العالم من الضلالة هو دور ورثة الأنبياء من علماء ودعاة وأفراد مسئولين في مواقعهم، وهو أمر ضروري، وما يأتي بعد ذلك مما يقدموه من أعمال بر وخير بعد ذلك من المتممات والتكميليات.

٦ـ نستدل أيضًا من إسلامه على أن الوجود الإسلامي ليس عليه إلا التعريف بالإسلام والكلام عنه في كل محفل دون حمل للناس على اتباعه، وهو دليل وجود جو الحريات في الاختيار، فليس كل مَن سمع من جعفر والصحابة آمنوا؛ فالنجاشي آمن والبطارقة لم يؤمنوا، ولم يكن على المسلمين فقط إلا البلاغ والبيان والإعذار.

٧ـ وأحب أن أؤكد على أن الإسلام يرسخ في نفوس العباد ـ كما رسخ في النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ما قابل قلبًا منصفًا ومجردًا للحق وباحثًا عن الحقيقة كالنجاشي، وأن أهم عوامل الاضطهاد والإنكار والرفض تكمن في الأساس في الكِبر، وخوف ضياع مغنم دنيوي، أو مكانة اجتماعية من اتباعه كرفض البطارقة والحاشية النجاشية له من أجل ذلك.

٨ـ أن إسلام القادة أمر مهم يُرجى من ورائه نفع كبير وتعميم أوسع وأشمل، وأنهم بوابة قومهم وبلدانهم، وإذا كانت فترة الهجرة إلى الحبشة لم تُخرج لنا كثيرًا ممن أسلموا في زمن النجاشي ـ لأسباب كثيرة ـ إلا أننا لا بد أن نؤكد أن الإسلام انتشر فيها بعد ذلك انتشارًا عظيمًا، وأن معظم أهلها دخلوا في الإسلام، ولذلك خاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملوك والأمراء ومنهم النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩ـ إسلام النجاشي هو أقصر الطرق في الحفاظ على الوجود الإسلامي وتقديم الخير لهم ومعاقبة من يتعرّض لهم، وضمان سلامتهم، بل إنني أؤكد أن رئيس الدولة الذي يتعرف على الإسلام من أهله وينصف إنصاف النجاشي في حكمه ـ وإن لم يدخل في الإسلام ـ سيكون احترامه للوجود الإسلامي كاحترامه، وفعله مع أفراده قريبًا لفعل النجاشي.

١٠ـ أحب أن أنبه إلى أن الإسلام سهل أن يتقبله الآخر كما تقبله النجاشي، وأن هناك على مدار القرون والبلدان من كان كالنجاشي في تقبله الإسلام، أو دخوله فيه من الساسة والرؤساء والمسئولين والنخبة، وهذا يدفعنا إلى بيان نقطة ستأتي، وهي ذكر عوامل جذب الآخر إلى الإسلام.

ثالثًا: إسلام وفد آخر من نصارى أهل الحبشة:

جاءت روايات أخرى توضح بعض من أسلم من نصارى أهل الحبشة غير النجاشي، وهي وإن كانت روايات مرسلة إلا أنها لا تُغفل في جانب ما أقره العلماء والمفسرون في هذا الشأن وتداول أسباب النزول في بعض الآيات عنهم يقوي إسلامهم.

من ذلك رواية ابن إسحاق التي أخرجها في سيرته ـ والسياق يقتضي أنه عن الزهري ـ قال: (ثُمّ قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو بمكّة، عشرون رجُلًا أو قريبٌ من ذلك من النّصارى، حين بلغهم خبرُه من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوهُ، ورجالٌ من قُريشٍ في أنديتهم حول الكعبة، فلمّا فرغوا من مسألة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمّا أرادوا، دعاهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتلا عليهم القُرآن. فلمّا سمعوا القُرآن فاضت أعينُهم من الدّمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوهُ، وعرفوا منه ما كان يوصفُ لهم في كتابهم من

أمره. فلمّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشامٍ في نفرٍ من قُريشٍ، فقالوا لهم: خيّبكُم الله من ركبٍ! بعثكُم مَن وراءكُم من أهل دينكُم ترتادون لهم لتاتوهم بخبر الرّجُل، فلم تطمئنّ مجالسُكُم عندهُ، حتى فارقتُم دينكُم وصدّقتُموه بما قال، ما نعلمُ ركبًا أحمق منكُم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلامٌ عليكُم، لا نُجاهلُكُم، لنا ما نحنُ عليه، ولكُم ما أنتُم عليه، لم نألُ أنفُسنا خيرًا...) قال ابنُ إسحاق: وقد سألتُ ابن شهابٍ الزُّهريّ عن هؤُلاء الآيات فيمن أُنزلن؟ فقال لي: ما أسمعُ من عُلمائنا أنّهُنّ أُنزلن في النجاشيّ وأصحابه. والآيةُ من سورة المائدة من قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.. إلى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وهذا الوفد إنما هو ثمرة من ثمار جهود الوجود الإسلامي في الحبشة تعريفًا بالإسلام، ومعايشة بتعاليمه بينهم، وجميل سلوكهم وأخلاقهم المنبثق من وحيه، قال الدكتور رؤوف شلبي: (إن إيمان هؤلاء النصارى يوضح إدراكهم لوحدة

(١) ينظر: سيرة ابن إسحاق، ص ٢١٨، وأخرجه البيهقي عنه في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٦)، وأقر القصة السهيلي في الروض الأنف ٣/ ٢٤٠، وينظر: قول الزهري في الرواية، فقد أكّد ذلك وإشارته إلى علمائنا، فقد جاء عند القرطبي ما يرجّح كونه عن عروة بن الزبير، قال القرطبي: (وقال عروة بن الزبير: نزلت في النجاشي وأصحابه، ووجه باثني عشر رجلا فجلسوا مع النبي ﷺ، وكان أبو جهل وأصحابه قريبًا منهم، فآمنوا بالنبي ﷺ، فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه، فقال لهم: خيبكم الله من ركب، وقبحكم من وفد، لم تلبثوا أن صدقتموه، وما رأينا ركبًا أحمق منكم ولا أجهل، فقالوا: سلام عليكم، لم نأل أنفسنا رشدا، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم). ينظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٦٥) و(١٣/ ٢٩٦). قلت: وقد جعل مكي بن أبي طالب المالكي الرواية السابقة عن الزهري، ونقل نفس كلام عروة، فلعل ذلك يرجّح أن هذه الرواية كانت عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة والله أعلم، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه ٨/ ٥٥٤٩، وينظر: ذكر القصة في تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٥)، والقاسمي في محاسن التأويل (٧/ ٥٢٧).

الدين في مفهومه، وأن رسالة محمد ﷺ كانت عامة لجميع الناس، وأن كل ملة قبله قد بطلت بدعوته، ووفودهم على رسول الله ﷺ ثمرة من ثمرات الهجرة إلى الحبشة مما يقوي الرأي أن الهجرة إلى الحبشة كانت أسلوبًا من أساليب تبليغ الدعوة في مرحلة عالميتها، وأن دخول النجاشي نفسه في الإسلام علامة من علامات أن عالمية الدعوة مصاحبة لبدئها لا تنفصل عنه أبدًا)[1].

قلت: ويكبر في عيني هذا الذي قام به هذا الوفد في القدوم على رسول الله ﷺ، فمن الناس مَن يبحث عن الأعلى تخصصًا والأمهر علمًا في زمانه ومكانه في أي مهنة أو عمل، فما بالنا وأن هذا الأمر المبحوث عنه يتعلق بالدين والمعتقد، ولعل كلام الوجود الإسلامي عن الإسلام والنبي ﷺ لم يشبعهم، بل جعل الشوق إلى الاستزادة منه، ورؤية النبي ﷺ بأعينهم، والتماس الأمر عن قرب مغنمًا لأنفسهم ولمن وراءهم، وهذا يدل على النجاح الذي حققه الوجود الإسلامي في أرض الحبشة.

رابعًا: لماذا أسلم النجاشي وغيره؟ (عوامل جذب المسلم الجديد):

من أهم ما يجب الانشغال به في هذا المبحث ويتطلّب منا استقراءً جيدًا وعميقًا للنصوص الواردة في الحبشة، لتقديم الإجابة الصحيحة المهمة حول هذا السؤال لماذا أسلم النجاشي؟ وما هي العوامل التي جذبته نحو الدين الإسلامي، وفتحت قلبه للإسلام هو ومن آمن معه من أهل الحبشة؟

وبمعرفة هذه العوامل وتقريرها نستطيع أن نفعّلها في واقعنا المعاصر ونتلاشى الأخطاء التي تنفّر الآخر منا أو من إسلامنا، وأحبّ أن أؤكد أن هذه العوامل إنما هي من جملة الأخذ بالأسباب في التماس أفضل النتائج في جذب الآخر إلى الإسلام

(١) ينظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغايتها، ص٤٣٨.

وقبوله له، وأنها مهمة في إدراكها وتتبعها وتحقيقها على أرض الواقع.

وفي رأي من خلال النصوص الواردة في إسلام النجاشي وغيره من أهل الحبشة تكمن الإجابة على سؤالنا، ومعرفة عوامل جذب الآخر وقبوله الإسلام ترجع إلى أمور خمس:

١ـ أمور تتعلق بالإسلام نفسه.
٢ـ أمور تتعلق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٣ـ أمور تتعلق بالمنهج (القرآن).
٤ـ أمور تتعلق بالوجود الإسلامي ومرجعيته في البلد المضيف.
٥ـ أمور تتعلق بالآخر نفسه (المسلم الجديد).

١ـ أمور تتعلق بالإسلام نفسه.

يجب أن ندرك أن أهم عوامل جذب الآخر وقبوله الإسلام ـ وهي ما تحقق في إسلام النجاشي ـ هو معرفة الإسلام نفسه: ما هو الإسلام وما هي رسالته؟ وما هي أركانه وما الذي يدعو إليه؟

وبالنظر إلى تعريف جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد عرف إسلامه حق التعريف وأهم خصائصه، ولنتأمل.. فقد كان أول أسئلة النجاشي للوجود الإسلامي وجعفر عن هذا عندما سأل فقال: (ما هذا الدِّينُ الذي فارقتُم فيه قومكُم، ولم تدخُلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأُمم؟)، وهو سؤال متكرر من كل متأمل وسائل يخالط فردًا من أفراد الوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

ومن الممكن أن نلخص الحوار الجعفري للنجاشي في عرض إسلامه وتعريفه به، ونضع له عنوان (الشمولية) في التعريف بالإسلام، فقد عرّفه جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في

مناحٍ متعددة أبرز من خلاله جمال وعظمة تفرد الإسلام في أمور تتعلق: (بالمعتقد ـ والأخلاق ـ والسلوك ـ وضبط العلاقات ـ واحترام المعاملات ـ وترك المفسدات ـ وبيان الأركان والأصول التي بني عليها).

وجميع هذا في كلمات قليلة ورسائل مختصرة جمعت بين (الإيجاز غير المخل ـ بيان المثالية والكمالية فيه ـ الوضوح التام ـ الاسترسال المبهر في العرض)، وتأمل قوله: (أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ، ونعبُدهُ، ونخلع ما كُنّا نعبُدُ نحنُ وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المُحصنة، وأمرنا أن نعبُد الله وحده لا نُشركُ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام ـ قال: فعدّد عليه أُمور الإسلام).

يقول الأستاذ منير الغضبان: (فعرض ـ أي جعفر ـ في كلمات جامعة مانعة قواعد الإسلام العامة وأسسه التي تستهوي كل حصيف عاقل بله ملك حكيم مجرب محنك، لقد كانت الفرصةُ مواتيةً لجعفر كي ينقلب داعيةً إلى هذا الدين، بعد أن كان الهدف سياسيًّا بحتًا؛ هو المحافظة على الوجود الإسلامي في الحبشة، وبذلك كسب الجولة الثانية في تقريب نفس النجاشي إلى الإسلام)[1].

قلت: وقد حضرتُ كثيرًا من الندوات، وقرأتُ كثيرًا من الكتابات في كيف نُعرّف بإسلامنا في بلاد الغرب؟ بل وانشغلتُ كثيرًا بهذا الموضوع لأهميته، ودارات

(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية ١/ ٩٥.

بيني وبين أئمة وعلماء هنا في أوروبا نقاشات للوقوف على أفضل طريقة لتعريف الإسلام للناس.

وإني أجزم اليوم بعد استفاضة لكثير مما سطر في هذا الموضوع أن أفضل تعريف للإسلام ـ في وجهة نظري ـ هو تعريف جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإسلام، خمسة أسطر جمعت أصول الإسلام ومميزاته وأهم قضاياه في انسجام تام، وشمولية فائقة، وبناء محكم، فما يضرّ الدعاة والناس أن يحفظوا كلماته ويعرّفوا الإسلام بها الآن؟!

٢.أمور تتعلق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يأتي الأمر الثاني في عوامل جذب ودخول الآخر إلى الإسلام بعد التعريف بالإسلام؛ التعريف بحامل رسالة الإسلام ومبلغه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يفت النجاشي كرجل يسأل عن الدين الجديد من المسلمين أن يسأل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في رواية: (وما نبيُّكُم هذا الذّي خرج؟)[1]. ولم يفت جعفر أن يتكلم عنه عندما قال: (رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ... إلخ).

وأهم ما يبرز في الكلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال كلمات جعفر الموجزة، ويكون عنوانا للوجود الإسلامي في بلاد الغرب في التعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (النبي المعروف) (نعرفُ).

نعم أهم ما ينبغي الالتفات إليه في حوار جعفر تعريفه بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو

(١) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٤٣)، حديث رقم: (١٩٣)، والحديث في مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لعروة بن الزبير، ص ١١١-١١٣، وقد رواه عن عروة عمرو بن خالد (ثقة) عن ابن لهيعة (صدوق في حديثه ضعف) عن أبي الأسود (ثقة)، وينظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٥.

في نفس الوقت أخطر ما يخشى فقدانه بين الوجود الإسلامي المعاصر في علاقته بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أن (نعرف نبينا معرفة تامة)، فكيف نستطيع أن نتحدث عنه ونحن لا نعرف إلا القليل عن سيرته ومسيرته؟!

وقد تنقل جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التعريف به في هذا الحوار الموجز بين سماته وصفاته، وبين طريقته وهديه، وبين دعوته ومهمته، وبين كلماته وتوجيهاته، وبين أوامره ونواهيه، وختم بالكلام على إدراكه وواقعيته واطلاعه بما يدور حوله وبمن حوله، ومنهم النجاشي نفسه، وهذا كله من أهم ما ينبغي أن نفهمه ونعيه، ومن ثم نحققه في التعريف بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الآخر بنفس طريقة جعفر وإيجازه المعرِّف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أكمل وجه وتنوع.

٣ـ أمور تتعلق بالمنهج (القرآن الكريم).

أيضًا من أهم عوامل جذب الآخر وقبوله الإسلام وانتمائه إلى هذا الدين العظيم دين الله عَزَّوَجَلَّ قراءة وسماع كلامه ومنهجه لعباده (القرآن الكريم)، وهذا القرآن يقف الجميع أمامه موقف المعظِّم والمتأثِّر أمامه من جميع جوانبه: من حيث عرضه وبيانه، وسياقه ونظمه، ومحكمه ومتشابهه، وقصصه وعِبَره، ومحاورته وتصريحاته، وأسئلته وأجوبته، ومباشرته وفهمه... وغير ذلك من عجائب القرآن التي لا تنقضي ولا تفنى.

ولقد كان من جملة ما جذب النجاشي الصالح لهذا الدين وفتح معه قلبه النقي بعد معرفة الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلاوة جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقرآن الله الذي أنزل على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جعل الجميع أمامه وهم ليسوا من أهل لسانه يتأثرون به ويبكون لوقعه: (فقال له النجاشيُّ: هل معك ممّا جاء به عن الله من شيءٍ؟ فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النجاشيُّ: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، فبكى

والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيتهُ، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم...).

ويكمن فقه جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عرضه للقرآن الكريم ما ينبغي أن يكون نموذجًا في كيفية عرض وإسماع الناس كلام الله (القرآن الكريم) في بلاد الغرب في نقاط مهمة:

١ـ حسن اختيار السورة التي تتلى من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، من حيث قوة التأثير على مسامع الآخر، وخاصة عندما يكون إسماعه لأول مرة للقرآن الكريم وأفضل اختيار هو السورة التي لها فواصل (أي ما اتحد نهاية آياتها في الحرف والمقطع) لما تفعله موسيقاها ونغمها ـ إن جاز التعبير ـ في المستمع من أثر، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (وقد يكون اتحاد المقاطع في الحروف من مظاهر الجمال وحسن النغم، وانسجام الموسيقي، وفي ذلك قوة التأثير، بما لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله)[١].

٢ـ اختيار الموضوع في السورة المقصود تبليغه وأهم ما يجب الانتباه إليه البحث الدائم عن المشتركات بيننا وبينهم وتقديمه في الاختيار على غيره، وخاصة فيما يكون معروفًا عند الآخر في دينه مع التأكيد على تصحيح المفاهيم والمعتقدات الخاطئة من خلال قرآننا (سورة مريم).

٣ـ إطالة التلاوة بعض الشيء حتى يخالط القرآن لحمه وكيانه، ويأخذ بقلبه وجوارحه؛ فقد قرأ جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صدرًا من سورة مريم، ولا أظنه توقف حتى انتهى إلى نهاية قصة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن كانت هناك رواية أخرى تبين أنه قرأها كلها كما جاء: (قالوا: فقرأ عليهم جعفرٌ سورة مريم، فلمّا سمعها عرف أنّه الحقُّ)[٢].

---

(١) ينظر: كتاب المعجزة الكبرى القرآن ١/ ٢٢٠.

(٢) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٤٣)، حديث رقم: (١٩٣)، والحديث في =

٤ـ حسن الصوت ونداوته فإن القارئ عامل مهم في التأثير، ولا أحسب أن قراءة جعفر لسورة مريم إلا كانت شبيهة بقراءة النبي ﷺ لها، فهو الذي أشبه النبي ﷺ في كل شيء، وهي التي تأثر بها من حضر في مجلس النجاشي.

٥ـ القراءة المتأنية غير المعجلة؛ ليفهم الجميع لمن يعرف بالعربية أو يترك مساحة لمن يترجم المعاني والكلمات، ولم نقف على أن جعفرا استفهمه أحد شيئًا مما قرأه، أو طلب منه إعادة للآيات لإغلاق الفهم، بل جاءت بعض الروايات تؤكّد استزادة النجاشي من جعفر فقد جاء: (وقال النجاشيُّ: زِدْنا من هذا الكلام الطّيّب، ثم قرأ عليه سورة أُخرى، فلمّا سمعها عرف الحقّ)[١].

٦ـ البعد عن الآيات التي تحمل وعيدًا وترهيبًا: فقد تخوف المستمع الذي يطمع في استجابته ودخوله إلى الإسلام والتبشير والترغيب مقدمان على الإنذار والترهيب والآيات التي اختارها جعفر من هذا الباب.

٧ـ الشرح والتوضيح والترجمة المعتمدة في نهاية الأمر لمزيد بيان وإجلاء إحكام أو إغلاق فهم، ولعل قول النجاشي: (أيُّكُم أدرسُ للكتاب الذي أُنزل على نبيّكُم؟)[٢] يقتضي تحقيق ذلك ـ من القارئ ـ تلاوة وفهما ومدارسة.

= مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ص ١١١-١١٣، وقد رواه عن عروة عمرو ابن خالد (ثقة) عن ابن لهيعة (صدوق في حديثه ضعف) عن أبي الأسود (ثقة)، وينظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٥.

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٤٣)، حديث رقم: (١٩٣)، والحديث في مغازي رسول الله (ﷺ) لعروة بن الزبير، ص ١١١-١١٣، وقد رواه عن عروة عمرو بن خالد (ثقة) عن ابن لهيعة (صدوق في حديثه ضعف) عن أبي الأسود (ثقة)، وينظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٥.

وفي الختام: يقول الأستاذ منير الغضبان: (إن عبقرية جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدّت إلى أن يربح الملك إلى جانبه ليكون جنديًّا من جنود الدعوة)[1].

٤ـ أمور تتعلق بالوجود الإسلامي نفسه ومرجعيته:

أيضًا من عوامل جذب الآخر ودخوله الإسلام هو الوجود نفسه أفرادًا ومرجعية، فالمسلمون محط أنظار الآخرين، ومن خلال ما يكونون عليه يحيط الآخر فهمًا للإسلام وإدراكا لتعليماته وتوجيهاته، والوجود الإسلامي ـ في الحقيقة ـ هو التطبيق العملي للقرآن الكريم والسنة النبوية، والآخر الذي يريد أن يتعرّف على الإسلام يكوّن صورته الكاملة عن الإسلام الذي يجمع بين النظرية (في نصوص مصدريه) والتطبيق (في أعمال أتباعه) لفهم طبيعة الإسلام ومعرفة مميزاته، وللأسف كلما كانت النظرية أبعد عن التطبيق كان هذا عامل هدم وإبعاد، والعكس.

والنجاشي مع مَن آمن في مجتمع الحبشة كوّنوا الصورة المُثلى مما سبق فقد سمعوا للتعاليم الإسلامية وفهموا طبيعة الإسلام مما أخبر به من القرآن والسنة، ثم جاء الوجود الإسلامي ليكمل سلسلة الإقناع وعوامل الجذب، ولعل هذا أحد مقاصد اجتماع النجاشي الدائم بهم فقد قال لآذنه: (انظُر هذا فلا تحجبه عنّي)[2]. ليعرفهم عن قرب ويكوّن صورته المتكاملة عن دينهم.

ويمكن أن نلخّص عوامل الجذب والإقناع بالإسلام في جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عدة عوامل مهمة:

---

(١) ينظر: فقه السيرة النبوية، ص٢٤٢.

(٢) حديث جعفر بن أبي طالب رواية البزار وإسنادها حسن، وسيأتي تفصيلها في الملحقات آخر الكتاب.

ـ **تمسكهم بدينهم ومعتقدهم** والثبات والمحافظة عليه والدفاع عنه، وقد ظهر هذا منهم في مواقفهم وحوارهم مع النجاشي وبلاطه ورسولي قريش.

ـ **حبهم لنبيهم ﷺ وإخوانهم في وطنهم الأم** وتلمس أخبارهم والسؤال الدائم عنهم ودلالته لما رجعوا بعد الهجرة الأولى لما سمعوه من إشاعات عن سلامة المجتمع المكي والإيمان برسول الله ﷺ، وهو ما لم يصح.

ـ **أخوّتهم التي علت كل شيء بفضل إسلامهم** وأورثت حبًّا وتكريمًا وغياب فوارقهم القبيلة والنسبة والعرقية، فلم نر في مجموع ما جاء عنهم نعرة تتصدر، أو نسبًا يزاحم ويتقدم أو تمييزًا يؤخر، بل الإسلام والكفاءة وإعلاء الشورى فقط[1]

ـ **احترامهم والتفافهم حول مرجعيتهم** بل ودعمه دائمًا ومساندته، كما كانوا مع جعفر، ومن قبله عثمان بن مظعون رضي الله عنهم.

ـ **اجتماعهم المستمر مع بعضهم البعض** في جميع الظروف والأحوال (يد واحدة)، كما كانوا في شدتهم التي كانت ستعصف بهم عند النجاشي، أو في أفراحهم كما في زواج أم حبيبة رضي الله عنها، أو زيارتهم لبعضهم البعض كما جاءت الروايات بذلك.

---

(١) وفي هذا يقول الأستاذ منير الغضبان: (لقد كانت هذه الجالية الإسلامية من الكفاءة والعبقرية ما جعلها تحطم كل أحابيل الأعداء، وفيهم عمرو بن العاص داهية العرب قاطبة، لقد كان الصف الإسلامي في الحبشة يمتاز أول ما يمتاز بالحب والمودة والثقة بين أفراده، وكانت الميزة الثانية فيه لجوئه إلى الشورى. «فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض...» فلا يقطع أحد منهم برأي ولا ينفرد فيه عن أخيه، وكانت الميزة الثالثة فيه تقديرهم للكفاءات والطاقات، فاختاروا رجلا منهم ليكون الناطق الرسمي بهم حيث ووجه جعفر رضي الله عنه بالسؤال الأول عن هذا الدين). ينظر: المنهج الحركي للسيرة =

ـ **رقيهم الأخلاقي وحسن معاملتهم** وتواضعهم الجم مع غيرهم الذين لم يُثمروا في واقعهم إلا التقدير وفرض الاحترام.

ـ **لم يتسببوا يومًا في مشكلة أو إفساد**، ولم يؤثر عنهم طيلة مكثهم هذه السنوات أي خرم لقانون أو تسبب في نزاع، بل على العكس كانوا عونًا ومساعدين لبلدهم الجديد وقت الضرورة والأزمات، كما أرادوا دعم النجاشي لمّا ظهر عليه ابن أخيه، وكما تفاعلوا للمرأة العجوز بما أصابها من فتية الحبشة.

ـ **تحملهم المسئولية الكاملة** تجاه دينهم ووجودهم تفعيلًا ورعايةً.

ـ **انتفاء المأرب والمطمع الدنيوي في معايشتهم** ومخالطتهم وعدم استغلال السلطة أو القوم في تحقيق ذلك، فلم نر لهم مطلبًا دنيويًّا واحدًا طلبوه من النجاشي، بل فقط المجاورة الحسنة والأمن الحياتي.

وهذه بعض العوامل وليس كلها، وغيرها أكثر لكني حاولت أن أبرز أهمها في ـ وجهة نظري ـ ويمكن أن يضاف إلى ذلك في الواقع المعاصر:

ـ وجودهم المستمر في مساجدهم.

ـ وحسن جوارهم مع جيرانهم.

ـ والإتقان في وظائفهم وأعمالهم.

ـ والمشاركة الدائمة في رقي مجتمعهم.

ـ ودفاعهم ومساندتهم لبلدهم في الأزمات.

ـ ودعم القائمين على السلطة فيها لتحقيق العدل والقانون... وغير ذلك.

وكل هذه عوامل جاذبة لفهم الإسلام وقبوله ودخول الناس فيه.

= النبوية ١/ ٩٤.

٥ـ أمور تتعلق بالآخر نفسه (المسلم الجديد):

أخر عوامل الجذب والإقبال على الإسلام واعتناقه تأتي في الشخص المدعوّ نفسِه، فبعد أن يتعرّف على الإسلام ونبيه ودستوره وأفراده يأتي دوره هو وتبرز سماته الصالحة هنا بعد تلامس كل ذلك شِغاف قلبه، وقد تكلمتُ من قبل عن سمات النجاشي الرائعة التي تؤهله للحكم والملك وتجعله مقصدًا للمهاجر المسلم.

وأما سماته التي تؤهله للإسلام وتجعله من أبنائه: فتكمن في روائع نستنبطها من مواقفه وحواره مع الوجود الإسلامي بقيادة جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأهم هذه السمات من وجهة نظري تتركز فيما يلي:

ـ **تدينه الحقيقي وسلامة معتقده الأول (النصرانية)** وعلمه بها، علما خاليًا من التعصب والتحريف، ولا تتعجب فأكثر الناس انجذابًا إلى الإسلام واعتناقًا له من الملتزمين بدينهم المتلمسين الحق دائمًا المنصفين معه[1].

---

(١) شواهد ذلك في البيئة الأوربية والغربية أكثر من أن يعد ويحصى، بل وقد برز منهم من أصبح داعيًا للإسلام، وفي هذا ألف الدكتور عبد الله أحمد الأهدل كتابه (حوارات مع مسلمين أوربيين) ضمن سلسلة حوارات في الدعوة إلى الله، طبعة دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت.
يقول الدكتور أحمد الخليفة مدير المركز الإسلامي بميونخ تعليقًا على هذه المسألة: من هذه الشخصيات الدكتورة Inge Caspary (إنجي كاسبري) درست في جامعة السوربون في باريس مع زوجها. لما رجعت الى مدينة Augsburg (أوجسبورج) بدأت التدريس في الجامعة، ثم في الثانوية الكاثوليكية للبنات... ساهمت في التعاون في مكتب الاستشراق الكنسي لمحاولة تنصير اللاجئين لاحظت استجابة اللاجئين للبرامج الاجتماعية والاحتفالات والنزهات، والاختلاط بين الجنسين، وتعاطي المحرمات... ثم لاحظت أن المسلمين يتوقفون حرجًا من دخول الكنائس وقبول التنصير... =

ـ **فطرته السليمة النقية** التي لم تنتكس ولم تطمس ساعدت بقوة على تشربه الإسلام وتفاعله مع وحيه وأفراده.

ـ **مرونة فكره ورجحان عقله** وغياب عناصر الجمود والتحجر عنده الذي لا يفتح معه استقبال لفكرة جديدة، أو تصحيح مفهوم.

ـ **العاطفة الجياشة** لديه التي تتماشى مع رجحان العقل، لكنها تسبق في واديها الذي يبرز، فلا تملك الجوارح جميعها معها إلا التسليم والتأثر.

ـ **الثقافة العلمية المتبحرة**، فقد كان عالمًا متبحرًا في علم الكتاب، أقرّه على ذلك بطارقته حينما قالوا له: (فقالوا أنت أعلمُنا)، والعلم من نتاجه وثمرته توسيع المدارك وانتفاء الجهل وطرد التعصب، والبحث في المطروح، والرويّة في إصدار الأحكام.

ـ **مكارم الأخلاق الذي كان عليها** والتي وجدت بُغيتها وملاذها للارتقاء بها في الإسلام، فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صالحًا ـ عادلًا ومنصفًا ـ ناجدًا ـ خائفًا من الله

= اجتهدت في التعرف على سبب هذا الاحجام، فبدأت في زيارة مسجد المدينة، ثم بدأت تنتظم في السفر عام ١٩٨١م إلى المركز الإسلامي ميونيخ (حوالي ٨٠ كم)... أحسن الإخوة والأخوات استقبالها... وفي أقل من نصف عام كانت قد أعلنت هي إسلامها... بدأت تدعو للإسلام بين تلميذاتها، وفي الطرق العامة والأسواق في المدينة، حتى تم تخييرها بين الدعوة وبين الوظيفة، فاستقالت من العمل الوظيفي بدأت في العمل الدعوي بين اوجسبورج وميونيخ، وأدت مناسك العمرة ضمن أول قافلة للعمرة للمسلمين الجدد في ديسمبر ١٩٨٢م... بعد العودة بدأت في العمل الدعوي بين المهاجرين الجدد، وتمويل قوافل إلى معسكرات الأفغان في باكستان... هناك التقت بأحد المهاجرين القدامى العائدين من اوجسبورج إلى بيشاور... فتزوجته واعتنت بكبرى بناته، وشيدت مسجدًا... ومع تقدم العمر رجعت إلى المانيا، واستمرت علاقتها مع زوجها وأسرته، إلى أن وافتها منيتها عام ٢٠١٩م.

تعالى ـ حسن الجوار ـ متواضعًا ـ منصتًا للآخر ـ ثابتًا على مبادئه ـ ملتمسًا مواطن الحق، وغير ذلك).

وهذا الذي ذكر في النجاشي ليس شرطًا أن يكون في كل إنسان يتعرف على الإسلام، فهذه ملكات ونعم يهبها الله مَن يشاء، لكن هي إشارة إلى تلمس أيًّا منها في كل من تتعامل معه وتعرفه بالإسلام وتعي مفتاحه للإقبال عليه والدخول من بابه.

وما ذكرته من عوامل جذب الآخر للإسلام إنما هي مع إدراك أن الهداية إنما هي من الله تعالى قبل كل شيء، وأن ما ذُكر إنما هو من جملة الأسباب التي يؤخذ بها واستنفادها، كما أن هناك عوامل أخرى لم أدرجها تحت ما مضى حتى أجعلها في عنصر مستقل لأهميتها وللانتباه لها جعلتها تحت عنوان:

ما لا يسع الوجود الإسلامي جهله في التعامل مع المسلم الجديد:

وهذه العوامل مهمة جدًّا تضاف إلى ما سبق واعتبر مراعاتها سُلّمًا آمنًا للوصول إلى المسلم الجديد وتثبيته، وجميعها مأخوذة من دروس الهجرة وتعامل الوجود مع النجاشي، وهي كما يلي:

ـ التعريف بالإسلام لا الإكراه والحمل عليه: فإن أول ما نؤكّد عليه أننا هداة خير، نعرف الآخر بديننا ونحاوره ونتكلم معه حوارًا بناءً، ونجيب من يسأل عنه ونعرضه ونعرّف به تعريفًا يوضحه ويجلي الشبهات عنه، كما فعل جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعريفه للإسلام، أما قضية إسلام الآخر فإنه بيد الله تعالى يهدي من يشاء سبحانه، ولمن عُرض عليه الإسلام الاختيار، وبعضهم يأخذ وقتًا طويلًا للوصول إلى قراره دون إرغام من أحد[1]، ولا نعرف في ديننا ودعوتنا إكراهًا لأحد أو حملًا

(١) أيضًا شواهد هذا كثير، وكنت عندما أحاور بعض من أسلم في ألمانيا يخبرني أحيانًا أنه =

له على وجوب الدخول فيه، ولو كان لأجبر الزوج المسلم زوجته الكتابية على الإسلام، وهو ما لم تجده وخاصة في البيئة الغربية.

ـ **مراعاة ظروف المسلم الجديد**، في موقعه وبيئته وأسرته وطبيعة عمله مراعاة لا تجعله يفقد مع إسلامه أيًّا منها، فلا يكون تعامل الوجود الإسلامي معه تعاملًا غير مدروس، أو غير مراعٍ لأحواله فينفر من الإسلام، وقد لاحظنا ذلك في تعامل المهاجرون الأُوَل مع النجاشي حتى بعد إسلامه، فلم يجهر بإسلامه لموقعه ولم يعاتَب في ذلك أو يراجَع، بل كانوا عونًا له على بقاء الأمر على سريته وبقاء ملكه عليه[1].

= تعرف على الإسلام من سنين، وما زال يدرسه ويتدارسه حتى شرح صدره للإسلام، ومنهم من لا يؤمن إلا عند دنو أجله والأمثلة في الواقع الأوربي أكثر ممن تعد وتحصى، ولا أبالغ إذا قلت: إن الأكثر على ذلك، بل حدث معي في أحد المراكز الإسلامية التي كنت أؤم الناس بها في شهر رمضان أن صلى معي شاب ألماني كنت أراه دائمًا في أعمال المسجد التطوعية ومتواجد في الصفوف الأولى في الصلوات ويصوم معنا، وأخبرني القائمين على إدارة المسجد أنه غير مسلم بعد، فقد قرأ عن الإسلام وتعرف عليه، لكنه أراد أن يعيشه معنا قبل أخذ القرار والدخول فيه وسبحان الله كان إسلامه في نهاية الشهر وتحديدا في ليلة السابع والعشرين من رمضان، فقد نطق حينها الشهادتين فمساحة الاختيار موجودة والقرار دائما مع هداية الله للعبد بيده.

(١) فقد أخرج ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: (اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه، قال: فأرسل إلى جعفر وأصحابه، وقال: اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة، وصفوا له فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما لكم؟ =

ـ **الإجابة عن الأسئلة الشائكة** والتي تفرزها الأحداث أو يروِّجها المتربصون للإسلام وقضاياه إجابةً شافيةً وافيةً واضحةً، فالمقبل على الإسلام يحتاج دائمًا أن يفهم قضايا الدين الإسلامي، وأن يزيل الإشكال الذي يتلبس بها، وهذا من أهم وظائف الدعاة والمرجعية وأفراد الوجود الإسلامي، وهو يتطلّب علمنا بها وبكيفية الردود عليها.

ـ **ترك الصب المعلوماتي والشرعي:** وخاصة في البدايات؛ فإن الإكثار منه ربما يضر ولا ينفع في قبول الإسلام وفتح قلب الآخر له، فلم نجد اهتمام المهاجرين الأول مع النجاشي وغيره ـ في البدايات ـ بمسألة التثقيف العلمي أو الانشغال بتشعيب الفرعيات أو عقد مجالس وندوات حول قضية أو موضوع ثانوي، التركيز كان على الأصول في (المعتقد ـ والأخلاق والسلوك ـ والمنهج). بل المهاجرون أنفسهم لم يكون عندهم هذا النهج فيما بينهم، وربما الكثير منهم ظل على بساطة معلوماته حتى عودتهم.

ـ **مهمة التعريف بالإسلام مهمة الجميع،** وليس حِكرًا على الدعاة والقيادات في بلاد الغرب كما يظن البعض، ولا يشترط فيه كون المعرِّف به عالمًا بالشرع متعمِّقًا في علومه، بل إن جعفرًا وأصحابه لم يكونوا معهم آنذاك من الدين والوحي إلا الكليات والأصول العامة للإسلام، ولم يكن عندهم من التشريع إلا القليل، والتجربة في الواقع المعاصر تؤكّد أن أكثر مَن دخل في الإسلام كان على يد غير الدعاة والعلماء والمرجعيات.

= قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئًا، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له). سيرة ابن هشام ١/ ٣٤١ وإسناده صحيح.

ـ **مراعاة العادات البيئية والأعراف المجتمعية**، فلم يتعرّضوا لها أبدًا ولم يقللوا من شأنها أو يصرفوا المسلم الجديد عنها ـ بالطبع ما لم يخالف هذا تعاليم الإسلام ـ بل ربما كان الإسلام داعمًا لبقائها وتقويتها، فإن أكثر ما يخافه المسلم الجديد لو أسلم الانسلاخ من بيئته أو مجتمعه، فيصبح غريبًا عنهم بعد أن كان واحدًا منهم، فلا يزال التصارع مؤجَّجًا في صدره، وربما دفعه إلى تهميش الدين بعد أن كان أصلًا عنده، أو تركه بالكلية والعياذ بالله تعالى[1].

ـ **مراعاة المدخل الذي يبدأ منه في التعامل مع الآخر تعريفًا بالإسلام**، فليس الجميع مدخلهم واحدا، وليس الدين بابه واحدًا، وقصص من دخلوا الإسلام تدهش في معرفة جذوة البداية وشرارة الانطلاق[2]، ولو أردنا أن ننظر لمدخل النجاشي كمسلم جديد فقد عدّدنا صفاته السابقة، وأعظم صفاته عندي تكمن في حبه للدين والحق، وعاطفته الجياشة نحو الله تعالى، وعدله وانصافه.

ـ **التدرج في التبليغ والإيجاز في التعريف بالإسلام**: من أعظم الأمور التي ينبغي أن تكون واضحةً وجليةً لدى المعرّف والمحاوِر من أبناء الوجود الإسلامي في تعريفه بالإسلام التدرج في التبليغ وعدم الإكثار منه، بل واستغلال الأوقات المناسبة للكلام عن الإسلام وأركانه، ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حينما

(١) من أمثلة ذلك أيضًا اهتمام كثير من الدعاة والقائمين على الوجود الإسلامي في بلد أو مركز معين بتغيير الهدي الظاهر، كارتداء الجلباب، والقميص، وإطالة اللحية، وتغيير الاسم إلى اسم إسلامي، وغير ذلك من الأمور التي يستشعر معها المسلم الجديد هجرة من مجتمعه وانخلاعا معه، وأكثر هذه الأمور ثانوية مختلف عليها، بل والسلف لم يقوموا بها ولم يشترطوها.

(٢) ينظر: للتوسعة كتاب (حوارات مع مسلمين أوربيين)، (وحوارات مع أوربيين غير مسلمين) للدكتور عبد الله الأهدل، ضمن سلسلة حوارات في الدعوة إلى الله، طبعة دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت.

أرسل معاذًا إلى اليمن[1]، فلم يأمره بالكلام على الحج والصوم، كما في الحديث، وقد اختلف العلماء في توجيه ذلك وأحسنه عندي أخذًا من هديه ﷺ هو عدم الإكثار وتحقيق التدرج مع المسلم الجديد ومن باب الأهم فالمهم، وغير ذلك.

ـ الاحتضان الجماعي: فإن أكثر شيء يجذب المسلم الجديد دخولًا وتثبيتًا هو الجماعية والمعاهدة المستمرة، وتفعيل الاحتضان الجماعي من الوجود الإسلامي معه، وأن أكثر شيء يؤثِّر سلبًا في المسلم الجديد هو الانعزالية وعدم التعهد الذي ربما دفعته إلى ترك الإسلام بالكلية[2]، وفي ضوء ما كان يقوم به الوجود الإسلامي

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: **«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»**.

قال الكرماني: (قلت: اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أكثر، ولهذا كرر في القرآن ذكرهما كثيرًا، ولهذا أيضًا إذا وجب أداؤهما على المكلف لا يسقطان عنه أصلا بخلاف الصوم، فإنه قد يسقط بالفدية والحج، فإن الغير قد يقوم مقامه لزمانة، أو لأنه حينئذ لم يسرع وجوبه). ينظر: الكواكب الدراري (٧/ ١٦٧).

(٢) حدث هذا بالفعل نتيجة الترك والانعزالية وعدم المعاهدة، فإن أكثر ما يقع فيه الوجود الإسلامي، وخاصة مؤسساته الإسلامية هو ترك المسلم الجديد بعد دخوله الإسلام وعدم تعهده واقتصار الفرح به عند النطق بالشهادتين ودخوله الإسلام، ثم تكتشف أن بعد فترة قد خبت جذوة الإسلام منه وأصبح الواقع الذي كان ينشده مع الوجود الإسلامي غير موجود بالفعل، ومن ثم يبدأ تدريجيًّا في العودة لحياته السابقة، وقد حدث هذا بالفعل عندما حدثني أحد المسئولين عن العمل الإسلامي في ألمانيا أنه تلقى اتصالًا هاتفيًّا من أحد الأخوات التي دخلن الإسلام ولم ترد المرأة أن تفصح عن اسمها ومكانها، لكنها أرادت أن تبلغ رسالة مفادها: لقد مضيت عامين في الإسلام وللأسف لم أجد معينًا عليه =

مع مَن أسلم في الحبشة وخاصة النجاشي هو من باب التعاهد والاحتضان الذي قدّموه له وتعاهدوا عليه معًا.

ـ **التعامل مع أهل المسلم الجديد:** من الأمور المهمة أيضًا في التعامل مع المسلم الجديد التعامل مع أهله الذين لم يسلموا بالحُسنى والمعروف، فلا تفريق ولا استهزاء ولا معاداة ولا محاولة لحمله على تغيير معاملته معهم أو معاداته إياهم، بل الأصل أن يزداد معهم بإسلامه علاقة وتوددًا لعله يكون بابًا في دخولهم الإسلام والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والقرآن الكريم والسنة النبوية داعية إلى ذلك، بل الأصل في الوجود الإسلامي أن يرجو الخير لهم ويدعو الله أن يسوقهم إلى الهداية، كما فعل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع أم أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

= ولا داعمًا، وأنها خلصت في النهاية إلى العودة إلى ما كنت عليه، وأسباب هذا الأمر قد يكون متعددا، لكن أخطره ترك الوجود الإسلامي للمسلم الجديد وعدم تعهده، ما يدفعنا إلى التأكيد إلى أن أهم ملفات الوجود الإسلامي في الغرب وخاصة في مراكزهم ومساجدهم هو ملف المسلمين الجدد تكوينا ومعاهدة.

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٤/١٩٣٨)، حديث رقم: (٢٤٩١) عن أبي كثير يزيد بن عبد الرحمن، حدثني أبو هريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما أكره، فأتيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**». فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال =

ـ دعم ومساندة المسلم الجديد في العقبات التي تنزل به: فلا بد أن نعي أن هناك مضايقات قد تحدث لمن يترك دينه ويدخل إلى الإسلام، وهذه المضايقات قد تكون من أقرب الناس له، وقد حدث هذا في نموذج إسلام عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد أخرج البزار عن عمرو بن العاص في قصة إسلامه (وتفرّقنا فما هو إلا أن أتيتُ أصحابي، فكأنّما شهدوني وإيّاهُ ـ أي جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فما سألوني عن شيءٍ حتى أخذوني وطرحوني، فجعلوا على وجهي قطيفةً، وجعلوا يغمزوني، وجعلتُ أخرجُ رأسي أحيانًا حتى انفلتُّ عُريانًا ما عليّ قشرةٌ، ولم يدعوا لي شيئًا إلا ذهبوا به، فأخذتُ قناع امرأةٍ، عن رأسها فوضعتُه على فرجي، فقالت لي: كذا، وقُلتُ: كذا، كأنّها تعجبُ منّي، قال: وأتيتُ جعفرًا فدخلتُ عليه بيته، فلمّا رآني، قال: ما شأنُك؟ قُلتُ: ما هو إلا أتيتُ أصحابي فكأنّما شهدوني وإيّاك، فما سألوني عن شيءٍ حتى طرحوا على وجهي قطيفةً غمّوني بها أو غمروني، وذهبوا بكُل شيءٍ من الدُّنيا هو لي، وما ترى عليّ إلا قناع حبشيّةٍ أخذتُه من رأسها، فقال: انطلق. فلما انتهينا إلى باب النجاشيّ نادى: ائذن بحزب الله، وجاء آذنُهُ، فقال: إنّه مع أهله، فقال: استأذن لي عليه، فاستأذن له عليه فأذن لهُ، وكتبتُ كُل شيءٍ حتى كتبتُ المنديل، فلم أدع شيئًا ذهب إلا أخذتُهُ، ولو أشاءُ أن آخُذ من مالهم لفعلتُ)[1].

= قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم حبب عبيدك هذا** ـ يعني أبا هريرة ـ **وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

(١) أخرجه البزار (٤/ ١٥٤) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: نا معاذ بن معاذ، قال: نا ابن عون، قال: حدثني عمير بن إسحاق، قال: حدثني عمرو بن العاص، سنده حسن، فيه عمير ابن إسحاق فهو حسن الحديث، وسيأتي تخريج الحديث كاملا في الملحقات آخر الكتاب.

قلت: والأثر قد ظهر فيه ما يتعرض له عمرو بن العاص ـ وهو المسلم الجديد ـ من معاملة من أهله وعشيرته، وربما دولته بما يبرهن أن طريق الإسلام والدخول فيه له تبعات وعقبات تصل إلى أنه قد يسلب منه كل مظهر من مظاهر الحياة، من نعم ومتاع ومال، وربما يمر بمحن أشد تستوجب أن يقف معه الوجود الإسلامي ـ كما فعل جعفر هنا ـ ودعمه دعمًا يرجع له حقه ويثبت له أمره فينصره ولا يخذله أو يهمشه؛ مما يساعد على الاعتزاز بالدين الجديد وأهله، وفي سبيل تحقيق ذلك فعلى المسلمين الوصول إلى أعلى سلطة في الدولة في ظل القانون العادل والحرية الموجودة لإرجاع الحقوق وأخذ ما يسلب أو يغصب، كما فعل جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دور المسلم الجديد في بلاد الغرب من خلال الحبشة:

بعد أن يدخل الآخر إلى واحة الإسلام وينعم بها ويثبت فيها ويصبح نواةً في الوجود الإسلامي وفردًا من أفراده، فإنَّ أمامه دورًا عظيمًا ينتظره، دور لا يقل عمّا قام به المهاجرون الأُوَل الذي نزلوا بلاده، وكانوا سببًا في إسلامه وهو دورٌ تولي القيادة في التعريف بهذا الإسلام ودعوة الناس إليه، وهذا الذي أقصده معناه أن يتحمّل أهل البلاد الأصلية والجيل الثاني ومن بعدهم مسئوليتهم الدعوية والتعريفية تجاه إسلامهم، فالإسلام لن ينتشر إلا بهؤلاء الذين يجمعون مِن عوامل النجاح وتحقيق الغايات ما لا يكون عند المهاجرين الأُوَل، فهم أقرب نسبًا إلى الناس، وأعرف بعادتهم وتقاليدهم، وأدرى بنمط حياتهم، وأوعب لطريقة تفكيرهم، وأتقن للغتهم، وغير ذلك من السمات والصفات.

إضافةً إلى أنَّ المهاجرين الأُوَل سيأتي وقت عليهم يرجعون فيه إلى بلادهم ـ كما رجع جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو يذوبوا بعددهم قلة بين الوجود الإسلامي المكون من أهل البلد الأصليين وأبنائهم من الأجيال المولودة فيها، فيلزم من

ذلك تبني جيلًا يتحمل المسئولية في التعريف والدعوة إلى الإسلام، وقد ضرب النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نموذجًا في تحمله المسئولية التعريفية والدعوية تجاه هذا الدين، فأثمرت جهوده ونمى غرسه، فكان ممن أسلم على يديه ما يلي:

أولًا: إسلام أسرته وأولاده: وهذا أول ما يجب على المسلم الجديد الاهتمام بنجاة أقرب الناس إليه من أهله وأسرته، ولقد أدى إسلام النجاشي ـ مع كونه سرًّا ـ إلى أن ينجح في دعوة أبنائه وأسرته، فكانوا من المسلمين، وقد جاءت الروايات والآثار لتدلل على ذلك:

١ـ ولده عبد الله: وهو ولده الذي التمس فيه تسمية كتسمية أبناء الوجود الإسلامي، بل تدل الرواية على تربيته في وسط الوجود الإسلامي، ذكر السهيلي في الروض الأنف ما يشير لذلك قال: (وذكَر أن جعفرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولد له بأرض الحبشة ثلاثة أولاد مُحمّد وعون وعبد الله، وكان النجاشيّ قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله فأرسل إلى جعفر يسأله: كيف أسميت ابنك؟ فقال عبد الله: فسمى النجاشيّ ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عُميس امراة جعفر مع ابنها عبد الله فكانا يتواصلان بتلك الأُخوة، قال السُّهيلي ومن رواية يونُس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ابنا للنجاشي نفسه[1].

٢ـ ولده أُرمى أو أريحا: ذكره ابن الأثير وابن حجر في الصحابة قال: (ويقال أرهى، ويقال أريحا ـ بن أصحمة بن أبحر ولد النجاشيّ، قال أبو موسى: ذكر الإمام أبو القاسم إسماعيل ـ يعني شيخه التيمي ـ في المغازي ـ أنه في السنة السابعة كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك، وبعث إليهم الرسل... فذكر القصة. قال: وبعث

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ٦/ ٥٨٧، وذكره ابن حجر أيضًا في الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٧٧.

إلى النجاشي عمرو بن أميّة، قال: فكتب إليه النجاشي الجواب بالإيمان، وفي كتابه: إني بعثت إليك ابني أرمى بن أصحمة، فإنّي لا أملك إلا نفسي، وإن شئت يا رسول الله أتيتك، قال: فخرج ابنه في ستين نفسا من الحبشة في سفينة في البحر، فغرقوا كلهم. هكذا ذكرها أبو موسى عن شيخه بلا إسناد.

وقد ذكرها ابن إسحاق في المغازي مطوّلة. وذكرها من طريقه الطّبريّ في «تاريخه»، والثّعلبيّ في «تفسيره»، وذكرها البيهقيّ في «الدلائل» من طريق ابن إسحاق، لكن سمّاه أريحًا والله أعلم[1].

٣ـ أبو نيزر بن النجاشي: فقد أخرج ابن إسحاق في السير قال: (حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: رأيتُ أبا نيزر[2] ابن النجاشي فما رأيتُ رجُلاً قط عربيًّا ولا عجميًّا أعظم ولا أطول ولا أوسم منهُ، وجده عليٌّ بنُ أبي طالبٍ مع تاجرٍ بمكة فابتاعه منه وأعتقه مُكافأةً للنجاشي؛ لما كان ولِيَ مِن أمر جعفر وأصحابه، فقُلتُ لأبي: أكان أبا نيزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيته لقُلت رجُلٌ من العرب)[3].

---

(١) ينظر: أسد الغابة ١/ ٧٦، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٣٣٦.

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر روايات أخرى فيه، فقال أبو نيزر: بكسر أوله وسكون التحتانية المثناة وفتح الزاي المنقوطة بعدها مهملة، ذكره الذهبي مستدرِكًا، وقال: يقال: إنه ولد النجاشي، جاء وأسلم، وكان مع النبي ﷺ في مؤنته.
قلت: وقرأت قصته في كتاب الكامل لأبي العباس المبرد، وهي في ربعه الأخير، قال: حدثنا أبو محلم محمد بن هشام بإسناد ذكره أن أبا نيزر، كان من أبناء بعض ملوك الأعاجم، فرغب في الإسلام صغيرًا، فأسلم عند النبي ﷺ، فكان معه في مؤنته، ثم كان مع فاطمة، ثم مع ولدها. ينظر: الإصابة٧/ ٣٤٣
قلت: ولم أقف على سنده، وسند ابن إسحاق أولى بالقبول، فروايته عن أبيه إسحاق، وهو ثقة، وقد أدرك أبا نيزر ورآه، ولعله حدثه بهذا، والله أعلم.

(٣) ينظر: سيرة ابن إسحاق ١/ ٢٢٠.

٤ـ ذو مخبر ويقال ذو مخمر الحبشي: ابن أخي النجاشي، وفد على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخدَمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث، وقال ابن الأثير: وكان يخدم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عنه: أبو حي المؤذن، وجبير بن نفير، والعباس بن عبد الرحمن، وأبو الزاهرية، وعمر بن عبد الله الحضرمي، روى حريز بن عثمان، عن راشد بن سعد المقرئ، عن أبي حي المؤذن، عن ذي مخمر، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله فجعله في قريش»[(١)].

ثانيًا: إسلام جاريته أبرهة:

فممن أسلم من بلاط النجاشي جاريته أبرهة؛ يقول الدكتور سليمان العودة: (وممن أسلم من الأحباش جارية النجاشي وتدعى أبرهة، وهي التي بعثها النجاشي إلى أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعْلِمها برغبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزواج بها بعد وفاة زوجها المتنصر عبيد الله بن جحش)[(٢)].

والأثر في طبقات ابن سعد وفيه: (قالت أُمُّ حبيبة: فلمّا وصل إليّ المالُ أرسلتُ إلى أبرهة التي بشّرتني، فقُلتُ لها: إنّي كُنتُ أعطيتُك ما أعطيتُك يومئذٍ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالًا فخُذيها فاستعيني بها فأبت، فأخرجت حُقًّا فيه كُل ما كُنتُ أعطيتُها فردّته عليّ وقالت: عزم عليّ الملكُ ألا أرزأك شيئًا وأنا التي أقومُ على ثيابه ودهنه، وقد اتّبعتُ دين مُحمّدٍ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلمتُ لله، وقد أمر الملكُ نساءه أن يبعثن إليك بكُل ما عندهُنّ من العطر، قالت: فلمّا كان الغدُ جاءتني بعودٍ وورسٍ وعنبرٍ وزبادٍ كثيرٍ، فقدمتُ بذلك كُله على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان

(١) ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٢٢، والاستيعاب ٢/ ٤٧٥، والإصابة ٢/ ٣٤٨.

(٢) ينظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص١٥٣.

يراه عليّ وعندي فلا يُنكرُهُ، ثم قالت أبرهةُ: فحاجتي إليك أن تُقرئي رسول الله منّي السّلام وتُعلميه أنّي قد اتّبعتُ دينهُ، قالت: ثم لطفت بي وكانت التي جهّزتني، فكانت كُلما دخلت عليّ تقولُ: لا تنسي حاجتي إليك، قالت: فلمّا قدمتُ على رسول الله أخبرتُه كيف كانت الخطبةُ وما فعلت بي أبرهةُ! فتبسّم رسولُ الله وأقرأته منها السّلام، فقال: «وعليها السّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ»[1].

ثالثًا: إسلام عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أعظم ثمار غرس النجاشي ـ كمسلم جديد ـ أن كان سببًا في إسلام صحابي جليل، وهو عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] ؛ فقد أخرج الإمام أحمد، عن حبيب بن أبي أوسٍ، قال: (حدّثني عمرو بنُ العاص من فيه، قال: لمّا انصرفنا من الأحزاب عن الخندق... الحديث وفيه: فقال النجاشي: أتسألُني أن أُعطيك رسول

(١) الأثر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٧) وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قالت أم حبيبة، وأخرجه الزبير بن بكار في المنتخب من كتاب أزواج النبي، ص٥٠، حديث رقم: (١٠) عن محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو عن أم حبيبة، وقد توبع الواقدي كما هنا، وقد عدّها ابن حجر من الصحابة وأشار إلى قصتها. ينظر: الإصابة ٨/ ٦.

(٢) اختلف العلماء: هل النجاشي كان سببًا في إسلام عمرو، أم جعفر؟ وقد ساق فضيلة الدكتور سليمان بن حمد العودة في كتابه الهجرة الأولى في الإسلام الروايات في ذلك وحققها وجمع بينها، فقال: (وأمام هذه المرويات الصحيحة يمكن الجمع بين ما يبدو منه الاختلاف ظاهرًا، وذلك باعتبار بداية إسلام عمرو في الحبشة على يد جعفر ونهايته كانت على يد النجاشي، أو اختيار المشهور من كون إسلام عمرو على يد النجاشي، والله أعلم، وأيا ما كان الأمر فهو دليل على أثر الهجرة والمهاجرين، لا على أهل الحبشة فحسب، بل وعلى الوافدين إليهم المتصلين بهم). ينظر: مبحث إسلام عمرو بن العاص في كتاب الهجرة الأولى في الإسلام، ص ١٦١: ١٧٢.

ـ عمرو بن أمية الضمري ـ رجُلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى لتقتُلهُ؟ قال: قُلتُ: أيُّها الملكُ أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو، أطعني واتّبعهُ، فإنّه والله لعلى الحقّ، وليظهرنّ على مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجُنوده، قال: قُلتُ: فبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده وبايعتُه على الإسلام، ثم خرجتُ إلى أصحابي وقد حال رأيي عمّا كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي، ثم خرجتُ عامدًا لرسول الله ﷺ لأُسلم... الحديث)[1].

تقول الدكتورة سامية عبد العزيز المنيسي تعليقًا على إسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي: (وبذلك كان للنجاشي دورٌ عظيمٌ في إسلام عمرو بن العاص الذي استفاد الإسلام منه استفادة عظيمة لدوره في نشر الإسلام فيما بعد)[2].

التعليق:

بعد هذا العرض في بيان من أسلم على يد النجاشي رضي الله عنه أو كان سببًا في إسلامه، فإننا نستطيع أن نقول بأن النجاشي أول مسلم جديد أثّر في بيئته ودعا إلى الله عز وجل في بلد غريب، فقد تولّى دوره العظيم في نجاة غيره وتعريف من يستطيع أن يعرفه بالإسلام، ولنا في هذا الأمر تنبيهات نختم بها هذا الفصل:

١ـ النجاشي رضي الله عنه كان له دورٌ عظيمٌ في خدمة المهاجرين المسلمين في بلده

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٣، وما بعدها)، حديث رقم: (١٧٧٧٧) قال محققو المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد، راشد مولى حبيب لم يرو عنه غير يزيد بن أبي حبيب، ووثقه ابن معين وابن حبان، وحبيب بن أبي أوس ـ ويقال: حبيب بن أوس ـ روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات.
قلت: بل سنده صحيح، وقال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني، إلا أنه قال: حدثني عمرو ابن العاص من فيه إلى أذني، ورجالهما ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١.

(٢) ينظر: إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، ص٧٥.

خدمة رفعتْ ذكره، وأوجبت ترحُّمًا عليه واستغفارًا له من رسول الله ﷺ وجميع المسلمين في العالم الإسلامي حينئذ وإلى يوم القيامة.

٢ـ لم يحتَجِ النجاشي في التعريف بالإسلام أكثر مما يعرفه عنه وهو قليل جدًّا في جانب ما يعرفه أبناء الوجود الإسلامي اليوم، ومع ذلك لم يتوقف عند ذلك طويلًا وتحمّل الدور في التعريف به وتبليغه.

٣ـ الصدق والإخلاص وحب الإسلام ورسوله ﷺ عناصر مهمة كانت مصاحبة للنجاشي في التعريف بدينه ودعوة غيره إليه، وهذه أهم العناصر التي ينبغي أن يحملها الوجود الإسلامي الآن سيرًا بها ودعوةً وتعريفًا من خلالها.

٤ـ أول ما يجب أن ينشغل المسلم الجديد به هم أهله وأسرته وأقاربه لا يفتر عن دعوتهم ولا عن محاولات نجاتهم والفرح بدخولهم إلى الإسلام، وتغيير مسارهم إلى الله، أمر أسسه رب العالمين في توجيه دعوة النبي الأمين؛ حيث قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1].

٥ـ إن على المسلم الجديد أن يفهم أن الأمر في تعريف أهله وأبناء أوطانهم منوط بهم في الأصل والأساس، وأن تفعيل ذلك يؤتي بثمرة ربما لا يُحصّلها مجموع الوجود الإسلامي الجديد المهاجر، فلو نظرنا إلى العدد الذي أسلم على يد النجاشي، فلربما كان نصيبه ممن أسلم من أهل بيته ووطنه يعادل ما نجح فيه المهاجرون الأُوَل جميعًا في جذبهم إلى الإسلام إن لم يزد عليهم[2].

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) يدلل على هذا الأمر أنه كان يرسل الوفود بنفسه إلى النبي ﷺ ليسلموا، من ذلك ما أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان (٨/ ٥٩٤) قال: حدثنا محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خصيف، عن سعيد بن جبير، قال: =

٦ـ هداية الله تعالى للخلق بيده سبحانه، ولا يعرف الإنسان هل يفتح له الباب ويدخل في الإسلام أم لا؟ وإذا كان، فمتى؟! المهم بذل الأسباب في تحصيل ذلك، وإني لأقف طويلًا مع عمرو بن العاص الذي خالط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مكة، ورأى من أحوالهم وصفاتهم كيف لم يكن أمر إسلامه وهدايته على يد أحد منهم؟! ثم يشاء الله أن كانت على يد النجاشي، وتفسير ذلك أن الله له حكمته في الزمان والمكان، ولعل من الحكمة أن تكون منقبة للنجاشي وبابًا من أبواب رفعته في الدارين.

٧ـ الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام ليس لها رجالٌ مخصصون، الجميع يخدم من مركزه: الرئيس والمرءوس، العالم والطالب، العربي والعجمي، بل ربما كان فضل الأدنى على الأعلى في أمر عظيم، ومنقبة له في أن يكون سببًا في هدايته، وقد قال الزرقاني في إسلام عمرو على يد النجاشي: (أسلم على يد النجاشي وهي لطيفة صحابي أسلم على يد تابعي، ولا يعلم مثله)[1].

٨ـ لا تستقل عملًا في طاعته عَزَّوَجَلَّ ولا تدخر جهدًا في دعوة إنسان تأخذ بيده إلى طريق الله إسلامًا أو التزاما، فقد يكون يومًا ما قائدًا للمسلمين مرجعية لهم معدودًا في رواحلهم، وهذا النجاشي نموذجًا، فعمرو بن العاص صحابي جليل

= بعث النجاشي وفدًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقرأ عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلموا. قال: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢] إلى آخر الآية. قال: (فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه، فأسلم النجاشي، فلم يزل مسلمًا حتى مات. قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أخاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه»، فصلى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، والنجاشي بالحبشة).

قلت: مرسل إسناده حسن إلى سعيد بن جبير.

(١) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/ ٥٠٦.

وقائد مظفّر وفاتح عظيم، ما قام به وما فعله ومن دخل علي يديه الإسلام في صحيفة أعمال هذا العلم الأسمر القاطن في بلاد الحبشة بعيدًا والمقبور هناك، وارى جسده التراب ولم تتوارَ صحيفته، ولم يرفع الكتبة الكرام أقلامهم منها حتى يومنا هذا.

وختامًا...

فإني أؤكد أن هذا الفصل من أهم الفصول التي يجب أن يعار اهتمامًا من أهل العلم والفقه تأليفًا وتدوينًا، فقضية المسلم الجديد لها منهج خاص وهيكل مستقل ومتكامل، موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية تحتاج منا إلى محاولة لاستخراجها وجمع مفرداتها وشواردها، وخط ما ينبغي فيها حتى يكون بين أيدينا سلسلة تخدم المسلم الجديد في جميع ما يحتاج إليه من بيان عقائد وعبادات وتربية وأخلاق وفقهيات وغير ذلك، ولعل الله أن يقيد من ينبري لذلك ويكتب لنا فيه استعمالًا، اللهم آمين، والله أعلم.



(١٢)
معالم أخرى للوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة

في هذا المبحث أختم به معالم التعايش المحمود بين الوجود الإسلامي في بلاد الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة، وقد آثرت أن أنبّه فيه على أجزاء في الروايات السابقة، وأضم كذلك فيه ما تبقى من روايات الحبشة من الحديث والسيرة تخدم هذا الفصل (معالم الحضور في الوجود الإسلامي)، وأجلّي فيه استكمال الرؤية لما كان عليه المهاجرة الأُوَل من حضور وتعايش فيما بينهم وعلى أرضهم.

ولعل ذكري لهذه المعالم ربما يلحقها القارئ فيما مر من جوانب الحضور المذكورة آنفًا: اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا أو غير ذلك مما يراه مشابِهًا لها ملحَقًا بها، غير أني أحببت أن أخص كل منها بعنوان مستقل إبرازًا لهذه المعالم المهمة.

أولًا: الحضور التعبدي بين الوجود الإسلامي.

أول هذه المعالم المهمة التي يجب تسليط الضوء عليها في الوجود الإسلامي الأول هو الحضور التعبدي والتديني بينهم، وتكمن أهمية هذا المعلم في أنه الرافض الأول والضامن الأساسي لنجاح كافة أشكال الحضور السابقة بين الوجود الإسلامي، وأنه لا يتم التوصل إلى المأمول من الجالية الإسلامية إن أهملت هذا

الجانب أو تأخرت عنه، بل إن دوافع الخروج من بلادهم والهجرة منها إلى الحبشة تكمن في إيجاد أرض تضمن لهم هذا الحضور التعبدي دون خوف أو تستر، وهذا ما دفعهم إلى إبراز ذلك في حديثهم عن هجرتهم[1].

فقد قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على ذلك قالت: (لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشيّ، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى... الحديث).

وكذا قالت ليلي بنت أبي حثمة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (جاءني عُمرُ بنُ الخطّاب، وأنا على بعيري أُريدُ أن أتوجّه فقال: أين يا أُمّ عبد الله؟ فقُلتُ: آذيتُمونا في ديننا، فنذهبُ في أرض الله، حيثُ لا نُؤذى في عبادة الله، قال: صحبكُمُ اللهُ، ثم ذهب)[2].

والحضور التعبدي هنا يعني: حضور الجالية المسلمة في شعائرها التعبدية ومناسباتها الدينية على المستويين الفردي والجماعي حضورًا حقيقيًّا كما وكيفا ومكانا وزمانا.

والمقصود بالكم: حضور الجميع والأكثرية من أبناء الوجود الإسلامي بحيث لا يغيبون عن الشعائر التعبدية اليومية والمناسبات الدينية وغيرها، ولا يكون

---

(١) قال السهيلي في سبب خروج الصحابة إلى الحبشة: (فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد وأوذي على الحق مؤمن ورأى الباطل قاصرا للحق ورجا أن يكون في بلد آخر ـ أي بلد كان ـ يخلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. ينظر: الروض الأنف ٣/ ١٥٠.

(٢) سبق تخريجه.

المتخلّف عن هذا الحضور إلا أصحاب الأعذار أو البعيدين عن مواطن هذا الحضور وأماكنه.

والمقصود بالكيف هنا: هو الحضور النوعي الشامل لأفراد الجالية والوجود الإسلامي، كما كانوا في أرض الحبشة يحضر الرجل والمرأة والصغير والكبير والمسئول والرعية الجميع حاضر بالجسد ومتفاعل بالقلب.

والمقصود بالمكان: هو الارتباط الدائم والحضور المستمر في تلك الأماكن المخصصة لإقامة الشعائر التعبدية من مراكز ومساجد ومؤسسات بناها وشيدها الوجود الإسلامي في بلاد الغرب للعبادة وإحياء الشعيرة والمناسبات الدينية.

والمقصود بالزمان: هو الوجود المتواصل من أبناء الجالية المسلمة في أوقات الشعائر اليومية كالصلوات، والأسبوعية كالجمعة، والسنوية كرمضان والأعياد، وغير ذلك من أوقات وأزمان الشعائر التعبدية والدينية.

وهذا الحضور مهمٌّ جدًّا وله عامل أساسي في تقوية العلاقة بالله، والحفاظ على الهوية، وتقوية الوازع الإيماني، وتصحيح أداء العبادة والاستمرار عليها، والتثقيف الشرعي، وغير ذلك مما يعرف فوائده ولا يحصر لكثرته.

الحضور التعبدي في الواقع المعاصر:

ما ذكر ينبغي أن يكـون حاضـرًا قويًّا بين أفـراد الوجود الإسلامي الآن[1]،

(١) أصيب الوجود الإسلامي في حضوره التعبدي في بلاد الغرب بإصابات شديدة من جميع الجوانب المذكورة كمًّا وكيفًا ومكانًا وزمانًا، فلا يكاد الحضور التعبدي يخرج لنا أكثر من ١٠٪ من عدد المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وربما تتفاجأ بوجود زيادة في هذه النسبة في بعض المناسبات كرمضان والأعياد والجنائز ممن يعيشون في نفس المدينة، وربما بجوار المسجد مما يحزن لعدم التواجد المستمر، **ومثال على ذلك:** وأنا أعيش في =

فالحضور التعبدي في المراكز والمؤسسات الإسلامية له ما لا لغيره من الأثر على كافة المستويات كما ذكرت، ويتجلى ذلك في النقاط الآتية:

١ـ المحافظة على العبادات والمناسبات الدينية محافظة تامة، تحقيقًا للعبودية لله عَزَّوَجَلَّ، وتقربًا إليه، واقتداء بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الحضور يدفع التهاون بالعبادات أو تركها والتقصير في أدائها.

٢ـ المحافظة على هوية المسلم ودينه وثوابته، وهذا لا يتمّ إلا من خلال حضوره المستمر في هذا الحضور.

٣ـ احتياج الجيل الثاني والثالث لهذا الحضور للتعليم والتصحيح والتنشئة، حتى لا يضيع في خضم حياة غربية ومجتمع غير مسلم، وهذا لن يتم إلا إذا تعوّد الجيل الأول على الحضور واصطحب أبناءه معه.

٤ـ تكوين الفرد في الوجود الإسلامي تكوينًا رُوحيًّا وأخلاقيًّا، يحتاجه الجميع في مقابلة المادية القوية في البلاد الغربية، وهذا لا يتم إلا بوجود هذا الحضور التعبدي، المجتمعون على عبادتهم والمعمرون مساجدهم.

٥ـ تقوية نزعة الحلال والحرام والصواب والخطأ، أثر من آثار الحضور التعبدي والمسجدي المميز، وهذا له أثره في الوجود الإسلامي ليس فقط بين أفراده، بل في تعامله في وطنه الثاني مع غير المسلمين تعريفًا وتعليمًا.

= مدينة ميونخ بألمانيا وفيها قرابة ٢٦٠ ألف مسلم على كافة انتماءاتهم وتوجهاتهم الدينية، والمدينة بها ما يقرب من ٥٠ مسجدًا ومركزًا لا تكاد ترى إلا النسبة المذكورة في الحضور التعبدي اليومي الأمر الذي يضع الوجود الإسلامي في غياب وتضييع له عواقبه على أفراده وأبنائه وربما وجوده، وكل هذا يجعلنا نلتفت إلى أهمية هذا المعلم وإعادة إحيائه فينا والنظر في تقليل الفجوة بين الوجود والتواجد.

٦ـ معايشة العبادات الجماعية التي لها مقاصد من كونها جماعية على الوجود الإسلامي من زيادة تعارف ولُحمة وتزاور وتوادّ ومحبة وغير ذلك مما يكثر سرده.

٧ـ الحضور التعبدي يقلل من المشاكل التي تنتج بين أفراد الوجود الإسلامي، وسرعان ما تنصهر بينهم سواء كانت هذه المشاكل بين زوجين أو أخوين أو شريكين وغير ذلك[١].

٨ـ هذا الحضور التعبدي له أثره المحمود في حياة المسلم في التفقد والسؤال عنه، كما أن له أثرا أقوى بعد وفاته والصلاة عليه، وعندما تغيب يغب معه هذه الآثار[٢].

---

(١) لا تكاد تفصل في مشكلة بين اثنين في بلاد الغرب زوجين أو غيرهما، إلا تجد من أهم أساب نشأة هذه المشاكل هو الغياب التام أو شبه التام عن الحضور التعبدي والمسجدي، الأمر الذي يجعلنا نوقن بأهمية الرجوع إلى الحضور في العبادات لما له من صلة بالله والرجوع إليه، وكذا التعارف القوي الذي له صداه عند المشكلة بين الإمام أو المحكم وبين المتخاصمين في فهم طبيعتهم وحل مشاكلهم.

(٢) يحزن رواد المراكز والمساجد الإسلامية جميعًا عندما ينعى لهم أحد أبناء الوجود الإسلامي ممن كان يعيش معهم في نفس المدينة أو القرية ولا يعرفونه أو لا يعرفه إلا القليل، فتكاد تعلم وقتها خطورة الابتعاد وعدم الحضور من تبعات ومآلات، وذلك عندما تجد القليل ممن يحضر للصلاة عليه وتشيعه، أو تجد علامات الاستفهام الذي لا يعرف لها جوابا عن سبب ابتعاده ولماذا؟ وأحيانا لا يستطيع أحد ذكره بخير أو يشهد له ويثني عليه، وقد جعل النبي ﷺ ذكر ذلك من علامات الخيرية بشهادة الناس، فعند البخاري (٢/ ٧٩)، حديث رقم: (١٣٦٧)، ومسلم (٢/ ٦٥٥)، حديث رقم: (٩٤٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا، فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

٩ـ هذا الحضور أيضًا له أهمية تختص بالتعريف بالإسلام وأهله، فالمراكز الإسلامية مفتوحة أبوابها لغير المسلمين للزيارة والتعرف على الإسلام وشعائره والمسلمين وصفاتهم عن قرب، والحضور التعبدي بقوة هو رسالة تعريفية صامتة بما في هذا الإسلام من خير، وما في المسلمين من وحدة وأخوة ومعايشة.

ثانيًا: الحضور التعاوني بين الوجود الإسلامي.

وأقصد به ما ينبغي أن يكون عليه الوجود الإسلامي من التعاضد والتعاون فيما كان بينهم امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

ومثال ذلك:

أخرج الفاكهي عن مُحمّدُ بنُ سلام، قال: حدّثني بعضُ أصحابنا (أنّ أول من أُسمي باسم النبيّ ﷺ مُحمّدُ بنُ حاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وُلد بأرض الحبشة وأرضعته أسماءُ بنتُ عُميسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأرضعت أُمُّه عبد الله بن جعفرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا)[2].

والحديث يدلّ على معلم من معالم الوجود الإسلامي في الحبشة:

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ١٩١) ٢٠٠٨ – حدثنا الزبير بن أبي بكر، قال: حدثني محمد بن سلام وإسناده ضعيف لجهالة من روى عنهم.
قلت: وقد ذكر القصة كل من ابن عبد البر، وابن الأثير والذهبي وابن حجر، وعزا الرواية إلى ابن أبي خيثمة عن محمد بن سلام، وكذا ذكرها تقي الدين الفاسي المكي كلهم في ترجمة محمد بن حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ينظر: الاستيعاب ٩/ ١٣٦٩، وأسد الغابة ٥/ ٨٠، وتذهيب التهذيب ٨/ ٧١، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢/ ١٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٨.

وهو التعاون المحمود بين أبناء الجالية الإسلامية في بلاد هجرتهم، وهذا الملمح الذي جاء في قضية سهلة تتعلق بالرضاع لأبناء المهاجرين، لكنها تحمل من ورائها دلالات منها:

ـ الاهتمام بأبناء المهاجرين جميعًا ليس هناك تفرقة ولا أنانية، فالصحابيات أمهات الجميع.

ـ التعاون المستمر على تربيتهم بقدر المستطاع والتواصي بالخير في تنشئتهم، دون كلل أو ملل أو انقطاع.

ـ دلالة على دخول بيوت بعضهم البعض تزاورًا وعونًا، وهو دليل الاجتماع الدائم والتفقد المستمر.

ـ وهو دليل على جمال العلاقة والأخوة في الله بين نساء الوجود الإسلامي.

ـ تحمل المسئولية الجماعية تجاه الأبناء، وانتفاء التمييز القَبَلي بين الجميع.

ـ نفي الفردية والانعزالية في تربية الأبناء.

ـ ينبغي أن ننتبه أيضًا إلى أن قضية الرضاع، وهي إن كانت ثانوية أو ربما ليست موجودة تقريبًا في واقعنا المعاصر الأوروبي، إلا أنها كانت أصيلة وأساسية ولها دور عظيم في البيئة العربية والإسلامية، وما نزل فيها من القرآن والسنة من تعاليم وأحكام مما يدل على ذلك، بل وترتب عليها مفاهيم ومعالم فقهية وتربوية وبيئية يجب أن توضع في إطارها الصحيح عندما نقرأ المشهد لهؤلاء المهاجرين الأوائل في قضية تعاونية من الطراز الأول آنذاك.

ـ ينبغي أيضًا أن نلتفت إلى ما أثمره هذا التعاون من ترابط بين أبناء الجيل الثاني؛ ففي الرواية: (فكانا ـ أي محمد بن حاطب، وعبد الله بن جعفر ـ يتواصلان على ذلك حتى ماتا)، فالتعاون الذي تحقق بين الأمهات في الإرضاع أورث أخوة

ولُحمة جعلت من أبناء الجيل الثاني تواصلًا حتى الممات، ولولا أنهم وجدوا آباءهم وأمهاتهم متعاونين على البر والتقوى مجتمعين في العون والمساعدة، لما ساروا على هذا الأمر، ولما تجذرت فيهم هذه الروح التواصلية العظيمة.

ـ وأشير إلى أن هذا التواصل بين الأبناء الذي لم يفصل كيفيته، ولم تتحدد معالمه ليفتح الباب، أما العقل والمخيلة في الوصول إلى تأكيده في كل أشكال التواصل المادي والمعنوي.

ـ وأخيرا: لا يقف هذا المشهد مطلًا برأسه على النساء والأبناء فقط، بل ينم مؤكدًا على صورة من صور التعاون والمساعدة بين أبناء الوجود كله، وفي مقدمتهم الرجال، ومعظم الروايات تدلّ على هذا التعاون، فقلما تجد رواية عنهم إلا وهم مجتمعون ومتعاونون، وما خبر جعفر ورفاقه يوم النجاشي، والزبير وما قام به، واستقبال أبي موسى الأشعري وغير ذلك، إلا مظهرا من مظاهر هذا الحضور التعاوني وقوته بين الوجود الإسلامي.

أشكال هذا التعاون في الواقع المعاصر بين الوجود الإسلامي وأثره:

لا شك أن هذا التعاون إذا وجِد وتحقق بين الوجود الإسلامي، فإنه سيكون له أثرٌ عظيمٌ على الوجود الإسلامي بأشكاله المتعددة، وأهمه من وجهة نظري تقديمًا واحتياجًا ما يلي:

التعاون النوعي:

وأقصد به المبني على النوع من الرجال والنساء والأطفال، فينبغي أن يكون الجميع متعاونين فيما بينهم: الرجال مع الرجال فيما يخصهم، والنساء مع النساء فيما يخصهن، والجميع مع الأولاد في جميع المجالات الحاجية والدعمية

والتأسيسية على مستوى الأفراد، كل حسب طاقته وقدرته، ولا يتحقّق ذلك إلا بالتفقد والسؤال والتزاور، وعلى المستوى الجماعي وأمثلته متعددة بداية من الفكرة وطرحها والنقاش حولها وختامًا بإخراجها وتفعيلها في أرض الواقع من: مراكز للشباب، جمعيات مخصصة تهتم بالمرأة أو الأطفال، أو نوادي ترفيهية، وكل ذلك لن يتحقق إلا بترابط الجميع وتحقيق الحضور التعاوني فيما بينهم، ويوجد بيننا في المدن الأوروبية كثير من هذه الجمعيات التي تبنى على سد احتياجات الناس ذكورًا أو إناثا، ومنها المخصصة فقط لكل نوع وخاصة المرأة والأطفال.

التعاون الخيري:

وأقصد به إنشاء جمعيات خيرية تكون مهتمة بالشأن الخيري عامة، والمسلمين خاصة تهدف إلى تقديم يد العون والمساعدة عند أي عوز أو احتياج أو وقوع كوارث لا تقدمه فقط للمسلمين بل يعم خيره إلى ربوع الوطن جميعًا، ومثالها جمعيات الإغاثة الإسلامية في أوروبا وجميعة الأيادي الرحيمة، ومرحمة وغيرهم في ألمانيا.

التعاون الثقافي والشرعي:

ويتمثل في تعاون أبناء الوجود الإسلامي في بناء المساجد والمراكز الإسلامية التي تقدّم المنتج الديني والثقافي للمسلمين، وكذا إنشاء مدارس تعليمية للقرآن وتعليم اللغة العربية واللغات والتقنيات والتخصصات المختلفة، كل من خلال تخصصه ودراسته.

التعاون الخدمي والتقني:

وأقصد به إنشاء مراكز خدمية التي تخص الوجود الإسلامي تقوم بتسهيل الأمور على أبناء الوجود الإسلامي، فتقوم بتوفير الخدمات التي يحتاج إليها كل

واحد مما يشغله أو ينزل به مما لا يستطيع أن يتعايش بدونه، أو لا يوجد مثيلها في بلاد الغرب كمراكز تجهيز الموتى ودفنهم، ومراكز بيع منتجات الحلال، وغير ذلك.

التعاون الإعلامي والمعلوماتي:

وأقصد به الإعلان عن كل جديد ينزل بالموطن الجديد من قوانين أو أخبار أو توجيهات مما يخص النظام العام للدولة، أو المدارس والجامعات، أو الأحداث الجديدة عامة في الوطن أو التي تخص الوجود الإسلامي أو الأجانب ولها علاقة بهما، وقد رأيت مواقع رائعة على منصات التواصل الاجتماعي مما يربط أبناء الوجود الإسلامي ويخدمهم، ويحقق التعاون المعلوماتي فيما بينهم، وهذه منها ما يتعلق بالوجود الإسلامي عامة، ومنها ما يتعلق بالوافد الجديد واللاجئين، ومنها ما يتعلق بأبناء الجاليات القومية من الوجود الإسلامية؛ كالجالية التركية والألبانية والمصرية والتونسية وغيرها، وأخيرًا ما يتعلق بالمكان كالوجود الإسلامي في مدينة أو مقاطعة بعينها، وفي كل خير.

ثالثًا: معلم ربط الأجيال والذرية بالقدوات والرموز الإسلامية.

وأقصد به هنا ما يلزم منه للحفاظ على هوية الأجيال الناشئة وربطها الدائم برموزها الإسلامية، وأسوتها الحقيقية التي ترتبط بها ارتباط سيرة ومسيرة، مما يقوي العلاقة بها ويزيل بعد المكان، ويضيق فجوة الزمن، وهو أمر يطول فيه السرد والتأصيل، لكن أكتفي فيه هنا بنموذج له يرسم دلالة هذا المعلم في قضية الأسماء فقط، غير أن لها ما بعدها من المفاهيم والدلالات.

كما جاء (أنّ أول، من أُسمي باسم النبيّ ﷺ مُحَمّدُ بنُ حاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

وُلد بأرض الحبشة وأرضعته أسماءُ بنتُ عُميسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضعت أُمُّه عبد الله بن جعفرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا)[1].

وللرواية دلالات مهمة:

١ـ الارتباط الواضح بالقدوات وأعظمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيسموا أولادهم باسمه دلالة على مكانته فيهم، وفهمًا لأهمية تحديد الأسوة بينهم، وخوفًا من طول الزمن أو وحشة الغربة وطول البعد، وتطرف المكان.

٢ـ فيه تأكيد على الارتباط بقدوتهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرضا عنه، والحزن مما ألمّ بهم من مغادرة بيئتهم لفراقه وعدم وجوده بينهم، ومحبتهم له، والشوق إليه وإلى الاجتماع به.

٣ـ ودلالته أيضًا فيربطوا الأجيال القادمة به وبسيرته ومسيرته، وليظل في خلدهم، وتلمس أقواله وفعاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤ـ هذا الأمر يفتح بابًا للسؤال الدائم عن هذه القدوة لمعرفة خلاله وخصاله، فلا يكون الولد في عزلة عنه أو استوحاش لكونه لم يره، أو لم يعرف سيرته وسنته.

٥ـ وهو أدعي أيضًا للدفاع عنه أن تطلب الأمر أو تجلية الشبهة المكذوبة عنه، وكذا التعريف به.

قلت: ولذلك نجد فوائد هذا الارتباط واضحًا عندما قدم المهاجرون إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلس مع الجيل الثاني منهم ودار بينهم من السمر والحديث ما يدل على عظم هذا الارتباط والمحبة، وما حديث الفتية وقصهم نبأ المرأة العجوز وقصتها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعيد عن إدراك هذا.

---

(١) سبق تخريجه.

وختامًا...

فهذا الأمر من أهم ما ينبغي الالتفات إليه من الوجود الإسلامي المعاصر في بلاد الغرب، فالأسماء قوالب المعاني، والجيل الثاني والثالث في البيئة الأوروبية والغربية يحتاج إلى كل ما يربطه بإسلامه ونبيه، وقضية الأسماء قضية محورية لا تقل اهتمامًا عن غيرها من القضايا التي تتعلّق بالأجيال التي تولد وتعيش في البيئات غير الإسلامية، من حفاظ على الهوية، والتعلق بالقدوات الصالحة، وفتح باب السؤال الدائم عن هذا الاسم والمسمى، ولقد رأيت أثر ذلك في الأولاد الذين تسموا بأسماء الأنبياء والصحابة والصالحين والعكس.

رابعًا: الوجود الإسلامي بين القومية والإسلام: (ذوبان الفوارق).

لا شك أن من معالم الوجود الإسلامي في الحبشة ـ وكذا في بلاد الغرب ـ اختلاف القوميات بين أبنائه، فهل أثرت هذه القوميات سلبًا على وجودهم؟ أو عاقت تقدمًا حضورًا له؟ وهل الإسلام يدعو إلى نبذ القوميات وعدم بزوغها أويجعلها في مقابل وجوده؟

أسئلة كثيرة في هذا الملف الذي يعتبر ملفًا غاية في الأهمية وهو من الأمور التي أصابت الوجود الإسلامي في حضوره في أي بلد وجِد فيه، بل وبنيت فيه المؤسسات على أثره.

ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى المهاجرين بأسمائهم وبطونهم، وهذا عمل في حد ذاته فريد ومهم نذكر بعضًا منه:

(فعن ابن إسحاق قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، قبل هجرة جعفر وأصحابه:

ـ **من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف:** عثمان بن عفان معه امرأته رقية ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو حذيفة بن عتبة بن عبد شمس معه امرأته سهلة ابنة سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، ولدت هناك محمد بن أبي حذيفة، ومن حلفائهم: عبيد الله بن جحش بن رئاب.

ـ **ومن بني نوفل بن عبد مناف:** عتبة بن غزوان بن جابر، حليف لهم من قيس عيلان.

ـ **ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي:** الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

ـ **ومن بني عبد الدار بن قصي:** مصعب بن عمير بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار.

ـ **ومن بني عبد بن قصي:** طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد ابن قصي.

ـ **ومن بني زهرة بن كلاب:** عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم، والمقداد، حليف لهم.

ـ **ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة:** أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبس بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر، وأحد، والخندق، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق، ومن حلفائهم: عمار بن ياسر ـ يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا، ومعتب بن عوف بن عامر بن خزاعه من بني عدي بن كعب ابن لؤي بن عامر بن ربيعة، حليفًا لهم، مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة بن غانم.

ـ **ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص:** عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح، وابنه السائب، وقدامة بن مظعون،

ـ **ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب:** خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وهشام بن العاصي بن وائل.

ـ **ومن بني عامر بن لؤي:** حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وهو أول من هاجر، فيما يقال، وسليط بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته أم يقظة بنت علقمة، ولدت له، ثم سليط بن سليط، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فخلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على امرأته سودة ابنة زمعة، ومن حلفائهم: سعيد بن خولة.

ـ **ومن بني الحارث بن فهر بن مالك:** أبو عبيدة بن الجراح، وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبي شريح بن ربيعة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد...)[1].

وعدد غيرهم ممن هاجر الهجرة الثانية

ومن خلال هذا العرض نوضح عدة دلالات:

ـ **أن هذه البطون والقبائل كانت لها نزعات وخلافات في أيام الجاهلية،** كما أنها كانت ليست متساوية في المرتبة والمكانة الاجتماعية، كما جاء عند ابن سعد ما يستدل به على هذا: قال ابن سعد: (أخبرنا مُحمّدُ بنُ عُمر الأسلميُّ قال: حدّثني عليُّ بنُ يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أبيه: (أنّ هاشمًا وعبد شمسٍ والمُطّلب ونوفل بني عبد منافٍ، أجمعوا أنْ يأخُذوا ما بأيدي بني عبد الدّار بن قُصيٍّ ممّا كان قُصيٌّ جعل إلى عبد الدّار من الحجابة واللواء والرّفادة والسّقاية

(١) سيرة ابن إسحاق، ص١٧٩.

والنّدوة. ورأوا أنّهم أحقُّ به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم.

وكان الذي قام بأمرهم هاشمُ بنُ عبد منافٍ. فأبت بنو عبد الدّار أن تُسلم ذلك إليهم. وقام بأمرهم عامرُ بنُ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار.

فصار مع بني عبد مناف بن قُصيٍّ بنو أسد بن عبد العُزّى بن قُصيٍّ وبنو زُهرة بن كلابٍ، وبنو تيم بن مُرّة وبنو الحارث بن فهرٍ.

وصار مع بني عبد الدّار بنو مخزومٍ وسهمٌ وجُمحُ وبنو عديّ بن كعبٍ. وخرجت من ذلك بنو عامر بن لُؤيٍّ، ومُحاربُ بنُ فهرٍ، فلم يكونوا مع واحدٍ من الفريقين.

فعقد كُل قومٍ على أمرهم حلفًا مُؤكّدًا ألا يتخاذلوا ولا يُسلم بعضُهم بعضًا ما بل بحرٌ صوفةَ، فأخرجت بنو عبد منافٍ ومن صار معهم جفنةً مملوءةً طيبًا فوضعوها حول الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعهدوا وتعاقدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفُسهم. فسُمّوا المُطيّبين، وأخرجت بنو عبد الدّار ومن كان معهم جفنةً من دمٍ فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا وتحالفوا ألا يتخاذلوا ما بل بحرٌ صوفةَ، فسُمّوا الأحلاف ولعقة الدّم. وتهيئوا للقتال وعُبئت كُل قبيلةٍ لقبيلةٍ، فبينما النّاسُ على ذلك إذ تداعوا إلى الصُّلح... الأثر)[1].

فهؤلاء كانت عادتهم في الجاهلية الاختلاف الدائم والتفاخر والتكبر على بعضهم، والتناحر والاقتتال على أماكن الشرف والمكانة، وقصة حفر زمزم وما فعلوه مع عبد المطلب دليل على ذلك، بل ظل الأمر مستمرًّا حتى مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام أبي جهل مع الأخنس بن شريق وهو من بني مخزوم يوضحه

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ١/ ٧٧، وفيه علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب لم يذكر بجرح ولا تعديل.

قال ابن إسحاق: (ثم خرج ـ الأخنس ـ حتى أتى أبا جهلٍ، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيُك فيما سمعت من مُحمّدٍ؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحنُ وبنو عبد منافٍ الشّرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الرُّكب، وكُنّا كفرسي رهانٍ، قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السّماء؛ فمتى نُدركُ مثل هذه، والله لا نؤمنُ به أبدًا ولا نُصدّقُهُ! قال: فقام عنه الأخنسُ وتركهُ)[1].

فهذه العصبية والكبر والاختلافات والقوميات لا تجد لها أثرًا في المسلمين والمهاجرين الأُوَل، فمن هاجر ليس من بطن واحد، أو حلف واحد، أو قبيلة واحدة، بل تعددوا واختلفوا، لكن الجميع لا يتجاوز بهذا حدود الإسلام لتذوب جميع الفوارق عنده، فلا تكاد تعرف لهذه البطون والقبائل وجودًا في المسلمين والمهاجرة الأُوَل، فلم نقف على أي أثر يقر تمييزًا وفارقًا، أو يحيل اجتماعًا، أو يقلل من قومية أو غير ذلك، الجميع مسلمون مهاجرون، لحمة إسلامهم أقوى، واجتماعهم لخدمة قضيتهم أعظم.

بل تعدى الأمر قريشًا وما حولها بما فعله جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الوفد اليمني بقيادة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تأكيد على هذا المعنى، روى الإمام مسلم عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (بلغنا مخرجُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحنُ باليمن،... وفيه: (فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه عندهُ، فقال جعفرٌ: إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثنا هاهُنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السير، ص١٩٠، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن الزهري، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٧٠، وقال: أخرجه محمد بن يحيى الذهلي، في الزهريات عن سعيد بن المسيب، بسند صحيح، وينظر: السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٥٠٦، صحيح الأثر وجميل العبر ١/ ١٠٧، الموسوعة في صحيح الأثر ١/ ٤٠٩.

وهذا يجعلنا نفهم مقدار الوعي الكبير الذي كان عليه هؤلاء المهاجرة الأُوَل وإدراك ما جاء به الرسول ﷺ برسالة الإسلام، فلا فوارق إلا بالتقوى والعمل الصالح والأخوة في الدين ترتفع على كل شيء، ويذوب تحتها أي عصبية مقيتة أو تحزب يفرق وحدتهم أو يرجع جاهليتهم.

وتنزيلًا لهذا الأمر ينبغي على الوجود الإسلامي في بلاد الغرب أن يدرك هذا المعنى ويحققه في نفسه، فلا ضير أن يعرف الرجل وينسب إلى بلده وقومه وعشيرته، ولكن كل هذا فقط في دائرة التعريف والنسب لا في دائرة الافتخار والتحزب، فقد سمى الله المهاجرين والأنصار كل باسمه، وذكر النبي ﷺ في أحاديث بطون المهاجرين والأنصار[1] ومراتبهم، ولكن لم يكن هذا بابًا للفرقة أو للتحزب أو الانعزالية، وبناء كيانات متعددة لا تعطي للوجود إلا التشرذم، ولا تصدر له إلا الضعف، ومن يعش في البيئات الغربية يعرف هذا جيدًا وصور ذلك:

١ـ المساجد والمراكز تنسب للقوميات والبلدان، فيقال: مسجد الأتراك والألبان والمصريين والمغاربة... إلخ، وليت الأمر فقط من باب التعريف أو التغليب فقط، لكن يتعداه للأسف الشديد إلى تشكيل واقتصار الإدارات فيه عليه، بل وأحيانًا حصر المنتسبين والمصلين فيه على أن يكون من أصحاب هذه القومية، فإذا ما دخل أحدٌ غيرُهم تجد علامات الاستفهام الصريحة، والإشارات والتلميحات

(١) من ذلك حديث أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٢)، حديث رقم: (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».
وحديث أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري (٥/ ٣٣)، حديث رقم: (٣٧٨٩) عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير دور الأنصار، بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن خزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير».

عنوان الحديث والنظرات، أو التعامل مع هذا الوافد على أنه ضيف حلّ بهم سرعان ما ينصرف عنهم، وهذا كله من الدواخل علينا مخالف لما جاء به الإسلام والصحابة لا نعرف من أيقظها بيننا؟ ولماذا تبقى معنا مصدرة في مساجدنا ؟!

٢ـ ومنه أيضًا وجود مجالس تجمعية للوجود الإسلامي في بلاد الغرب، مبناها الأساسي على القومية والدولية، فتجد القومية هي العنوان الأساسي في تصديرها، يقال مثلا: المجلس الأعلى للمسلمين الأتراك أو المصريين أو المغاربة.

٣ـ كذا من الصورة المفرقة وجود هيئات شرعية افتائية، وكذا مجالس للأئمة والدعاة مبنية على هذا الوجود القومي، بل وصل الأمر كما بينت من قبل إلى تبني آراء وفتاوى مذاهب وعلماء بلاد بعينها بعيدة عن واقع الوجود الإسلامي في بلاد الغرب.

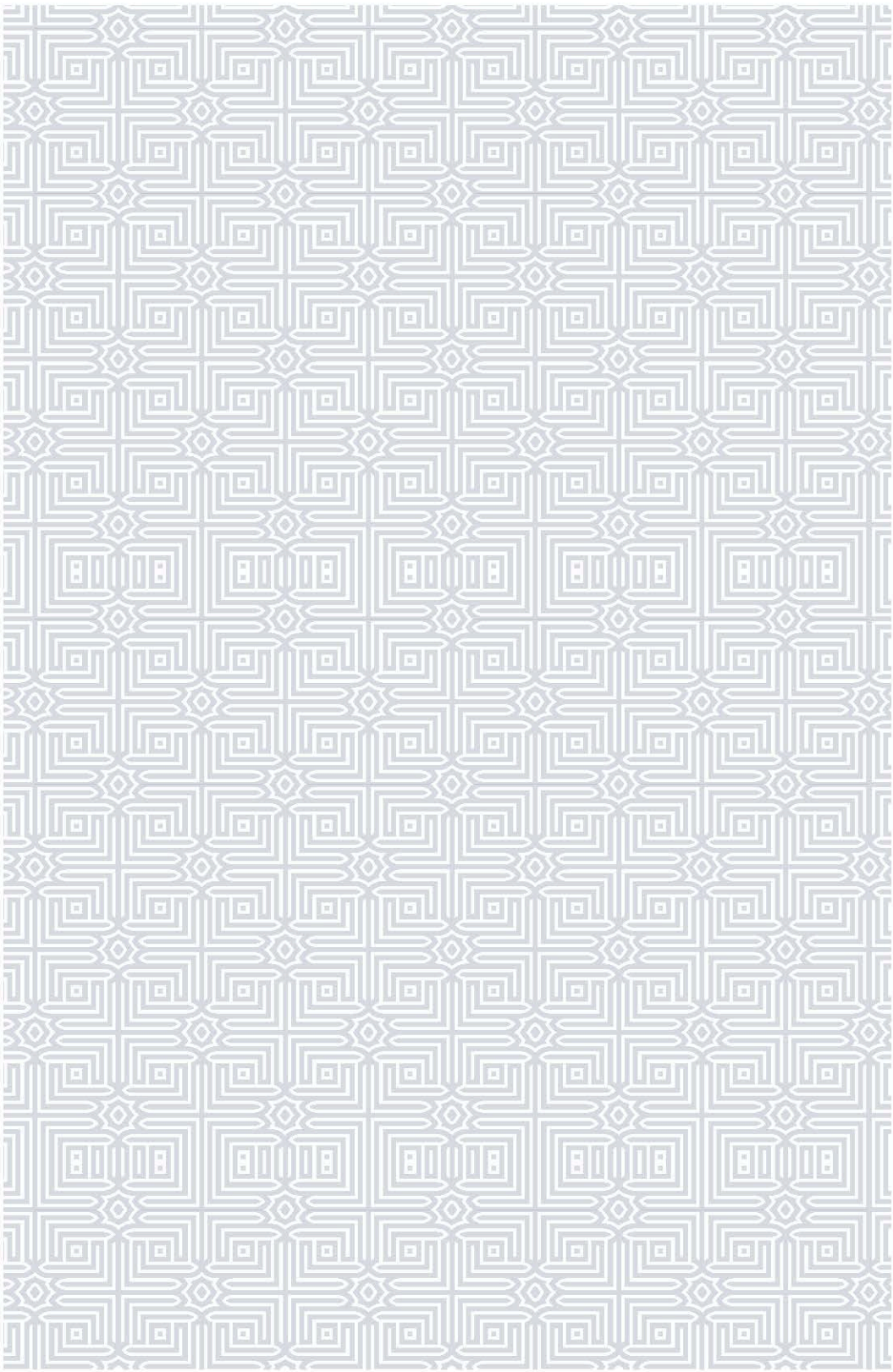
٤ـ وأيضا لا ينبغي أن أغض الطرف عن أمر أثرت فيه هذه القوميات والعصبيات في الوجود الإسلامي وهو قضية الزواج والارتباط، وقد تكلمنا عنها من قبل.

وغير ما ذكرت كثير في بابه الذي أضعف بقوة الوجود الإسلامي، وضيّع نعمةً من أعظم النعم في الإسلام نعمة الأخوة واللحمة الذي حرص النبي ﷺ عليها، ونفذها الصحابة والمهاجرون في واقعهم وهجراتهم.

ولذلك أقول: ينبغي أن نلتفت إلى قضية ذوبان الفوارق ونفعّلها على جميع المستويات، وخاصة في الأمور التي لا ينبغي أن يتصدر فيها إلا الإسلام وحده، ولا ينطق فيها بلغة أخرى غير لغة المسلمين المجتمعين، وتبقى القومية والدولية في حدودها المعروفة التي لا تضيع نسبًا، ولا تنسي وطنًا، ولا تغير هوية، لكن ذلك كله لا يكون بديلا عن الإسلام بتعاليمه والمسلمين جميعًا باجتماعهم.

الفصل الرابع

صعوبات ومخاطر تواجه الوجود الإسلامي من خلال الهجرة إلى الحبشة



(١)
فقدان المهاجر وفقده

من أكثر ما يتألم له الإنسان المغترب أن يفقد أخًا قريبًا أو صديقًا له، أو يفقده إخوانه في بلاد الغربة، فإن للاغتراب تبعات وصعوبات تواجه المهاجر، وهذا من أشدها وأصعبها على الإنسان؛ إذ يجتمع عليه فيها آلام متعددة منها: ألم الفراق، والغربة، وقلة المشيعين والمصلين، وبعد الأوطان والخلان، والدفن في أرض بعيدة أو غريبة لا يُعرف فيها، ولا يزار قبره، وغير ذلك مما يجده الإنسان المغترب ويعلمه من حوله.

ولما عاش المهاجرون هذه الصعاب والآلام ومرّت بهم ومرّوا بها، فقد سطرها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة في هذه الهجرة وغيرها من الهجرات: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾[1].

وتأتي الهجرة إلى الحبشة لتخط لنا نماذج من هذه الآلام التي تمرّ بالمهاجر بين فقده وفقدانه، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، قال: حدّثنا أبو زُرعة، ثنا عبدُ الرّحمن بنُ عبد الملك بن شيبة الحزاميُّ، حدّثني عبدُ الرّحمن بنُ المُغيرة بن عبد الرّحمن الحزاميُّ، عن المُنذر بن عبد الله، عن هشام بن عُروة، عن أبيه أنّ الزُّبير بن العوام .....

(١) سورة النساء، الآية: (١٠٠).

قال: هاجر خالدُ بنُ حزامٍ[1] إلى أرض الحبشة، فنهشته حيّةٌ في الطّريق فمات، فنزلت فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠﴾. قال الزُّبيرُ: وكُنتُ أتوقّعُه وأنتظرُ قُدومه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيءٌ حُزني وفاتُه حين بلغني؛ لأنّه قل أحدٌ من هاجر من قُريشٍ إلا معه بعضُ أهله أو ذي رحمه، ولم يكُن معي أحدٌ من بني أسد بن عبد العُزّى ولا أرجو غيره)[2].

ومنها: فقدان عدي بن نضلة: ووفاته في أرض الحبشة: هاجر هو وابنه النعمان ابن عدي إلى أرض الحبشة، فمات عدي هناك بأرض الحبشة[3].

ومنها: فقدان أزهر بن عبد عوف وأمه؛ قال ابن سعد: (أزهرُ بنُ عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، وأُمُّه عاتكةُ بنتُ عبد العُزّى.. فولد أزهرُ بنُ عبد عوفٍ

---

(١) خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أخو حكيم بن حزام القرشي الأسدي، وأمه أم حكيم، واسمها فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن قصي، كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، وكانت هجرته إليها في المرة الثانية فنهشته حية فمات في الطريق. ينظر: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٩، والاستيعاب ٢/ ٤٣٢، وأسد الغابة ٢/ ١١٧.

(٢) قال ابن كثير: وهذا الأثر غريب جدًّا؛ فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سبب النزول، والله أعلم. تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٢. قال ابن حجر: المشهور أن الذي نزلت فيه هذه الآية جندب بن ضمرة كما تقدم. ينظر: الإصابة ٢/ ١٩٦، والحديث صححه أكثر من محدث من أهل العلم. ينظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٨/ ٣٨٣، والألباني في السلسلة الصحيحة ٧/ ٦٦٤، وقال: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات.

(٣) ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى ٤/ ١٠٤، والاستيعاب ٣/ ١٠٦١، وأسد الغابة ٣/ ٥١٤، والإصابة٤/ ٣٩٥.

المُطّلب وطُليبًا وكانا من مُهاجرة الحبشة وبها ماتا جميعًا قبل الهجرة إلى المدينة)[1].

ومنها: ريطة بنت الحارث وولدها قال ابن سعد: (أسلمت بمكة قديمًا وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها الحارث بن خالد بن صخر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، فولدت له هناك موسى وعائشة وزينب، فتوفي موسى بأرض الحبشة وهلكت ريطة بنت الحارث بالطريق وهي راجعة)[2].

وهذه الروايات تحمل كثيرًا من الدلالات المهمة:

١ـ فقد أبرزت الرواية بيانًا لبعض صور المعاناة والابتلاءات التي يمرّ بها المهاجر منذ أن يخرج من بيته، كما جاء الوصف القرآني الكريم، وحتى دار هجرته، فهو يسير وحده في طرق ودروب موحشة، وقد دنا الموت منه فلا أنيس ولا صاحب.

٢ـ وأيضًا لا بد أن نتلمس هنا حزن رسول الله ﷺ والمجتمع المكي من صحابته رضي الله عنهم عند وصول الخبر إليهم لفقدهم واحدًا من أصحابهم وأصهارهم[3]، خرج من بيته مُكرهًا وترك جماعتهم وموطنهم مرغمًا للنجاة بنفسه ودينه وليعبد ربه، ومعلوم قيمة الفرد منهم ومكانته عند الله عز وجل، وعند رسول الله ﷺ، والصحابة الكرام رضي الله عنهم.

٣ـ يستدل من الحديث أيضًا بيان ما كانت عليه طرق ودروب الهجرة من طول ومشقة وقحولة؛ فهي غير معبّدة ولا مؤمّنة صحراء شاسعة، وقفار مفزعة، تسكنها الحيات والعقارب، لا يأمن فيها المهاجر على نفسه ولا يسلم منها للوصول إلى غايته المنشودة.

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد، الجزء المتمم للصحابة الطبقة الرابعة ١/ ٢٧٦.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠١.

(٣) فهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها. ينظر: أسد الغابة ٢/ ١١٧.

٤ـ أيضًا من الآلام التي مرت به أن يدفن في غير أرضه، ولا مقابر قومه، بل ربما لا يعرف له مكان قبر وموطن دفن، ما يزيد من ألم إخوانه وأصحابه من عدم إكرامه بتجهيزه ودفنه، والصلاة عليه عند موته، وزيارته والدعاء عند قبره بعد موته، كما كان يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع إخوانه من شهداء أحد والبقيع وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٥ـ أبرزت الرواية أيضًا بيان حالة الشغف والانتظار المستمر من الصحابة الكرام للحوق إخوانهم بهم في دار هجرتهم، وللاطمئنان على سلامتهم ونجاتهم من المتربصين بهم، وليتقوى العود بجمعهم واجتماعهم، فهم مدركون لأهمية ذلك كمًّا وكيفًا، دافعون بهذا الشغف والتوقع كل أنا وفردية، مؤسسين الاهتمام بسلامة المجموع قبل الفرد.

٦ـ يستدل من الحديث أهمية وجود المغترب القريب؛ الذي يهون بقرابته على رحمه ما لا يهون بأخوة الدين فقط، فيبقى أن وجود الأهل أو بعضهم في دار الغربة إنما هو داعم وزئر للتقوي على صعوبات الغربة، والتخفيف من آلامها، وهذا يعلل شغف وانتظار الزبير لخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن المهاجرين جميعًا قدموا ببعض أهلهم معهم، أما هو فلم يكن له أحد غير خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فقده.

٧ـ في كلمة الزبير: (ولا أرجو غيره). يدل على تقارب مهم بين الزبير وخالد؛ فعامل القرابة والإسلام والسن والصحبة، كلها روابط تكمل بعضها بعضًا، لتصل بالنهاية إلى وضع هذا النعي الذي تكلَّم به الزبير من شعور وألم مرّ به ونزل عليه مما يزيد غربته ألمًا وصعوبة، وربما كان الزبير في احتياجه لخالد أشد من احتياج خالد للزبير في التقوي والتصبر وتحمل التبعة والصعاب وغير ذاك، ولكن حكمة الله ماضية وقضاءه نافذ.

٨ـ تدل الرواية على أن الوصول إلى الموطن الجديد ودار الهجرة لا يعني

أن المهاجر نفض عن كاهله تراب المشقة والتعب، وأن قادم أيامه ستكون منعمة ورغدة، بل على العكس، مزيد إيمانهم يعني مزيد ابتلائهم، وراحتهم لا تتم إلا باجتماعهم برسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتهم وفي الجنان بعد وفاتهم.

٩ـ ألم الفقد من أشد الآلام التي يعيشها المغترب أو يعيشها أهله وصلة رحمه ما جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسري عنه بثواب قاصر عليه: فعن عبد الله بن عمرٍو، قال: توفّي رجُلٌ بالمدينة ممّن وُلد بالمدينة، فصلى عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«يا ليته مات في غير مولده»**. فقال رجُلٌ من النّاس: ولم يا رسول الله؟ قال **«إنّ الرّجُل إذا مات في غير مولده، قيس له من مولده إلى مُنقطع أثره في الجنّة»**[(١)].

١٠ـ هذه الصعوبات ينبغي أن تكون حاضرة في خلد من هاجر أو سيهاجر، فهي من جملة البلاء التي قُدر على المسلم، وليُكوّن فهمًا واقعيًّا لدائرة الأيام وسنة الله في عباده وكونه، وليتصبر بما تصبر به مَن قبله بما ينزل به ومر عليه حتى يسلم عيشًا ويطيب إقامةً.

١١ـ وفي النهاية: فإنه ينبغي أن نؤكد أن أخطر من فقدان المهاجر المسلم وأحد أفراد الوجود الإسلامي ميتًا هو فقدانه حيًّا، فيكون غريبًا في غربته، بعيدًا عن إخوانه ووجوده الإسلامي، فلا يعرف الناس ولا يعرفه الناس، وعذره في ذلك إذا

(١) أخرجه ابن ماجه قال: حدثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثني حُيي بن عبد الله المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٧/ ١٩٦، حديث رقم: (٢٩٣٤) عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرملة به، قال الشيخ شعيب في تحقيقه صحيح بن حبان: إسناده حسن. حُيي بن عبد الله المعافري: وثقه المؤلف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم. وباقي رجاله على شرط مسلم. أبو عبد الرحمن الحبلي: هو عبد الله بن يزيد المعافري.

سئل واهٍ غير مقبول، وفهمه وصلاحه وكرامة عيشه بابتعاده مغبون مخدوع، فقد بينت الآيات(١) والأحاديث(٢) أن مخالطة الناس وخاصة في مجتمعات الهجرات من أهم سبل النجاة والحياة، وهي حفظ له في أمور كثيرة، وخاصة في دينه وأخلاقه كما سنبين ذلك بالتفصيل في العنصر القادم.

---

(١) الآيات كثيرة في ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤]، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

(٢) منها: ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**». أحمد في مسند عبد الله بن عمر، عن محمد بن جعفر، وحجاج، قالا: حدثنا شعبة، سمعت سليمان الأعمش عن يحيى بن وثاب، عنه (٩/ ٦٤)، حديث حديث رقم: (٥٠٢٢)، قال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» فقلت: بالشطر؟ فقال: «**لا**» ثم قال: «**الثلث والثلث كبير ـ أو كثير ـ إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك**». فقلت: يا رسول الله، أخلف بعد أصحابي؟ قال: «**إنك لن تخلف فتعمل عملًا صالحًا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد ابن خولة**» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة.

(٢)
متاعب للمرأة في الطريق هجرتها

وهذا الأمر منوطٌ بالذي قبله، غير أنه هنا يجلّي ما لقته المرأةُ المهاجرة من متاعب زائدة تمرّ على المهاجرين بشكلٍ عام والمرأة بشكل خاص؛ حيث ألم الهجرة، وألم الطريق، وألم الحمل، ولذا أحببت أن أضعه في عنوان مستقل لنقف على التضحيات التي قدمتها المرأة المهاجرة التي لا تقل أجرًا ولا تعبًا عن المهاجر الرجل من ذلك.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي مالكٍ الأشجعيّ قال: كُنتُ جالسًا مع مُحمّد ابن حاطبٍ، فقال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّي قد رأيتُ أرضًا ذات نخلٍ، فاخرُجوا**». فخرج حاطبٌ، وجعفرٌ في البحر، قبل النجاشيّ، قال: فوُلدتُ أنا في تلك السّفينة[1].

(١) أخرجه أحمد قال: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن أبي مالك، قال محققو المسند: رجاله ثقات، معاوية بن عمرو: هو ابن المهلب أبو عمرو البغدادي، وأبو إسحاق: هو إبراهيم بن محمد الفزاري، وأبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٧، والطبراني في الكبير ١٩/ ٥٤١ من طريق معاوية بن عمرو، بهذا الإسناد، ولم يهتد محقق السيرة لأبي إسحاق الفزاري إلى موضع هذا الحديث عند أحمد في ملحقه، ص٣١٣.، وأورده الهيثمي في المجمع ٦/ ٢٧ ونسبه لأحمد والطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣)
الافتتان في الدين

من أعظم المخاطر التي تمر بالوجود الإسلامي وأشدها تبعة على أفراده: قضية الافتتان في الدين، وخاصة عندما ينخلع الفرد من هويته انخلاعًا جزئيًّا أو كاملًا، ويسلم نفسه للبيئة الجديدة تسليمًا مطلقًا لا ضابط معه، ولا احتراز لشيء مما هاجر به وصاحبه من دينه وأخلاقه وهويته، فيقلب حياته قلبًا كاملًا، ويفهم ويطبق الاندماج المنادى به[1] تطبيقًا كليًّا بانخراط كامل دون وعي وحدود، بل يودع كل

(١) يجب أن نتفق أولًا على أن تعريف الاندماج نفسه عند الدول الغربية ضبابي، ولكن من الممكن أن نقول: إنه يدور على عدة أمور أبرزها اجتماعية: من تعلم لغة البلد والعمل فيها والاتفاق مع نظامها المدني الديمقراطي، وحياتها السياسية الفصلية بين الدين والدولة والاختلاط بأهلها، والتفاعل في المجتمع المدني تفاعلا محمودا في مجالات المشاركات الحزبية أو الهيئات المدنية والصحية كالعمل التطوعي في مجال الصحة أو الإطفاء، وكذلك المشاركة في المنظمات والجمعيات الخدمية التعاونية المتعددة في مجالات الإنسان أو الحيوان، وغير ذلك من الأمور التي يكثر الإشارة إليها، ويدل على أن صاحبها مندمجًا في المجتمع وصالحًا للعيش فيها وحمل تأشيرة إقامتها أو الحصول على التجنس بجنسيتها.
وينبغي أن أنبه على أنه ثمة فرق بين الاندماج كتعريف وبين تطبيقه، لأنه في نهاية الأمر يخضع هذا الاندماج إلى حسابات أخرى ربما تزيد على ما ذكر أو تضعف، وربما يكون المقياس الفعلي هو بيد السلطة وخاصة الأمنية، أو بيد الموظف في مصلحة الأجانب الذي يقر بكون الشخص مندمجا أو لا، وهذا الأمر دفع بكثير إلى محاولة النظر فيما يقوي قبوله أو يضعفه حتى لا يكون معوقا له ما حمل كثير من الناس عدم إبراز هويتهم الإسلامية، أو ترك مؤسساتهم الدينية، أو ترك الوجود الإسلامي وتجمعاته بغية التأكيد على اندماجه، =

شيء تأسس عليه وتجذر فيه عند وصوله لموطنه الجديد، منبهرًا به بدعوى الحياة الجديدة والتغيير المطلق.

وحقيقة الأمر أن قضية الافتتان في الدين لها صورتان:

الأولى (جزئية): تصيب المسلم في بعض أمور دينه وتوجهاته وأخلاقه، من أعمال ومعاصٍ، وأفكار ورؤى، وشكوك، وتساؤلات، وشبهات وغير ذلك مما يتعرض له المسلم بشكل يومي ولا ينفك عنه أحد، والسبب في ذلك وجوده في مجتمع مادي مفتوح ومختلط، لا ضابط موحد له من حيث الدين، والعُرف، والتقاليد والأخلاق، وأيضًا لغيابه أو لغياب الظهير المجتمعي المسلم الضابط لكثير من أمور دينه وأخلاقه والمحافظ عليها، ولا يسلم من هذا الافتتان إلا من فهم ووعى وتمسك بعقيدته ودينه وخصال الخير فيه، وتابع وجاهد نفسه فألزمها ميدان الصلاح والأخوة والعمل الإسلامي والأخلاقي[1].

= مع أن الدولة لا تمنع ذلك دستوريا وتكفل حرية الدين وتأسيس الجمعيات للجميع، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(١) نحن في أوروبا للأسف الشديد نعيش كل يوم صورا من هذا الافتتان، وخاصة من الشباب الذي لم يؤسس دينيًّا وعقديًّا، ولم يزود بالثقافة الشرعية اللازمة، كما أنه لم يجد من يستوعبه ويحتويه ويجيب على أسئلته، وحقيقة الأمر أنه راجع إما للأسرة وتقصير الأبوين في التربية، أو لفقر القدوات في الوجود الإسلامي وغياب عمل كثير من المؤسسات عن واقعها المعاصر، أو لقوة التيار الحياتي كما بينت، وتصعيد التحاكم للعقل على حساب الشرع وجعله المرجعية في القبول والرفض.

ومن صور هذا الافتتان الجزئي: ما يتعلَّق بقضايا الإسلام من العقيدة وخاصة ما يتعلق بمسألة القضاء والقدر، والقضايا الغيبية المتعلقة بالجنة والنار وغيرهما، وقضايا المحرمات في الإسلام كالخمر والزنا والأطعمة، وقضايا النكاح والتعدد وفرضية الحجاب، وقضايا المرأة وغير ذلك، والقضايا المتعلقة بفهم القرآن والسنة النبوية أو المتعلق بنبي =

الثانية (كلية): وهي ما يترتب عليها الفتنة الكبرى للإنسان بترك الدين كلية؛ إما إلى وادي الإلحاد واللاديني، كما يسمونه أو الانتقال منه إلى دين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، هذا ما حدث لبعض مهاجري الحبشة، كما جاءت الروايات الدالة على ذلك ونموذجه عبيد الله بن جحش.

أخرج ابن إسحاق عن عُروة، قال: (خرج عُبيدُ الله بنُ جحشٍ مع المُسلمين مُسلمًا، فلمّا قدم أرض الحبشة تنصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمُسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فتّحنا وصاصاتُم، أي قد أبصرنا وأنتُم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعدُ. وذلك أنّ ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنّظر صاصا قبل ذلك، فضرب ذلك له ولهم مثلًا: أي أنّا قد فتّحنا أعيُننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعيُنكُم فتُبصروا، وأنتُم تلتمسون ذلك)[1].

= الإسلام ﷺ، وترجع خطورة هذا النوع من الافتتان إلى أنه مع عنصر الوقت وفتح باب الشبهات مع عدم وجود الرأي الإسلامي الصحيح الصريح قد يؤدي بالمسلم إلى الدخول في الإنكار، وخاصة لما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو الدخول في دائرة التكذيب لما صدر عن النبي ﷺ، أو ربما يترتب عليه الخروج من الدين كلية.

(١) الرواية عند ابن إسحاق إسنادها صحيح إلى عروة بن الزبير، لكن الرواية مرسلة.
سنده صحيح رواه ابن حبان (الزوائد - ٣١٢) أخبرنا ابن خزيمة، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، حدثنا الليث عن ابن مسافر عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة.. وعروة وابن شهاب الزهري مرًّا معنا كثيرًا.. أما ابن مسافر فاسمه: عبد الرحمن بن خالد بن مسافر المصري ـ أمير مصر ـ قال تلميذه الذهلي عنه: ثبت. قال ابن معين: كان على مصر، وكان عنده عن الزهرى كتاب فيه مائتا حديث أو ثلاث مائة كان الليث يحدث بها. وقال العجلى والدارقطني: ثقة، وقال ابن يونس: كان ثبتا في الحديث. التهذيب ٦/ ١٦٢، وقال الحافظ: صدوق، والأولى أن يقول: ثقة. وسعيد بن كثير بن عفير صدوق عالم بالأنساب. ينظر: التقريب ١/ ٣٠٤، وهو من شيوخ البخاري ومسلم، وبقية الرجال أئمة ثقات.

وأخرج ابن سعد عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: (قالت أُمُّ حبيبة: رأيتُ في النّوم عُبيد الله بن جحشٍ زوجي بأسوأ صورةٍ وأشوهه ففزعتُ. فقُلتُ: تغيّرت والله حالُهُ. فإذا هو يقول حيثُ أصبح: يا أُمّ حبيبة إنّي نظرتُ في الدّين فلم أر دينًا خيرًا من النّصرانيّة وكُنتُ قد دنتُ بها. ثم دخلتُ في دين مُحمّدٍ ثم قد رجعتُ إلى النّصرانيّة. فقُلتُ: والله ما خيرٌ لك، وأخبرتُه بالرُّؤيا التي رأيتُ لهُ، فلم يحفل بها وأكبّ على الخمر حتى مات، فأرى في النّوم كأنّ آتيًا يقول: يا أُمّ المُؤمنين. ففزعتُ فأولتُها أنّ رسول الله يتزوجُني... الحديث)[1].

هل تنصر عبيد الله بن جحش؟

اختلف أهل العلم في قضية ارتداد عبيد الله بن جحش، وهل تنصر أم لا؟

وقد ذهب الدكتور محمد بن عبد الله العوشن إلى القول بعدم نصرانيته في كتابه ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ودلل على ذلك بعدة أمور:

١ـ أنها لم تُرو بسند صحيح متصل، فالموصول من طريق الواقدي، والمرسل جاء عن عروة بن الزبير، ولا يمكن أن تحتج بالمرسل (عند من يرى الاحتجاج به) في مسألة كهذه، فيها الحكم على أحد السابقين الأولين بالردة.

٢ـ أن الروايات الصحيحة في زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم حبيبة لم تذكر ردة زوجها السابق، كما في الرواية السابقة عند أحمد وأبي داود والنسائي.

٣ـ أنه يبعد أن يرتدّ أحد السابقين الأولين للإسلام عن دينه، وهو ممّن هاجر فرارًا بدينه مع زوجه إلى أرض بعيدة غريبة. خاصة أن عبيد الله بن جحش ممن

(١) سبق تخرجه في الكلام على المساندة والدعم الأسري وختام القول فيه ما ذكرته سابقًا، أن القصة وإن ضعف إسنادها لكن إيرادها وذكرها في كتب السير والتراجم يشعر بأن لها أصلًا، والله أعلم.

هجر ما عليه قريش من عبادة الأصنام، والتماسه مع ورقة، وغيره الحنيفية.

٤ـ في حوار هرقل مع أبي سفيان ـ وكان إذ ذاك مشركًا ـ أن سأله ضمن سؤالاته: (هل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فأجاب أبو سفيان: لا)، ولو كان عبيد الله قد تنصر لوجدها أبو سفيان فرصة للنيل من النبي ﷺ ودعوته، كما فعل لما سُئل (فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أُدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة)، ولا يمكن القول بأن أبا سفيان لم يعلم بردة عبيد الله ـ لو صحت ردته ـ لأنه والد زوجه أم حبيبة[١].

قلت: والتحقيق أنه تنصر، وذلك للأسباب الآتية:

١ـ مجموعة الروايات (المرسلة والموصولة) التي تسند وتعضد بعضها بعضًا في هذا الشأن، منها: رواية ابن إسحاق، وابن سعد، والحاكم في المستدرك[٢]، وإن كانت الرواية المرسلة عن الزهري وعروة قد وصلها الدارقطني والبيهقي، وعقب عبد الرزاق وهو أحد رواتها على موته على النصرانية، ففيه قال الرّماديُّ: كذا قال عبدُ الرّزّاق: (وإنّما هو عُبيدُ الله بنُ جحشٍ الذي مات على النّصرانيّة)[٣].

---

(١) ينظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص ٤١، وما بعدها.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢١، حديث رقم: (٦٧٦٨)، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا عبد الله بن أبي أسامة الحلبي، ثنا حجاج بن أبي منيع، عن جده، عن الزهري، قال: (فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أسد خزيمة، فمات عنها بأرض الحبشة، وكان خرج بها من مكة مهاجرًا، ثم افتتن وتنصر).

(٣) الدارقطني ٤/ ٣٨٠، حديث رقم: (٣٦٠٨)، قال: نا عبد الله بن محمد بن زياد، نا أحمد بن منصور، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري عن عروة عن أم حبيبة، والبيهقي في دلائل النوبة ٣/ ٤٦٠ من طريق ابن المبارك عن معمر به.

٢ـ أن الروايات التي جاءت بعكس هذا أي أنه مات ولم يرتد وأنه أوصى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتزوجها، كرواية ابن حبان، وابن خزيمة (عن عائشة قالت: هاجر عُبيدُ الله بنُ جحشٍ بأُمّ حبيبة بنت أبي سُفيان وهي امرأتُه إلى أرض الحبشة، فلمّا قدم أرض الحبشة، مرض، فلمّا حضرته الوفاةُ، أوصى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتزوج رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ حبيبة، وبعث معها النجاشيُّ شرحبيل بن حسنة)[١]. فهي رواية شاذة وإن كان ظاهر الإسناد الحُسْن، فإن فيه عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي، قد خالف من هو أوثق منه عن الزهري، قال الدكتور أكرم ضياء العمري في تحقيقه: (لكن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي ـ صدوق ـ خالف بزيادته هذه معمرًا ويونس عن الزهري وهما أوثق منه، ويرى النسائي أن رواية ابن مسافر عن الزهري في طبقة رواية ابن أبي ذئب عن الزهري، التي قيل: إنها عرض، وقيل: مناولة دون سماع؛ فإن مسألة الوصية لا تثبت حديثيًا)[٢].

٣ـ مجيء بعض الروايات بلفظ: (الهلاك) كما عند الدارقطني، وأبو بكر النيسابوري في الزيادات على كتاب المزني[٣] من طريق عُروة عن أُمّ حبيبة أنّها كانت عند عبيد الله بن جحشٍ فهلك عنها، وكانت ممّن هاجر إلى أرض الحبشة فزوَّجها النجاشيُّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عندهم بأرض الحبشة.

قلت: ولفظ الهلاك في الغالب لا يقال في المسلم الذي يموت على الإسلام، إنما يحمل على من ارتد أو بدل دينه فاللفظة معضده لموته على النصرانية.

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٣/ ٣٨٦، حديث رقم: (٦٠٢٧)، قال: أخبرنا ابن خزيمة، قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، قال: حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، قال: حدثنا الليث، عن ابن مسافر، عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة.

(٢) ينظر: السنة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري ١/ ١٧٦.

(٣) ينظر: الزيادات على كتاب المزني، ص٤٧٧، حديث رقم (٤٤٢).

٤ـ إجماع أهل التاريخ على كونه مات على النصرانية حرر ذلك ابن القيم نقلًا عن ابن الجوزي قال: (أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبيد الله ابن جحش، وولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة، ثم تنصر، وثبتت أم حبيبة على دينها)[١].

٥ـ قال بموته على النصرانية معظم مَن كتب في السيرة النبوية وخاصة من أهل الحديث الذين يهتمون بالرواية الحديثية في كتاباتهم؛ كابن إسحاق، وابن كثير، وابن القيم، والبيهقي، وابن الجوزي، وابن حزم، ومحب الدين الطبري، وابن سيد الناس، وابن جماعة، والسهيلي، وغيرهم[٢].

٦ـ قول الأكثرية من شرّاح الحديث والفقهاء بذلك، كالخرائطي في هواتف الجنان، وعبدالغني الأزدي في الرباعي في الحديث، وشرف الدين المقدسي في كتاب الأربعين، وعبدالرحمن ابن عساكر في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، والمزي في الأحاديث الصحاح والغرائب، وابن حجر في فتح الباري، والبدر العيني في نخب الأفكار، والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح، وابن هبيرة في الإفصاح، وأبو الوليد القرطبي وغيرهم[٣].

---

(١) ينظر: جلاء الأفهام، ص١٣٢.

(٢) ينظر: المصادر على التوالي: السيرة النبوية، لابن إسحاق، ص٢٥٩، السيرة النبوية، لابن كثير ٣/ ٢٧٤، تهذيب السنن، لابن القيم ٦/ ٧٤، دلائل النبوة ٣/ ٤٦٠، كشف المشكل، لابن الجوزي ٤/ ٤٣٠، جوامع السيرة، لابن حزم، ص٢٨، خلاصة سير سيد البشر، لمحب الدين الطبري، ص١٢٧، عيون الأثر، لابن سيد الناس ٢/ ٣٧٣، المختصر الكبير في سيرة الرسول، ص١٠١، الروض الأنف، للسهيلي ٢/ ٢٣٠.

(٣) هواتف الجنان، ص٣٩، الرباعي في الحديث، ص٢٥، الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين ١/ ٤٢٣، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، ص٤٥، الأحاديث الصحاح =

٧ـ لم يذكره أحد في الصحابة ممن ألف في الصحابة من السادة العلماء كعبد الباقي بن قانع، والبغوي، وابن الجوزي، وابن عبد البر، وأبو نعيم، وابن الأثير، وابن حجر، فهذا شبه إجماع من مؤلفي تراجم الصحابة على كونه ليس صحابيا ويقوي كونه مات على النصرانية.

٨ـ أما قول الدكتور محمد بن عبد الله العوشن: (بأن الروايات الصحيحة في زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم حبيبة لم تذكر ردة زوجها السابق، كما في الرواية السابقة عند أحمد وأبي داود والنسائي).

قلت: وهذا لا يقوى كدليل على نفي الأمر، فلا يشترط عدم ذكر ردة زوجها في أحاديث زواجها منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كونه لم يحصل، بل الأصل وما عليه كثير من الروايات في المنهج النبوي الإعراض عن مثل هذه الأمور وعدم ذكرها، كما أن المناسبة لا تقتضي ذلك، والأصل جمع الروايات في الباب الواحد والموضوع الواحد فيتجلى بعضها ببعض.

٩ـ وأما قول الدكتور في قضية حوار هرقل مع أبي سفيان: (ولا يمكن القول بأن أبا سفيان لم يعلم بردة عبيد الله ـ لو صحت ردته ـ لأنه والد زوجه أم حبيبة). فقد ردت عليه بردود كثيرة أبرزها ما ذكره ابن حجر في فتح الباري وخاصة للتفرقة بين الارتداد والنقص، فقال: (لا مُلازمة بين الارتداد والنّقص؛ فقد يرتدُّ بعضُهم ولا يظهرُ فيهمُ النّقصُ باعتبار كثرة من يدخُلُ وقلة من يرتدُّ، مثلًا قولُه سخطةً له يُريـدُ أنّ من دخـل في الشّيء على بصيرةٍ يبعُدُ رُجوعُه عنهُ، بخلاف من لم يكُن ذلك من صميم قلبه، فإنّه يتزلزلُ بسُرعةٍ، وعلى هذا يُحملُ حالُ من ارتدّ من

= الغرائب، ص ١١٠، فتح الباري ٨/ ٢١٨، نخب الأفكار ١/ ١٦٦، مرقاة المفاتيح ٥/ ٢١٠٢، الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/ ٢٥٠، المقدمات الممهدات ٣/ ٣٥٥.

قُريشٍ، ولهذا لم يُعرّج أبو سُفيان على ذكرهم وفيهم صهرُه زوجُ ابنته أُمّ حبيبة وهو عُبيدُ الله بنُ جحشٍ، فإنه كان أسلم وهاجر إلى الحبشة بزوجته ثم تنصّر بالحبشة ومات على نصرانيّته، وتزوج النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ حبيبة بعدهُ، وكأنّه ممّن لم يكُن دخل في الإسلام على بصيرةٍ، وكان أبو سُفيان وغيرُه من قُريشٍ يعرفون ذلك منهُ، ولذلك لم يُعرّج عليه خشية أن يُكذّبوهُ، ويحتملُ أن يكونوا عرفوه بما وقع له من التّنصُّر وفيه بُعدٌ، أو المُرادُ بالارتداد الرجوعُ إلى الدّين الأول ولم يقع ذلك لعُبيد الله بن جحشٍ ولم يطّلع أبو سُفيان على من وقع له ذلك)[1].

والخلاصة من مجموع ما سبق (مختصرا) يثبت كونه مات على النصرانية وهذا يدفعنا إلى الكلام على خطورة هذه القضية قضية الافتتان الديني أو العقدي.

ولنرجع إلى الروايتين عند ابن إسحاق وابن سعد رحمهما الله تعالى، فقد أوضحت الروايتان أحد تلك المخاطر التي أصابت واحدًا من أفراد الوجود الإسلامي ـ لأسباب سأوضحها ـ افتتن في دينه وتركه بالكلية كما بينت، ولنقف على بعض الإشارات المهمة في هذه الرواية، ومن ثم نتكلم على تطبيقات ذلك في الواقع المعاصر:

ـ توضح الروايتان ما يلقاه الإنسان في البيئة الجديدة من أمور تؤدي إلى افتتانه إذا لم يأخذ حذره، ويجمع شمل أمره، ويلزم وجوده الإسلامي في الوطن الجديد.

ـ تؤكد الرواية الأولى على أنه لا يأمن إنسان ـ مهما كانت قدراته وقوته ـ على دينه ونفسه إن لم يجاهد نفسه في طاعة ربه، ويستمسك بتعاليم دينه، ويقوي صلته بربه عَزَّوَجَلَّ ومنهجه وإخوانه، آخذًا بعوامل الدفع القوي، غير مستبعد نفسه من الفتن وقوعًا فيها أو تأثرًا بها.

(١) ينظر: فتح الباري ٨/ ٢١٨.

ـ وتدفع الرواية الأولى التوهم في الركون إلى سوابق العمل والإنجاز سلمًا ومعتمدًا وحيدًا في النجاة، فليس معنى أن الإنسان ما دام أسلم، وأوذي في دينه، وهاجر فارًّا به، ولقي في دين الله الشدائد، أن يتكأ بعد الوصول إلي أرض هجرته على كل ذلك فقط، تاركًا العهد الذي قطعه على نفسه، والبيعة التي عقدها بين يدي نبيه ﷺ، فالمدار على الالتزام والحرص والاستمرار في العمل، ودليل ذلك كلامه ودعاؤه ﷺ الدائم، فعند أحمد عن النّواس بن سمعان الكلابيّ يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلبٍ إلا وهو بين أُصبُعين من أصابع رب العالمين، إن شاء أن يُقيمه أقامهُ، وإن شاء أن يُزيغه أزاغهُ»، وكان يقول: «يا مُقلب القُلوب ثبت قُلوبنا على دينك، والميزانُ بيد الرّحمن يخفضُه ويرفعُهُ»[1].

ـ والروايتان يُستدلّ بهما أيضًا على مآلات ترك وانعزال المسلم عن الوجود الإسلامي في بلده وموطنه، وتوضحان أيضًا خطورة الاندماج الكامل مع المجتمع الجديد دون تقييد إطلاق أو تحييد محظور، ما يجعل منوال واستمرار ذلك نهايته وخيمة، وفتنته شديدة وشيكة، سرعان مع ضعف الإيمان وسطحية الإسلام في قلبه أن يخرج منه.

ـ أبرزت الرواية الأولى مآلات الافتتان في الدين على الوجود الإسلامي؛ من عدم اقتصار المَفتون على نفسه في اختياره، وأنه لا يبرح يَفتن غيرَه، فيكون مِعولًا للهدم فيهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهذا أخطر ما في الأمر، وهو سيرة معهودة في أهل الفتن والبدع، فلا يرقد جفنهم ولا تكلّ حركتهم من السعي فيهم بفتنتهم، ومحاولتهم الدائمة لاستقطاب الواحد من المسلمين إليهم، وعبيد الله بن جحش قام بهذا مع الجالية المسلمة، كما وضحت الرواية.

(١) قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ـ كذا بينت الرواية الأولى أهمية اللحمة والحضور المستمر للوجود الإسلامي مع بعضهم، وأن الفتن العظام يتجاوزها المجموع بما لا يستطيع أن يتجاوزه الفرد بمفرده منها، وكل ذلك دليل ما ذكرته سابقًا من أهمية الحضور الاجتماعي بين الوجود الإسلامي.

ـ وضحت الرواية الأولي أيضًا اللغة التي يستخدمها المَفتنون مع الوجود الإسلامي، وهي لغة استهزائية ساخرة؛ يحاول من خلالها الكِبر والاستعلاء على مخالفيه، ورميهم بالدونية وقصر النظر، وعدم إدراكهم ما أدرك من المعارف والثقافة، وادّعاء العقل والفكر السليم لنفسه دون غيره، وهي لغة متكررة من كل صاحب فتنة، ولا يملك غيرها، لضعف دليله وانعدام برهانه، وهذا الأسلوب يجب الانتباه إليه والتأكيد الدائم على بُهتانه وعواره.

ـ يجب أن نسجل أيضًا ردود الفعل من الوجود الإسلامي مع المُفتتن في دينه، وهو ردٌّ يدل على فهم لإسلامهم، وإدراك كبير للتعامل المحمود والسلمي حتى مع مَن خرج من بينهم وانقلب عليهم، فلم تؤثر الرواية تعنيفًا ولا سبابًا وتجريحًا منهم له، ولا مقابلة لاستهزائه وغطرسته بمثل ذلك، بل السكوت والإعراض والتجاهل كان لغتهم ونهجهم، وهما من لغة القرآن الكريم، وفعل النبي الأمين ﷺ.

ـ يجب أن نؤكد ـ كما في الرواية الثانية ـ على أهمية دور الزوجة الصالحة مع زوجها في دعمها الدائم له على الخير والصلاح، ومحاولتها المستمرة في إثنائه بكافة السبل عن هذا الأمر، الذي لا يُحمد عقباه ويلحق به الشرور في الدنيا والآخرة، فأم حبيبة رضي الله عنها حاولت من خلال كلماتها ورؤيتها أن توضح خطر ما نواه زوجها وعزم عليه، موضحة له مآلات الأمر من خلال دينها، وفهم أهمية التمسك بالمعتقد أولًا، ومن خلال تعبيرها لرؤياها ومنامها ثانيًا.

أسباب هذا الافتتان:

لعل الروايتين تجلّي لنا بعضًا من أسباب هذا الافتتان، وهي كما يلي:

ـ مخالطة المخالف ومن كانوا على دينه السابق مخالطة تامة دون احتراز معهم في أمور العقيدة من المساس بها، وترك تفعيل الإنكار القلبي واللساني على ما يخالف الإسلام من أقوال وأفعال.

ـ الاعتماد في ترك الدين على رؤية المرء القاصرة القائمة على الهوى، أو التفكير السطحي المنحرف غير المستند على البرهان والدليل، دون اعتماد الوحي والتماس أنواره، وكذلك عدم تفعيل المنطق الواضح والفكر السليم.

ـ عدم تمكن حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قلبه ومحبة ما جاء به، وخطابه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه المجرد يبرهن أن قضية الارتباط الأخوي والمحمدي كان ضعيفًا جدًّا عنده، أو كان مزخرفًا لا حقيقيًّا.

ـ ترك الجماعة المسلمة والعزلة والابتعاد عنهم وعن وجودهم وأماكن التقائهم، ما يكون له تأثيره السلبي مع الوقت إلى الركون إلى بديل ربما كان له من وسائل وعوامل الافتتان ما يجذبه نحوه ويتماشى معه.

ـ الابتعاد عن المنهج الإسلامي القائم في هذا الوقت على الارتباط الوثيق بالوحي والتعبد، والذي يضاف له الآن التثقيف الشرعي والترسيخ العقدي، ما جعله في دائرة الالتباس الدائمة والشك الحاصل معه لم يخرج منه إلى جنة اليقين قال ابن هشام: (وأمّا عُبيد الله بنُ جحشٍ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المُسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأتُه أُمُّ حبيبة بنتُ أبي سُفيان مُسلمةً، فلمّا قدمها تنصّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هُنالك نصرانيًّا)[1].

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣.

ـ حب الشهوات والملذات وخاصة تلك التي كان عليها قبل إسلامه، وسمحت له جاهليته بالإتيان بها دون إنكار أو محاسبة.

ـ عدم إنكار المحرمات من قلبه ودفع محبتها منه، وانعدام رؤية ما وراء تحريمها من مقاصد عالية، تؤثر في الأخلاق والأقوال والأفعال تهذيبًا وجمالًا.

ـ تمكن الأمراض القلبية من المفتون تمكنًا كبيرًا مثل الكِبر والتحاسد والحقد والاستهزاء ورؤية النفس، وغير ذلك ما يكون عاملًا أيضًا من العوامل المساعدة على الافتتان.

ـ إغلاق باب النصيحة وقبولها حتى من أقرب الناس له، وعدم تقبله للحوار البناء، وأخذ القرار دون مراجعة ومشاورة معتمدًا في ذلك على نفسه ورؤيته.

ـ غياب لغة الإنصاف عند المفتون في جميع جوانبه على نفسه، وعلى الحق والاعتراف به، وعلى نبيه وشمائله وغير ذلك.

ـ البيئة المجتمعية المتحررة غير المقيدة لشيء ـ ولو كان ضارًا بالإنسان بدنيًا وعقليًا وسلوكيًا، الداعمة لكل انفتاح غير منضبط أخلاقيًا وسلوكيًا، المضيعة بتجاوزاتها لأفرادها حالًا ومآلًا.

فهذه بعض أسباب الافتتان التي تستنبط من قصة عبيد الله بن جحش، وإن كان هناك غيرها لكن نستطيع أن نجزم أن ما ذكر من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الافتتان في الدين بنوعيه الكلي والجزئي، والواقع المعاصر دليل على ذلك، عصمنا الله تعالى من الفتن وشرورها ومآلاتها، وحفظ علينا عقدة ديننا غير مبدلين ولا مضيعين.



(٤)
المضايقات الفردية من أبناء البلد المضيف للوجود الإسلامي

من الصعوبات التي واجهت الوجود الإسلامي في أرض الحبشة هذه المضايقات التي تحدث مع أبناء الوجود الإسلامي من بعض أفراد البلد المضيف، وهو أمر لا يسلم منه مجتمع مع المهاجرين واللاجئين، غير أن نسبته تختلف من بلد لآخر، وتعدّ قديمًا هذه الأعمال أعمالًا فردية، وحديثًا غالبًا ما تكون راجعةً لتوجه جماعي أو لوبي يميني متطرف، وهذا الأمر يرجع لأسباب أذكرها بعد التعليق على هذه الرواية التي تدل على بعض المضايقات التي واجهت أبناء الوجود الإسلامي:

قال ابن إسحاق: (حدثني بعض أهل العلم أنّ فتيّةً من الحبشة قد رأوا رُقيّة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي هُناك مع زوجها عُثمان بن عفّان، وكانت فيما يُقالُ أجملُ وأحسنُ البشر[1]، وكانوا يقفون إليها ينظُرون إليها .....

(١) يشهد لجمالها وحسنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديث أخرجه ابن عساكر من طرق متعددة عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي، قال: حدثني أبو المقدام مولى عثمان بن عفان أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلًا بلطف إلى عثمان ورقية، فاحتبس عليه الرسول فقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إن شئت أخبرتك ما حبسك**»، قال: نعم. قال: «**وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما**». وقال ابن عساكر: وهذا مع انقطاعه أصح مما قبله. ينظر: تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٢، حديث رقم: (٧٧٤١).

ويُدركلون[1] لها إذا رأوها عجبًا منها حتى آذاها ذلك من أمرهم، وهم يتقون أن يُؤذون أحدًا منهم للغُربة، ولما رأوا من حُسن جوارهم، فلمّا سار النجاشيُ إلى عدوه، ساروا معه فقتلهم الله جميعًا لم يُفلت منهم أحد)[2].

ومما يذكر في هذه المضايقات الفردية ما حدث أيضًا مع عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما عند ابن أبي شيبة والبيهقي أنّ ابن مسعودٍ، (لمّا أتى أرض الحبشة أُخذ في شيءٍ فأعطى دينارين حتى أخذ سبيلهُ).

قلت: ويشهد لهما بشكل عام حديث أسماء بنت عميس مع عمر بن الخطاب تصف فيه ما تعرضت له السيدة رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعرض له عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والوجود الإسلامي كله قالت: (كلا والله، كُنتُم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطعمُ جائعكُم، ويعظُ جاهلكُم، وكُنّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وايمُ الله لا أطعمُ طعامًا ولا أشربُ شرابًا، حتى أذكُر ما قُلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحنُ كُنّا نُؤذى ونُخافُ... الحديث).

قلت: في هذه الرواية بعض الرسائل المهمة:

١ـ منها أن المهاجرين يواجهون أحيانًا من أبناء البلد المضيف بعض المضايقات والاعتداءات التي تعكر صفو السلم المجتمعي، وتزيد من حدة التوتر

(١) قال ابن منظور: دركل: الدركلة: لعبة يلعب بها الصبيان، وقيل: هي لعبة للعجم معرب؛ قال ابن دريد: أحسبها حبشية معربة، وقال أبو عمرو: هو ضرب من الرقص. وقال الأزهري: قرأت بخط شمر، قال: قرئ على أبي عبيد وأنا شاهد في حديث النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه مرّ على أصحاب الدركلة فقال: جدوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة. ينظر: لسان العرب ١١/ ٢٤٤.

(٢) سيرة ابن إسحاق، ص٢١٨، وذكره السهيلي عنه بمعناه في الروض الأنف ٣/ ١٢٢.

بين المهاجر وأبناء البلد ما يعوق تفعيل الاندماج والمواطنة بشكل سليم.

٢ـ وفيه أيضًا ما يدلّ على ذكر بعض المعاناة للمهاجرة المسلمة من خلال التعرض لها بما يضايقها أو يجرحها، ما قد يصل إلى تقييد حرية خروجها وتنقلها، وربما يورث مخافة من الخروج دون زوجها.

٣ـ توضح الرواية تفكير وتخطيط هؤلاء الصادين المؤذين من أصحاب السلوك السيئ في التضييق على المهاجر بشكل عام والمرأة بشكل خاص بوسائل متعددة، من الوقوف لهم، والتعرض لطريقهم تضييقًا عليهم، وإطالة النظر الجارح للعفيفة من المسلمات، وتعمدهم بما يؤذيها بجارحة العين، وكذلك المضايقات بالرقص أمامها، أو اللعب من حولها، وهذا بعض وسائل التحرش القديمة الحديثة مع المسلمين والمسلمات الأطهار.

٤ـ توضح الرواية أيضًا تكرار هذه المضايقات، فهو نهج مستمرٌّ عليه من هؤلاء، يكررونه بأساليبهم المختلفة، ما يدفع كون هذا الأمر عارضًا أو غريبًا، وهذا بطبيعة الحال ينم عن تقاعس في الحفاظ على الأقليات المسلمة، أو عدم تفعيل القانون المتعلق بحماية الأجانب وعدم التعرض.

٥ـ تكمن خطورة هذه المضايقات التي تواجه الوجه الإسلامي من بعض أبناء البلد بالسكوت عليها دون محاسبة قانونية، قد تفتح بابًا لتكرار مثل هذه الأفعال المشينة، بل واتساع انتشارها، وتهييج لغيرهم من الشباب على الإتيان بها، بل ربما التنوع في أساليبها.

٦ـ كذلك الرواية تؤكد غياب الرد الإسلامي وخاصة من الأزواج في هذا الأمر، وقد فسرت الرواية أسباب ذلك في أمرين أساسيين: غربة المسلمين وقلتهم من جهة، وأخلاقهم وحسن جوارهم للبلد وأهله، وردًا لجميل حاكمهم الذي

أحسن استقبالهم ورفض تسليمهم من جهة أخرى.

٧ـ تؤسس الرواية لبيان مكانة وعلو الجانب الأخلاقي عند المهاجرين، وأنهم لا يردون الإساءة بمثلها، ويملكون من سمائية التعامل بالحسنى، وحفظ الجميل، وضبط النفس ما يجعله مثلًا عاليًا لكل مهاجر يثبت أركان وجوده بحسن أخلاقه، ويتبع قدوته، ويعرّف الآخر جانبًا من روائع دينه وإسلامه.

٨ـ وفي الرواية أيضًا ما ينبغي أن نؤكد عليه من نصرة الله عَزَّوَجَلَّ لعباده الصالحين وضعفاء أمة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمهاجرين أصحاب الأخلاق والسلوك الجميل، وأنه معهم يمكر لهم ويدافع عنهم.



أسباب مضايقات الوجود الإسلامي وكيفية التعامل معها في الواقع المعاصر

تتعدد أسباب المضايقات وصورها للوجود الإسلامي في بلاد المهجر، وهي متحدة في كثير منها بين القديم والمعاصر، وإن زادت بعض الأسباب في الوقت المعاصر، نقف عليها، ومن ثم نحاول أن نتلمّس طرق العلاج من خلال المهاجرين الأُوَل:

الأسباب تتعدد وتكمن في النقاط التالية[1]:

١ـ الجهل بالوجود الإسلامي جهلًا كاملًا بدينه، وأعرافه، وهويّته، وأخلاقه، ما يورث العدائية المبنية على هذا الجهل، (والمرء عدو ما يجهله).

٢ـ الآلة الإعلامية المغذية لهذه المضايقات، والمفعّلة لها بأشكال مختلفة، وعلى فترات متلاحقة.

٣ـ الاستضعاف الذي يعيش فيه المهاجرون، والذي تتنوع أسبابه، وهذا الاستضعاف ـ للأسف الشديد ـ حاضرٌ في كافة أنواع المشاركات في البيئة الجديدة المدنية، والاجتماعية، والسياسة، والحقوقية، وغيرها.

(١) ليس شرطا أن تكون هذه الأسباب مجتمعة في بيئة واحدة قديمًا أو حديثًا، بل إن البيئات والأفراد والأفعال تختلف نسبتها ووجود هذه الأسباب فيها وجودًا وعدمًا، لكنها في النهاية هي أسباب مرّ به الوجود الإسلامي على مدار القرون كأقلية في بلاد غير مسلمة.

٤ـ إبراز عوامل الاختلاف بين الوجود الإسلامي والوطن الجديد على حساب المشتركات المجمعة، وهذا الاختلاف بطبعه يُفرز حالةً من العدائية والغضب المتصاعد، ويجعل لغة النقد الهدّام المشبع بلغة الكراهية والحقد تقوى وتتسع.

٥ـ استشعار الوجود الإسلامي وإشعاره الدائم بأقليته؛ ما يجعل إعطاءه شيئًا حسنًا هو في دائرة المنّ عليه، وسلبه أشياء هو أمر طبيعي لقلة أفراده، ومعاملته كضيف منزوع الحق من المطالب والحقوق.

٦ـ غياب القانون وتطبيقه في بعض البيئات، أو بمعنًى آخر وجوده مع عدم تفعيله على أرض الواقع، وخاصة هذه القوانين التي تضمن الحريات، والكرامة، وحقوق الإنسان، ما تطلق بغيابها ميدانيًّا يد هؤلاء الذين تصدّوا للوجود إيذاء ومضايقة واعتراضًا.

٧ـ المخاوف الشديدة غير المدروسة التي تلحق بأي وافد جديد على بيئة الإنسان والمتعددة في أسبابها ما بين هويته، وسلوكه، ودينه، وإفساده وصلاحه، ما تدفع إلى التحامل عليه وسوء الظن به ورميه بالتهم والادعاءات الباطلة.

٨ـ مرض الاستقواء الذي يعتري بعض الأفراد أحيانًا ما يدفعهم لإيجاد ميدانه للشعور به وتفعيله على أحد، وغالبًا يكون مع المستضعفين في الأرض من المغتربين والأقليات، وأسباب هذا المرض كثيرة منها: الشعور بالنقص الداخلي الذي يحاول صاحبه تعويضه بهذا الاستقواء، أو محاولة لتمديد ومعايشة فترة تاريخية من سلفه وبيئته كانت تحمل الانتصارات وتلحق الهزائم بالعدو، أو لكون هذا المغترب قد جاء من بيئة كانت معها صراعات سابقة مع بلده المضيف، فيعيد المعتدي إلى دائرة الصراع معه، وغير ذلك.

٩ـ وجود بعض الأفعال السيئة من بعض أبناء الوجود الإسلامي مما تؤدي

إلى انطباع سيئ، وتخل بنظرة الآخر للوجود الإسلامي والمغترب ككل، وتجعل الجميع في موطن التهمة، وتدفع ـ ظلما ـ إلى تعميم الحكم من خلال هذه الأفعال على كل الوجود الإسلامي.

١٠ـ غياب مفهوم العيش المشترك بين المواطنين والمغتربين، ورؤية الحياة فقط من منظور أحادي إقصائي لا يقبل بوجود الآخر معه، ما يدفعهم لهذه المضايقات والاعتراضات.

١١ـ غياب الإيمان بالغيب الذي هو طبيعي لانتفاء الإيمان والإسلام عنده، ما يجعله ينظر إلى قضية الأرزاق على أنها قضية مادية بحتة، وأن هذا الوجود الإسلامي وأفراده جاء للاستيلاء والمزاحمة عليها، وتضييق أبوابها ودواخلها ما يورث خوفًا على حياته ورغد عيشه، فيدفعه لكراهية المغترب ومن ثم إلى المضايقات له ومحاولة إقصائه.

١٢ـ العدائية الدينية عند بعضهم المتولدة من قراءة خاطئة عن الإسلام، أو ما يبث من بعض رجال الدين، أو استحضار الحقبة التاريخية التي كانت الصراعات فيها ترفع شعارات دينية أو تقودها الكنيسة في الغرب كالحروب الصليبية، وغير ذلك.

١٣ـ غياب الجانب الأخلاقي والسلوكي والتربوي عن بعض الأفراد الناجم عن سوء التربية أو انعدام وقلة التدين، ما يجعل مَن يخالفه أو يأتي بما ليس عليه عاملًا في الحقد عليه، والكراهية له والنيل منه، لإشعاره بما ليس فيه أو غياب تلك الجوانب عنه.

١٤ـ العنصرية البغيضة المبنية على اللون أو العرق أو اللغة أو غير ذلك، وهذه من أهم الأسباب

١٥ـ النظرة الدونية للوجود الإسلامي على أنهم هربوا أو خرجوا من بلادهم بغية رغد العيش والأمن، وغير ذلك من النعم والأهداف ما يجعلهم في صورة الأُجَراء والعمال والعبيد الذين وفدوا إلى بلادهم لطلب الخير فيها، وبالتالي فيتعامل هؤلاء مع المغتربين على أنهم أصحاب البلاد السامحين للمغتربين بالعمل عندهم.

١٦ـ رؤية الوجود الإسلامي على أن قدومهم قدوم الغزاة أو المحاربين عندهم، وهذا بطبيعة الحال يرجع لأسباب عرقية أو دينية أو تاريخية عند المعتدي والمعترض.

١٧ـ الخطاب العنصري والتمييزي الذي يتحدث به أحيانًا بعض الساسة والرؤساء وولاة الأمور في تلك البلاد عن المغتربين أو الأقليات بشكل عام ما يغذي هذه المضايقات عند بعض الأفراد، بل ويعطي ضوءًا أخضر أحيانًا في حرية التصرف والتعامل السيئ مع المغتربين.

١٨ـ القراءة الخاطئة للقوانين المنظمة والمختصة بالأجانب ووجودهم وتطبيقاتها الميدانية المبنية على الازدواجية ما يشعر المغترب بعدم المساواة، وأنه مواطن من الدرجة الثانية، وكذلك يشعر المواطن من أبناء البلد بالتمييز، فينمي عند بعضهم النظرة الفوقية والشعور بالاستعلاء، وهذا يترجم إلى مضايقات واعتداءات عند بعضهم.

١٩ـ تبنّي بعض هؤلاء أفكارًا عدائية حقدية تنسب لشخص معين، أو قيادي سابق في أحد هذه البلاد، ويحاول من خلال أفعاله إحياءها والسير عليها.

وبعد: فهذه بعض الأسباب التي تدفع المضايقين والمؤذين وأصحاب الأجندات الخبيثة واليمين المتطرف، وغيرهم من القدوم على الأذى للمغتربين بشكل عام

والوجود الإسلامي بشكل خاص، وكما قلت: قد يتوافر بعضها وقد تجتمع أو تنعدم تبعًا للدول وتركيبة أهلها والأوطان والسياسات وقوة قانونها، وغير ذلك.

طرق التعامل مع هذه المضايقات:

١ـ يجب أولًا أن يفقه الوجود الإسلامي أسباب هذه المضايقات والدوافع إليها، فإن الوقوف عليها جزء من الحل وتقليل كثرتها، وحسن تفاديها والتعامل معها.

٢ـ ينبغي أن نغير من الأسباب الدافعة إلى هذه المضايقات والاعتداءات، وخاصة بما يتعلَّق بنا نحن أبناء الوجود الإسلامي من عوامل التغيير إلى الأحسن، ورسم الصورة الصحيحة عنا.

٣ـ وأيضا ينبغي أن نفعل ما فعله المهاجرون الأُوَل من التحلِّي بالصبر، والرويّة وضبط النفس، والإعراض عن هذه الأفعال الصبيانية.

٤ـ يجب أن تضبط ردود الأفعال إلى أعلى مستوى، فلا يحدث مع الفعل انجرار يضيع حق الوجود الإسلامي في المطالبة بالمحاسبة وعقاب الجاني والمعتدي.

٥ـ تفعيل خلق حسن الجوار الذي فعله المهاجر الأول وأكد عليه انطلاقًا من تعاليم دينه، وتوجيهات نبيه ﷺ، واحترامًا للبلد المضيف وردًّا للجميل على ما قدّموه لهم.

٦ـ يجب أن يعلي الوجود الإسلامي من دولة القانون، وتفعيل القوانين وتطبيقاتها بشكل كامل وواسع، فلا يكون الردّ على مثل هذه الاعتداءات خارجًا عن دائرتها، أو بعيدًا عن السلطات القضائية والتنفيذية في تولي مهامهم في الموطن الجديد، وبالطبع لا يستوي مع المعتدي في خروجه عنها.

٧ـ ينبغي أن يفكر الوجود الإسلامي بشكل مستمر ويفعل بالأساليب المتنوعة قضية التعريف به وبإسلامه، ليزيل بذلك كثيرًا من المخاوف الدافعة إلى هذا الاعتداء، ويدفع عن أصحابها الجهل والفكرة الخاطئة عنه وعن وجوده.

٨ـ هذه الأسباب أيضًا تفرض على الوجود الإسلامي تفعيل فقه الاجتماع والاتحاد بين أبنائه، وهذا قد سبق الكلام عليه بصور متعددة، ومن ثمراته تقليل هذه الاعتداءات وخفة حدتها، فكلما قويت لحمته وقوي اتحاده ووجوده، كلما كان حاجزًا عن النيل منه أو المساس بحقوقه التي يكفلها له قانون البلد ودستوره.

٩ـ ينبغي أن نفعّل الإعلام البديل وندعمه، وكذلك الإعلام المنصف المهتم بقضايا الأقليات والوجود الإسلامي ما يكون منبرًا حقيقيًّا لبيان حقائق الوجود الإسلامي وسماته، ومقابلًا للإعلام المضلل والمغذي لهذه الاعتداءات، والمؤسس للكراهية والحقد بين الجميع.

١٠ـ دعم الأحزاب والمؤسسات المدنية الداعمة لحقوق الإنسان والمدافعة عن الأقليات والمغتربين، ما يعزّز عملها ويقوي حضورها ويجني ثمرتها على المغتربين جميعًا، ومنهم الوجود الإسلامي.

١١ـ مخاطبة المسئولين والسياسيين دائمًا بحقوق الأقليات وتفعليها، وتغيير خطاب بعضهم الحامل للغة التمييز والتهميش.

١٢ـ تفعيل مزيد من العيش المشترك، وترسيخ أوجه المواطنة بين الوجود الإسلامي وأبناء البلد، وعدم الانعزالية التي تُثير المخاوف والفتن.

١٣ـ التطوير الذاتي المستمر للوجود الإسلامي على كافة المستويات؛

مما يقوي من وجوده، ويفعّل من حضوره، ويصحّح من النظرة الخاطئة له والأفكار المغلوطه عنه.

١٤ـ استخدام الوسائل السلمية المشروعة والمكفولة قانونًا؛ (كالمظاهرات ـ والوقفات السلمية) للتصدي لكل اعتداء، وكذا لتوصيل اعتراضهم واستنكارهم لوسائل الإعلام وأجهزة الدولة؛ لعدم السماح بهذه الأمور، أو وضع خطة لتجنبها، والله أعلم.



(٥)
غياب المشتركات
بين الوجود الإسلامي والبلد الجديد

من الصعوبات والمعوِّقات التي تقابل الوجود الإسلامي في أي بلد كان فيه أقلية أو وفد إليه؛ غياب المشتركات بينه وبين البلد المضيف التي هاجر إليها واستوطن فيها؛ وهذه المشتركات الغائبة قد تكون بطبيعة الحال دينية، أو عرفية، أو قانونية، أو متعلقة بأسلوب الحياة وتنظيمها عامة، أو طرق تعايش الأفراد فيها، وغير ذلك؛ وقد مرّ المهاجرون الأُوَل بهذا عندما وقفت العوائق في طريقهم بغياب المشترك بينهم وبين البلد المضيف، فماذا فعلوا، وكيف تعاملوا؟

وقبل الجواب على هذا السؤال: ينبغي أن نبين منهج المهاجرين الأُوَل في نجاح هجرتهم ونيل احترام الآخر لهم في هذه النقطة بالتحديد:

أولًا: حرص المهاجرون من أول يوم إلى إعلاء المشترك بينهم وبين البلد المضيف شعبًا وحكومةً، وتجلّت هذه النقطة في أكثر من موقف منها:

١ـ صفات الملك والحكم، وقد بينا أسباب اختيار النبي ﷺ للحبشة وملكها، وأنه قد حمل من الصفات الدافعة من العدل والمصداقية والنزاهة واحترام الآخرين...إلخ ما كان واضحًا بقوة في ثناء النبي ﷺ عليه، والصحابة على النجاشي بين يديه وفي غيابه.

٢ـ حديث جعفر بن أبي طالب عن الإسلام ونبي الإسلام وتركيزه في عرضهما والتعريف بهما على المشترك الإنساني والفطري المتعارف عليه والمُسلَّم له من أي عقل سليم وفطرة سوية.

٣ـ مشترك الحكم العادل والإنصاف الكائن في شخصية النجاشي والمتماشي بطبيعة الحال مع رسالة الإسلام وسمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد دفعهم ذلك إلى الانتقال إلى الشبيه بنبيهم من حيث عدله وإنصافه، وأيضًا وجود الشبيه في بيئة الإسلام مع بيئة الحبشة آنذاك؛ من احترام الوافدين، وحسن التعامل معه.

٤ـ إعلاء مشترك الأهداف الاجتماعية التي جاء بها الإسلام من: (الأمن ـ الوقوف مع الحق ـ نصرة المظلوم ـ دعم المصلح ـ نبذ الفرقة ـ نشر المعروف والجميل من العادات والتقاليد ـ إنكار القبيح والمذموم ـ المعايشة والمخالطة بالحسنى ـ الحرية الدينية... إلخ)، وكل هذا قد سبق الحديث عنه، وهو من مكامن المشترَكات التي أعلاها المسلمون المهاجرون في خطابهم وأعمالهم ما يجعل دائرة المشترَك بينهم وبين بلاد المهجر هو الأساس والأشمل في الأقوال والأفعال والتوجهات.

٥ـ أهمية الجهر بالمشترَكات دائمًا والتأكيد عليها، وهذا كان دأب المهاجرين الأُوَل وسلوكهم في كل ما صدر منهم بين يدي الحاكم من جهة، والمجتمع من جهة أخرى.

لكن ماذا لو غابت بعض المشترَكات، وكيف تعامل المهاجرون الأُوَل معها؟ وما الذي يُستفاد من فعلهم وتعاملهم إذا حدَث ما يشبعه أو يماثله في الواقع المعاصر؟

حدث هذا المعوِّق للمهاجرين الأُوَل وقامت أجهزة الإعلام المضاد السالف الحديث عنها على بيان غياب هذا المشترك وإظهار أن الوجود الإسلامي لا يتماشى

مع بيئة الحبشة، ولا يمكن أن يكون جزءًا منها أو مندمجًا معها، وقد تمثّل غياب المشتركات هنا عند المهاجرين الأُوَل في: (نفي التحية بالسجود للملك ـ والقول الحق في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ففي الحديث: (فقال جعفرٌ: أنا خطيبُكُمُ اليوم. فاتَّبعوه حتى دخلوا على النجاشيّ فلم يسجُدوا لهُ! فقال: ما لكُم لا تسجُدون للملك؟ فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث إلينا نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرنا ألا نسجُد إلا لله. فقال النجاشيُّ: وما ذاك؟ فأخبر، فقال عمرو بنُ العاص: إنّهم يُخالفونك في عيسى! قال: فما تقولون في عيسى وأُمّه؟ قال: نقولُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: هو روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشرٌ ولم يفرضها ولدٌ).

ويشهد له ما جاء في رواية أم سلمة: (فقال جعفرٌ: أنا خطيبُكُمُ اليوم فاتّبعوه حتى دخلوا على النجاشيّ، فلم يسجُدوا لهُ! فقال: ما لكُم لا تسجُدون للملك؟ فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث إلينا نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرنا ألا نسجُد إلا لله). وفيه: قالت أُمُّ سلمة: (فما نزل بنا قطُّ مثلُها، قالوا: قد عرفتُم أنّ عيسى إلهُه الذي يعبدُ، وقد عرفتُم أنّ نبيّكُم جاءكُم بأنّه عبدٌ، وأنّ ما يقولون هو الباطلُ، فماذا تقولون؟ فقالوا: نقولُ بما جاء من الله ورسوله).

قالت: (ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاهم فلمّا جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرّجُل إذا جئتُموهُ؟ قالوا: نقولُ والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كائنٌ في ذلك ما هو كائنٌ...).

وقد تعامل المهاجرون الأُوَل؛ جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأسلوب راقٍ مع الآخر عندما غابت المشترَكات، وهذا من تكوينهم وفهمهم، فلم يخسروا ثوابتهم ومعتقدهم، وفي نفس الوقت لم يتجاسروا على ثوابت الآخرين.

وفيما يلي بيان أسلوب المهاجرين الأوائل في أرض الحبشة عند غياب هذه المشتركات من خلال ما جاءت به الروايات:

١ـ من الروايات نفهم من عوامل ترسيخ المواطنة عدم إيثار الأمور المختلف عليها ابتداء، أو نشرها في مجتمع المهجر جهرًا، أو الإعلان الدائم بها في كل محفل، فإنَّ هذه الأمور لم يقم بها المهاجرون الأُوَل، ولم يعلنوا بها في مجتمعهم الجديد، والأسباب في هذا كثيرة وأهمهما في فهمي: هو إبراز السلم المجتمعي بعدم مناحرة القوم بالمختلف عليه معهم ولا تسفيه معتقدهم، وثوابتهم، وأعرافهم، خاصةً أن ثوابتنا وديننا نستطيع أن نقوم بها بين أنفسِنا خير قيام دون من يُعارضنا ولا يحول بيننا وبين أمورنا، ولذلك لم يتطرّق جعفر وأصحابه إلى هذه المختلفات إلا بعد أن أثيرت الفتن وطلب الحضور والمثول للتوضيح.

٢ـ يجب التروي والتشاور واستحضار الخطاب والبيان الذي ينطق به المتحدث عن الوجود الإسلامي بالمختلف عليه، فلا مجال للفردية ولا الارتجالية، لكون تبعات الأمر ما لم يحسن البيان والتصرف تؤدّي إلى عواقب وخيمة، أو إقرار وتثبيت فكرة خاطئة قد تبقى وتتوارث وتنتشر عند الآخر عن الوجود الإسلامي، وربما كانت هي العنوان عندما يكون الوجود في الأحداث أو المشاورات عند الساسة وصانعي القرار، فجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمشورته ورؤيته مع الوجود الإسلامي تشاوروا في الأمر وترووا فيه واتفقوا جميعًا على فحوى البيان الذي سينطق به جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ـ ما إن دُعينا إلى التوضيح فلا بديل في مثل هذه الأمور عن الحوار الذي يجلّي الشبهات ويوضح المنطلقات والثوابت، فلا يجوز عند غياب المشترك ودعوة التوضيح، أن نغلق باب النقاش، أو نرجو عدم فتح مجال لبيان الأمر، أو نطرح الفكرة الإسلامية بعناد وعنف، ولذلك انطلق جعفر بحوار هادئ وفعال.

٤ـ الأدب في الحوار سمة أصيلة في حوار جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ينم من خلاله على تمكنه وإلمامه بموضوع الحوار، وكذا يدلل من خلال أدبه احترام الآخرين في ثوابتهم ومعتقداتهم، ومعلوم أنه ينال بالحوار والرفق والأدب ما لا يكون بغيرهم، فلا كلمة تجرح، ولا استخفاف يظل، ولا طعون في الآخر تتقدم

٥ـ عدم وجود مجال للمداهنة أو التورية في أمر المعتقد وبيان حقيقة ما جاء به الإسلام بأسلوب مهذّب وتعريف حقيقي ينم عن احترام وتعظيم معتقده وثوابته وتمسكه بهما مع انتقاء الأسلوب الذي يجمع بين هذا وبين احترام حرية الآخرين، قال الدكتور أكرم ضياء العمري: (ومما يبعث على العجب والإكبار لموقف المهاجرين بيانهم لعقيدتهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بصراحة ووضوح، رغم مخالفتها للنصرانية السائدة في الحبشة)[1].

٦ـ عند الحديث عن الأمور المختلف عليها ينبغي أن يكون الكلام والحوار عنها مفصلًا؛ فهذا موضوع لا يُعرف الإجمال في الطرح مما قد يزيد اللبس، ويوغر الصدر، بل التفصيل هنا أساسي لأنه يجلي الشبهة، ويغير المفهوم ويلقي بظلال الاعتراف والاحترام إذا لامس فطرة سليمة وفكرًا راجحًا، ولذلك فقد فصّل جعفر في بيان إسلامه وثوابته وما نزل به من أسئلة ببيان وتفصيل، بل قد أوجد لعدم وجود المشترك في التحية بديلًا عظيمًا في بيان عظم تحية المسلمين وأنها تحية أهل الجنة ـ معتمدًا على قضية الإيمان بالغيب عند الآخر التي أشرْنا إليها في أسس الاختيار ومنطلقات التوجه إلى الحبشة ـ مما يخفف وطأت الأمر وغضب الملك والحاشية، وهذا يؤسس فكرة فقه البديل إذا غاب فقه المشترك فقد فقال جعفر: (وأمّا شأنُ التّحيّة فقد حيّيناك بتحيّة

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ١/ ١٧٤.

رسول الله ﷺ، والذي يُحيّي به بعضُنا بعضًا، أخبرْنا رسولُ الله ﷺ أنّ تحيّة أهل الجنّة السّلامُ، فحيّيناك بالسّلام، وأمّا السُّجودُ فمعاذ الله أن نسجُد إلا لله، وأن نعدلك بالله، وأمّا في شان عيسى ابن مريم فانّ الله عزّ جل أنزل في كتابه على نبيّنا أنّه رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ، ولدته الصّدّيقةُ العذراءُ البتولُ الحَصانُ، وهو روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم، وهذا شأنُ عيسى ابن مريم، فلمّا سمع النجاشيُّ قول جعفرٍ أخذ بيده عودًا ثم قال لمن حولهُ: صدق هؤُلاء النّفرُ وصدق نبيُّهم، والله ما يزيدُ عيسى ابنُ مريم على ما يقول هذا الرّجُلُ ولا وزن هذا العود).

٧ـ ينبغي أن يكون الكلام على ثوابتنا مسندًا إلى منهجنا وأدلة شرعنا من الكتاب والسنة، وفي ذكر جعفر رضي الله عنه أن الآمر بعدم السجود هو رسول الله ﷺ، كما قال رضي الله عنه: (إنّ الله عزّ وجلّ بعث إلينا نبيّه ﷺ، فأمرنا ألّا نسجُد إلا لله عزّ وجلّ).

أمر في غاية الأهمية من جهتين:

الأولى: تذكير الوجود الإسلامي وأفراده جميعًا بأن مردّ هذه الثوابت إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وقوة الإسناد إليهما تثبيتٌ لهم، وتذكيرٌ بأساس اعتمادهم، ووجوب اتباعهما، وعدم الحياد أو التنازل عنهما.

الثاني: إيضاح الصورة للآخر على أن هذه الثوابت ليست من طرح رؤانا وأفكارنا، وليست من اجتهادات أفرادنا، الأمر الذي يجب أن يقدم عند البيان منعًا من الرمي للأفراد بافتعال الأحداث المتأزمة غير المشتركة، أو تعمدهم ترك ما تعارف واعتاد عليه القول فيبرءون من ذلك لقدسية النص، وكذلك لغلق باب لا يحتمل معه تقليلًا لشأنها، أو مساومةً عليها، أو طرحها للنقاش على مجريات المحدثات تغييرًا، أو تأويلًا، أو تأخيرًا، أو تحييدًا، أو تركًا، لأنه دين.

٨ـ لا ينبغي من الوجود الإسلامي طرح كل الأمور المختلف عليها في لقاء دُعي إليه أفراده أو المتحدث باسمه، فإن هذا مما يضيع فكرة إعلاء المشترَكَات أو استبعاد وجودها أصلا، فليس من الحكمة أن تتحدث المرجعية الإسلامية في قضايا كثيرة جملةً واحدةً، أو طرح كل ما هو مختلف عليه مع الآخر مما لم يفتح مجالًا للحوار، أو يُستدعى للمراجعة فيه والسؤال عنه، فجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتكلم هنا إلا على ما طرح عليه وأثير اللغط حوله.

٩ـ التأكيد على أن عدم وجود المشترَكَات في بعض الأمور لا يعني العدائية، ولا عدم التعايش المحمود، ولا خطورة في ذلك على الملك والنظام العام في الدولة وقانونها؛ لأن غالبية هذه الأمور منوطة بفعل الفرد بنفسه، وقيامه عليها لا يعني تأخره عن مجتمعه ولا حياده عن قوانين وطنه، وهذا الذي أثبته الوجود الإسلامي واقعًا عمليًّا على مدار مدة بقائهم في أرض الحبشة، ما نال إعجاب الجميع بعد ذلك بحسن سيرهم ومواطنتهم.

١٠ـ التأكيد على حرية المعتقد والدين، وأن هذا أقره الإسلام والقانون في أي بلد من البلاد العادلة، فلا حمل على معتقد، ولا تسلط على الأفراد من منطلق عقدي، أو بيئي، أو أي شيء آخر.

١١ـ الانتقال السريع بعد الحدث إلى تأكيد المواطنة والتفاعل المحمود، وبيان أن وجود عدم المشتركات في بعض الأمور لا يعكر صفو العيش بين المسلمين وغيرهم بالسلوك العملي والأخلاقي.



(٦)
الملاحقات العدائية

وهذا من أكبر المعوِّقات التي قابلت الوجود الإسلامي وميدانه ـ كما سبق ذكره ـ ما حدث من رسولَي قريش وبلاط الملك معهم، وتكرار محاولتهم للنيل منهم والحيلولة بينهم وبين أمنهم وبقائهم وهذا له مقصده، قال الدكتور أكرم العمري: (وقد ذكرْنا الحديث أن مبادرة قريش لإرسال وفد لاستعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة تدل على إدراكها لخطورة الموقف إذا ما حصل المسلمون على مأوى لهم يأمنون فيه، والحبشة نصرانية، وملكها عرف بالعدل، وهي قريبة من مكة، وكل ذلك يشكِّل خطرًا على قريش في المستقبل)[1].

يقول الدكتور منير الغضبان: (ويجب ألّا يغيب عن الذهن طبيعة المعركة بين الإسلام والكفر، وأنها عملية بقاء أو فناء، فلم ترض قريش بخروج أكثر أصحاب محمد ﷺ عنها، رغم نأي الحبشة وبعدها، ولم تسكت، إنما راحت تلاحقهم إلى هناك، خشية امتدادهم وقوتهم، وتحاول أن تنزع هذا الموقع منهم في تخطيط محكم ذكي، فالهدايا إلى النجاشي، والهدايا إلى بطارقته، ووضع الخطة داخل مكة، كيف توزع الهدايا، وماذا يرافق التوزيع من الكلام، ونوعيات الرسل في ذلك، فعمرو من أصدقاء النجاشي، وهو قادر على تأدية الدور الفعال في هذه

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ص١٧٥.

المهمة، وما أحوجَنا إلى ألّا نستصغر عدوَّنا، وألّا ننام عن مخططاته، وأن نعطيه حجمه الحقيقي وندرس كل تحركاته، لنعرف كيف نواجه هذه التحركات)[1].

قلت: ويجب أن ننتبه هنا إلى عدة نقاط:

١ـ أن الملاحقات العدائية لها صور متعددة، فمن خلال حدث الهجرة إلى الحبشة، قد تبدأ تلك الملاحقات من أعداء الوطن الأصلي خارجيًّا وتستعين بأشباههم من الداخل كما هنا، وقد تبدأ من الداخل فقط بما يحمل بعضهم من بغضٍ للوجود الإسلامي بينهم، وأسباب هذا البغض متعددة كما نراه من أحزاب اليمين المتطرف في بلاد الغرب، أو تبدأ خارجيًّا وتنتهي داخليًّا، ويكون دور الخارج دورَ المحرض في صورة الناصح الخائف على أمن واستقرار الوطن الجديد، وهو أبعد عن ذلك.

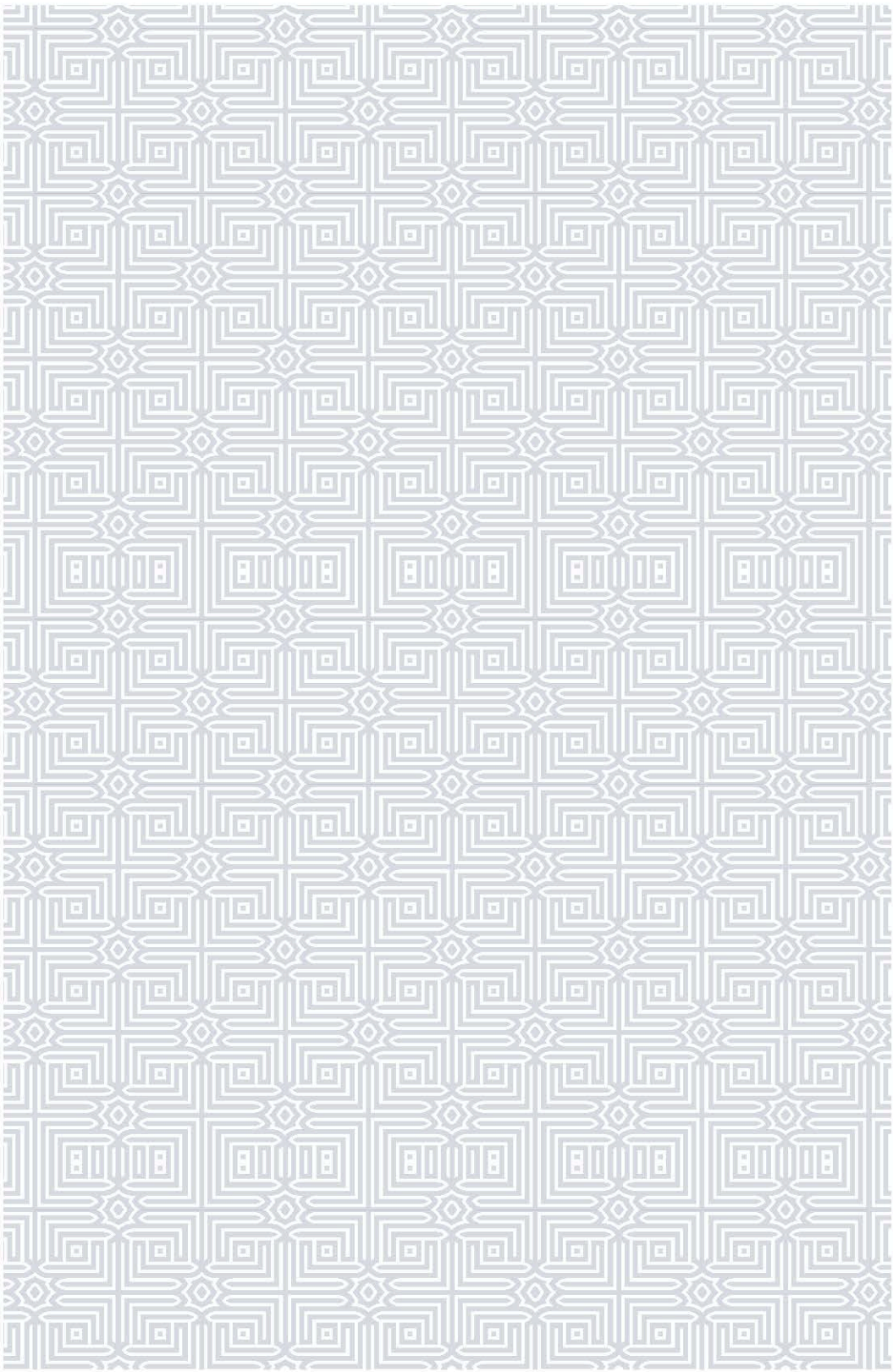
٢ـ أن الأساليب والملاحقات لا تتوقف ولا تتراجع قد تخبوا أحيانًا وقد تزداد أحيانًا أخرى، كلما جاءت فرصة أو حدث يخدم أصحابها، قاموا بها محاولين قلب الحق والحقيقة، والنيل من أهلها، وعليه فيجب أن يكون الوجود الإسلامي على استعداد تام ومدرك تمامًا لما يكون على أرض واقعه، ويهدد استقراره، ويجب أن يتحد الوجود الإسلامي ـ كما اتحد جعفر والصحابة ـ في مواجهة ذلك وأن يخاطب بالحق والحقيقة كل فرد في الدولة ومؤسساتها تنصف وتعدل كما أنصف وعدل النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ـ أننا لا ننكر الملاحقات لأي فرد أو جماعة إذا كانت هذه الملاحقات حقيقية في مقصدها موافقة للحق الذي لا غبش معه ولا شك، والمقررة بالدين والإنسانية والفطرة السليمة والقوانين العادلة، فلا معارضة حينئذ، بل الوجود

(١) ينظر: فقه السيرة النبوية، ص٢٣٥.

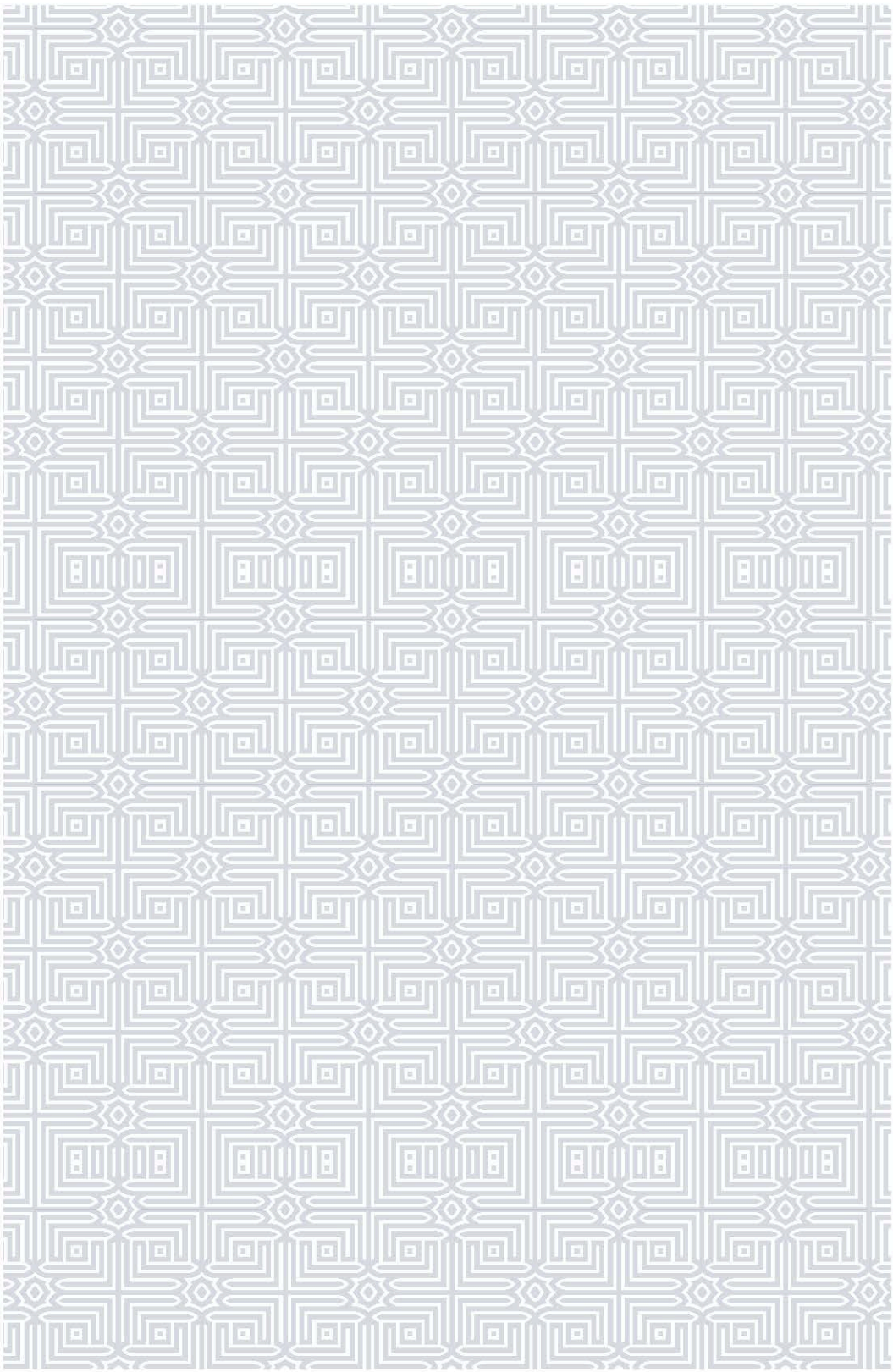
الإسلامي مطالب بالإعانة على تحقيق ذلك، لاستقرار الأمن والوطن والأفراد والممتلكات، وقد ظهر ذلك منهم عندما تعرض بعضهم لمضايقات، كما حدث مع عمرو بن العاص بعد إسلامه، فلاحقوا العناصر الفاسدة التي تهدد استقرار الوطن وتنشر الفساد في المجتمع، وهذا ما أقره الإسلام وجاء به حيث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله من آوى مُحدثًا**»(١).

(١) أخرجه مسلم في (كتاب: الأضاحي)، (باب: من ذبح لغير الله)، (٣/ ١٥٦٧)، حديث رقم: (١٩٧٨)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمحدث بكسر الدال فهو من يأتي بفساد في الأرض.



الفصل الخامس

معالم الحضور والعيش
بين الوجود الإسلامي والآخر في الحبشة



(١)
فقه التعامل مع المضيف

في هذا الفصل أتطلع إلى إبراز معالم الحضور والتعامل بين الوجود الإسلامي والبلد المضيف بعد أن أبرزت معالم الحضور بين المسلمين أنفسهم في البلد الجديد، وأنه الأصل الذي يجب أن يُكوّن ويُرسّخ لتكون المنطلقات سليمة صحيحة مع الآخر في التعامل المثالي، ففاقد الشيء في نفسه من الصعب أن يرسخه أو يمشي به في الآخر، وقد رسّخ المهاجرون الأُوَل هذه المعالم والأسس فيما بينهم، ووضعوا للمغتربين اللبنة الأولى في كيفية التعامل مع الآخر في بلاد المهجر، وكانت لبنتهم هذه مع صغر نواتها إلا أنها عظيمة الأثر في تبعاتها، وفتحت بما قدّموه مجالًا رحبًا في التعامل مع بلاد المهجر والاغتراب.

وفي هذا الفصل أرسم ما قدمه المهاجرون الأُوَل مع البلد المضيف من معالم حضورهم وفقه تعاملهم، وكانت لوحتهم المنحوتة بطيب حركتهم مرتكزة على أساسين:

الأساس الأول: ما صدره الوجود الإسلامي الأول للبلد المضيف شعبًا وحكومةً.

الأساس الثاني: ما أخذه واكتسبه الوجود الإسلامي الأول من البلد المضيف.

(٢)
الأساس الأول
ما صدره الوجود الإسلامي الأول للبلد المضيف شعبًا وحكومةً

ونحن هنا نبرز ما يجب أن يصدّره الوجود الإسلامي للبلد المضيف في بلاد الغرب من قول وحركة وفعل صدّرها المهاجرون في الحبشة، وتلك نواتهم الأساسية التي لو التزم كل وجود بها فقد كتب لنفسه ومؤسساته كل عال وفريد متميز في جميع أنواع الحضور:

أولًا: إعلان وإبراز محاسن البلد المضيف وجميل فعالهم.

أول الخطوات التي توضح معالم الحضور بين الوجود الإسلامي والبلد المضيف هو الإعلان المجهر بمحاسن البلد وجميل أهلها بين أظهر الوجود الإسلامي وفي المحافل الدولية والإعلامية مع الآخرين، وهذا الإعلان تم على ثلاثة مناحي:

الأول: نقل ما يقال عنهم قبل الانتقال إليهم: وهذا يؤخذ من ثناء النبي ﷺ عليهم كما جاء: **«فإنّ بها ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ فالحقوا ببلاده»**، وتصدير ما قاله النبي ﷺ وبثه عنهم في أرض الحبشة وعلى مسامع الناس جهرًا بما قال ﷺ ليستدل به على عدة أمور:

١ـ مصداقية ما يقال في حقهم، وأنه أبعد عن التملّق والمخادعة لنيل مطلب أو

تحقيق مصلحة؛ وأن بثه بين الوجود الإسلامي في بلادهم الأصلية كان دافعًا قويًّا لهجرتهم، واستجابة لنبيهم، وتطلعًا إلى العيش في حكم وأرض تحمل هذه الصفات.

٢ـ التأكيد على أن سيرتهم الطيبة في الصفات التي تحدث عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصلت إليه وملأت الآفاق، وهذا بطبيعة الحال ينقل الدول من المحلية إلى العالمية، ويعود عليها بكثير من المنافع من تقدم حضاري، ومكانة بين الدول، وقوة بين الشعوب، ويكون ملاذًا آمنا للمنكوبين والمظلومين ما يزيد ثروتها البشرية، وربما غير ذلك من مردود تجاري وسياحي وإنساني.

٣ـ ترسيخ المحبة بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كرئيس للمسلمين مع النجاشي كرئيس للحبشة وملكها، وهو بمثابة نقل خطاب ورسالة مشافهة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي مفادها الحب والتقدير والعرفان، وتثمين لما هو عليه من عدل وخير، والجهود التي يقدمها لأمته ولمن يلجأ إليه؛ قال جعفر: (أمرنا نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نخرُج إلى بلادك اختيارًا لك على من سواك لتمنعهم من الظُّلم)، وهو إعلان نستطيع أن نقول فيه من أعلى ما يمارس سياسيًّا وأخلاقيًّا بين بلدين أو حاكمين، وبالطبع يكون له أثره في ردود الأفعال عندما يكون المقابل في عقل وقلب وحركة النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ـ أيضًا هذا الإعلان يؤكد السبب الحقيقي في الهجرة إلى أرض الحبشة، فهم لا يبحثون عن إعانات مادية ولا مكاسب شخصية ولا غير ذلك مما يكون مصدر قلق للشعوب أو الحكومات التي تخشى على مالها ورزقها، فالإعلان في حد ذاته يزيل شبهًا ويؤكد حقيقة، ويرسخ وجودًا.

٥ـ وأخيرًا فإن إعلان ونقل الصحابة ما قيل عن الحبشة وأهلها وملكها إلى مسامعهم، يؤكد لهم ترسيخ الإعلان الدائم في خلد المهاجرين الأُوَل وعدم

نسيانه، وأنه لم ينفك عنهم ولم يغفلوا عن تلك السمات ما طال بهم الزمن، فهم وإن طالت إقامتهم لكن صورتهم عن الدولة المضيفة باقية راسخة لا يزيدها طول الإقامة إلا قوة وتأكيدا.

الثاني: إعلان ما يتناقل بين الوجود الإسلامي من شعور وعبارات عن الوطن الجديد.

وهذا ما قام به المهاجرون الأُوَل وهم في الحبشة، ولم يكن هذا فقط عند بدء مجيئهم، بل أعلنوه في أوقات متعددة وإن شئت فقل: في أمس الحاجة إليه عند بيانه، يظهر ذلك من كلام أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فلمّا قدمنا أصبنا خير دارٍ، وأصبنا قرارًا وجاورنا رجُلًا حسن الجوار، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ)، وفي رواية: (فبينا نحنُ عنده قد آمنّا، واطمئننّا قالت: فوالله إنّا على ذلك واستوسق عليه أمرُ الحبشة، فكُنّا عنده في خير منزلٍ، حتى قدمنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكّة).

وهذا الإعلان ينم على عدة صفات في الجانب الإسلامي يمكن أن نبرزها فيما يلي:

١ـ إبراز الشعور الطيب النابع من صفاء القلوب التي يتمتع بها المهاجرون الأُوَل في دار هجرتهم، ونقل هذه الصفاء والإحساس من ميدان الوجدان إلى ميدان اللسان والأركان نشرًا وإعلانًا وجهرًا وإذعانًا.

٢ـ الشفافية التي كانت راسخة في أقوال وأفعال المهاجرين الأُوَل فهم لا يجهرون بشيء ويستخفون بأشياء، أو يعلنون غير ما يضمرون، بل ميدان الصراحة والشفافية ونقل ما يدور في مجتمعاتهم ولقاءاتهم إلى الجميع ليغلقوا بهذا بابًا من القيل والقال والظن السيئ بهم، وليبرزوا جانبًا مهمًّا من جوانب تكوين شخصية المسلم في الإسلام من الشفافية والصراحة والوضوح.

٣ـ الاعتراف بالجميل وحميد الفعال والخصال، وهو مبدأ مهم في أهل المعروف والدين والإنسانية الحقيقية، خطه الإسلام خطًّا ونقشه في وحيه نقشًا[1] فلا يبخسون للناس شيئًا قدّموه إليهم، ولا يتغيظون نفاقًا عليهم لحملهم وجبر كسرهم، وهذه من أعظم السمات التي برزت في خطابات المهاجرة، ومنها خطاب أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤ـ الوفاء، ويكمن في ديمومة الخلق الجميل في المهاجرة بديمومة الإعلان عن ذلك، وعدم النسيان لعامل الزمان، فكلام أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شمل الإعلان والإقرار بما وجدوه من خير وأمن وطمأنينة من أول وهلة نزلوا فيها أرضهم، وما زال هذا الإعلان مرفوعًا وقائمًا حتى نكسة الانقلاب عليه، ثم بعد النجاة استمرّ هذا الإعلان ومضى حتى مقدمهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥ـ التأكيد على وصول ما كان يصبوا إليه المهاجرة الأُوَل من خدمات ومعاملة حسنة، وهذا التأكيد تكرَّر كثيرًا في كلام أم سلمة، وكان أعظم تلك المؤكدات القسم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ليزيل مع هذا كل شبهة مَن نقل أو تصور بسوء معاملتهم، أو بتلقي تمييز عنصري لغربتهم، وكذا ليغلق بابًا للإيقاع بينهم من المنافقين والمغرضين والمتربصين على صعيد الجانبين الإسلامي والحبشي، ولتؤكد كذلك على أن أي استثناء وقع لا محالة مع بعض الأفراد، في غير ما ذكر إنما هو أمر نادر الحدوث والوقوع، لا يضرّ في التوجه العام منهم إليهم، ولا يغير من شعور المسلمين تجاههم.

---

(١) من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، ومن السنة المشرفة ما تكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زوجه أم المؤمنين خديجة، وكذا الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويدهم على المسلمين، وكذا أبو بكر وما أعلنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضله ومنه... إلخ.

٦ـ مهم جدًّا أن يكون هذا الإعلان فحواه ومنطلقاته على المرتكزات الأساسية والكلية التي شملت جميع الوجود الإسلامي وعمهم من أمور وجدوها من الدولة المضيفة، من خيرية وأمن، ومعاملة مثالية، وجوار حسن، وطمأنينة، واستقرار، وكلها أمور مهمة ركزت عليها أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إعلانها، وهذا مهم للوجود الإسلامي التحدث به، ومهم للدولة المضيفة السماع له.

٧ـ ثم إن هذا الإعلان الحامل لكل هذه الصفات والخلال في الجانب الإسلامي ليؤكد للجانب الحبشي شعبًا وملكًا قيمة وجود هذه الجالية بينهم وهم إضافة حقيقية بأخلاقهم تضاف إلى المجتمع والدولة، ويجعل مثل هذا منطلقًا للدولة لمزيد اهتمام بهم من مزيا وجدوها وأعلنوها، بل والخوف عليهم؛ ويمكن تأكيد ذلك بما نواه أو فعله النجاشي عندما اجتمعت عليه بعض الحبشة من حمل المهاجرين على سفن، قال ابن إسحاق: (وحدّثني جعفرُ بنُ مُحمّدٍ، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشةُ فقالوا للنّجاشيّ: إنّك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه، فهيّأ لهم سُفنًا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإذا هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيثُ شئتُم، وإن ظفرتُ فاثبُتوا... الحديث)[1].

الثالث: ذكر محاسنهم والثناء عليهم خارج حدود البلد المضيف.

فإنَّ الوجود الإسلامي الأول لم يقتصر عند ذكر محاسن ومحامد البلد المضيف والثناء على حاكمها العادل داخل حدود أرض هذا البلد فقط؛ بل صاحبهم ذكرهم وثناؤهم هذا المنطلِق من صدق مشاعرهم ليعلنوا به خارج حدود البلد المضيف بل في بلادهم الأصلية وأمام مرجعيتهم الأولى وقدوتهم البشرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعند البزار عن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لمّا أتينا النجاشيّ، فأردنا

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣.

الخُروج من عنده حمّلنا وزودنا وأعطانا، ثم قال: أخبروا صاحبكُم بما صنعتُ بكُم، وهذه رُسُلي معكُم، وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّه رسولُ الله، فقُل لهُ: استغفر لي، قال جعفرٌ: فخرجنا من عنده إذا أتينا المدينة، فتلقّاني النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعتنقني، وقال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرحُ أم بقُدوم جعفرٍ؟»، ثم جلس، فقام رسولُ النجاشيّ، فقال: هذا جعفرٌ فسله عمّا صنع به صاحبُنا، فقال جعفرٌ: قد فعل بنا، وحمّلنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا اللهُ، وأنّك رسولُ الله، وقال: قُل له يستغفر لي، فدعا ثلاث مرّاتٍ، فقال: «اللهم اغفر للنّجاشيّ»، فقال المُسلمون: آمين...).

فقد تكلّم جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصدق مشاعر الوجود الإسلامي تجاه بلدهم الثاني الحبشة أمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين محاسن ما وجدوه من أهل هذا البلد المضيف وحاكمها، وأرجو أن نلتفت إلى هذه الكلمة القليلة في مبناها العظيمة في معناها: (فقال جعفرٌ: قد فعل بنا، وحمّلنا وزودنا).

ولعل التعميم والاختصار على هاتين الكلمتين تفيض بما وراءهما من معانٍ يصعب حصرها ويضيق الوقت عن سردها، فساق ما كان من النجاشي على مدار تلك الأعوام التي مرّت عليهما بكلمة: (فعل بنا)؛ ليسبح معها العقل البشري فيما لم تظهره النصوص الأولى لهذه الهجرة من مكرمات وخير وأعمال كثيرة وعظيمة قدمها البلد الثاني وحاكمها النبيل العادل للوجود الإسلامي، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وعى وأدرك ذلك فموطن التفصيل صعب والكلمة دالة على التنوع في الفعل والأخلاق وديمومة الأداء.

كما أنه أشار في الكلمة الثانية: (وحمّلنا وزودنا) بما كان من أخر العهد به قبيل انطلاق المهاجرة إلى لقاء نبيهم والعودة إلى موطن وجودهم، وهذا بمثابة إتمام واستيفاء العمل على قوته المعهودة وخلاله الفريدة، فهم إلى آخر وقت مكرمون

من النجاشي، متحمل لواجباته تجاههم، ما يبين ختم العمل منه واستحقاق استغفار ودعاء النبي له بل والصلاة عليه بعد ذلك عندما حل الأجل وانتقل إلى جوار مولاه.

ولعل ما قام به جعفر من ذكر ذلك يحمل من القيم والأخلاق والصفات في وجودهم الأول ما ينبغي الاقتداء به والسير عليه ما قاربت الدولة بحاكمها إلى ما كانت عليه دولة الأحباش بنجاشيها، كما أنه عامل مهم في بقاء خط الود والتواصل والمنافع التي تثمرها هذه الأخلاق على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والسياحية والاجتماعية... إلخ.



(٣)
إعلاء المشتركات دائمًا
بين الوجود الإسلامي والدولة المضيفة

وهذا الأمر قد بينته فيما مضى في الكلام على (أسس اختيار الوطن البديل)، وكذا عند الكلام عن (سمات الوجود الإسلامي ممثلة في المرجعية المتحدثة بلسانه، وكيف أنها أبرزت المشتركات)، كما بينته في الكلام في الفصل السابق عند الكلام عن المعوّقات التي تعوق الوجود الإسلامي.

ونذكر هنا فقط أن المشتَرَكَات كانت حاضرة في كل مناسبة ولقاء جمع بين الوجود الإسلامي والنجاشي من المشتَرَك الإنساني والمشترك الأخلاقي والمشترك الديني والرسالي مع بيان الرؤية الإسلامية بلطف وأدب واحترام وغير ذلك، كما نذكر أن حالات الاستثناء كانت الأقل والنادرة مع بيان عظيم كيفية التعامل مع ذلك عند وجودها.

(٤)

متابعة الأحداث المتعلقة بالدولة المضيفة بشكل مستمر

من أهم معالم الحضور والتعامل بين الوجود الإسلامي والدولة المضيفة هي متابعة ما يستجد على أرض الدولة من أحداث بشكل مستمر، وهذا له من الفوائد المتعددة التي نذكرها بعد أن نوضح كيف كان المهاجرون الأُوَل يرسّخون هذا المعْلم للأمة من خلال هجرة الحبشة:

ومن خلال الروايات يبرز ذلك في أكثر من موطن وزمن؛ وربما بتباعد كل موطن وزمانه، ما يدلل على وضوح هذا المعْلم ورسوخه واستمراره من أول مقدمهم أرض الحبشة حتى مغادرتها لمن غادر، وبدايته تكمن في رصدهم مقدم رسولَي قريش إلى النجاشي للوقيعة بينه وبين الوجود الإسلامي، وكذا رصد المتغيرات التي تطرأ على الدولة المضيفة، وخاصة تلك التي تتعلّق بالحالة السياسية والاجتماعية، ممثلا ذلك في رصد محاولة التعامل المجتمعي وأحداثه اليومية وخبر المرأة العجوز من ذلك، وكذا ما حدث من الانقلاب على النجاشي ودولته من ابن أخيه، ثم متابعة الأحداث الجِسام في وقتها مباشرة، وعدم الانتظار ولا الصبر على نقلها وورودها متأخرة، وهذا يكمن في نقل الزبير بن العوام الحدث حصريًّا من موقع المعركة التي دارات رحاها بين جيش النجاشي وابن أخيه، كما قالت أم سلمة: (فوالله إنّا على ذلك إذ شعب عليه رجُلٌ من قومه فنازعه في المُلك،

فما علمنا أصابنا خوفٌ أشدّ ممّا أصابنا عند ذلك ـ وفي رواية: فوالله ما علمنا حُزنًا قطُّ كان أشدّ من حُزنٍ حزنّاه عند ذلك ـ فرقًا من أن يظهر ذلك الرّجُلُ فيتبوأ منّا منزلنا ويأتينا رجُلٌ لا يعرفُ منّا ـ من حقّنا ـ مثل ما كان يعرفُ النجاشيُّ، وكُنّا ندعو ليلًا ونهارًا أن يُعزّه الله ويُظهره فخرج النجاشيُّ سائرًا إلى ذلك الرّجُل، فقُلنا: من ينظُرُ لنا ما يفعلُ القومُ؟ فقال الزُّبيرُ بنُ العوام: أنا، وكان أحدثهم سنًّا فأخذ قربةً، ففتحها، ثم ربطها في صدره، ثم وقع في النّيل وهو بينه وبينهم، ثم التقى القومُ ناحية القُصوى فهُزم جُندُ ذلك الرّجُل وأقبل الزُّبيرُ حتى إذا كان عند شطّ النّيل ألاح بثوبه وصرخ: أبشروا فقد أعزّ الله النجاشيّ وأظهرهُ، وكانت أُمُّ سلمة تقولُ: فما أذكُرُني فرحتُ فرحًا قطُّ مثله حين بدا أن يقوم قومٌ يأتوا مكّة من غير كُرهٍ).

ومن خلال هذا الحديث وغيره تظهر دلائل تؤخذ من هذا المعلم (متابعة الأحداث)، وهي كما يلي:

١ـ المعايشة الحقيقية من الوجود الإسلامي للواقع الذي انتقلوا إليه، وعدم العيش بمعزِل عن أرضهم الجديدة، ولا البقاء على هامش حياتهم فيظلوا دائمًا مهمّشين أو محمولين على نتائج الأحداث، ويظهر ذلك في حضورهم وتفاعلهم في الحدث الذي كان ربما يقلب الأمر عليهم وعلى بقائهم مع رسولي قريش.

٢ـ الوقوف الدائم على مستجدات الأمور في البيئة الجديدة ودراستها سلبًا أو إيجابًا؛ ما يجعل الوجود الإسلامي يرصد موطن الدولة وساساتها وسياستها بين الاستقرار والتغيير، وهذا واضح في أكثر من موطن من كلام أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن بطارقة النجاشي وموقفهم: (فقالت بطارقتُه حولهُ: صدقوا أيُّها الملكُ، قومُهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم). وكذا في حرب النجاشي مع ابن أخيه.

٣ـ المشاركة الميدانية للوقوف على موقع الوجود الإسلامي من هذه الأحداث تقدمًا أو تأخرًا بقاءً أم انتقالًا وهجرة؟ وهذا جعل الوجود الإسلامي دائمًا قرب الحدث وميدانه، كما في وجوده قرب المعركة الدائرة بين الفريقين.

٤ـ ورصده أيضًا مهم في تقديم الدعم المادي والمعنوي من الوجود الإسلامي في هذه الأحداث، وخاصة في المواطن الإنسانية للشعب، وكذا التأييد للحكومة العادلة التي انسجمت معهم، ووجدوا منهم تفاهمًا لمكانتهم ونصرة لوجودهم، وقد قدَّم الوجودُ الإسلامي الدعمَ المعنوي المتمثل في الصلاة والدعاء بنصرة النجاشي على ابن أخيه، كما هو المادي عند مَن رأى أنهم عرضوا المشاركة والقتال معه في الحرب.

٥ـ متابعة الأحداث عنصرٌ مهم في الاستقرار الحياتي والأمني للجميع وخاصة للوجود الإسلامي، فلا يكن مغيبًا عنها فينزل به ما لا يُحمد عقباه بهم دون استعداد مسبق منهم، فماذا لو فاز ابن أخيه على النجاشي كيف سيكون ردة فعل الوجود الإسلامي حينئذ؟.

٦ـ وهو أيضًا مهمٌّ في أخذ القرارات المصيرية المتعلقة بهم في وقت مناسب، وبعد دراسة متأنية ومشاورة بنّاءه، كما حدث في موقفهم مع النجاشي ومبعوثَي قريش.

٧ـ ديمومة المتابعة تنقل المتابع دائمًا من دائرة المتابعة إلى المشاركة في الحدث وصناعته أحيانًا، وليس فقط أن يكون ردة فعل أو مشاهدًا له، وخاصة عندما يتعلّق هذا الحدث بسلامة وطنه ودينه ووجوده.

٨ـ متابعة الأحداث كذلك تفيد في الارتقاء بقدر الوجود الإسلامي عند الدولة، واحترام تفاعلهم المشعر به المنقول إليهم، ووجودهم وحركتهم على

أرض الحدث، مما يثقل وزنهم ويعرف بوجودهم ويفهم الآخر مكانتهم ويفرض احترامهم.

٩ـ ديمومة متابعة الأحداث تفيد في أخذ القرار الصحيح؛ فالمعايشة والواقع المرصود يجعل دائمًا أهل الحل والعقد في أي وجود وحضور وخاصة الإسلامي يصل إلى قرارات سليمة في توجيهاته ومشاركاته وغير ذلك؛ لأنه نابع من استمرار قراءة الأحداث وفهم متقلبات الواقع، على عكس هذا الذي لا يعيش معهم أو يقرأ الحدث الأخير دون بقية الأحداث.

١٠ـ تفيد أيضًا متابعة الأحداث ما يُعرف بالخطوة الاستباقية ومفهومها فرض تصور الأمور أو تغيير الواقع الذي كانت عليه، فمثلا في قصة النجاشي مع ابن أخيه ماذا في جعبة الوجود الإسلامي لو فاز ابن أخي النجاشي عليه؟! ـ وهو في نظري كفوز اليمين المتطرف في أي بقعة ـ وكيف هي آلية التعامل معه من بعد؟ وهل البقاء أولى أم الانتقال، أم مراسلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمر أولًا؟.. إلخ، ما يجعل إعداد العدة من الوجود الإسلامي مسبقًا وقويًا.

١١ـ ثم إنه يفيد هذا الرصد للواقع والحدث فهم طبيعة الشعوب والحكام ورصد ما يسعدهم ويشقيهم، وما يترتب على ذلك من كيفية التعامل معهم وتقدير المسافة بينهم، مع مقدار الحدث، وتجنب مواطن صراعهم مع رسم الدور الذي سيقدمونه، كما كان المهاجرة الأُوَل في تطبيق ذلك مع النجاشي وابن أخيه، ومعلوم أن من ورائهما انقسامًا في الشعب إلى الفريقين.

١٢ـ ثم في الأخير فإن متابعة الأحداث أولى خطوات المشاركة السياسية من الوجود الإسلامي في بلاد المهجر، من دعم الأحزاب المعتدلة والدخول في لجانها وبرنامجها وتفعيل فوزها في ساحاتها الانتخابية، لما يترتب عليه من

دعم ما هو إنساني وقانوني ومشتركي، فضلًا عن مزيد توجّه وتعامل حسن مع الوجود الإسلامي، وقد بينتْ ذلك أم سلمة على لسان وجودها الإسلامي من دعم النجاشي.



(٥)
التفاعل المحمود
بين الوجود الإسلامي والدولة الجديدة

إكمالًا لما برز في قضية متابعة الأحداث وما يستدل عليها، ينبغي الوقوف على ما يكمل هذه المتابعة من ذكر جمال التفاعل بين الوجود الإسلامي والدولة المُضيفة، فقد أسس المهاجرون الأُوَل في بيئة الحبشة لكلّ مهاجرٍ يهاجر ويستوطن بلدًا نموذجًا رائعًا في التفاعل المحمود مع الدولة؛ وهذا كان حاضرًا في جميع الفاعليات التي حضرها المهاجرون الأُوَل، وقد تجلى لنا هذا التفاعل من خلالها.

ويمكن أن نركز على أهم مميزات هذا التفاعل في النقاط التالية:

ـ المصداقية: فأول مميزات هذا التفاعل يكمن في المصداقية الحقيقية الصادقة والنابعة من إيمانهم وأخلاقهم وطيب قلوبهم وشيم عروبتهم التي تعرف الجميل والمعروف وتحسب له حسابًا، والمصداقية لا تُشترى ولا تُباع ولا توهب، بل هي جوهر اجتماع صفاء القلب والسريرة مع أنوار الجوارح والعلانية، لينطلق كل هذا الشعور كالسهم إلى فؤاد الجميع، وعيونهم وتؤكد بمواقفها المتعددة هذه المصداقية النابضة.

ـ الاستيعاب: وأقصد به أن يكون هذا التفاعل مستوعبًا الوجود الإسلامي كله، وليس أفرادًا منه فقط، وهذا لا يتمّ إلا بقرب أفراد الوجود من بعضهم وتناقل هذا

التفاعل داخليًّا ونشره ورصد درجته على المستوى الجماعي منهم، والأحداث جميعًا التي مرّ بها الوجود الإسلامي الأول دلَّت على هذا الاستيعاب.

ـ **الاستمرار:** فلا بد أن يكون هذا التفاعل تفاعلًا مستمرًّا حتى نهاية الحدث لا أن يكون قويًّا في بدياته فاترًا في وسطه، متلاشيًا في نهايته، وهذا محقق من المهاجرة الأُوَل.

ـ **التعايش:** والمقصود بها أن يكون هذا الحدث معايشًا بكلية المهاجر، متفاعلًا معه عقلًا ووجدانًا وجسدًا، آخذًا الوقت الأكبر من يومه وشواغله، وخاصة في القضايا المصيرية، كما فعل ذلك المهاجرة الأُوَل في أحداث المقابلة المصيرية بين النجاشي ورسولي قريش، وكذا نزاله مع ابن أخيه.

ـ **الإعلان:** وأقصد به إظهار هذا التفاعل وإعلانه بجميع الوسائل المتاحة المشروعة بالأسلوب اللائق، مع دفع ما قد يصاحبه من رياء أو نفاق.

ـ **التكامل:** وأقصد به استفراغ الجُهد في تأكيد التفاعل من أفراد الوجود الإسلامي رجالًا ونساءً وشبابًا، مسئولين وأفرادًا، وكذا نفاذ الجعبة من وسائل متوفرة في إظهار الفاعلية من إحساس وشعور، كما ظهر في المهاجرين الأُوَل من حزن عند الاعتداء، وفرح عند النصر والبقاء، وكمشاركة جماعية من جميع أفراد الوجود الإسلامي في مشهد الحضور الجماعي لا التمثيلي، وكتوظيف لبعض أفراد الوجود الإسلامي في المتابعة والرصد، وكدعم معنوي كالدعاء والتضرع إلى الله، أو مساعدة مادية عند المحن والأحداث حتى تجاوزها.

ـ **التنوع:** وأقصد به عدم حصر حضور الوجود الإسلامي في بعض الفاعليات دون بعض، أو الاهتمام فقط بالمواطن التي تكون لها صلة بالوجود الإسلامي،

فهذا قد يؤكّد على أنانيتهم والبحث فقط عن مصالحهم ما يوغر صدر الآخر الذي لا يجد له تمثيلًا في مواطن أخرى، كما يجده في مواطنه التي تتعلّق به أو تخصه، وقد بين المهاجرون الأُوَل تنوع حضورهم في مواقف متعددة إنسانية، واجتماعية، وسياسية، ومعارك وحروب، ويمكن أن يضاف في العصر الحديث الحضور عند الفوز بالرياضة، أو تحقيق الإنجاز العلمي والتكنولوجي، وكذا الطبي والحضاري والبيئي والزراعي... إلخ.



(٦)
احترام القانون
وأهمية اللجوء إليه عند المطالب أو التنازع

من أعظم ما رسخه المهاجرون الأُوَل في الحبشة للوجود الإسلامي هو احترامهم لدولة القانون؛ ولجوؤهم إليها دائمًا عند كل مطلب أو نزاع، ومن ينظر في أخلاق ومدرسة الرعيل الأول يفهم ذلك، فهم أهل حق وسلم واحترام للآخر منذ أول وهلة، ولعل في هذه الرواية لأبي نعيم في دلائل النبوة ما يبين من أول وهلة إقامة السلم المجتمعي واحترام القوانين ليس في بلدهم الجديد فقط، بل في وطنهم الأصلي: (فقال جعفرٌ: إنّما كلامي ثلاثُ كلماتٍ: سلْ هذا الرّجُل أعبيدٌ نحنُ أبقنا من أربابنا فاردُدنا إلى أربابنا؟ فقال النجاشيُّ: أعبيدٌ هم يا عمرو؟ قال عمرٌو: بل أحرارٌ كرامٌ. قال جعفرٌ: سل هذا الرّجُل: هل أهرقنا دمًا بغير حقّه فادفعنا إلى أهل الدّم؟ فقال: هل أهرقوا دمًا بغير حقّه؟ فقال: ولا قطرةً واحدةً من دمٍ. ثم قال جعفرٌ: سل هذا الرّجُل: أخذنا أموال النّاس بالباطل فعندنا قضاءٌ؟ فقال النجاشيُّ: يا عمرو إن كان على هؤُلاء قنطارٌ من ذهبٍ فهو عليّ. فقال عمرٌو: ولا قيراطٌ)[1].

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٤٣)، حديث رقم: (١٩٣)، قال: حدثنا سليمان ابن أحمد، قال: ثنا محمد بن عمر بن خالد الحراني، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، عن عروة بن الزبير، وهذا الحديث مرسل، وفيه ابن لهيعة وهو صدوق، ولكنه خلط بعد احتراق كتبه، ولكن أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٧ بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير، وقال: رواه أحمد، ورجاله =

فهنا أراد جعفرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أسئلته الثلاثة أن يؤكِّد أنهم مهاجرون يعرفون لغة القانون والعدل والإنصاف من النفس وعدم الجور والظلم، فلا هم عبيد أبَقو من سيدهم فيجب ردّهم وإرجاعهم، ولا هم قتَلَة أصابوا دمًا بغير حق وهربوا من أولياء الدم، ومن حق القصاص والعقوبة التي تستوجب عليهم، ولا هم مغتصبون سارقون لأموال الناس فيجب عليهم قضاء، وحق واسترداد مغصوب ومال، ودلالة ذلك كانت واضحةً على أكثر من نطاق ومستوى.

ـ **فهو أولًا:** يؤكِّد من خلال هذه الأسئلة من هم؟ وما طبيعة تكوينهم وصفاتهم؟ وما الخلفية التي قَدِمُوا منها؟ والمدرسة التي تأثروا بها؟ الشيء الذي يعرف بهم، ويرسخ جزءًا من سيرهم في وجدان البلد المضيف وقادته.

ـ **وثانيًا:** يزيل أي لبس معه، ويدفع أي أذى يشير إليهم أو يقحمون فيه بعد ذلك، بل إنهم أكّدوا في أول حوارٍ لهم أن الأساس الذي حرّكهم ووجّههم إلى بلاد الحبشة، كان القانون السائد عندهم والحاكم العادل عليهم: «**لو خرجتُم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ**».

ـ **ثالثًا:** كما أن هذه الأسئلة تؤكد أن هؤلاء المهاجرين الذين تحرَّكوا نحو بلاده وسكنوها ما أخرجهم إلا غياب القانون في بلادهم التي هاجروا منها، وأنهم يبحثون عنه في كل أرض ليقيموا فيها، ويساعدوا على تقويته ويتفاعلوا في تنفيذه وإرسائه، قال جعفر: (ففررنا إليك بديننا ودمائنا، ولو أقرّنا قومُنا لاستقررنا، فذلك خبرُنا).

ـ **رابعًا:** هي أسئلة ترسّخ مفهوم الأخلاق التي عليها المهاجرة الأُوَل، وأنه

= رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١١٥، والسيرة ٢/ ١٧٩-١٨٠، وينظر: الرواية في إمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٣٩، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٤، وفقه السيرة لمنير الغضبان ١/ ٢٤٤.

إضافة مهمة إلى أي مجتمع يكون فيه، ويظهر ذلك جليًّا في وصف وإنصاف أم سلمة لرسولي قريش ـ مع كونهما عدوهما ـ عندما قالت في حق عبد الله بن أبي ربيعة ما قالت: (قالت أُمُّ سلمة: قال عمرو بنُ العاص: والله لأنبئنّهم غدًا عيبهم عندهم، ثم أستاصلُ به خضراءهم، قالت: وكان عبدُ الله بنُ أبي ربيعة أتقى الرّجُلين فينا ـ: لا تفعل فإنّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا). فلم تجور عليه في بيان ما صدر منه، بل وأنصفت في عدوهما فلم تجعلهما في مرتبة واحدة، وإذا كان هذا في العدو، فكيف بالبلد المضيف وحاكمها إنصافا وأخلاقا واحتراما؟!.

ـ **خامسًا:** ولعل هذا ما دفع النجاشي في نهاية الأسئلة أن يقدِّم عرضًا بالنيابة عنهم، لما لمس منهم من أخلاق واحترام للقانون قائلًا: (فقال النجاشيُّ: يا عمرو، إن كان على هؤُلاء قنطارٌ من ذهبٍ فهو عليّ. فقال عمرٌو: ولا قيراطٌ).

سادسًا: دلالة سوق الاعتراف من العدوّ والمتربِّص أقوى بكثير من دلالة البرهان من المدعى عليه والمنافح عن نفسه، فقد جاءت الأسئلة بأجوبة على لسان مَن توعدهم، وأراد النيل منهم لكونها اعترافًا مهمًّا يحفر في ذاكرة الحاضرين، ويسلب جولة الباطل الهزيم، وضعف الموقف سائد بعد إجابة عمرو.

وقضية احترام القانون وإرسائه في الحبشة تنوّعت في مواقف متعددة قام بها المهاجرون الأُوَل في مواطن لتأكيد الأمر منهم وتعليمًا للمهاجرين بعدهم.

١ـ نقطة الانطلاق التي صدحوا بها وبيّنوا سببَ اختيار الأرض ببيانها، وهو سبب لصيق بالقانون واحترامه وانتشار العدل في أرضه، كما قالوا: (ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نُظلم عندك أيُّها الملكُ).

٢ـ احترام ما سنَّه القانون ممثلًا في النجاشي لحماية الأقلية المسلمة من بطش أو غدر أو تعرض ولو باللسان؛ قال النجاشي: (واذهب أنت يا حزب الله، فأنت آمنٌ

من قاتلك قتلتُهُ، ومن سلبك غرمتُهُ). وقد فهم الوجود الإسلامي الرسالة وحرص على الالتزام بها، ومعرفة أن هناك جهة تشرّع وتحقّق وتحكم فيما يرفع إليها.

٣ـ وقد دفعهم ذلك إلى رجعوهم الدائم إليه عند كل مطلب أو شكاية، وهذا دليل على احترام القانون وعدم انتهاكه في أرضه، خاصة أنه طلب منهم ذلك؛ قال النجاشي: (قال لآذنه: انظُر هذا فلا تحجبه عنّي، إلا أن أكون مع أهلي، فإن كُنتُ مع أهلي فأخبرهُ، فإن أبى إلا أن تأذن له فأذن لهُ). وهذا كان انطلاقًا من أخلاقهم وفهمهم، وكذا كان توافقًا مع دعوة الدولة باحترام قانونها والرجوع إليها كما قرر.

٤ـ تنفيذ ما طُلب منهم تفعيلًا للغة القانون واحترام سيادة الدولة، وذلك في أكثر من موقف:

ـ فعند النزاع مع رسولي قريش ووفدها لجئوا إلى القانون الممثل في رئيس الدولة للدفاع عن حقهم وقضيتهم ونيل العدالة من خلال هذا النظام المتبع والقانون السائد، والحوار قد سبق مع النجاشي.

ـ ومن دلائل احترامهم للقانون أنهم لم يستطيعوا كوجود إسلامي أن يظفروا بعدوهما اللذين جاءا ليرجعا بهم، ويقلبا عليهم عيشهم وأمنهم، أو أن يتعرّضوا لهما بسوء أو بتنكيل ـ مع الكمد الشديد منهم ـ وقد كانوا أكثر منهما عددًا وقوةً، بل جل ما فعلوه عند تقرير القانون أنهم أرادوا دفعهما في عدم احترامه وتنفيذه؛ للظلم الذي حلّ عليهما منهما وقومهما، قالت أُمُّ سلمة: (فجعلنا نتعرّضُ لعمرو ابن العاص وصاحبه أن يسُبّانا فيُغرّمهما فخرجا خائبين)، ومع ذلك فالتزام الوجود الإسلامي بعدم التعرض لهما دليل على إرساء القانون وتفعيله.

ـ كما رجعوا إلي القانون عند الغرم لما أسلم عمرو بن العاص وحدث له ما حدث من بطش أصحابه الذين كانوا معه وسرقته، ما دفع جعفر إلى الإتيان إلى

النجاشي لإرجاع حق عمرو كاملًا احترامًا للقانون ولسيادة الحاكم القاضي: (فقال جعفر: انطلق فلما انتهينا إلى باب النجاشيّ نادى: ائذن بحزب الله وجاء آذنُهُ، فقال: إنّه مع أهله، فقال: استأذن لي عليه، فاستأذن له عليه فأذن لهُ، فلمّا دخل، قال: إنّ عمرًا قد ترك دينه واتّبع ديني، قال: كلا، قال: بلى، فدعا آذنهُ، فقال: اذهب إلى عمرٍو، فقُل لهُ: إنّ هذا يزعُمُ أنّك قد تركت دينك، واتّبعت دينهُ، فقُلتُ: نعم، فجاء إليّ أصحابي حتى قُمنا على باب البيت، وكتبتُ كُل شيءٍ حتى كتبتُ المنديل).

ـ والجميل أن عَمرًا نفسه الذي التمس له ما أخذ منه لم يظلم ـ بعد أن تغير بنور الإسلام ـ للقانون المنصف الذي أعاد إليه كل شيء فلم يأخذ ما ليس له، ولم يدعِ ما ليس من حقه، فهو هنا مع القانون في إرساء العدل لا الظلم والبغي ونيل ما ليس له، قال: (فلم أدع شيئًا ذهب إلا أخذتُهُ، ولو أشاءُ أن آخُذ من مالهم لفعلتُ).

ـ وهناك مواقف أخرى كان عدم التعرض هو السائد واحترام القانون هو الأساس ولو أنكر القلب: (كموقف المرأة العجوز مع فتى الحبشة ـ وكذلك نيل عبيد الله بن جحش منهم واستهزاؤه من جماعتهم ودينهم بعد ردته ـ وما حدث مع عبد الله بن مسعود في السوق من المعتدي منهم... وغير ذلك)، كلها دلالات ومواطن وبراهين تؤسس مفهوم ما ذكرناه من احترام سيادة القانون واللجوء الدائم إليه سواء في طلب شيء أو في النزاع مع أحد.

أهمية احترام الوجود الإسلامي لقانون الدولة وتفعيله:

تكمن أهمية احترام الوجود الإسلامي للقانون البلد المضيف فيما يلي:

١ـ فمن خلاله يؤكد الوجود الإسلامي على احترام البلد المضيف وتقدير سياسته ونظمه وطريقة حياته، وهذا أول عقد يبرمه الوجود على نفسه بالهجرة إلى هذه البلاد ونيل حق الإقامة فيها.

٢ـ من خلاله يتم تحقيق فقه المواطنة والعيش المشترك بين الوجود الإسلامي والبلد المضيف.

٣ـ في احترامه وتطبيقه دلالة المساواة التي يتمتع بها الجميع تحت مظلته ويقفون جميعًا على مسافة واحدة منه، وهو ما يؤكّده نظام الإسلام بين أبنائه وفي كل محفل.

٤ـ التأكيد على السلم المجتمعي الذي ينشده ويتحرك به الوجود الإسلامي، بل وينادي به في كل محفل وانتقال، وأول علامة لإرساء السلم المجتمعي هو احترام القانون[1].

٥ـ فتح مجال أكبر من خلال احترامه للتعريف بنا وبديننا ومعرفة حسن تكويننا.

٦ـ من خلاله ينال الوجود الإسلامي احترام الجميع مؤيدًا قبل معاديًا، بل ويغلق بابًا عظيمًا من النيل منا، أو من وجودنا وديننا.

٧ـ معرفة الوصول إلى الحقوق التي تطلب من الجميع والواجبات التي عليهم بشكل سلسل لا يعرف مواراة أو ضياع حق أو تمييز.

٨ـ من خلال احترامه وتفعيله يرد الوجود الإسلامي على كل شبهة تُثار حول

(١) هذا المعنى يؤكده الأستاذ سعيد حوى فقال: (يلاحظ أن مهاجري الحبشة لم يكلفوا بأية مهام دعوية على أرض الحبشة، وهذا يفتح أمامنا بابًا واسعًا في آداب المسلم إذا ما اضطرته ظروفه إلى هجرة، فإنه في هذه الحالة يسعه أن يلاحظ قوانين البلد الآخر، وألا يتدخل في شئونه الداخلية إلا بالقدر الذي يسمح به البلد الآخر، والأمر واسع فهو يدور بين رخصة وعزيمة، وللقيادة الراشدة دور في تحديد العمل المطلوب من المهاجرين على ألا يقع غدر أو نكث أو خيانة من قِبَلنا، ولئن كان رسول الله ﷺ لم يكلف جعفرًا وأصحابه بالدعوة، فإن هناك روايات تفيد أن جعفرًا قد دعا واستجيب له). ينظر: الأساس في السنة النبوية ١/ ٢٥٦.

الوجود الإسلامي، وخاصة فيما ينتقص منهم أو يستغل في تشويههم.

٩ـ دفع ما يلصق بالوجود الإسلامي من عشوائية أو همجية أو تسفيه أو عدائية، ولا يتحقق ذلك إلا باللجوء الدائم إليه وتفعيله.

١٠ـ تمكين أكبر للوجود الإسلامي، وإزالة لجميع الحواجز النفسية منه وتيسير التعامل معه، كل هذا مناط تحقيقه احترام وتفعيل القانون.

١١ـ عدم تعرض الوجود الإسلامي في أفراده للعقوبات المترتبة على مخالفة القانون؛ مما يترتب عليه من آثار سيئة تضرّ بالوجود في نفسه ومع غيره.

١٢ـ أهمية ذلك أيضًا في تربية الناشئة والأجيال المتعاقبة للوجود الإسلامي، ومزيد في تحقيق استقرار لهم ومعايشة لواقعهم وبلدهم.

وأحسب أن الوجود الإسلامي الأول أدرك هذه الأهمية جميعًا، وحصّل ثمرات ذلك من خلال المواقف المتعددة التي تدل على ما ذكرناه من تحصيل وتفعيل ومكانة.



(٧)
اجتناب ما يتصادم عندهم مع شريعتنا بهدوء

فالمواطنة والاندماج لا تعني الإتيان بكل ما يأتي به الآخر، أو العيش كأنه هو بنسخة متطابقة منه، كما قال الدكتور عبد المجيد النجار: (ولا يعني الاندماج بحال من الأحوال أن يكون أفراد المجتمع وفئاته نسخًا متطابقة في التصورات والمعتقدات والعادات، فذلك مما قد يكون عامل ضعف في المجتمع؛ إذ يفقد الثراء وينزع منه سوء الحوار الذي تتقدم به الأفكار ويؤدّي به إلى الركود بسبب التطابق، وإنما يكون الاندماج اندماجًا إيجابيًّا فاعلًا حينما يتكوّن المجتمع من جماعات وفئات متنوعة في أفكارها...)[1].

وعليه فلا يجوز لأفراد الوجود الإسلامي أن يوافقوا كل ما يعرض عليهم من أمور لا تتماشى مع معتقدهم أو أوامر شريعتهم، وهي في حقيقة الأمر أمور قليلة في جانب المشترَكَات، أو متعلقة بالأفراد لا بالنظام العام للدولة والمجتمعات، وقد بينتُ ذلك باستفاضة عند ذكر المعوِّقات التي تواجه الوجود الإسلامي في البلد الجديد، وكذا بلاد الغرب، ولعلي هنا أركز على نقطتين مهمتين:

الأولى: أن معظم هذه الأمور لا تعوق العيش المشترك والاندماج المحمود بين الوجود والبلد المضيف؛ إذ كلها متعلقة بالمعتقد، والبلد المعتدل المتعدد المعتقدات يُتيح بطبيعة الحال الحرية الدينية للجميع، ويكفل لهم ذلك نصًّا في

(١) ينظر: فقه المواطنة للمسلمين في أوربا، ص ٤٠.

دستوره حريةً وأمنًا، غير أنني هنا أؤكد على أن المهاجرين الأُوَل قد قاموا بهذا الأمر بهدوء دون مساس لمعتقدات الآخر بتجريح أو تسفيه، بل كان عنوان تعاملهم مع الآخر دائرًا بين الزيارة لدور عبادتهم، وهذا يحمل في طياته الكثير من المعاني، وبين التكلّم عنهم وعنها باحترام وطيب كلام، وهما ما جمعتاه أمَّا المؤمنين أم حبيبة وأم سلمة عندما زارتا الكنيسة الحبشية، كما عند البخاري: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (لمّا اشتكى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرت بعضُ نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يُقالُ لها: ماريةُ، وكانت أُمُّ سلمة، وأُمّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنها وتصاوير فيها).

الثاني: أن الإسلام يقرر للمسلمين البديل الصحيح الذي يرتقي بأبنائه ويحقق رضا الله عَزَّوَجَلَّ في عباده، وغاية ثالثة: أن يكون هذا البديل هو النموذج الأمثل الذي يطلب من الجميع النظر إليه ومحاولة التماس الخير فيه، وقياس ما هم عليه على هذا النموذج تقريرًا وإحقاقًا، وهو باب للتعرف على الإسلام من خلال أبسط توجيهاته أمرًا ونهيًا.

ومثال ذلك فيما يتعلق بالحبشة: ما عند البخاري من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنّا مع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذي الحُليفة من تهامة، فأصبنا غنمًا وإبلًا، فعجل القومُ، فأغلوا بها القُدور، فجاء رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر بها، فأكفئت ثم عدل عشرًا من الغنم بجزورٍ، ثم إنّ بعيرًا ندّ وليس في القوم إلا خيلٌ يسيرةٌ، فرماه رجُلٌ، فحبسه بسهمٍ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنّ لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما غلبكُم منها، فاصنعوا به هكذا»** قال: قال جدّي: يا رسول الله، إنّا نرجو ـ أو نخافُ ـ أن نلقى العدوَّ غدًا وليس معنا مُدًى، فنذبحُ بالقصب؟ فقال: **«اعجل ـ أو أرني ـ ما أنهر الدّم، وذُكر اسمُ الله عليه، فكُلوا ليس السّنّ، والظُّفُر، وساحدّثُكُم عن ذلك، أمّا السّنُّ: فعظمٌ، وأمّا الظُّفُرُ: فمُدى الحبشة»**.

فالنهي عن مدى الحبشة لعلل كثيرة، قال ابن حجر: (وقيل: نهى عنهما؛ لأنّ الذّبح بهما تعذيبٌ للحيوان ولا يقعُ به غالبًا إلا الخنقُ الذي ليس هو على صورة الذّبح، وقد قالوا: إنّ الحبشة تُدمي مذابح الشّاة بالظُّفُر حتى تزهق نفسُها خنقًا)[1].

قلت: فهنا الوجود الإسلامي إضافة مهمة للبلد المضيف ومكسب حقيقي يجب الإفادة منه، وبهذا يكون الاندماج المنشود قائمًا على التفاعل والشراكة أخذًا وعطاءً، بدلًا من حمله على مرجوح أو مضر أو اتهامه بالجمود والانعزالية والمخالفة، كما هو الحال المتماشي مع هذا الحديث في ملف الذبح والذكاة في بلاد الغرب الذي دلّت الأبحاث العلمية المنصفة ما أقرته الشريعة الإسلامية في مسألة الذبح والذكاة، قال الدكتور عبد الستار أبو غدة: (إن طريقة الذبح الإسلامية بشروطها وآدابها هي الأمثل، رحمة بالحيوان، وإحسانًا لذبحته، وتقليلًا من معاناته)[2].

(١) ينظر: فتح الباري ٩/ ٦٢٩. وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: (يشترط في صحة الذبح شريطتان راجعتان إلى آلته: أن تكون قاطعة، وألا تكون سنا أو ظفرا قائمين). وينظر: التفصيل وأقوال المذاهب هناك ٢١/ ١٩٥.

(٢) للتوسع ينظر: بحث معيار الطعام الحلال والتذكية الشرعية، للدكتور عبد الستار أبو غدة، وهو ضمن أبحاث المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، العدد الثاني والعشرون، ص٢٨٩.

(٨)
إنكار الخطأ في المجتمع
(كل ما يكدر السلم المجتمعي)

فمن أهم معالم التعامل التي يصدِّرها الوجود الإسلامي في حضوره مع البلد المضيف إنكار الخطأ المجتمعي الذي يؤدي إلى ضياع نظام الدولة وتنامي العداء وسقوط القيم ويكدر السلم المجتمعي، وغير ذلك من المآلات، مما ينبغي عدم السكوت عنه ولا التماشي معه، بل يعلن الوجود إنكاره لكل حدث من هذه الأحداث، كما فعلوا في حق المرأة العجوز وما حدث معها، أخرج ابن أبي شيبة عن أسماءُ ابنةُ عُميسٍ أنّ جعفرًا جاءها إذ هم بالحبشة وهو يبكي، فقالت: ما شأنُك؟ قال: رأيتُ فتًى مُترفًا من الحبشة جسيمًا مرّ على امرأةٍ، فطرح دقيقًا كان معها، فنسفته الرّيحُ، قالت: ويلٌ لك يوم يجلسُ الملكُ على الكُرسيّ فيأخُذُ للمظلوم من الظّالم... الحديث).

والإنكار رسالة قوية من الوجود الإسلامي للبلد المضيف تعريفًا بهم وفهمًا لسلمهم وإدراكًا لحسن أخلاقهم وتأكيدًا للحفاظ على نظام بلدهم الجديد وسمعته وقيمه الجميلة.

(٩)

اعتماد الخطاب العقلي والفطري في الحوار معهم مع الخطاب الشرعي

يجب أن نفهم أننا في بلد متعدد الجنسيات والثقافات والشرائع، لا تعرف الكثير عن ديننا وشرعتنا؛ كما أنها لا تؤمن به ولم تتعرف عليه، وما يصلح تقديمه وتصديره والاقتصار عليه في البلد الإسلامي المعهود قد لا يصلح في بلاد غير المسلمين من حوار وخطاب، بل إن من المعترف به أن الفتوى التي تختار وتقدم في بلد المسلمين تختلف عن الفتوى التي تختار في بلاد غير المسلمين للمسلمين، فعامل المكان والعُرف والبلد والقوم مهمٌّ وله أثره في الاختيارات الفقهية والفتاوى في الأحداث اليومية، كما أنه ملزم لنوعية الحوارات والخطابات البينية.

قال الدكتور محمد عمارة: (إن العقل والمنطق كانا السلاح الأول والأفعل في عرض الإسلام والدفاع عن عقائده وفي الرد على مقالات المخالفين ومقولاتهم)[1].

ومن هنا فإننا يجب أن نفهم أن الحوار والخطاب مع الآخر يعتمد على العقل والشرع معًا، بل ربما تصدر الخطاب العقلي والفطري والكوني وتقدّم قبل الخطاب الشرعي في كثير من الأحيان، وقد ساق القرآن الكريم بنفسه خطابًا

(١) العقل في الإسلام، للدكتور محمد عمارة رحمه الله تعالى، ص ١٢.

وحوارًا مع الآخر من غير المسلمين[1]، وفعل ذلك النبي ﷺ بنفسه هذا في كثير من اللقاءات الحوارية التي جمعته بالمسلمين[2] وغير المسلمين من أهل الكتاب، وغيرهم بقراءة القرآن الكريم[3].

---

(١) منه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

بل إن جل القصص القرآني التي تحاور فيها الأنبياء مع قومهم وبينت جميل دعوتهم كانت جامعة لحوارهم معهم معتمدين في إيصال المراد وتوضيح الأفكار والمعتقد على العقل تارة والفطرة تارة والكون تارة والشرع تارة أخرى، وربما تقدم هذا على ذاك والعكس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في القلب من هذا.

(٢) كما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال: «**هل لك من إبل**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها**» قال: حمر، قال: «**هل فيها من أورق**» قال: نعم، قال: «**فأنى كان ذلك**» قال: أراه عرق نزعه، قال: «**فلعل ابنك هذا نزعه عرق**».

(٣) كما أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

وكذلك حديث صلح الحديبية ينظر: مسند أحمد، حديث المسور بن مخرمة (٣١/ ٢١٢)، وحديث ضمام بن ثعلبة وسؤالاته للنبي ﷺ وإجابة النبي عليه ﷺ =

ومن التفت إلى حوار الوجود الإسلامي الأول مع البلد الجديد (الحبشة) يجد أن نشأته وبدايته كانت للخطاب العقلي والفطري ممتزجًا مع الخطاب الشرعي إن لم يكن متصدِّرًا قبله، فأجواء الاختلاف الواضح، والحريات المطلقة، والجهل بالنصوص، وتعدد القوميات، واختلاف العادات، والحضارات كل هذه عوامل تفرض تصدير الخطاب العقلي المبني على الإثراء الفكري القويم وسلامة الفطرة النقية التي لم تمتد إليها خمرة العقول، أو عبث الأيادي من أيدلوجية وحركة.

ولقد رأينا أن الخطاب الشرعي من جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جاء بعد خطاب مبناه الأساسي على العقل الواعي المتزن الفكر، المنسجم مع سلامة الفطرة النقية، وهذا من فقه إعلاء المشترَكَات، ومن ثم يأتي الاستدلال الشرعي ليؤكده ويوافقه ويعرف من خلاله بطبيعته دينًا ووجودًا، ولو حلّلنا كل خطابات الوجود الإسلامي الأول في الحبشة لوجدناه قد صدّر فيه هذا النوع من الخطاب العقلي والفطري أو ممزوجًا مع الخطاب الشرعي فقد سبق أن جعفرًا بدأ قائلا: (أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانتهُ، وعفافهُ، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ، ونعبُدهُ، ونخلع ما كُنّا نعبُدُ نحنُ وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المُحصنة، وأمرنا أن نعبُد الله وحده لا نُشركُ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام ـ قال: فعدّد عليه أُمور الإسلام).

= عند مسلم (١/ ٤١)، حديث رقم: (١٢) وأحاديث رسائل النبي إلى الملوك هرقل والمقوقس.

وبتحليل الكلام نجد تصدير الخطاب العقلي والفطري والكوني الذي يفتح المجال من بعده للاستدلال والحوار الشرعي.

على أننا نجد في موقف ثانٍ أن جعفرًا قد صدّر الحوار الشرعي والمعتقدي على الحوار العقلي، ولكن هذا كان بعد الحوار الأول الذي صدر فيه جعفر الخطاب العقلي، ففي رواية البزار بعد أن تكلّم عمرو بن العاص في اليوم الثاني عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقول الإسلام فيه سأل النجاشي أصحاب عمرو عما قال: (فقال: يا أصحاب عمرٍو ما تقولون؟ قالوا: نحنُ على ما قال عمرٌو، فقال: يا حزب الله نخِّر، قال: فتشهّد جعفرٌ، فقال عمرٌو: فوالله إنّه لأولُ يوم سمعتُ فيه التّشهُّد ليومئذٍ، فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُهُ).

وكذا عند التحية التي تخالف السجود للملوك كما في الرواية عند أبي داود: (فاتّبعوه حتى دخلوا على النجاشيّ فلم يسجُدوا له فقال: ما لكُم لا تسجُدون للملك؟ فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث إلينا نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرنا ألّا نسجُد إلا لله).

وأبين في النهاية أنني لا أقصد بتصدير الخطاب العقلي والفطري والكوني انحسار الخطاب الإسلامي أو تهميشه وتركه، فهذا لا يقصد ولا يقول به مسلم، إنما أردت أن يكون الخطاب المعتمد على العقل والفطرة والمشاهد الكونية بمثابة المقدمة والتمهيد اللذان يتصدران الموضوع وأصله بأبوابه وفصوله، وهو المتمثل في الخطاب الإسلامي؛ فكلما قويت المقدمة والتمهيد وحبكتا وزالت معهما شبهات القارئ وتساؤلاته وحواجزه مع الموضوع، كلما كان إقباله على مطالعة الأبواب والفصول أقوى وأعمق وأكثر موافقة وتسليمًا، وهذا الذي أحسبه برع فيه جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيّما براعة واستهلال، فلم يعد مع ما قام به إلا سكوت عدوه وتسليم العاقل المنصف له.

ولأهمية ذلك أوضحه فيما يلي.

أهمية تصدير الخطاب العقلي والفطري والكوني في الحوار مع الآخر:

ترجع أهمية تصدير الخطاب المعتمد على العقل والمنطق، وكذا الفطرة السوية والآيات الكونية في الحوار مع الآخر إلى ما يلي:

١ـ مراعاة المعروف عقلًا وفطرةً وكونًا وتقديمه على ما يقتصر معرفته عند المتكلم فقط وجهله عند المستمع المخالف للعقيدة والثقافة.

٢ـ محاولة مهمة لتهيئة الذهن وتنشيطه واستنهاضه بالقضايا العقلية والمنطقية والكونية؛ مما يجعل المشاركة في الحوار أقوى بناء والاستماع أشد تركيزًا والإنصاف أكثر حضورًا.

٣ـ أهمية الاعتماد على المسلَّمات العقلية والكونية والفطرية المترتبة على المشاهدات الحياتية والتجارب المتكررة، فالمرء عدو ما يجهله أو لم يشاهده ويعايشه.

٤ـ أيضا في تصدير الخطاب العقلي دلالة تأكيدية لإعلاء ما سبق الحديث عنه من فقه إعلاء المشتركات، وبالطبع ما يكون مسلما مشتركا عقلًا وفطرةً وكونًا يؤكد ذلك ويؤسسه.

٥ـ في تصدير الحوار العقلي إزالة للحواجز والمخاوف والأحكام المسبقة التي تتشكل في عقل ووجدان الآخر عنا، مما يصل إليه من شبهات وأباطيل جميعها لا تزال إلا بحوار هادئ مبني على الخطاب العقلي والكوني والفطري.

٦ـ أيضًا إن الخطاب العقلي الصريح والفطري السليم الذي لا ريب يتماشى مع الإسلام بتعاليمه ليجعل نسبة التصديق والإقرار بما يصدر أعلى بكثير من العكس ما يترتب عليه بعده تسليمًا وإنصافًا من الآخر ـ إذا كان منصفًا نازعًا هواه

غير متعصب ـ فما أقرَّه عقلًا وفطرةً قد أقر بالطبع إسلامًا وشرعًا.

٧ـ أيضا ففي تصديره إغلاق لباب الإنكار المسبق السريع للنصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن الناس من ينكر ويحكم حكمًا مسلَّمًا مسبقًا على ما تأتي به النصوص من أول وهلة، فكيف لو سيقت إليه مطابقة ومتماشية بعد إقراره بما حكم به عقلا ومنطقا[١] ؟

٨ـ وأخيرًا فإن تصدير الخطاب العقلي والفطري والكوني ليؤكد حقيقة ما جاء به الإسلام، وأقره من عدم تعارض العقل والنقل، وأنه الدين الحق فما من قضية من قضايا المنطق والعقل الصريح إلا تجد الإسلام، جاء بها وأقرها، بل ربما هذّبها وأخرج من جديد ما يؤكّد عليها ما دفع الإمام ابن تيمية يخرج لنا كتابه العمدة الرائع في هذا الباب (درء تعارض العقل والنقل)، وكان مما جاء فيه قائلًا: (ما جاء بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة)[٢].

(١) هذا بابه الأول وميدانه علم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومن طالع حوارات ما نشر من أبحاث ولقاءات مع علماء ومفكرين من التخصصات المختلفة، وكيف كانت أحكامهم مسبقة على الدين الإسلامي بوحيه بالرفض والإنكار، فلما جاءت الحقائق العلمية والحوارات العقلية مع العلماء المسلمين أتبعوا ذلك ببيان نصوص الشرع المتماشية مع ما توصلوا إليه من القرآن والسنة كانت الدهشة والتسليم، بل والإسلام، هم حضور المشهد وخاصة فيما يتعلق ببحث في مسائل الطب كالأجنة أو التداوي بما ذكر في القرآن والسنة، ومن أراد التزود بذلك فليراجع إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٤٧.

(١٠)
تقديم المساعدات لهم
وخاصة عند حلول النوازل

قد بينا الكلام من قبل حول ما قدّمه المهاجرون الأُوَل من تفاعل مع الأحداث ودلالة ذلك، لكنهم زادوا هذا التفاعل بالمشاركة الميدانية وجدية تفعيلها، وقدّموا عروض المساعدة والعون للنجاشي في مواجهة ابن أخيه؛ فقد جاء في الحديث عند الحاكم بسنده عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (نزل بالنّجاشيّ عدوٌّ من أرضهم فجاءه المُهاجرون فقالوا: إنّا نُحبُّ أن نخرُج إليهم حتى نُقاتل معك، وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت معنا. فقال: لا دواء بنُصرة الله خيرٌ من دواءٍ بنُصرة النّاس. قال: وفيه نزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾[1]..)[2].

فقد دلّت هذه الرواية في نقل الأمر من قضية التفاعل المحمود والكلام الطيب إلى الجدية في المشاركة والمساعدة في زوال النازلة واستقامة أمر الدولة، وعرضوا

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٩، حديث رقم: (٣١٧٥) قال: (أخبرنا أبو العباس قاسم بن القاسم السياري بمرو، ثنا عبد الله بن علي الغزال، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، ثنا عبد الله بن المبارك، أنبأ مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه...) به، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي في التلخيص وينظر أيضًا: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، ص٣٤٩.

على النجاشي المقاتلة معه، وبينوا سبب هذا العرض بيانًا لمعدنهم وردًّا لصنيع ومعروف النجاشي معهم، بل ذهب بعض العلماء إلى أكثر من ذلك وهو أنهم عدّو مشاركة الزبير مشاركة في القتال، وأنه أبلى مع النجاشي وقتها بلاءً حسنًا؛ قال محمد بن الحسن الشيباني: (بابُ الاستعانة بأهل الشّرك واستعانة المُشركين بالمُسلمين ذكر حديث الزُّبير رضي الله تعالى عنه حين كان عند النجاشيّ، فنزل به عدوه فأبلى يومئذٍ مع النجاشيّ بلاءً حسنًا. فكان للزُّبير عند النجاشيّ بها منزلةٌ حسنةٌ.

فبظاهر هذا الحديث يَستدل مَن يُجوّزُ قتال المُسلمين مع المُشركين تحت رايتهم، ولكن تأويل هذا من وجهين عندنا:

أحدُهما: أنّ النجاشيّ كان مُسلمًا يومئذٍ، كما روي، فلهذا استحلّ الزُّبيرُ القتال معهُ.

والثّاني: أنّه لم يكُن للمُسلمين يومئذٍ ملجأ غيرُه على ما روي عن أُمّ سلمة رضي الله تعالى عنها، قالت: (لمّا اطمأننّا بأرض الحبشة، فكُنّا في خير دارٍ، عند خير جارٍ، نعبُدُ ربّنا إلى أن سار إلى النجاشيّ عدو لهُ، فما نزل بنا قطُّ أمرٌ عظيمٌ منهُ،...الحديث)، فبهذا الحديث تبيّن صحّةُ التّاويل الذي قُلنا. والله أعلمُ[1].

قلت: وإذا كانت هذه الجدية في المشاركة الميدانية من الوجود الإسلامي للبلد الجديد في القتال، حتى وإن لم يثبت لهم مشاركة حقيقة فيه مع النجاشي،

(١) ينظر: شرح السير الكبير لشمس الدين السرخسي ٣/ ١٤٢٣، وللشافعي تعقيب عليه قال: (ولو أسر جماعة من المسلمين فاستعان بهم المشركون على مشركين مثلهم ليقاتلوهم فقد قيل: يقاتلونهم، وقيل: قاتل الزبير وأصحاب له ببلاد الحبشة مشركين عن مشركين، ومن قال هذا القول ولا نعلم خبر الزبير يثبت ولو ثبت كان النجاشي مسلمًا كان آمن برسول الله ﷺ، وصلى النبي ﷺ. ينظر: الأم ٤/ ٢٥٦.

فليس هذا إلا بيان لما كانوا عليه من استعداد كامل لكل حادثة ونازلة، وأنهم في طليعة الصفوف حتى تمرّ الأزمات، وأن وجودهم ماديًّا قبل أن يكون معنويًّا، وهذا الذي ينبغي أن يصدر من الوجود الإسلامي عِرفانًا لبلدهم الجديد، وبيانًا لحقيقة مشاعرهم وتفاعلهم، ورؤية أنفسهم منه مشاركة فرحًا بفرحهم وحزنًا بحزنهم، فهم نسيج واحد.



(١١)
الهدية لهم شعبًا وحكومةً

ففي حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (فلما بلغ ذلك قُريشًا، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشيّ فينا رجُلين جلدين، وأن يُهدوا للنجاشيّ هدايا ممّا يُستطرفُ من متاع مكّة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدمُ، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يترُكوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هديّةً...) الحديث.

وهذا الأمر وإن كان في هجرة الحبشة من فعل قريش ورسلهم مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أنه كان منهم على سبيل الرشوة له ولبطارقته لتكون وسيلة لنيل موافقتهم على طلبهم، أما عند الوجود الإسلامي، فهي هدية تحمل معاني سامية فينبغي أن نأخذه كمعْلم مهم من معالم التعامل مع الآخر، بل مع الإنسان بشكل عام، فالهدية إذا كانت في موضعها فإنّ له من الأثر الرائع وإيصال الشعور وإرساء الاحترام والتقدير والمكانة، وينبغي أن نلتفت إلى عدة معانٍ للأثر الذي جاء بذكر الهدية:

١ـ يجب أن نقرّ أن الإسلام كدين نادى بالهدية وتفعيلها، وبيَّن من خلال وحييه الفرق بين الهدية بلا مقابل المرغب فيها، والهدية التي هي الرشوة المنهي عنها، ومثالها: كما قال عَزَّوَجَلَّ في قصة بلقيس مع نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

(١) سورة النمل، الآيتان: (٣٥-٣٦).

وأما المرغب فيها؛ فقد جاء بيانها في السنة: عند البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلُ الهديّة ويُثيبُ عليها» وعنه في الأدب المفرد عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تهادوا تحابوا**».

٢ـ يجب أن نوضّح أن عدم تقديم الهدية من الوجود الإسلامي إلى النجاشي ومن معه راجعٌ إلى معظمهم كانوا ضعفاء في هذا الوقت قليل مالهم، قد لا يملك الواحد منهم إلا ما يقرّ به نفسه وأهله أيامًا معدودة، وكذا لكونهم أيضًا كانت هجرتهم فردية واجتماعهم ككيان منظم أضحى بعد وصولهم واستقرارهم، وربما أخذ ذلك منهم أيامًا وشهورًا، وهذا بطبيعة الحال يبعد أن يأتوا بشيء مختلف محبب إلى النجاشي من أرض مكة.

ومع هذا إلا أنني أكاد أجزم أن عدم تقديم الهدية في هذا الموقف الذي عرضت فيه، أنها لن تكون في صورتها المحمودة وإن صحّت نيتهم فيها، بل ستقرأ قراءة الرشوة التي قرئت بها هدية رسولَي قريش، فكان تركها أولى والبعد عنها أصدق.

٣ـ ينبغي الالتفات إلى المهاجرين الأُوَل فعلوا الهدية وكانوا يقدمونها، ولعل ما فعلته أم المؤمنين أم حبيبة، كما جاء في الأثر دليل ذلك، فقد أخرج الحاكم (أن أم حبيبة أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلته وأعطت أبرهة سوارين من فضّةٍ وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضّةً كانت في أصابع رجليها سُرورًا بما بشّرتها به).

٤ـ في الأثر دليل على أن الهدية ينبغي أن تكون مما يحبها المهدى له، كما قالت أم سلمة: (وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدمُ)، وهذا يستدل به على معرفتهم به معرفة جيدة وإدراك ما يحبونه وما يكرهوه؛ وكذا ينبغي للوجود الإسلامي في هداياهم مع أهل البلد الجديد أن يحسنوا اختيار هديتهم بما يكون له الأثر في النفس وحسن المعاملة في المقابل.

(١٢)
الأساس الثاني
ما أخذه واكتسبه الوجود الإسلامي الأول من البلد المضيف

تعلم لغة الوطن الجديد.

من أهم معالم الحضور وفقه التعامل بين الوجود الإسلامي والبلد المضيف هو تعلم لغتهم، وقد كان يقال: (من تعلَّم لغة قوم أمن مكرهم). ونحن نؤكد مع ذلك: (من تعلم لغة قوم كسب مودتهم، وغيّر قناعتهم).

ولقد نزلت بعض الكلمات الحبشية في القرآن الكريم على مذهب من قال بجواز وجود بعض الكلمات غير العربية في القرآن الكريم خاصة في الأعلام والمفردات والتي إما أنها مشتركة بين العرب والعجم من حيث الاستعمال، أو أنها في أصلها عجمية ثم استعملت في العربية، وفي هذا حكمة ومقصد وفيما يلي بيان لبعض هذه الكلمات من القرآن الكريم، وكذا من السنة النبوية والتي وجّهها بعض المفسرين وشرّاح الحديث على أنها من كلمات أهل الحبشة.

(١٣)
ما نزل بلسان الحبشة
من القرآن والسنة وأقوال المفسرين

ما نزل من القرآن الكريم بلغة الحبشة:

على ضوء ما سبق فإنَّ هناك بعض المفردات التي قال: من رأى وجود بعض المفردات التي أصلها من الحبشة أو اشتركت بين العربية والحبشية، ومن ذلك:

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن عياضٍ: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾[١]. قال: «ككوةٍ بلسان الحبشة»[٢].

وعنه عن أبي موسى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[٣]. قال: «أجرين بلسان الحبشة»[٤]، وعند البخاري قال أبو موسى: ﴿كِفْلَيْنِ﴾[٥]. أجرين، بالحبشيّة.

---

(١) سورة النور، الآية: (٣٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ١٢١، حديث رقم (٢٩٩٦٧)- حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد وإسناده صحيح.

(٣) سورة الحديد، الآية: (٢٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة حديث رقم (٢٩٩٦٩) ـ حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي الأحوص، عن أبي موسى وإسناده صحيح، وذكره البخاري (كتاب: الأدب)، (باب: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾... الآية)، ٨/ ١٢.

(٥) سورة الحديد، الآية: (٢٨).

وعند ابن أبي شيبة أيضًا عن عبد الله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾[1]. قال: «هو بلسان الحبشة قيامُ الليل»[2][3].

ما ورد من الحديث بلغة الحبشة:

لقد وردت كذلك في السنة النبوية بعض الكلمات، بل والأحاديث الكاملة والعبارات التي تدلّ على اختيار اللغة أو اللهجة لمصالح متعددة من تيسير، وتقارب، وإزالة حواجز، واهتمام بالآخر، وغير ذلك، فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر من موطن ولقاء، سواء كان مع أهل الحبشة أنفسهم أو حتى مع غيرهم، قال القاضي عياض: (أوتي جوامع الكلم، وخُصّ ببدائع الحكم، وعُلم ألسنة العرب، فكان يُخاطبُ كُل أُمّةٍ منها بلسانها، ويُحاورُها بلُغتها، ويُباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في غير موطنٍ عن شرح كلامه وتفسير قوله. من تأمّل حديثه وسيره علم ذلك وتحقّقه وليس كلامُه مع قُريشٍ والأنصار وأهل الحجاز ونجدٍ ككلامه مع ذي المشعار الهمدانيّ وطهفة النّهديّ، وقطن بن حارثة العُليميّ والأشعث بن قيسٍ ووائل بن حُجرٍ الكنديّ، وغيرهم من أقيال حضرموت ومُلوك اليمن، وانظُر كتابه إلى همدان... وساق أمثلة رائعة على ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[4].

---

(١) سورة المزمل، الآية: (٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، حديث رقم (٢٩٩٧٠) حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن شرحبيل، عن ابن مسعود، وإسناده صحيح إليه.

(٣) عقد الإمام السيوطي رحمه الله تعالى فصلًا كاملًا في هذا الباب من كتابه الحبشان الفصل الثالث فيما ورد من القرآن الكريم بلسان الحبشة، فليرجع إليه، ص ١٢٢: ١٣٨.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ١/ ٧٠، وما بعدها. لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) =

وأما ما يتعلق بالحبشة: فكان منه:

ـ إمَّا كلامًا وإنشاءً، ومثاله: كما فعله مع أم خالد بنت خالد؛ كما عند البخاري عن أُمّ خالدٍ بنت خالدٍ، قالت: قدمتُ من أرض الحبشة، وأنا جويرية، فكساني رسولُ الله ﷺ خميصةً لها أعلامٌ، فجعل رسولُ الله ﷺ يمسحُ الأعلام بيده ويقول: «**سناه سناه**» قال الحُميديُّ: (يعني حسنٌ، حسنٌ).

وكذلك كما عند أحمد: عن حُذيفة قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن السّاعة فقال: «**علمُها عند ربي لا يُجليها لوقتها إلا هو، ولكن أُخبرُكم بمشاريطها وما يكونُ بين يديها؛ إنّ بين يديها فتنةً وهرجًا**». قالوا: يا رسول الله،، الفتنةُ قد عرفناها، فالهرجُ ماهو؟ قال بلسان الحبشة: «**القتلُ، ويُلقى بين النّاس التّناكُرُ فلا يكادُ أحدٌ أن يعرف أحدًا**»[1].

ـ وإما تمييزهم بذكر نسبتهم وهو من لغتهم: كما عند البخاري عن عائشة قالت: رأيتُ النبيّ ﷺ يستُرُني، وأنا أنظُرُ إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عُمرُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**دعهم أمنًا بني أرفدة**» يعني من الأمن، وأرفدة: هو بفتح الهمزة وإسكان الراء، ويقال: بفتح الفاء وكسرها وجهان، حكاهما القاضي عياض، وغيره، والكسر أشهر وهو لقب للحبشة.

ـ وإما استفهاما ومشاركة: كما فعل مع أهل الحبشة في أرض المدينة كما عند البخاري عن أنسٍ قال: (كانت الحبشةُ يزفنون بين يدي رسول الله ﷺ

= الحاشية: لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

(١) أخرجه أحمد ٣٨/ ٣٣٥، حديث رقم: (٢٣٣٠٦)، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط، قال: سمعت أبي يذكر، عن حذيفة وإسناده صحيح رجاله رجال الصحيحين.

ويرقُصون ويقولون: مُحمّدٌ عبدٌ صالحٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما يقولون؟» قالوا: يقولون: مُحمّدٌ عبدٌ صالحٌ).

تفسير المفسرين بعض الكلمات القرآنية بلغتهم:

﴿صَعِيدًا﴾[1]: «وجه الأرض»، وقال جابرٌ: (كانت الطّواغيتُ التي يتحاكمون إليها، في جُهينة واحدٌ، وفي أسلم واحدٌ، وفي كُل حيٍّ واحدٌ، كُهّانٌ ينزلُ عليهمُ الشّيطانُ) وقال عُمرُ: (الجبتُ: السّحرُ، والطّاغوتُ: الشّيطانُ)، وقال عكرمةُ: (الجبتُ: بلسان الحبشة شيطانٌ، والطّاغوتُ: الكاهنُ)[2].

وأما الحديث على ما فعله المهاجرون الأُوَل من ترسيخ هذا الأمر وبيان الالتفات إليه، فقد جاءت الرواية الحبشية ما يستدل به على تعلّم الصحابة اللغة الحبشية وفهمها، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها، وفيه قالت: (فتناخرت بطارقتُه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتُم والله اذهبوا، فأنتُم سُيومٌ بأرضي ـ والسُّيومُ: الآمنون ـ من سبّكُم غُرّم، ثم من سبّكُم غُرّم، فما أُحبُّ أنّ لي دبرًا ذهبًا، وأنّي آذيتُ رجُلًا منكُم ـ والدّبرُ بلسان الحبشة: الجبلُ).

فهذه بعض الكلمات التي جاءت في رواية أم سلمة بلغة أهل الحبشة وهي: (نخرتم ـ بطارقة ـ شيوم أو سيوم ـ دبرا ـ هايمُ الله في رواية أخرى).

ومن خلال هذا الكلمات البسيطة يخرج لنا معلما من معالم الوجود الإسلامي مع البلد الجديد أسطر توضيحاته وأهميته فيما يلي:

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٣).

(٢) البخاري ٦/ ٤٥، وللتوسعة في هذا الفصل يراجع كتاب الحبشان، للإمام السيوطي الفصل الثالث والرابع والخامس.

١ـ في نقل كلمات بسيطة من أم سلمة عن النجاشي من لغته ما يمثل فهم بعض الكلمات والمفردات وإدراكها شيئًا من اللغة الجديدة، ولعلّ هذا بمثابة البداية الدائمة مع اللغة الجديدة، فيبدأ المرء في تعلّم الكلمة والكلمتين والجملة والجملتين، وخاصة عند مقدمه وجديد عهده بأرضهم، ومن ثم سرعان ما يتزوّد كلَّ يوم من لغتهم حتى يصل لإتقانها وفهمها، والحديث بها وإظهار التفاعل من خلالها.

٢ـ الصحابة عندما هاجروا إلى الحبشة وخاصة في الهجرة الثانية هاجروا بفكر المستقر في هذه البلد، المدرِكون أنهم قد يمكثوا وقتًا طويلًا فيها، فإما معايشة كاملة ـ ولا تتم إلا بتعلم اللغة ـ وقد حققوا ذلك كما بيَّنا تأكيد ذلك فيما سبق، وإما عيشًا هامشيًّا على منحى حياتهم ووطنهم، وكانوا أبعد عن ذلك بالدليل والمثال.

٣ـ من الصعب أن يمكث المهاجر الأول ما يزيد عن عشر سنوات في بيئة جديدة ولا يكون قد تعلّم اللغة القومية، أو أتقن منها الكثير ما يستطيع من خلاله أن يعيش ويندمج في المجتمع الجديد، خاصة إذا كان هؤلاء المهاجرون أمثال جعفر وأصحابه.

٤ـ قص أم سلمة الحديث بتلك الكلمات يدلل بقوة على توافر اللغتين عندها بشكل دقيق يسمح بنقل ما كان بالعربية أو بالحبشية على مستوى واحد لإتقان اللغتين معا، وهي تنقل بالترجمة والبيان ولأمانة النقل ثانيًا.

٥ـ ما يمكن أن نعتبره كذلك دليلًا قويًّا في تعلُّم المهاجرين الأُوَل لغةَ الحبشة ما مرّ منهم من صفات وحضور (كمتابعة الأحداث المستمرة للدولة، وكذا حضورهم الاقتصادي والتعريفي والمجتمعي...إلخ)، وكل ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال معرفة لغتهم فهمًا وكلامًا، وخبر نقل جعفر بن أبي طالب المرأة

العجوز، وما حدث معها دليلٌ على فهمهم لكلام أهل الحبشة وحوارهم ونقل ذلك بالعربية لأسماء بنت عميس أولًا، ولرسول الله ﷺ عند قصّ الأمر عليه ثانيًا دليل ذلك.

٦ـ ما يستدلّ به كذلك على كون المهاجرين الأُوَل تعلموا لغة الحبشة هو خبر عمرو بن أمية الضمري الذي أرسله النبي ﷺ رسولًا إلى النجاشي، فقد كان من مهاجرة الحبشة وكان يتكلم بلسانهم كما جاءت الروايات تؤكد ذلك، فعند ابن سعد في الطبقات بأسانيد متعددة، ومنها: عن عمرو بن أمية الضمري قال: إنّ رسول الله ﷺ لما رجع من الحُديبية في ذي الحجّة سنة ستٍّ أرسل الرُّسُل إلى المُلوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كُتُبًا. فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا. فاتّخذ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ خاتمًا من فضّةٍ. فصُّه منهُ. نقشُه ثلاثة أسطُرٍ: مُحمّدٌ رسولُ الله. وختم به الكُتُب، فخرج ستّةُ نفرٍ منهم في يومٍ واحدٍ. وذلك في المُحرّم سنة سبعٍ. وأصبح كُل رجُلٍ منهم يتكلمُ بلسان القوم الذين بعثه إليهم، فكان أول رسولٍ بعثه رسولُ الله ﷺ عمرو ابنُ أُميّة الضّمريُّ إلى النجاشيّ وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القُرآن. فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه. ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضُعًا. ثم أسلم وشهد شهادة الحقّ وقال: لو كُنتُ أستطيعُ أن آتيه لأتيته. وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه. على يدي جعفر بن أبي طالبٍ، لله رب العالمين[1].

(١) قال: (قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال: حدثني معمر بن راشد، ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: وحدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن المسور بن رفاعة، قال: وحدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: وحدثنا عمر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، =

٧ـ التجربة الواقعية تؤكد على أن العرب يتعلمون لغة غيرهم بسرعة وإتقان، وهو دليل على سعة قريحة العربي المغترب وعقليته الفذة التي تستوعب ما يدور حوله من لغة وعرف وعادة وطريقة حياة للوطن الجديد، وبالتجربة لا يمكث المهاجر المغترب طويلًا في هذا فما يمرّ عام أو عامان حتى يكون على درجة كبيرة من إتقان اللغة والتحدث بها، وكذا فهم القوم واستيعاب طريقتهم، وهذا لو كان بالتجربة مشاهَدًا ومعايَنًا ومحقَّقًا، فهو أولى في المهاجرين الأُوَل لكونهم كانوا أنقى قريحةً وصفاء ومَلَكة حافظة نشطة تعي وتحفظ ما يقال لها أو يمارس بين يديها.

أهمية تعلم اللغة الجديدة:

تكمن أهمية تعلم اللغة الجديدة وجعل ذلك أمرًا مهمًّا، بل من أهم ما يجب أن يبدأ به المغترب والمهاجر لأسباب كثيرة منها ما يلي:

ـ الاستقرار الحياتي بشكله الكامل والعام والمتنوع، وهو لا يتم إلا باللغة أولًا.

ـ فهم الآخر فهمًا دقيقًا من خلال لغته والتعرف عليه بشكل كامل من أولويات تعلمها.

ـ معايشة الأحداث العامة والقضايا المهمة لا يتم إلا بوجود عنصر اللغة في الوجود الإسلامي.

= عن جدته الشفاء، قال: وحدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد، عن العلاء بن الحضرمي، قال: وحدثنا معاذ بن محمد الأنصاري، عن جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أهله، عن عمرو بن أمية الضمري دخل حديث بعضهم في حديث بعض. قالوا:... وساق الحديث) وإسناده صحيح بمجموع طرقه. وينظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٥/ ٣٩.

ـ تحقيق الاندماج والمشاركة والاختلاط المحمود في الواقع الحياتي اليومي لن يتم إلا بها.

ـ كسب ودهم واحترامهم واهتمامهم بالوجود الإسلامي ومكانته أساسه الأول تعلم اللغة.

ـ التعريف بنا وبأفكارنا تعريفًا مباشرًا حقيقيًّا بعيدًا عن وجود الوسيط لن يتم إلا باللغة.

ـ التعريف بديننا ورسولنا وقضايانا كذلك لا يمكن تبليغه لفهمه وإدراكه إلا بلسان القوم.

ـ للتبادل المشترك بين الوجود الإسلامي والدولة المضيفة من خبرات وإمكانات وعلوم وملكات.

ـ إزالة الشبهات والظنون والمعارك القائمة حولنا وحول وجودنا لا نستطيع التعامل معها إلا باللغة.

ـ للأمن من المتربص بنا أو بوجودنا من نوافذ ومؤسسات وأصحاب أجندات ولوبيات وأحزاب متطرفة رصدًا أو مواجهة وتعامل كذلك.

ـ لتحصيل المعرفة والثقافات ومعرفة تاريخ المكان والقوم والعادات والتقاليد، وهو أمرٌ مهمٌّ يجب الإلمام به لحسن التعامل والتعايش معهم، واللغة بابٌ ذلك.

ـ إتقان أكثر من لغة يعد شيئًا محمودًا يحتاج إليه كثيرًا في الانفتاح والتواصل والتمثيل الدبلوماسي، ولعل هذا يؤكّد سبب اختيار النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري رسولًا إلى النجاشي رضي الله عنه.

ـ باللغة يدفع المغترب والمهاجر الشعور الأولي عند حضوره بالثقل أو التهميش في الوطن الجديد، فلا يكن مع تعلمها وإتقانها حواجز بينه وبين الآخر، ولا استهانة ولا تهميش لوجوده.

ـ يحتاج الوجود الإسلامي اللغة للتعبير عن مواطن التأييد أو الاعتراض حول ما يطرح من حوله في البيئة الجديدة على كافة المواقف من فرح أو حزن أو مشاركة سياسية، أو غير ذلك.

ـ أيضًا تكمن أهمية اللغة في خطورة الاعتماد على المترجم والناقل من عدم الوعي، أو الاستخدام الخاطئ في التعبير، أو انعدام الأمانة منه، أو انعدام الأمن من نقل مشوه أو غير ذلك، ولعل هذا كان تحفيزًا عندما طلب النبي ﷺ من زيد أن يتعلم لغة اليهود، كما عند الإمام أحمد وغيره عن خارجة بن زيدٍ، عن أبيه قال: قال ﷺ: «**يا زيدُ، تعلم لي كتاب يهود، فإنّي والله ما آمنُ يهود على كتابي**» قال زيدٌ: فتعلمتُ له كتابهم، ما مرّت بي خمس عشرة ليلةً حتى حذقتُه وكُنتُ أقرأ له كُتُبهم إذا كتبوا إليه، وأُجيبُ عنه إذا كتب[1].

ـ الأمر الأخير وربما يكون الأهم هو أهمية اللغة للتواصل مع الجيل الثاني والثالث ومن بعدهم من أبناء الوجود الإسلامي، فهذا الجيل الذي يولد في بلاد غير بلاد والديه، أو يقدم إليها صغيرًا تكون لغته الأم لغة البيئة الجديدة، وعدم تعلم اللغة من الوجود الإسلامي يجعل التواصل الجيلي منعدما أو فجوته متسعة؛ مما يضر بالتواصل الجيلي، ويجعل مع الوقت العلاقة بينهما علاقة وجود نسبي لا وجود تواصلي، ويشهد لهذا ما فعله النبي ﷺ مع أم خالد بنت خالد

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد ٣٥/ ٤٩٠، حديث رقم: (٢١٦١٨)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

لما أهداها حلةً وهو يقول لها: «سناه: سناه» قال الحُميديُّ: (يعني حسنٌ، حسنٌ). فقد تحدث النبي باللغة التي يفهما الجيل الثاني وتزيل الحواجز وتؤسس الحب والتواصل.

اكتساب الجديد من علم ومهارة وعادة حسنة.

من معالم الحضور بين الوجود الإسلامي والبلد الجديد هو كسب الوجود الإسلامي وأبنائه كل ما هو جديد مفيد في البيئة الجديدة، فالمهاجر اللبيب هو الذي من أول يوم يتعرف على بيئته الجديدة، ويكتسب لنفسه ولوجوده ومن ثم أمته كل جديد فيها من علم ومهارة وملكة وعادة جميلة، ويصبح لوجوده فائدة ولحضوره معنى ومقصد، ولهجرته ثمرة دنيوية قبل الأخروية؛ قال الأستاذ أحمد غلوش: (إن الهجرة إلى الحبشة كانت مؤقتة، يلجأ إليها المسلمون، يكتشفون بها معالم الناس، ويتعرفون على مذاهب وعادات الأقوام)[1].

وفي هذا العنصر دلائل عظيمة على كشف معلمٍ جديدٍ من معالم الحضور بين الوجود الإسلامي الأول في أرض الحبشة، نذكر منه ما وصل إلينا من روايات تدل على وجود بذرة نمت في هذا الأمر ثم نتبعه بالبيان.



(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ص٥٥١.

(١٤)
نموذج اكتساب الجديد من العلم

تعلم الجديد من العلوم الطبية والأدوية:

فقد أخرج احمد عن أسماء بنت عُميسٍ، قالت: (أولُ ما اشتكى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت ميمونة، فاشتدّ مرضُه حتى أُغمي عليه فتشاور نساؤُه في لدّه ـ وفي رواية: فتشاور نساءٌ في لدّه[١] ـ فلدّوهُ، فلمّا أفاق قال: «ما هذا؟» فقُلنا: هذا فعلُ نساءٍ جئن من هاهُنا، وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت أسماءُ بنتُ عُميسٍ فيهنّ قالوا: كُنّا نتّهمُ فيك ذات الجنب يا رسول الله، قال: «إنّ ذلك لداءٌ ما كان الله عَزَّوَجَلَّ ليقرفُني به، لا يبقينّ في هذا البيت أحدٌ إلا التدّ إلا عمُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». يعني العبّاس، قال: فلقد التدّت ميمونةُ يومئذٍ وإنّها لصائمةٌ لعزمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٢].

وعند أحمد من حديث عائشة وفيه: (فظننَّا أنّ به ذات الجنب، فلددناهُ، ثم سُرّي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفاق، فعرف أنّه قد لُدّ، ووجد أثر اللدود، فقال: «ظننتُم أنّ الله عَزَّوَجَلَّ سلطها عليّ، ما كان الله ليُسلطها عليّ، والذي نفسي

(١) رواها الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٥)، حديث رقم: (٧٤٤٦).

(٢) ينظر: مسند الإمام أحمد ٤٥/ ٤٦١، حديث رقم: (٢٧٤٦٩) - حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أسماء، قال محققو المسند: إسناده حسن. وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي والحافظ في الفتح ٨/ ١٤٨.

بيده، لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدّ إلا عمّي»، فرأيتُهم يلُدّونهم رجُلًا رجُلًا، قالت عائشةُ: ومن في البيت يومئذٍ، فتذكُرُ فضلهم؟ فلُدّ الرّجالُ أجمعون، وبلغ اللدودُ أزواج النبيّ ﷺ، فلُددن امراةٌ امراةٌ، حتى بلغ اللدودُ امرأةً منّا، قال ابنُ أبي الزّناد: لا أعلمُها، إلا ميمونة، قال: وقال بعضُ النّاس: أُمُّ سلمة، قالت: إنّي والله صائمةٌ، فقُلنا: بئسما ظننت أن نترُكك، وقد أقسم رسولُ الله ﷺ، فلددناها والله يا ابن أُختي، وإنّها لصائمةٌ)[1].

هذه الروايات ترسم لنا كيف كان المهاجرون الأُوَل يعيشون في بيئتهم الجديدة أرض الحبشة، ومدى عمق تعلّمهم لكل ما هو جديد بين أيديهم، في هذا المثال الذي يدلّ على الحضور النوعي والمتميز للوجود الإسلامي الأول في بيئته الأولى يطل بظلاله على دلائل، وهي:

١ـ التأكيد على ما ذكرته آنفا من الحضور النسائي القوي في بيئة الاغتراب والوطن الجديد ممثلا في أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

٢ـ الروايات توضح أن المهاجر الأول اكتسب من المهارات والعلوم النافعة التي لم يكن يعرفها في بيئته الأولى، وأن اغترابه لم يعقه عن ذلك، بل كان دافعًا إليه[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٤٨٧٠) ـ حدثنا سليمان بن داود، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، وإسناده حسن.

(٢) نصت روايات متعددة على أن أسماء بنت عميس تعلمت الطب في الحبشة، منها: ما أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٨١) قال: أخبرنا محمد بن عمر. حدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض، عن المقبري، عن عبد الله بن رافع، عن أم سلمة قالت: بدئ برسول الله ﷺ في وجعه في بيت ميمونة، فكان إذا خف عنه ما يجد خرج فصلى بالناس. فإذا وجد ثقلة قال: «مروا الناس فليصلوا!»، فتخوفنا عليه ذات الجنب وثقل، فلددناه فوجد النبي ﷺ خشونة اللد فأفاق فقال: «ما صنعتم بي؟» قالوا: لددناك! قال: =

٣ـ أيضًا يستدل على أن حرص المهاجر الأول كان منصبًّا في المقام الأول على ما يحتاجه البشر من علوم، وما ينفعهم من خبرات ومهارات، وهو بيان مهم لمعرفة كيف يفكر المهاجر؟ وبماذا ينشغل في دار هجرته وموطنه؟ وعلام يقصد من حركته بين أبناء مجتمعه؟ وبيان جميل نية اختلاطه بالناس وأبناء البلد المضيف، وكيف يقضي وقته؟!

٤ـ في هذه الرواية رواية مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجعلنا نقف على ثمرة تعلّم الشيء الجديد من بيئة الهجرة، وهنا يظهر لنا مهنة الطب ولو في بدايتها وثمرة مكتسباتها من أرض الحبشة، وما قاموا به في هجرتهم يوافق كثير منه الآن، ولو في طريقة أسلوبهم وتفعيل أساسيتها، فما فعلته أسماء بنت عميس مع بقية النسوة ـ كما في رواية الحاكم في المستدرك ـ يجلي ما يعرف بأساسيات المهنة والتخصص فيما يلي:

أولًا: الحضور التخصصي:

فقد حضر النسوة من أهل التخصص ممن عُرفن بمزاولة مهنة الطب أو الدراية بها، ومن الرواية نلمح أن النسوة التي جئن جميعهن من الحبشة وقد عرفن بهذا، وتم على أثر مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استدعائهن لمعالجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء عند البلاذري في الأنساب: (عن عائشة قالت: اجتمعنا عند رسول الله

= «بماذا؟» قلنا: بالعود الهندي وشيء من ورس وقطرات زيت. فقال: «من أمركم بهذا؟» قالوا: أسماء بنت عميس. قال: «هذا طب أصابته بأرض الحبشة».... الحديث. وفيه سعيد ابن أبي الأبيض، روى عن أبي الزناد، روى عنه القعنبي، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول ذلك. وسمعته يقول: هو مجهول. ينظر: الجرح والتعديل٤/ ٦.
وقلت: وقد روى عنه الواقدي كذلك وعموما، فالقصة صحت من رواية أخرى كما عند أحمد في مسنده.

ﷺ وهو ثقيلٌ في بيت ميمونة، نساؤكن بالحبشة ـ منهُنّ أُمُّ سلمة، وأسماءُ ابنةُ عُميسٍ ـ: لدّوهُ،...الحديث)[1].

ثانيًا: الفحص السريري:

وهو أول ما يقوم به الطبيب أولًا من الكشف المبدئي والفحص الأولي لمعرفة ما يشكو منه المريض بشكل عام، ويكون هذا الفحص مبنيًّا على الأسئلة والأجوبة أكثر بين الطبيب والمريض أو أهله.

ثالثًا: تشخيص المرض:

وهن هنا قد خرجن بتشخيص مرض رسول الله ﷺ، وهو ذات الجنب، أو عرق الكلى، كما جاءت الرواية الأخرى: عند أحمد من حديث عروة، أنّ عائشة، قالت لهُ: (يا ابن أُختي، لقد رأيتُ من تعظيم رسول الله ﷺ عمّه أمرًا عجيبًا، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كانت تأخُذُه الخاصرةُ، فيشتدُّ به جدًّا، فكُنّا نقولُ: أخذ رسول الله ﷺ عرقُ الكُلية، لا نهتدي أن نقول الخاصرة،...الحديث).

ومن ثم فقد أتممن العملية الثالثة من عملية أساسيات المهنة التي اكتسبنها من أرض الحبشة.

رابعًا: المشاورة الجماعية:

وهو ـ على رواية الحاكم ـ أشبه باجتماع قسم الأمراض الباطنية في إحدى مستشفيات الطب للنظر في المريض وحالته تأكيدًا على المرض وتشخيصه

(١) ينظر: أنساب الأشراف ١/ ٥٤٦ عن محمد بن سعد، عن الواقدي، عن أفلح بن حميد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة.

وتحديد مكانه، ومن ثم الانتقال إلى اختيار العلاج المناسب.

خامسًا: المشاورة مع الأهل وذوي القربى:

وهذا ـ على رواية أحمد وغيره ـ مع نساء النبي وأقاربه؛ وهي عملية رفع التقرير الطبي إليهم ومشاركتهم في نتيجة الفحص وطريقة العلاج الذي بموجب موافقتهم يبدءوا في عملية التداوي والاستشفاء.

سادسًا: اختيار العلاج المناسب:

وهم هنا اختاروا العلاج بالسعوط أو القسط الهندي مع الزيت[1].

سابعًا: طريقة استعمال العلاج:

فهن هنا اختارن طريقة إعطائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدواء بطريقة اللد[2]، وهي طريقة الحبشة في الدواء والعلاج، كما جاء عند البلاذري في الأنساب عن عائشة: (ثم أفاق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: هذا عملُ أُمّ سلمة، وأسماء بنت عُميسٍ، هذا من دواء أهل الحبشة)[3].

---

(١) قال ابن منظور: واللدود: ما يصب بالمسعط ـ وهو: دهن الخردل ودهن الزنبق. وقيل: البان. وقال الحافظ ابن حجر: (وقد وقع عند الطبراني من حديث العباس أنهم أذابوا قسطًا، أي: بزيت فلدوه به). ينظر: لسان العرب، مادة (س ع ط) ٧/ ٣١٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٨.
قلت: لم أقف على رواية الطبراني ولعلها في الجزء المفقود من المعجم الكبير، والله أعلم.

(٢) واللدود من السقي والدواء في أحد شقي الفم، فيمر على اللديد. وقيل: اللد أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق. وفي الحديث: أنه لد في مرضه... الحديث، واللدود: وجع يأخذ في الفم والحلق فيجعل عليه دواء ويوضع على الجبهة من دمه، ومادة (ل د د٩) ٨/ ١٣٨ بتصرف يسير.

(٣) ذكر الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح وبين أنهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هما اللتان أشارتا بذلك. ينظر فتح الباري ٨/ ١٢٨.

ثامنًا: المتابعة والملاحظة المستمرة للمريض:

وهو من أهم ما يقوم به الطبيب مع المريض وكون الجميع بعد الدواء حول رسول الله ﷺ ينتظر النتيجة ويتابع، فهو أيضًا من الدلالات المهمة في التعامل مع المريض وفقه الرعاية له.

وما قمْن به من هذه الخطوات يدلل على ما اكتسبنه من علم وخبرة في مجال الاستشفاء والطب، ولا يضرّ كون التشخيص خطأ أو جانبهم الصواب، فهو أمرٌ يحدث ولا يجرح فيهن، فهنَّ كنَّ معروفات بذلك، ولعل الأمر هنا في خطأ التتيجة يرجع إلى معاملة النبي ﷺ كمعاملة غيره، وهذا ما أكّده النبي ﷺ بنفسه: «**ظننتُم أنّ الله عزّ وجلّ سلطها عليّ، ما كان الله ليُسلطها عليّ**». ولهذا أنكر الدواء قبل أن يغمى عليه ﷺ لإنكار التشخيص ذاته، أو لكراهية الدواء، كما قال ابن حجر في توجيه ذلك: (قيل وإنّما كره اللدّ مع أنّه كان يتداوى؛ لأنّه تحقّق أنّه يموتُ في مرضه، ومن حقّق ذلك كُره له التّداوي قُلتُ ـ أي ابن حجر ـ: وفيه نظرٌ، والذي يظهرُ أنّ ذلك كان قبل التّخيير والتّحقُّق، وإنّما أنكر التّداوي؛ لأنّه كان غير مُلائمٍ لدائه؛ لأنّهم ظنّوا أنّ به ذات الجنب، فداووه بما يُلائمُه أو لم يكُن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى والله أعلمُ)[1].

ما يشهد كذلك لتعلم المهاجرين الأُوَل العلوم الطبية وتخصص أسماء بنت عميس منهم بذلك، ولعلها كانت معهودة من مهن النساء آنذاك، ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أسماء بنت عُميسٍ قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**بماذا كُنت تستمشين؟**»، قالت: بالشُّبرُم قال: «**حارٌّ جارٌّ**»، ثم استشفيتُ بالسّنا، قال: «**لو كان**.....

(١) ينظر: فتح الباري ٨/ ١٢٨ بتصرف يسير.

شيءٌ يشفي من الموت كان السّنا»، أو: «السّنا شفاءٌ من الموت»[1].

قال السندي: قوله: «تستمشين»، أي: تُخرجين ما في البطن من المادة الفاسدة والشُّبرُم: حبٌّ يشبه الحمّص، يطبخ ويشرب ماؤه للتداوي، وقيل: إنه نوعٌ من الشيح.

فهذا الحديث يشهد ويدلل على ما أشرنا إليه من امتهان واتقان بعض أبناء الوجود الإسلامي للطب والاستشفاء والأدوية، وسؤال النبي ﷺ لها يستدل منه على سؤال التداوي بما لم يكن في بيئته ﷺ معهودًا، وما كانت تداوي به في الحبشة والله أعلم.

وهذا النموذج في العلم يفتح الباب لتعلم المغترب كل علم نافع، وكل فن هادف يحقق الخير لنفسه ولأمته وأرضه، ويؤكّد من خلاله انفتاح المسلم على حضارة غيره واكتساب جديد الحكمة عنده، وكل ذلك من توجيهات دينه الحنيف في البناء والإعمار، وتفعيل ما كان عليه سلفه الأول من المهاجرين فهمًا وتعليمًا وسلوكًا وحركةً.

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٠٨)، حديث رقم: (٢٠٨١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٤٤٨)، حديث رقم: (٨٢٣٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح. قال الملا علي القاري: (يشهد له رواية ابن ماجه والحاكم بسند صحيح، عن عبد الله بن أم حرام)، وقد صححه السخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي في الأحاديث النبوية: ١/ ٢٧٦، وكذلك رمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة حديث رقم (٧٤١٤).

(١٥)
نموذج اكتساب المهارات والأفكار الجديدة (النعش للنساء)

ومن تعلَّم الطب والأدوية إلى اكتساب مهارة وفكرة جديدة في أمر يتماشى مع طبيعة الإسلام، ويزيد من الحفاظ والستر وخاصة ستر المرأة؛ والمقام هنا مقام ما يحدث بعد الموت وقبل الدفن، فلقد كان يقلق المسلمون وخاصة النساء ما كان يظهر عند حملهن في كفنهن بعد أن يشد وثاقهن ربما دفع هذا إلى بيان معالم الجسد، وهذا قد جاء في أكثر من رواية على ما يلي:

فعند البيهقي عن أُمّ جعفرٍ، أنّ فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: (يا أسماءُ، إنّي قد استقبحتُ ما يُصنعُ بالنّساء، إنّه يُطرحُ على المرأة الثّوبُ فيصفُها!)، فقالت أسماءُ: يا بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألا أُريك شيئًا رأيتُه بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبةٍ فحنّتها، ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (ما أحسن هذا وأجملهُ؛ يُعرفُ به الرّجُلُ من المرأة، فإذا أنا متُّ فاغسليني أنتِ وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا تُدخلي عليّ أحدًا). فلمّا توفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جاءت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تدخُلُ، فقالت أسماءُ: لا تدخُلي، فشكت أبا بكرٍ، فقالت: إنّ هذه الخثعميّة تحولُ بيني وبين ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوقف على الباب، وقال: يا أسماءُ، ما حملك أن منعت أزواج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخُلن على ابنة النبيّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعلت لها مثل هودج العروس؟! فقالت: أمرتني ألا تُدخلي عليّ أحدًا وأريتُها هذا الذي صنعتُ وهي حيّةٌ، فأمرتني أن أصنع ذلك لها، فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف وغسّلها عليٌّ، وأسماءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)[1].

وعند أبي عروبة في الأوائل عن عامرٍ قال: (أولُ من أشار بالنّعش أسماءُ بنتُ عُميسٍ؛ جاءت من الحبشة فرأت النّصارى يفعلون ذلك لنسائهم)[2].

وقد قيل: إن صاحبة الفكرة هي أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي أيضًا من أرض الحبشة؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة عن طارق بن شهابٍ، قال: (قدمت أُمُّ أيمن من الحبشة وهي أمرت بالنّعش للنّساء)[3].

فقد دلّت الروايات السابقة أن فكرة النعش فكرة حبشية نقلتْها أسماء بنت عميس، أو أم أيمن إلى أرض الإسلام وحرائر المسلمات، وهو أمرٌ محمودٌ يستدل من خلاله على اكتساب الوجود الإسلامي في البلد المضيف مهارات وأفكار

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٤)، حديث رقم: (٦٩٣٠) قال: أخبرنا أبو حازم الحافظ، أنبأ أبو أحمد بن محمد الحافظ، أنبأ أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا قتيبة ابن سعيد، ثنا محمد بن موسى، عن عون بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر، وعن عمارة بن مهاجر، عن أم جعفر وقد حسن إسناده ابن حجر في تلخيص الحبير ٢/ ١٤٣.

(٢) أخرجه أبو عروبة الحراني في الأوائل، ص١٤٠، حديث رقم (١١٩) ـ حدثنا المغيرة ابن عبد الرحمن حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا إسماعيل عن الشعبي ـ وإسناده إلى الشعبي صحيح وهو مرسل، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/ ٢٢٠ عن عبد الله بن نمير عن إسماعيل عن الشعبي وهو صحيح أيضًا.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧١)، حديث رقم: (١١١٦٥) حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن قيس بن سالم، عن طارق بن شهاب، أن أم أيمن.. وإسناده صحيح.

جديدة محمودة تخدم من خلالها دينها وأبنائه، وتكشف في الوقت نفسه حرص المهاجر الأول على تعلّم الجديد من الأفكار والمهارات النافعة التي تفتح لما وراءها من الخير والمآلات، وتؤسس لاستعمال ذلك لأي مهاجر وتوسعه في أخذ ما عند الأخر من الخير والنفع.



(١٦)

نموذج اكتساب العادات والأخلاق المحمودة (الحجل[١] عند الفرح والرضا)

يأتي هذا النموذج ليؤكد ما سبق من تنوع تعلم المهاجر من بيئته الجديدة من خير وعلم وأفكار ومهارات، وأيضًا من عادات محمودة تأكيدًا على معايشة المهاجر واندماجه الحقيقي، ونقل جميل ثقافات وعادات البلد المضيف التي لا تعارض الإسلام ومنهجه، بل ربما أقرّها وفعّلها، وهو دليل على الانفتاح والتعايش بين المسلم والآخر.

فقد أخرج ابن سعد عن ابن عبّاسٍ قال: إنّ عُمارة بنت حمزة بن عبد المُطّلب وأُمُّها سلمى بنتُ عُميسٍ كانت بمكّة. فلمّا قدم رسولُ الله ﷺ كلم عليٌّ النبي ﷺ فقال: علام تترُكُ ابنة عمّنا يتيمةً بين ظهري المُشركين؟ فلم ينهه النبيُّ ﷺ عن إخراجها فخرج بها. فتكلم زيدُ بنُ حارثة. وكان وصيُّ حمزة، وكان النبيُّ ﷺ آخى بينهما حين آخى بين المُهاجرين، فقال: أنا أحقُّ بها ابنةُ أخي. فلمّا سمع بذلك جعفرُ بنُ أبي طالبٍ قال: الخالةُ والدةٌ وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عُميسٍ. فقال علي: ألا أراكم تختصمون في ابنة عم وأنا أخرجتُها من بين أظهُر المُشركين وليس لكُم إليها نسبٌ دوني وأنا أحقُّ بها منكم.

(١) الحجل: أن يرفع رجلًا ويقفز على الأخرى من الفرح، قال: ويكون بالرجلين جميعًا، إلا أنه قفز وليس بمشي. ينظر: لسان العرب ١١/ ١٤٤.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا أحكُمُ بينكُم! أمّا أنت يا زيدُ فمولى الله ومولى رسوله، وأمّا أنت يا عليُّ فأخي وصاحبي، وأمّا أنت يا جعفرُ فشبيه خَلقي وخُلُقي، وأنت يا جعفرُ أولى بها تحتك خالتُها، ولا تُنكحُ المرأةُ على خالتها ولا على عمّتها». فقضى بها لجعفرٍ. قال مُحمّدُ بنُ عُمر: فقام جعفرٌ فحجل حول رسول الله. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما هذا يا جعفرُ؟» فقال: يا رسول الله، كان النجاشيُّ إذا أرضى أحدًا قام فحجل حوله، وفي رواية: (فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما هذا؟» قال: شيءٌ رأيتُ الحبشة يصنعونه بمُلوكهم[1]، وفي رواية لابن الأعرابي: قال لهُ: إنّ النجاشيّ إذا أكرم أحدًا من أهل مملكته فعل هذا)[2].

وعند أحمد عن عليٍّ، قال: أتيتُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا وجعفرٌ، وزيدٌ، قال: فقال لزيدٍ: «أنت مولاي»، فحجل، قال: وقال لجعفرٍ: «أنت أشبهت خلقي وخُلُقي»، قال: فحجل وراء زيدٍ، قال: وقال لي: «أنت منّي، وأنا منك»، قال: فحجلتُ وراء جعفرٍ[3]

(١) الرواية الثانية أخرجها أيضًا ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٦) قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه، وإسناده إلى محمد بن علي الباقر صحيح وهو مرسل.

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في القبل والمعانقة والمصافحة (١/ ٦٨)، حديث رقم: (٣٩) ثنا أحمد بن زيد، ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن الأجلح الكندي، عن الشعبي، وهو مرسل أيضًا فالشعبي لم يدرك جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ويشهد للروايتين حديث البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: اعتمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذي القعدة،... الحديث وفيه: فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتبعتهم ابنة حمزة: يا عم يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك، حملتها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

قلت: والروايات لها دلالات مهمة، نوجزها فيما يلي:

١ـ فقد نقل جعفر عادة من عادات وطنه الجديد، وهذا يؤكّد اكتسابه مع المهاجرين لكثير من العادات والأعراف الجميلة، وإدخالها منظومة حياتهم وتعاملاتهم.

٢ـ وتدل أيضًا على المعايشة الحقيقية الذي كان عليها الوجود الإسلامي الأول فهي معايشة تفاعلية بامتياز، تحمل حسن المقصد وجميل المخالطة، وتفعيل الاحترام والتقدير، والحرص على نقل وإدخال كل ما هو جديد وجميل عندهم في وجودهم الإسلامي، علمًا وفكرًا ومهارةً وعادةً.

٣ـ أيضًا يستدل من الروايات على أن هذه المكتسبات من العادات أصبحت طبعًا وخلقًا رسخ في أفعال المهاجرة، ونقله بين يدي رسول الله ﷺ ربما يكون نقلًا لثقافتهم التي تعوّدوا عليها واختلطت بشكل يومي في حياتهم، وكذا تفعيلها انتظارًا لتوجيه نبوي حولها.

٤ـ أثر جعفر في بقية الصحابة الذين حجلوا مثله، وإن لم يكونوا من المهاجرين، وهو دليل التأثر منهم بالفعل الجديد الجميل الذي دلّ على فرحهم وسرورهم، بشيء أزيد من أسارير الوجه واللسان، وهذا يؤكد انتقال الثقافات والأعراف الحسنة والجميلة إلى المجتمع النبوي من أرض الحبشة، وانتشار هذا من خلال نقلهم.

٥ـ قيام جعفر بهذا الحجل مع رسول الله ﷺ هو باب من أبواب التكريم، والتعظيم والحب والرضا برسول الله ﷺ فرحًا بما ساق إليه رضي الله عنه من كلمات ونعوت تفوق الدنيا وما فيها، وهو فعل وعادة حبشية يقوم بها الأحباش بملوكهم.

٦ـ سؤال النبي ﷺ يؤكد شدة ملاحظته ﷺ لأصحابه والوقوف الدائم على كل ما يصدر جديدًا منهم، ودوام التعرف عليه وإقراره كذلك إذا كان موافقًا مع الشرع والآداب العامة، وهو دليل سكوته ﷺ، بل وفرحه بذلك منهم وإعجابه.

وختامًا...

فهذه الروايات تؤكِّد فقه التعامل مع الدولة المضيفة، وكيف اكتسب المهاجر الأول من بيئته الجديدة من الأعراف والعادات والعلوم والمهارات، وتأثر بها ونقلها إلى بيئته الإسلامية بعد ذلك؟!.

وما ذكرناه من النماذج الثلاثة ما هو إلا قليل من كثير لنفتح من خلالها نوافذ تؤكد لنا في كل خطوة كيف كان المهاجر الأول؟ وكيف أسس لنا ما ينبغي أن نسير عليه وأن نفعله كمغتربين أو مهاجرين في كافة القطاعات ومناحي الحياة مع الآخر؟

وختامًا..

فإن اكتساب العلوم والمهارات والعادات له دلالات وثمار ألخصها فيما يلي:

١ـ فهو هدف من أهداف الانتقال والهجرة واختيار البيئة التي ينتقل الإنسان إليها، فكلما كانت بيئة تحمل من المكاسب والمعارف والجديد، كلما كانت غربته مثمنة وهجرته هجرة ناجحة.

٢ـ وهو دليل على الاندماج الحقيقي والمعايشة الفعلية الميدانية، وطرد لفكرة الاستغناء والانعزال.

٣ـ وهو تأكيد على وضوح فكرة التعمير والاستخلاف في الأرض عند الوجود الإسلامي، ولن يتم ذلك إلا بمزيد كسب علم أو مهارة أو فكرة.

٤ـ وهو حركة لإصابة وتحصيل النفع أينما كان، وتأكيد سمة من سمات الشخصية الإسلامية التي تبحث دائمًا عن كل ما ينفع ويصلح ويرقي على المستوى الفردي أو الجماعي.

٥ـ وهو بيان لوضوح فكرة التطوير والتغيير الذاتي لأفراد الوجود الإسلامي بشكل عام، وفي وطنهم الجديد بشكل خاص.

٦ـ وهو إعلاء لكل ما هو إيجابي ولو في وقت المحن وقسوة الغربة، بل به يزال حدتها، وتستبدل وحشتها بالجميل المألوف.

٧ـ وهو فهم لطبيعة الإسلام وشموليته وتحقيق ما نادى به من تطوير وتعليم وتثقيف واكتساب معارف وخبرات ومواكبة حضارات، وغير ذلك، وأول من فعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

٨ـ وهو رصيد مهم للأمة الإسلامية تحتاجه عند وقته، وتستدعي العارفين به كلٌّ في تخصصه وفنه، فهو من باب تطوير الأمة الإسلامية، ومن باب آخر يسد الثغرة والعوز عند الضرورة إليه.

٩ـ وهو من دلائل الشخصية المبدعة التي تنمي ملكة الإبداع عندها، وتفتح لعقلها من خلال كسبها للمعارف والعلوم الجديدة آفاقًا واسعةً تفرز كل يوم جديدًا في الإعمار والتحديث.

١٠ـ وهذا من أعظم الأبواب التي تجعل نظرة الآخر لنا تختلف اختلافًا كبيرًا

(١) مثاله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، قال: كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا ـ أو أراد أن يكتب ـ فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة، نقشه: محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده، فقلت لقتادة: من قال: نقشه محمد رسول الله؟

للتحسين والتعظيم، فهو يدرك بحرصنا على ذلك مدى تكويننا العظيم المنطلق من ديننا الكريم، فيزداد لديننا فهمًا وتعريفًا ويزداد للوجود الإسلامي احترامًا وتقديرًا.

١١ـ المساهمة من خلال كسب العلوم والمهارات من أبناء الوجود الإسلامي بوجود متخصصين في الوطن الجديد في هذه العلوم والتخصصات، فيكونون بذلك إضافة في مجتمعهم ويدًا عالية في بناء وطنهم.

١٢ـ وهو صورة من صور إظهار الشعور الجميل نحو الآخر وعلومهم وعاداتهم باعتزاز وفخر وتقدير.

١٣ـ وهناك دلائل أخرى منها:

ـ إضفاء البصمة الإسلامية على كل جديد.

ـ تفعيل لمبدأ اغتنام الفرص المتاحة.

ـ استثمار الوقت في كل ما هو مفيد.

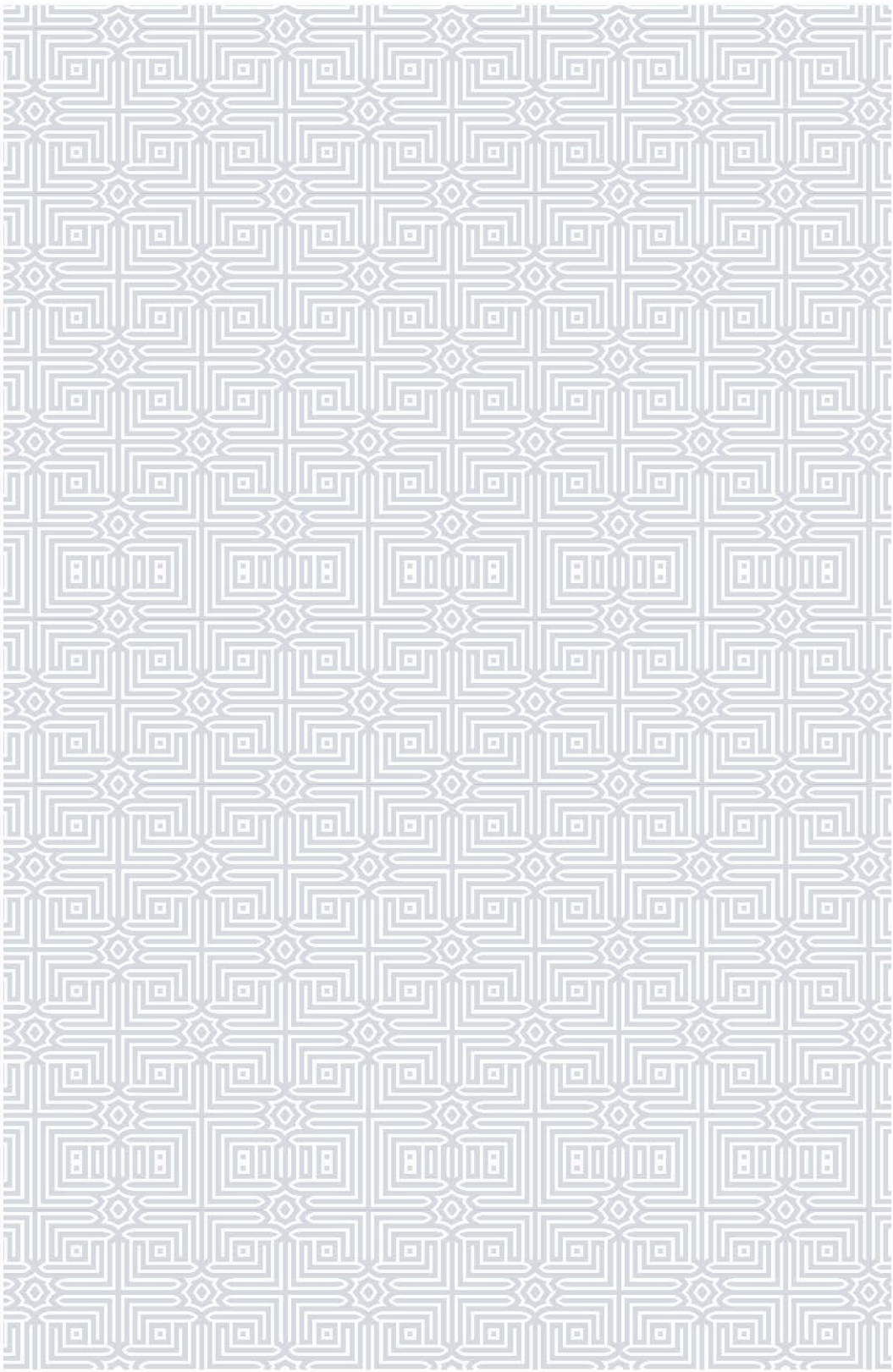
ـ البحث عن أوجه الشبه عند وجود المثيل في الإسلام والمسلمين للتحسين والإضافة عندنا وعندهم.

ـ دعوة لتجويد الأعمال وعدم الوقوف على الأفكار القديمة... وغير ذلك.



الفصل السادس

معالم تعامل الدولة الجديدة
مع الوجود الإسلامي من خلال الحبشة



توطئة

في هذا الفصل أوضح فيه ما يقابل الفصل السابق من بيان كيف كانت الدولة الجديدة بقيادة النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كيف يعامل الوجود الإسلامي، وكيف استمر هذا التعامل حتى مقدم المهاجرة الأُوَل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة؟

فكما قام الوجود الإسلامي بأعلى معالم التعامل المحمود والعيش المشترك مع البلد الجديد حكومةً وشعبًا تصديرًا وأخذًا، ينبغي أن نبرز ما قامت به الحكومة الحبشية مع هذا الوجود ممثلة في قائدها ورئيس دولتها النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنا هنا أعقد هذا الفصل لسببين رئيسين:

الأول: إبراز ما قام به النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الوجود الإسلامي من معاملة ومواقف.

الثاني: محاولة لرسم نموذج الحبشة والنجاشي مع بلاد الغرب تأسيسًا ومفارقةً، ففي اعتقادي أن النجاشي أول من وضع دستورًا كاملًا للمهاجرين واللاجئين ينبغي إبرازه وهو ليس بعيدًا عما تقوم به الدول الحديثة إن لم يفوقه أحيانًا في بعض المواقف.

ولنبدأ في بيان هذه المعالم ونعلق عليها:

(١)
حسن استقبالهم والترحيب بهم

لقد قدَّم النجاشي نموذجًا متميزًا ورائعًا في حسن استقبال المهاجرين الأُوَل والترحيب بهم، ولعلَّه بهذا أكَّد للمهاجرة الوصف النبوي المسبق فيه، وأبرزه من أول مقابلة على أرض الواقع، فبعد أن سمع منهم وتلمّس ما وراءهم قال لهم: (مرحبًا بكُم وبمن جئتُم من عنده).

وهذا الترحيب أول الغيث من النجاشي، وقد أكّده للمهاجرة استقبالًا حسنًا ومحمودًا يطبع عدة معانٍ في قلوب المهاجرة:

ـ **أولها**: الاحترام والتقدير لهذا الوجود الإسلامي الذي حل بأرضه ويسكن جواره، وهذا يرفع عن كاهل المهاجرة أي معاناة أو مذلة تعرضوا مؤخرًا لها سبقت هذا الترحيب.

ـ أن هذا الترحيب يسوق الاطمئنان إلى قلوب أفراد الوجود الإسلامي على قادم ما يستقبلهم من تعامل ومنزلة وأمن.

ـ يطل الترحيب المؤسسي النابع والخارج من أعلى سلطة في الدولة بظلاله ليفرض سياسية التعامل ممن هم دونه في دولته من بلاطه ووزرائه ورعيته مع الوجود الإسلامي اتباعًا وطاعةً، فهم على دين ملكهم.

ـ جمالية الترحيب المعلن الذي يشاهده الجميع لمعرفة توجّه الدولة مع هذا

الوجود الجديد قبولًا أو رفضًا، لتعميم هذا بين الناس وتماشيًا معه، وليمنع أي توجّه مخالف له.

ـ يدفع هذا الترحيب لإزالة أي حواجز مسبقة، أو أفكار موروثة سيئة، أو دعاوى أفراد برفض وإبعاد، فيكون بمثابة تجلية كل هذا ورفعه عن الوجود الإسلامي.

ـ كما أنه يقوي الترحيب التوجه عند وقوع أي مشكلة أو معوّق للوجود الإسلامي إلى السلطة لإيجاد الحل وإزالة العوائق.

ـ وفي الختام:

ربط الترحيب بهم بالترحيب بنبيهم ﷺ ومن جاءوا من عنده، وهذا فيه دلالات مهمة، منها:

ـ الاحترام والتقدير للنبي ﷺ مرجعية الوجود الإسلامي.

ـ وفيه: غلق باب التكلم فيهم من جانب رجال دولته وبطارقته بشيء من الذم والسوء والوقيعة.

ـ وفيه: رفع لمعنويات الوجود الإسلامي باحترام وتقدير النبي ﷺ، وتوطئة التصديق به الذي أكّدها بعد ذلك بشهادته وإسلامه، وتأكيدًا وأمتنانًا لكل ما تكلم به النبي ﷺ مسبقًا عنه، كما أنه رسم لأعلى نظم السياسة والدبلوماسية بين قائدين ومسئولين.



(٢)
تقديم المساعدات الفورية للمهاجرين

وهذا أمر قدّمه النجاشي للوجود الإسلامي فور وصولهم ودخولهم في جواره وذمّته، وله دلالاته العظيمة على المستويات كافة، ودليله ما أخرجه إسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة في دلائل النبوة، عن مُعتمرُ بنُ سُليمان، عن أبيه نحو حديث عُروة بن الزُّبير، وزاد فيه قال: (وقال النجاشيُّ لجعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه: مرحبًا بكُم وأهلًا، لكُم عندي الذي يسُرُّكُم ويُصلحُكُم من النُّزُل والرّزق... الأثر)[١].

ويؤكِّده رواية أبي موسى الأشعري عند ابن أبي شيبة والبيهقي في دلائل النبوة: (امكُثوا في أرضي ما شئتُم. وأمر لنا بطعامٍ وكُسوةٍ)[٢].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة، ص١٠٣، حديث رقم: (٩٩) بسنده عن الطبراني، قال: وحدثنا خالد بن النضر القرشي، ثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ثنا معتمر، وجميع رواته ثقات إلى عروة بن الزبير وهو من مراسيله، وخالد بن النضر بن عمرو بن النضر أبو يزيد القرشي البصري، شيخ الطبراني حدث عن: محمد بن عبد الأعلى، ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن موسى الحرشي، وعنه: أبو القاسم الطبراني في «معاجمه»، وابن عدي ولم يذكره في «كامله»، وأبو بكر الإسماعيلي في «معجمه» وسكت عنه، قال الدارقطني: ثقة.
قلت: (ثقة إن شاء الله). إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، ص٣٠١، والجامع في الجرح والتعديل ١/ ٢١٤، وموسوعة أقوال الدارقطني ١/ ٢٣٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٥٠)، حديث رقم: (٣٦٦٤٠) قال: حدثنا =

وأما دلالاته العظيمة فمنها ما يلي:

١ـ فيما يخص الوجود الإسلامي نفسه:

ففيه: تأكيد العنصر السابق من حسن استقبالهم والترحيب بهم، فقد جاء تقديم النزل والرزق بعد الترحيب المعلن، كما في الرواية، وأيضًا فيه: التخفيف عنهم من الدولة الجديدة مما ألمَّ بهم وذاقوه من مصاعب في رحلتهم وهجرتهم بتحمل الدولة مسئوليتها الأولية تجاههم، وهو باب مهم لإدخال بعض السرور عليهم كما نطق بهذا النجاشي نفسه، **وفيه:** تقديم الخدمات العاجلة لهم من قوام العيش وأساسيات المسكن والطعام والكسوة؛ حتى يندمجوا في المجتمع ويرتبوا أوضاعهم في البلد الجديد، ويعيشوا فيها بعد ذلك بحرية طبيعية وصلاح حال كما ذكر النجاشي، وأيضًا هذا يؤكد للوجود الإسلامي نفسه تأكيد ما نطق به النبي ﷺ عن النجاشي وصفاته؛ فقد وجدوه واقعًا متنوعًا في العطاء والخير.

= عبيدالله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى به، وأخرجه الحاكم المستدرك ٢/ ٣٠٩- ٣١٠، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٠٠، وعقب قائلا: هذا إسناد صحيح، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبدالله بن أبي بردة عن جده أبي بردة، عن أبي موسى أنه بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فأمرهم جعفر بالإقامة فأقاموا حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر، فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه، ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق، والله أعلم.

٢ـ فيما يخص الدولة المضيفة:

فهذا يضاف إلى سجلها وتأكيد ما يقال عنها من عدل وإنصاف وحسن جوار وضيافة، وهذا له أبعاده على المستويات الإنسانية والسياسية والاجتماعية كافة، وغير ذلك، وهو أمر يستثمر في جذب الاستثمار البشري إليها وتعزيز موقعها بين الدول، وفيه التأكيد والاهتمام بالهجرات الجماعية على وجه الخصوص وأنها ترصد لهم سبل العيش الكريم، وتتيح لهم تغييرًا حقيقيًّا وتخفيفًا عمليًّا عن معاناتهم وتضحياتهم، وما قامت به الحبشة بقيادة النجاشي من تذليل المسكن والرزق ما هو إلا معْلم من معالم التعامل المحمود بينها وبين الوجود الإسلامي، وهذا الأمر كان لفترة مؤقتة؛ حيث جاء بعده الإعلان لهم بحرية حركتهم واختيار منازلهم، كما سنوضحه في العنصر القادم.

وعليه فما تقوم به دول الغرب الآن من استقبال للمهاجرين وتقديم المساعدات الأولية لهم ـ وهو أمر محمود ـ قد قدمه النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة في التعامل مع الوجود الإسلامي، وخط بفعله هذا في صفحة التاريخ السبق والتميز.

(٣)
تذليل وتسهيل العيش لهم

وهذه الخطوة في السياسة والأخلاق النجاشية تأتي مباشرة بعد الترحيب اللفظي والاستضافة المؤقتة لهم لتؤكّد صدقه وحقيقته، وأن ما ذكره ليس كلامًا ولا شعارًا يكسب بها تأييدًا أو انتخابًا، فقد فتح بعد ذلك لهم سبل تذليل العيش وتسهيله بحرية الإقامة والانتقال، ومنح امتيازًا قائلا: (فانزلوا حيثُ شئتُم). وله معان أيضًا:

١ـ تأكيد مكانة الوجود الإسلامي بجميع أفراده عنده مواطنةً وعيشًا وحريةَ انتقال.

٢ـ معاملة الوجود الإسلامي من أول يوم معاملة المواطن الحبشي؛ فهم أحرار في كل شيء، يتمتعون بما يتمتع به أبناء الدولة الحبشية.

٣ـ ترك قضية اختيار موطن الإقامة في الدولة لهم على مساحتها الكاملة دون تقييد ـ له ما بعده من سبل العيش المحمود؛ من كسب، وعمل، وتجارات، وسفر في سبيل العيش دون معوق أو منع.

٤ـ التأكيد على حق اللجوء الكامل دون فرض قيود عليهم، أو استغلال أوضاعهم، أو المساومة بهم يومًا ما.

٥ـ رسالة قوية في فهم قيمة الثروة البشرية في الدولة المضيفة، وأنه لا يجني ثمرة من هذه الثروة إلا بكفالة الحرية والعيش الطبيعي لهم.

٦ـ وأيضًا فهو بمثابة إعلان قانون نجاشي لكل حبشي من حكومته ورعيته بحسن التعامل مع الوجود الإسلامي وعدم المنع أو التضييق والإرغام على حصر العيش في مكان معين، أو دعوى الخصوصية لحاملي جنسية البلد فقط.

وختامًا:

فهي رسالة واضحة سرعان ما تصل لغيرهم من المهاجرين لكلّ من أراد أن يهاجر إلى بلد من البلاد؛ فإن أول ما يدفعه إليها سلاسة وتذليل العيش والانتقال فيها.



(٤)
منع وصول الأذى بكافة أشكاله لهم

لا يتم ما سبق مما أقره النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للوجود الإسلامي؛ من ترحيب وتسهيل عيش إلا بهذا المعلم الرابع؛ وهو منع وصول الأذى لهم، بل سن قانونًا معلنًا بذلك، وقد فعل ذلك النجاشي بعدة إجراءات متبعة:

ـ حمايتهم من المتربصين بهم داخليًّا وخارجيًّا:

فقد قال النجاشي لبطارقته حينما قالت: (أيُّها الملكُ، فاردُدهم فهم أعلمُ بقومهم فغضب النجاشيُّ، ثم قال: والله ما أفعلُ). وفي رواية: (وإن نخرتُمُ والله). كما قال لرسولي قريش: (ولا أُخلي بينكُم وبينهما). فقد أكد على الحماية الكاملة لهم فلا يقربهم أذى من خاصته وحاشته ورعيته، ولا يقربهم كذلك من المتربصين بهم الطالبين إياهم من بلادهم؛ فهو بمثابة الحيلولة بين الأحزاب والتيارات اليمينية المتطرفة في الدولة الكارهة للوجود الإسلامي من وصول الأذى منهم للوجود الإسلامي، أو منعهم من حق اللجوء والإقامة بحرية كاملة.

ـ تسنين قانون لحمايتهم وتأمينهم:

فقد سنَّ النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قانونًا عامًّا في دولته يحفظ به هذا الوجود الإسلامي، ويمنع من خلاله أي أذى قد يصل إليهم عندما قال لهم: (فأنتُم شُيومٌ بأرضي من سبّكُم غرم)، وفي رواية: (واذهب أنت يا حزب الله فأنت آمنٌ من قاتلك قتلتُهُ، ومن سلبك غرمتُهُ).

وكان في تفعيل هذا القانون صارمًا، واستجاب جميع من حوله لذلك حتى أقرّ الوجود بأنه على فترة طويلة لم يتعرّض لشيء لا خارجيًّا ولا داخليًّا؛ **أما خارجيًّا:** فعندما قالت: (فجعلنا نتعرّضُ لعمرو بن العاص وصاحبه أن يسُبّانا فيُغرّمهما فخرجا خائبين). فلم يستطع عمرو وصاحبه أن يفعلا شيئًا لمعرفتهما بصرامة القانون وعواقب انتهاكه، **وكذا داخليًّا** عندما قالت: (لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ).

بل وصل التحذير إلى عدم الأذى بالنظر المؤذي؛ فعند البيهقي في دلائل النبوة: (وقال النجاشي: من نظر إلى هؤُلاء الرّهط نظرةً تُؤذيهم فقد رغم أي فقد عصاني)[1].

وقد ذكرت بعض الروايات أن النجاشي قد حدّد الغرامة التي تقع على كاهل من يتعرَّض لهم بسوء أو أذى يخرم هذه الحماية المكفولة لهم، فقد أخرج الطبراني في الكبير: ثم قال ـ النجاشي ـ لهم: (أيُؤذيكم أحدٌ؟ قالوا: نعم، فأمر مُناديًا فنادى: من آذى أحدًا منهم، فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: يكفيكُم؟ فقُلنا: لا، فأضعفها...)[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٩٦) قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد، قال: أنبأنا أبو بكر بن عتاب، قال: حدثنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة به والحديث مرسل وإسناده إلى موسى بن عقبه إسناد حسن فيه إسماعيل بن أبي أويس وهو صدوق أخطأ في بعض الأحاديث كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ص١٠٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١١٠)، حديث رقم: (١٤٧٨) قال حدثنا محمد بن عبد الرحيم الديباجي التستري، ثنا محمد بن آدم المصيصي، ح وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، وعبد الرحمن بن سلم الرازي، قالا: ثنا أبو كريب، قالا: ثنا أسد بن عمرو الكوفي، ثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، وإسناده ضعيف لأن مداره على أسد بن عمرو الكوفي عن مجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف وقد وثقا. =

ـ غلق باب المساومات عليهم:

فقد أغلق كل محاولة للنيل منهم أو المساومة عليهم حالا أو مستقبلا بعدة كلمات أبرزت سياسته المستقبلية معهم ومع من يريد النيل منهم؛ فقد أكّد قائلًا لرسولي قريش: (فوالله ما أُبالي ألا تأتيني أنت، ولا أحدٌ من أصحابك). ليغلق باب المساومة عليهم سياسيًّا ودبلوماسيًّا، ثم قال للوجود الإسلامي: (ما أُحبُّ أنّي آذيتُ رجُلًا منكُم، وأنّ لي دبرًا من ذهبٍ).

وهنا أغلق باب المساومات المالية التي لا يثبت معها الكثير من الملوك والقادة، بل أكّد على ذلك بردّ هديتهم وأموالهم وإن كانت محببة لقلبه فقال: (رُدّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها). وكل هذا مزيد تكريم ومنزلة للوجود الإسلامي، ومزيد اطمئنان لهم على سجايا ومزايا النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ـ التعهد بعدم ترحيلهم أبدًا:

فقد قال لرسولي قريش والوجود الإسلامي: (انطلقا فوالله لا أُسلمُهم إليكُم أبدًا)، وفي رواية: (فالحقا بشأنكُما)، ومعلوم أن أكثر شيء يشغل بال الوافد الجديد أو اللاجئ ويقلقه ويخيفه هو عدم الموافقة على طلب لجوئه أو ترحيله، وقد شاهدنا هنا في الغرب أمثلة كثيرة على ذلك، بل ربما جاءه قرار الترحيل بعد أعوام واستقرار نسبي له، لكن النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اعتمد وأبرم تعهدًا بعدم ترحيلهم أبدًا، وأنهم بالخيار في بلاده بقاءً وعودةً، ولذلك بقي مَن بقي وعاد من عاد من الوجود الإسلامي؛ كعبد الله بن مسعود، وأم سلمة، وأبي سلمة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يكن للنجاشي نقضٌ لهذا أبدا.

= مجمع الزوائد ٦/ ٣٠، وقد ذكر الرواية ابن كثير في السيرة النبوية ونقل تحسين ابن عساكر لها كأنه ارتضى تحسينها. ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير ٢/ ١٧.

ـ تأمين حياتهم في وقت الأزمات والانقلابات:

فقد انشغل النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالوجود الإسلامي انشغالًا عظيمًا عندما انقلب عليه ابن أخيه ونازعه ملكه، فحاول تأمين حياتهم، وضمان سلامتهم، وهيَّأ سفنًا لنقلهم إن خسر معركته مع ابن أخيه؛ قال ابنُ إسحاق: وحدّثني جعفرُ بنُ مُحمّدٍ، عن أبيه، قال: (اجتمعت الحبشةُ فقالوا للنّجاشيّ: إنّك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُنًا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتُم، فإن هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيثُ شئتُم، وإن ظفرتُ فاثبُتوا)[1].

قلت: وما قام به النجاشي مع الوجود الإسلامي لا تراه في عصرنا اليوم، فالنجاشي يعلِّم الأممَ بأن المهاجرين الوافدين أمناء في وقت السلم والحرب، لا يستعملهم حربًا كما لا يستعملهم سلمًا، مع أنه قد يكون في أمس الحاجة لكل فرد من أفراد هذا الوجود وخدمته في المعركة المصيرية التي تتعلّق بسلطانه وحياته وبقائه، ومع هذا ظل وفيًّا ثابتًا مع ما قطعه على نفسه تجاه هذا الوجود الإسلامي الكريم.



(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣.

(٥)
التواصل المستمر والمتعدد مع الوجود الإسلامي

من معالم التعامل المحمود من الدولة المضيفة مع الوجود الإسلامي هو التواصل بشكل مستمر معهم، وأعني به هنا التواصل المباشر دون الواسطة بين البلد الجديد بمؤسساتها وبين الوجود الإسلامي، فلقد وضع النجاشي اللبنة الأولى في التعامل الراقي مع المهاجرين واللاجئين بالتواصل المستمر معهم بشكل ينم عن سبق وحكمة في القيادة، وإرساء لنظام دولته بشكل يؤكد جمعه بين الأخلاق والسياسة، وبيان أشكال هذا التواصل وثمرته فيما يلي:

١ـ فتح الأبواب وتذليل وصول الوجود الإسلامي دائمًا إليهم:

وهـذا أول علامـات التواصـل الحقيقي الذي تبرهن له الدولـة الجديـدة والقائمون عليها على صدق التعامل والتواصل المحمود مع الوجود الإسلامي والمهاجرين؛ فلا احتجاب عنهم ولا تضييق في الوصول إلى مؤسسات الدولة والتواصل معهم، وقد قام النجاشي بهذا عندما قال لآذنه: (انظُر هذا ـ يقصد جعفرًا ـ فلا تحجبه عنّي إلا أن أكون مع أهلي، فإن كُنتُ مع أهلي فأخبرهُ، فإن أبى إلا أن تأذن له فأذن لهُ).

وهذا الأمر مهم جدًّا للطرفين الدولة ومؤسساتها من جهة، والوجود الإسلامي من جهة أخرى، كما أنه يدل على احترام الدولة لمرجعية الوجود الإسلامي.

أما بالنسبة للدولة المضيفة ومؤسساتها:

ـ فهو دليل الاحترام العملي الذي تعلنه الدولة للوجود الإسلامي وأفراده.

ـ وهو مهم لمعرفة المهاجرين بشكل عام والوجود الإسلامي بشكل خاص عن قرب، ومعرفة طباعهم وأفكارهم وثقافتهم ودينهم.

ـ كما أنه يساعد على رؤية الإيجابيات التي تظهر فيهم والسلبيات التي ينبغي أن تُعالج أو تنحّى عنهم.

ـ ومهم في الوقوف على المشتركات التي يجتمع عليها الطرفان.

ـ ومهم في تأكيد واقعية ونزاهة أحكام الدولة وقادتها.

ـ كما أنه يفيد في طرد رتابة الروتين الممل الذي ورثته بعض الأنظمة بالاحتجاب، والذي ربما يعوق في إنجاز خير، أو تقدم حضاري، أو استثمار بشري.

ـ كما أنه يفيد في إغلاق باب الوصاية والرشوة والتخبيب، وغير ذلك من سيئ الأفعال إذا كان الحجب هو العنوان والوصول إليها صعب المنال والتحقيق.

وأما بالنسبة للوجود الإسلامي:

ـ فهو مهم في التعريف بهم وبما جاءوا به؛ من قضية، ودين، وعرف وثقافة.

ـ وهو مهم أيضًا في عرض أفكارهم الطيبة والنافعة للبلد الجديد؛ من علم، وتخصص، وتطور، وإبداع، ومعرفة المتميزين منهم فيحصلون على فرصة في المقدمة.

ـ كما أنه مهم في استكشاف توجّه الدولة الحالي والمستقبلي في التعامل مع وجودهم.

ـ كما أنه مسعف للوصول إلى حلول عند وقوع المشكلات والمعوقات معهم دون تأخير أو تسويف.

ـ زيادة على أنه مانع لكل أشكال الإيقاع بينهم وبين مؤسسات الدولة وقيادتها.

٢. السماع منهم لا السماع عنهم فقط:

وخاصة فيما يتعلَّق بهم من قضايا وأمور تخصّ الوجود الإسلامي والإسلام؛ وفتح الحوار معهم، وقد قام بذلك النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أغلق الباب على وفد قريش وبطارقته، وقد كان هدفًا من أهدافهم ألا يسمع منهم، بل يحكم بعودتهم؛ ففي حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قال عمرو لبطارقته: (وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنرُدّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فتُشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يُكلمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم).

لكن النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكد بأنه لا يصحّ أن يعامل المهاجرين معاملة دونية دون جريرة، أو يحكم عليهم حكمًا مسبقًا إلا بعد السماع منهم وإتاحة الفرصة لبيان أمرهم ووجهة نظرهم في القضية المتعلقة بهم؛ قائلا: (إذا لا أُسلمُهم إليهما... حتى أدعوهم فأسألهم).

أكد هذه النقطة الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى، حيث قال: (فلما فوتح النجاشي في الأمر، وأشير عليه بإبعاد القوم، رأى ألَّا بُدّ من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعا)[١].

وفي صحيح الأثر: (فوقف ـ النجاشي ـ وقفته الصادقة مع قومٍ رأى الصدق عندهم بعد أن سمع منهم، ولم يأخذهم بما قيل عنهم دون أن يسمع منهم)[٢].

(١) ينظر: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، ص١٢٢.

(٢) ينظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ص١١٨.

وفي هذا عدة دلالات:

ـ **منها:** بيان وإيضاح شيء من سياسة الحاكم والدولة المتبعة والمستقبلية في التعامل مع اللاجئين والمهاجرين.

ـ **ومنها:** التأكيد على عدم التحامل عليهم بأحكام مسبقة عنهم وصلت مغلوطة إليه، وهذا ما رفضه النجاشي قائلا: (فإن كانوا كما يقولان أسلمتُهم إليهما ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما) وفي رواية: (إنّ هؤُلاء يزعُمون...)، وهي كلمة لها مدلول مهم في فهم سياسة النجاشي وعقله وتفكيره.

ـ **ومنها:** أهمية سماعهم فيما يتعلق بهم من أحداث ومستجدات تتعلق بهم.

ـ **ومنها:** تفعيل لمبدأ إتاحة الفرص والوقوف على مسافة واحدة من الجميع سماعا وقضاء.

ـ **ومنها:** تفعيل قانون العدل والإنصاف الذي ترفعه الدولة وتأكيد نصب ميزان الحق في الوصول إلى الحكم الرشيد حقيقةً لا شعارًا وادّعاءً.

ـ **ومنها:** غلق باب الوشايات والإيقاع بالوجود الإسلامي أو غيره بشكل عام في سياسة النجاشي.

ـ **ومنها:** وضوح مبدأ حفظ الحقوق والدفاع عن النفس وإظهار الحقائق ومجازة المعتدي.

قلت: ولعلّ من أهم ما ينبغي أن أشير إليه هاهنا أن هناك بونًا شاسعًا في تفعيل هذا الأمر بين النجاشي في الحبشة قديما وبين الحكام في الدول الغربية حديثًا، وهذا البون إنما هو في كفة النجاشي صراحة وتفعيله كان أشد وأوقع من غيره ممن جاءوا بعده؛ والسبب في هذا أن كثيرًا من الأحكام والقوانين، بل والأفكار غير الواقعية عن

اللاجئين والمهاجرين مناطها الأساسي التكلم باسمهم من غير لسانهم ووجودهم على المستويات السياسية والإعلامية والحقوقية كافة، ولا يسمح لرموزهم أن يتكلّموا عمّا يتعلّق بهم من قضايا وإن سمح لبعضهم يكون من غير ذي صفة وليس مخولًا له الكلام باسم الوجود الإسلامي في هذه البلاد، الأمر الذي يجعل كثيرًا من القرارات المأخوذة حول هذه القضايا غير عادلة تضر بالوجود الإسلامي ولا تنفعه، بل ربما أؤكد أنها تضر بالبلد الجديد كاملة، وخاصة في سلمها المجتمعي[1].

٣ـ الإرسال الدائم في طلبهم وتجديد الاجتماع بهم:

وهذا أيضًا مما يكمل ما سبق في تفعيل التواصل المحمود والمستمر مع الوجود الإسلامي، وقد يكون هذا الإرسال لاستفهام، أو إيضاح، أو مشورة، أو مزيد تعريف بهم، أو عرض فكرة، وقد عدّد النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإرسال إلى الوجود الإسلامي أفرادًا وجماعات للقاء بهم في مواطن متعددة منها ما يلي:

ـ الإرسال إليهم في السؤال عن قول الإسلام في عيسى ابن مريم، وفي قضية عدم السجود له، كما قالت أم سلمة: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاهم فلمّا جاءهم رسولُه اجتمعوا، وفي رواية: (فأرسل إليهم يسألُهم عنهُ، قالت: ولم ينزل بنا مثلُهُ، فاجتمع القومُ).

(١) ومثال ذلك: ما يتعلق بقضايا المرأة في الإسلام، وكذا الحجاب، والأمور المتعلقة بالأبناء من فرائض وحريات، والصيام، والجهاد، والآخر، وغير ذلك من تعاليم الإسلام التي تبرز مغلوطة في خطابات الساسة والإعلاميين، ما أدى للأسف الشديد إلى جود ما يعرف بالإسلاموفوبيا، والسبب في ذلك هو عدم الاستماع للمسلمين أنفسهم في هذه القضايا، وخاصة من يمثلهم في هذه الملفات تخصصا وفهما أو السماع ممن يسيء إلى هذه الأمور أو يعرضها بشكل غير صحيح، وقد تكلمنا عن ذلك في الحضور الإعلامي لوجود الإسلامي بشكل كامل.

ـ **ومنها: الإرسال للسؤال عن أمر يتعلق بتسمية أبناء المسلمين**، وذكر أن جعفرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولد له بأرض الحبشة ثلاثة أولاد: مُحمّد وعون وعبد الله، وكان النجاشيّ قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله، فأرسل إلى جعفر يسأله كيف أسميت ابنك؟ فقال: عبد الله. فسمى النجاشيّ ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عُميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله، فكانا يتواصلان بتلك الأُخوة، قال السُّهيلي ومن رواية يونُس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام كان ابنًا للنجاشي نفسه[1].

ـ **ومنها: الإرسال لحضور مناسبة اجتماعية تخص الوجود الإسلامي** في شرف وتحضير واستقبال النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لها، كما جاء في تزويج أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوكالة النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: (فلمّا كان العشيُّ أمر النجاشيُّ جعفر ابن أبي طالبٍ ومن هُناك من المُسلمين فحضروا).

ـ **ومنها: الإرسال إليهم عند المخاطر المحدقة بالوجود الإسلامي**، فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُنًا، وقال: (اركبوا فيها وكونوا كما أنتُم، فإن هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيثُ شئتُم، وإن ظفرتُ فاثبُتوا).

ونلاحظ هنا..

أن إرسال النجاشي في طلب لقاء الوجود الإسلامي كان متنوعًا بين أمر يتعلّق بالعقيدة وبيان الإسلام في قضايا مشتركة بينه وبين غيره من الديانات، وبين أمر

(١) ينظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ٢/ ٣٠، لمحمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (المتوفى: ٧٨٣هـ)، تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت.

يتعلّق بالحياة الأسرية والاجتماعية للوجود الإسلامي، وخاصة في معرفة فقه انتقاء واختيار أسماء أبنائهم، وهذا إرسال ولقاء مبنيٌّ على مزيد تعارف وانفتاح على الثقافات الأخرى، وثالث اللقاءات والإرسالات في مناسبة اجتماعية للوجود الإسلامي شارك بل كان القائم عليها هو رئيس الدولة وعلى أرضه وسلطانه، وهذا إرسال يبرهن على التواصل والوصل المحمود العميق بين الدولة الجديدة والوجود الإسلامي، وأخيرًا الإرسال في أمر يتعلّق بمخاطر ربما تلحق بهم في القريب العاجل، فوجب مشاورتهم وبيان القرارات التي اتخذت لتأمين سلامتهم، وجميع هذا اللقاءات تؤكد ما سبق من روعة التواصل المستمر والمتنوع وتحقيق لغة المشاركة الفعالة بين الوجود الإسلامي والدولة الجديدة.

٤.تمييزهم بما يدل على احترامهم:

فقد اختار لهم النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسمًا يعرفون به ويميزون من خلاله عن غيرهم فقد سماهم (حزب الله)، كما جاءت الروايات بمناداتهم به في أكثر من موقف فقال مرة: (يا حزب الله نخّر). أي: تكلم. ومرة قال: (واذهب أنت يا حزب الله فأنت آمنٌ).

ودلالات هذا التمييز، وهذه التسمية فيما يلي:

ـ جمال التسمية المختارة والدقيقة الدالة على شرف ما نُسبوا له، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وما ينبغي أن يلحظ أن هذه التسمية نبعت من الدولة ورئيسها، وهذا من أعظم علامات التواصل والاحترام والتقدير للوجود الإسلامي.

ـ وكذا يدل على مكانتهم عند النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف هم في عينه وعين دولته، ولعلّ فوارق تطل برأسها عندما نرى بعضًا من المحسوبين على الساسة

والنخب، ومن يتصدرون المشهد يتحدث عن الإرهاب الإسلامي والراديكالي، وغير ذلك من الأوصاف التي تلصق بالإسلام وبالوجود الإسلامي.

ـ الجهر والإعلان بهذا الاسم مهمٌّ جدًّا ليعلم الجميع هذه المكانة فلا يكن معها إلا كل محبة واحترام وتقدير للوجود الإسلامي، وأنه به يعرفون وهو يؤصل مع الوقت مزيد تواصل وتودد وتقارب بين الوجود الإسلامي والدولة الجديدة.

ـ كما أنه يساعد على تقديم الوجود الإسلامي نفسه به عند الاستدعاء للندوات والمؤتمرات وجلسات الاستماع وجلسات البرلمانات، وفي الإعلام وجميع المناسبات التي تقيمها الدولة وتجمع المسلمين بالآخرين، وغير ذلك.

ـ وقد وعى الوجود الإسلامي الأول أهمية هذا التمييز وهذه التسمية، فاعتمدها وأصبح يتقدّم به ويقدم نفسه به في المناسبات واللقاءات التي تكون مع الدولة ومؤسساتها، يدل على ذلك تفعليها عند استدعاء جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والوجود الإسلامي معه، قال لآذن النجاشي وبصوت مرتفع: (ونادى خلفي ائذن لحزب الله عَزَّوَجَلَّ)، وفي رواية أخرى: (صاح جعفرٌ على الباب يستأذنُ حزب الله فسمعها النجاشيُّ)، وفي ثالثة: لما حدث ما حدث مع عمرو بن العاص بعد إسلامه من ضربه وسرقة متاعه: (فقال جعفر: انطلق فما انتهينا إلى باب النجاشيّ نادى: ائذن بحزب الله).

قلت: ويشبه هذا في الواقع المعاصر تسمية الوجود الإسلامي وتسجيل نفسه تحت مؤسسة لها أسماء تعرف عند الدولة به ينبغي أن تكون هذه الأسماء لتلك المؤسسات تنم على مقصد وفهم ومعنى جميل يجمع المسلمين تحته وينطلق برسالته في مسماه عند الآخر فهو اسم:

ـ يجمع ولا يفرق.

- يُقرِّب ولا يُبعد.
- يطمئن ولا يخوف.
- يعمم ولا يخص.

وهـذا ينبغي أن يكـون في كل كيـان ومؤسسة يؤسسها الوجـود الإسلامي أن يكون حاملًا لهذه الأربع سواء كانت اجتماعية أو دينية أو إغاثية أو إعلامية أو تعليمية، بل حتى أسماء المراكز والمساجد في هذه البلاد الغربية، ومثال ذلك المجلس الأعلى للمسلمين، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، إسلامك رليف ـ مرحمة للعمل الإغاثي، وغيرهم.

(٦)
ضمان حرية عبادتهم وتأمين مراكزهم

من أهم معالم تعامل الدولة الجديدة مع الوجود الإسلامي بل مع الأقليات جميعًا بشكل عام، هو ضمان حرية العبادة لهم بتأمينهم وتأمين مراكزهم ودور عبادتهم، الأمر الذي وفّرته الدولة الحبشية للوجود الإسلامي الأول جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تأكد هذا من عدة نصوص جاءت في هذا الشأن في السنَّة المشرفة، فقد بينت أم سلمة في كلامها عن الهجرة ما يفهم منه هذا، (قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشيّ، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله، لا نُؤذى ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ).

فبينت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قضية تأمين الدين والعبادة في الأرض الجديدة، وقد صاغت الكلام على المجموع وكامل الوجود الإسلامي، وركزت على قضية (حرية العبادة وعدم الإيذاء)، وقالت في موضع آخر حين نازع ابن أخي النجاشي عمه على ملكه وخاف الوجود الإسلامي من ذلك معللة: (فوالله ما علمنا حُزنًا قطُّ كان أشدّ من حُزنٍ حزنّاه عند ذلك، تخوُّفًا أن يظهر ذلك على النجاشيّ، فيأتي رجُلٌ لا يعرفُ من حقّنا ما كان النجاشيُّ يعرفُ منهُ).

والأدلة على ذلك كثيرة من خلال كلامهم والكلام على جوارهم يكفي أنه لن يكون للوجود الإسلامي بقاء آمن ما لم تؤمّن الدولة برئيسها هذا الأمر، وتعقد القوانين الرادعة لمخالفته، بل هذا الأمن الذي لامسه وأقر الوجود الإسلامي به

لم يتعرّض يومًا ما لشيء من الظلم والتضييق، وكلام أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مخافة سلب ملك النجاشي منه حتى لا يضيع هذا الأمن الذي كانوا عليه في عبادتهم ووجودهم، الأمر الذي أكّده جعفر حين وفد عليه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع قومه في عرضه بقاءهم معهم حتى يرجعوا جميعًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يؤكد هذا، وإلا لكن الفرار بأنفسهم أولى واللحوق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصوب حينما قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه عندهُ، فقال جعفرٌ: إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثنا هاهُنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا)[1].

وينبغي الوقوف بعض الشيء عما قدمته الدولة الحبشية والنجاشي على رأسها في قضية ضمان حرية العبادة وتأمين الوجود الإسلامي، وكلام أم سلمة يرتكز على ثلاثة محاور مهمة:

ـ الأمن الديني: (أمنّا على ديننا):

وهذا هو الأساس الأول في الهجرات الإسلامية خاصة، فلولا فقدان هذا الأمن لما هاجر الناس، ويتصوّر أن الأمن الديني الذي أبرزته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وصفها يمنع أشياء ويحقق أشياء:

فهو يمنع من:

ـ الظلم للدين بظلم واضطهاد أبنائه.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب: فرض الخمس)، (باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين)، (٤/ ٩٠)، حديث رقم: (٣١٣٦) ومسلم (كتاب: الفضائل)، (باب: ومن فضائل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، (٤/ ١٩٤٦)، حديث رقم: (٢٥٠٢) واللفظ للبخاري.

ـ كما يمنع تسفيه المعتقد لتنفير الناس منه.

ـ ويمنع الحيلولة بسن قوانين جبرية منافية لتعاليمه.

ـ وكذلك يمنع الاستهانة بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتكذيبه وتقليل اتباعه وهو ما يعرف بـ(حماية المقدس وعدم المساس به).

ـ ويمنع من تشويه قضاياه لمخالفتها فكر المشوه، أو تجريح منهجه بوحيه لوجود مناهج أخرى في أرضه.

ـ ويمنع الخوف الذي يقعد صاحبه عن المعايشة بهذا الدين.

ـ ويمنع تضييقا أو محاصرة في التعريف به وتعليمه، وغير ذلك.

وأما ما يحققه هذا الأمن الديني فمنه:

ـ معايشة أتباعه الدين معايشة كاملة والتمتع به.

ـ عرض أفكاره وأطروحاته حول أحداث الواقع ومستجداته.

ـ مخاطبة الآخر من خلاله، وبيان ما جاء به أو دعي إليه.

ـ ربط الأجيال به وتوريثهم إياه.

ـ إقامة مؤسسات في خدمته وتعليمه.

ـ الجهر بتوجيهاته في الملمات وبناء الحضارات.

ـ الإبداع من خلال مصدريه بما يخدمهما ارتباطًا وتأليفًا وتأسيسًا.

ـ عدم نسيان أتباعه في كل قرار من قرارات الدولة وتسنين قوانينها، وغير ذلك كثير.

ـ تحقيق مناط العبودية لله عَزَّوَجَلَّ: (وعبدنا الله عَزَّوَجَلَّ):

وهذا ثاني ما ركّزت عليه أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في بيان ما قدمته الدولة الحبشية

والنجاشي في مقدمتها معهم من لضمان حرية المعتقد وتأمين المهاجرين، وهي نقطة تلي التي سبقتها، فأول معالم الأمن الديني هو أن يحقق الوجود الإسلامي العبودية لله بعد الأمن على نفسه ومعتقده وفي كلمتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وعبدنا الله عَزَّوَجَلَّ). إجمال يخفي وراءه كل تفصيل يؤدّي إلى تحقيق هذه العبودية من:

- إفراد بتوحيده.
- وبراءة من غيره.
- ومحبة نامية له.
- وتعلق دائم به.
- وخضوع وذل وافتقار لجلاله.
- وخشوع مصاحب لفرائضه ومناجاته.
- وطاعة مسلمة لأوامره.
- وتعلم وتعليم لوحيه.
- مع التماس الكمال فيها والإتيان بها على أفضل وجوهها.....

وهذا ما قام به المهاجرون الأُوَل في دار هجرتهم بعد تأمين دينهم وأنفسهم في أرض الحبشة، ومن النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ـ السلم المجتمعي: (لا نُؤذى ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ):

وهذه الثالثة المتعلقة بتأمين حرية الوجود الإسلامي عامة وتأمين حرية عبادتهم وأماكنها؛ ولا يتحقق الأمن الديني وتحقيق كامل العبودية لله عَزَّوَجَلَّ دون هذا السلم المنشود من المجتمع والمؤسسات للوجود الإسلامي، وقد بيّنتْ أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أساس هذا السلم في نقطتين مهمتين:

الأولى: (نفي الإيذاء). وهذا يعني نفي كل أشكال الأذى المتعارف عليه من الدولة ومؤسساتها والشعب تبعًا لذلك، ولعل المقصود به هنا جميع أشكال الأذى البدني، (من تضييق وتحريش ـ أو اعتداء وضرب ـ أو حبس وقيد أو تجويع ـ أو نزع حجاب)، أو غير ذلك، كما أنه ينفى الأذى الكيدي: (من تخطيط ـ وإيقاع ـ وتشويه ـ وتخبيب ـ وممالطة ـ وخسارة مال)، وغير ذلك من أنواع الأذى التي تدفع الأكثرية لتفعيله مع الأقلية وأشكاله متعددة في الظلم والجور المادي والمعنوي.

الثاني: (عدم سماع ما يكره). وهذا يعني نفي الأذى اللفظي من (سباب ـ وتجريح وانتقاص ـ وبهتان ـ وسخرية واستهزاء ـ ومعايرة ـ ومنٍ وزيف... إلخ).

وما ذكرته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في باب ضمان حرية العبادة وركزت عليه في وصفه هو غاية ما يتمنّاه كل وجود إسلامي معاصر في أي بلد يقطنها ويستوطنها، فلو فعلت هذه الأشياء من الأمن الديني وحرية العبودية والسلم المجتمعي، وحماية دور العبادات، لكان هذا من أعلى معايير حقوق الإنسان واحترام الأديان والشعوب على مستوى العالم تأسيسًا وتطبيقًا.

هل كان للوجود الإسلامي مسجد أو دار عبادة؟

لم تأت النصوص لتبين لنا وجود مراكز أو مساجد للمهاجرة في أرض الحبشة وربما يرجع هذا إلى:

ـ في بداية أمرهم وقوع هجرتهم قبل فريضة الصلاة وفكرة إنشاء المراكز الإسلامية وحتى مع فريضتها، فلم تكن الفترة المكية تعرف بوجود المسجد والمراكز الإسلامية، فكانت بيوت الصحابة والنبي وجوف الكعبة هي النواة التي يجتمعون فيها أفرادًا يصلون معًا أو يصلي كل في بيته، وربما ظلّوا هكذا حتى

وفدوا على النبي ﷺ، كما أنه كانت الفرائض والعبادات والأوامر تصل إلى المهاجرة متأخرة، وربما لم تصل إليهم.

ـ وكذلك ربما لم يقم المهاجرة الأُوَل ببناء دار عبادة ومسجد لهم مراعاةً للدولة الحبشية والنجاشي، فقرروا بحكمة عدم الدخول في شيء يقلب الأمر عليهم، أو يخوف الناس منهم خاصة أنه لم يسلم من أهل الحبشة إلا القليل، وما زال معظم أبناء الدولة على دينها.

ـ وربما كان عندهم مكان يجتمعون ويصلون فيه، وإن لم يذكر تصريحًا في كلامهم، لكن يفهم ضمنًا من اجتماعهم والحديث على تأمين العبادة وعدم الأذى.

وعمومًا..

فقد حمت الدولة الحبشية بقيادة النجاشي الوجود الإسلامي، وكان من مظاهر معالم في التعامل معهم عدم المساس بحرية عبادتهم أو أماكن تجمعهم.



(٧)
المساواة لا الفوقية في الرؤية والتعامل

فمن معالم التعامل المحمود من الدولة الجديدة مع الوجود الإسلامي الأول المساواة وانتفاء الفوقية في التعامل معهم بل ورؤيتهم، فلا رؤية تحمل شفقة الطبقية، ولا استغلال يرتكز على متقلبات الزمن ودوائر الأيام وتداولها، ولا دونية لقلة وانعدام الظهير، ولا استضعاف واستعباد لإدراك ضرورة البقاء واستحالة العودة، وغير ذلك مما يساء، ويلاحظ فعله أحيانًا في تعامل البعض مع الأقليات، ولقد ضرب النجاشي كرئيس دولة الحبشة، هذا الأمر للوجود الإسلامي وانطلق معهم من منظور التساوي لا الفوقية، فلقد قال لقومه: (لا هيمُ الله، إذًا لا أُسلمُهم إليهما ولا أُكادُ، قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي... وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني).

وكلام النجاشي هنا أبعد عن الدبلوماسية السياسية التي تفرض نفسها أحيانًا في بعض المواطن للضرورة وتحصيل المكاسب المختلفة، فلا يحمل ما ساقه وتكلم به من هذا المنطلق لانتفاء الداعي لذلك، وهذه العبارة منه القليلة في تراكيبها، العظيمة في معانيها ودلالاتها تؤكد على عدة معان إثباتًا ونفيًا:

١ـ إدراكه معادن القوم ومكانتهم والاعتراف بهم وبعظم من قدموا من عنده ومكانة بلدهم.

٢ـ رؤية الفضل منهم عليه باختيار أرضه وحكمه عن غيره، وهذا يرفع مستوى

النظر إليهم ويجعل تحقيق المقابل منه حتميًّا وفرضًا لتأكيد ما نطقوا به في شخصه وبلده.

٣ـ يفهم منه تعظيم النجاشي الإنسان كإنسان دون اتفاق في شيء من لون أو لغة أو دين.

٤ـ إدراك أن حوادث الأيام ومتقلبات الزمن لا رادع لها ولا ينجو منها أحد، فهي رؤية لهم على أصلهم لا ما وقعوا فيه من استثناء واضطرار.

٥ـ وهي أيضًا جديرة هذه الرؤية المنطلقة من لغة التساوي بتخفيف حمل المهاجر المعنوي، وتخفيف نظر الآخرين إليهم، وتحقيق كرامتهم وعودتها.

٦ـ وهي كذلك ضابطة لقادم التعامل والتعايش على المستويات كافة، فلا تقليل ولا انتقاص ولا تهميش.

٧ـ الاعتراف منه بأنهم أهل الاختيار، والاختيار معهم لم يحد عنهم حتى في أرضه، وشتان بين مهاجر تعترف الدولة باختياراته وتقدرها وتصدرها، وبين حمل المهاجر وجبره وغلق مساحات الاختيار لنفسه على أرضها، بالطبع ما لم يخالف قانونًا أو نظامًا.

٨ـ التأكيد على استمرارية هذه المساواة في الرؤية والتعامل لا يطرأ إليها فتورٌ ولا ترك ولا قلب، ويؤكد هذا أنه جعل للوجود الإسلامي من المميزات ما ليس لقومه، وخاصة في قضية الدخول عليه ولو مع أهله إذا أصر رئيسهم ومرجعيتهم على ذلك، ومثل هذا لا يكون من هذه النظرة والكفاءة والإحسان.

وفي الختام...

الدال على ما تقدّم من تأكيد لغة المساواة وانتفاء الفوقية أن النجاشي يؤكد أن

فقه البدايات عند الوجود الإسلامي، ومن كانت معه البداية فآلية التحكم ما زالت معه، وعليه فيجب أن يفهم الوجود الإسلامي أن بيده رسم مكانته وتأكيدها وفرض سياسة التعامل معه ما حقق القيد والشرط الذي أطلقه النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (حسن الجوار وتفعليه) بكل أشكاله وأبوابه.



(٨)
نقل أخبار دولتهم الأم إليهم

أخرج ابن المبارك في الزهد قال: أخبرنا عبدُ الرّحمن بنُ يزيد بن جابرٍ، عن عبد الرّحمن رجُلٌ من أهل صنعاء، قال: (أرسل النجاشيُّ ذات يومٍ إلى جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيتٍ عليه خُلقانٌ جالسٌ على التُّراب. قال: جعفرٌ فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما في وُجوهنا. قال: إنّي أُبشّرُكُم بما يسُرُّكُم؛ إنّه جاءني من نحو أرضكُم عينٌ لي، فأخبرني أنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد نصر نبيّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأهلك عدوهُ، وأُسر فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، وقُتل فلانٌ وفلانٌ التقوا بوادٍ يُقال له: بدرٌ، كثيرُ الأراك، كأنّي أنظُرُ إليه، كُنتُ أرعى به لسيّدي رجُلٌ من بني ضمرة إبلهُ...الحديث)[1].

والقصة إن ثبتت تؤكد دور دولة المهجر مع الوجود الإسلامي، وأنها من معالم تعاملها المحمود مع المهاجرين نقل الأخبار التي تتعلّق بدولتهم الأم، وخاصة فيما يتعلّق بحروبها ومعاركها وانتصارها على من ظلمهم وأخرجهم من ديارهم[2]،

(١) أخرج ابن المبارك في الزهد (باب: التواضع وترك الكبر)، (٢/ ٥٣)، وفي إسناده عبد الرحمن الصنعاني الراوي لها لا يعرف، والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، ص٤٥، حديث رقم: (١٣٠) عن عبدان بن عثمان عن عبد الرحمن بن يزيد عن الصنعاني، وذكر القصة البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٣٣، وابن كثير في السيرة ٢/ ٤٧٧.

(٢) أكد السهيلي الرواية في الروض الأنف ونقلها وعلّق عليها بمعرفة النجاشي اللسان العربي، وهذا له استدلاله في غير هذا الموضع، قال: قد روي أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى =

وليس نقل الأخبار فقط هو الذي قامت به الدولة بقيادة النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنما محاولة إدخال السرور على المهاجرين وتخفيف آلامهم، والاطمئنان على نبيهم وقائدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك، قال الأستاذ أحمد غلوش: (قد عم السرور والفرح قلوب المسلمين جميعًا، وشكروا الله تعالى على ما أنعم عليهم من نصر، حتى إن النجاشي ملك الحبشة لما جاءه خبر انتصار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الحبشة أرسل إلى جعفر وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت قديم عليه ثياب رثه، جالس على التراب فأخذ يبشرهم بالنصر، ويهنئهم بالفوز والفلاح)[1].

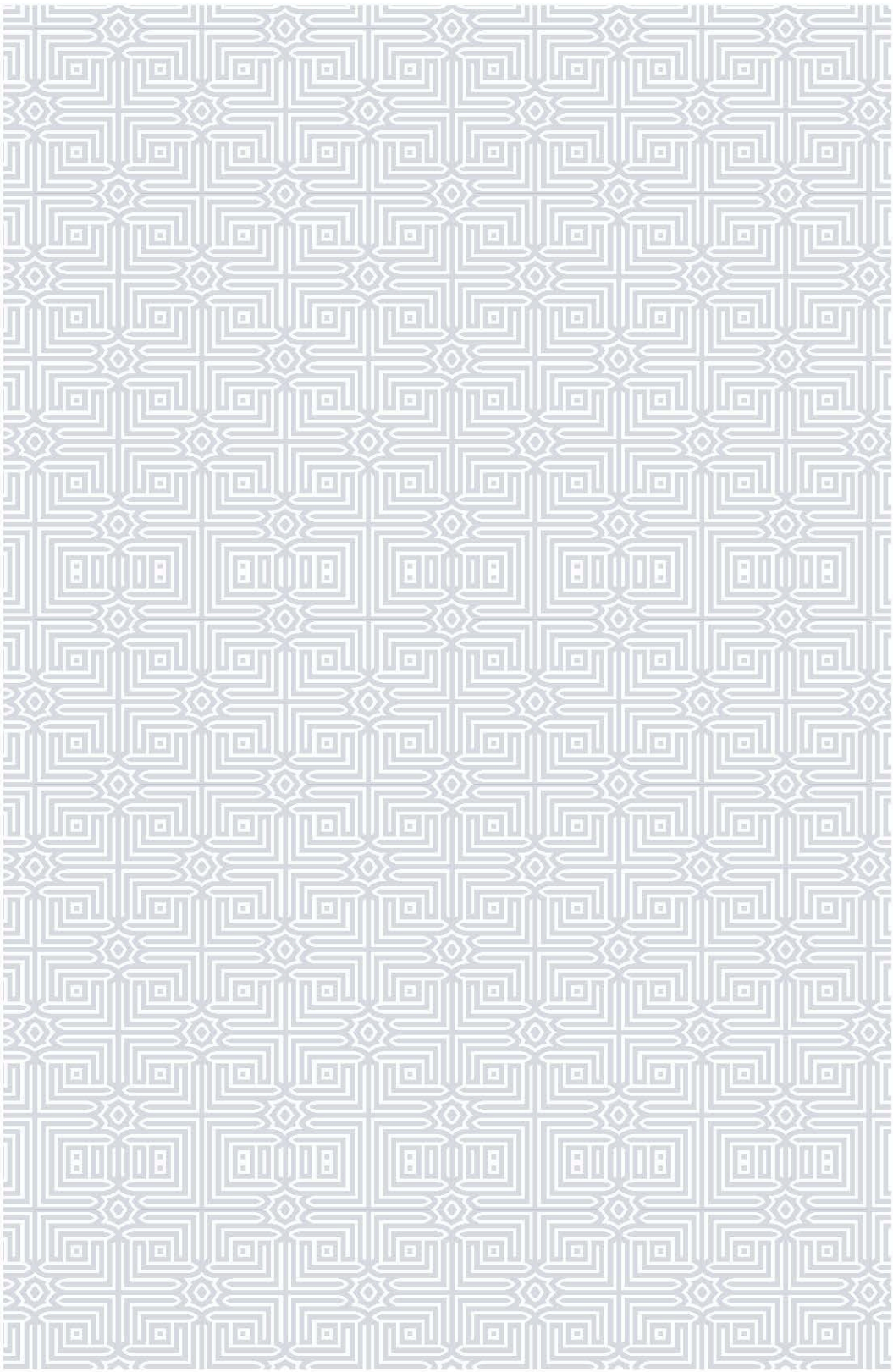
= النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين، فأرسل إليهم فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحا، وقعد على التراب والرماد فقالوا له: ما هذا أيها الملك؟ فقال: إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة، وهي أن النبي محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الأراك، كنت أرعى فيه الغنم على سيدي، وهو من بني ضمرة، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه.

فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا ـ والله أعلم ـ تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى، وأخضل لحيته، وروي عنه أنه قال: إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان. ينظر: الروض الأنف ٣/ ١٥٦.

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوية في العهد المدني، ص٢٩٢.

الفصل السابع

معالم تعامل الدولة الإسلامية (الدولة الأم) مع الدولة المضيفة وأتباعها



تمهيد

هـذا الفصل أرصـد فيه معالم تعامل الدولة الإسلامية (الدولة الأم الأصليـة) ـ وأقصد دولة النبي ﷺ التي تأسست وتكونت وكبرت في المدينة المنورة ـ مع الدولة المضيفة وأتباعها؛ فلم تكن الدولة الإسلامية بعيدة عن موطن أبنائها المهاجرين الجدد، ولم تكن بمعزل عنهم في تتبعهم ومعرفة أحوالهم وأحوال الدولة الجديدة معهم، وهذا سمو في التعامل والتتبع والرصد والسياسة الخارجية، أشبه بوجود وعمل (وزارة للمغتربين في الخارج) في العصر الحديث، وهذا بالطبع له مقاصد مهمة منها:

أولًا: ربط الوجود الإسلامي ببلادهم الأصلية (الدولة الأم)، فلا يبعدوا عنها ولا يبتعدون عنهم، وهذا بالطبع إذا ما كانت هجرة المهاجرين ليست هروبًا من مؤسسات هذا البلد المسلم، وليسوا سببًا في هجرتهم بالأسباب التي ذكرناها في بداية كلامنا على أسباب الهجرة.

ثانيًا: وهذا التعامل والتتبع يوجّه الدولة المضيفة بشكل غير مباشر إلى اختيار أسلوب ونظام محمود في التعامل مع هذا الوجود عندها، خاصة إن كانت دولته التي قدم منها قوية وتحمل من الصفات العالية رقيًّا وحضاريًّا، والواقع المعاصر يؤكد هذا في بعض البلاد، فليس رعايا الدول المتقدمة علميًّا وحضاريًّا وثقافيًّا وحقوقيًّا كغيرهم فيمن جاءوا مهاجرين أو لاجئين، أو كانت بلادهم لا تهتم بهم لضعفها أو تخلفها، والأمثلة أكثر من الحصر والواقع دليل على ذلك.

ثالثًا: وهو المقصد الثالث ومحور هذا الفصل؛ أنه ينبني على هذا الرصد والتتبع من معاملة الدولة الجديدة مع الوجود الإسلامي عندها معاملة الدولة المسلمة الأصلية معها ومع أتباعها بالمقابل والمثل من أقوال وأفعال وسياسات، خاصة فيمن نزلوا منهم بين المسلمين، أو كانوا من أهل الإسلام.

لقد ضربت الدولة المسلمة الأم (الأكثرية) بقيادة النبي ﷺ أروع الأمثلة في تعاملها مع الدولة التي استضافت الوجود الإسلامي واستوعبته في وقت محنته، فكان هذا النموذج النبوي الفريد ابتداء من رسالته في تأسيس الأخلاق وحسن المعاملة، وصناعة المعروف من منطلق إسلامي أولًا، ورد التحية بمثلها أو أحسن منها وصون المعروف المقدم من الآخر بالعرفان والامتنان والمقابل ثانيًا.

ولا بد أن نفهم أن الدولة الإسلامية هنا بقيادة النبي ﷺ تكوّنت بمعالمها وأدواتها ونظامها بعد هجرة المهاجرين الأُوَل إلى الحبشة، بل بعدها بسنوات، ما يجعل كل ما يقدّم من رسول الله ﷺ ودولته يحمل الصبغتين: الصبغة الإسلامية الناشئة من تعاليم الإسلام في الأخلاق والمعاملة بالحسنى مع الجميع أولًا، والصبغة العرفية والدولية في مقابلة الإحسان ورد جميل فعل الآخر بمثله وزيادة ثانيًا، وعليه فلا ينبغي أن ننظر لكل ما حدث من الدولة الإسلامية مع أتباع الدولة الحبشية عندها بمعزل عمّا يحدث مع الوجود الإسلامي في بلادهم، فلقد كانت عين الدولة الإسلامية والنبي ﷺ على رأسها ترصدهم هناك منذ أول يوم هاجروا فيه، والأدلة كثيرة على ذلك.

ولهذا سنبرز محاولين معالم هذا التعامل الفريد والواقعي من دولتنا الإسلامية بقيادة النبي ﷺ مع الدولة الحبشية وأتباعها داخليًّا في حدود أرضنا (المدينة المنورة) وخارجيًّا في حدود دولتهم (الحبشة)، ويدفعنا هذا أن نبرزه إحياءً لسنته وتطبيقًا لمنهجه في الواقع المعاصر.

(١)
معالم التعامل مع أتباع الدولة الحبشية داخليًّا

أولًا: تمييز رعاياها وسوق الأمن لهم.

أولى هذه المعالم التي غرسها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المسلمين أتباع الدولة الحبشية هو تمييزهم وسوق مزيد أمن فوق أمنهم؛ والتمييز هنا تمييز لا طعن فيه؛ إذ ليس هو في مقابل أخوة الإسلام وجهتها الأخرى، بل تحت ظلالها، فليست القومية مذمومة إذا كانت في دائرة الاعتدال وتحت مظلة الإسلام وتسمية المهاجرين، والأنصار، والأشعريين، ووفد عبد القيس، واليمانيين، والوفود جميعًا، وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية دليل ذلك، وفي تعامل الدولة الإسلامية مع الأحباش عندها، فقد جاء عند البخاري عن أم المؤمنين عائشةُ قالت: (رأيتُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستُرُني وأنا أنظُرُ إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عُمرُ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعهم أمنًا بني أرفده» يعني من الأمن).

وقد حمل الحديث دلالات مهمة نجليها فيما يلي:

ـ نداؤهم بما يميزهم ويعلي مكانتهم بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بني أرفدة»، قال ابن حجر: (قوله: «أرفدة» بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الفاء وقد تفتح، قيل: هو لقب للحبشة، وقيل: هو اسم جنس لهم، وقيل: اسم جدهم الأكبر، وقيل: المعنى يا بني الإماء)[١].

(١) ينظر: فتح الباري ٢/ ٤٤٤.

وهنا يستدل على اطلاع النبي ﷺ الواسع وعلمه بنسبهم البعيد، ونداؤهم به دليل محبته، واهتمامه بهم، واستمالة لقلوبهم ودعمًا لهم وتمييزًا لوجودهم المحمود بين إخوانهم.

ـ وهو أيضًا بيان لحسن التعامل وردّ الجميل لدولتهم لكل من وطئ منهم أرض الإسلام سواء مرّ بها أو سكن فيها، ويبين لنا أيضًا: كيف كان لون التعايش المزهر والراقي بين طوائف المسلمين في البلد الواحد الدال على ذوبان الفوارق وغياب عناصر التمييز المذموم والعصبية؟

ـ والحديث كذلك يوضح جزءا من سياسة ونظام النبي ﷺ والمسلمين في دولتهم الإسلامية مع الأقليات عندهم من إخوانهم المسلمين أو من غيرهم؛ من كفالة الحرية والأمن المساقين للجميع ما لم يخالفَا شرعًا أو يوجبَا عقوبةً، وليكون نموذجًا لمن رام النظر في الدولة الإسلامية التي تكوّنت وتقدّمت على عهد رسول الله ﷺ، فالأحباش في المدينة أقلية عرقية وإن كانوا مسلمين، لكن أجواء الحرية والمساواة والأمن الرائعة التي ساقها الإسلام ورسول الإسلام ﷺ في مجتمع المدينة ليؤكد لِمَن كان معهم ومن يأتي بعدهم أبعادًا عظيمة تستوجب التركيز عليها وبثّ جمالها للناس.

وختامًا...

فإطلاق شعار «أمنا» من رسول الله ﷺ ليؤكد أنه لم يكن في الدولة الإسلامية شعار دعائي فقط، فقد أكده فعالًا كما أكده قولًا رسول الله ﷺ من خلال سيرته وسنته[1].

(١) وفي الحديث فوائد أخرى غير ما ذكر منها: بيان أهمية المؤسسات الإسلامية، وكيفية اتساع مناط عطائها ودورها في المجتمع النبوي، وهو دليل على تراجع حقيقي لمؤسساتنا =

ثانيًا: اختصاصهم وإفرادهم بوظائف في الدولة الإسلامية.

فقد كان من جملة التعامل المحمود الذي قدّمته الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بقيادة النبي ﷺ أن خصّ بعضًا من رعايا دولة الحبشة ببعض الوظائف التي خصّوا بها إكرامًا لهم وتوظيفًا لكفاءة صاحب الحق فيهم؛ فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده: عن أبي هُريرة، يقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**المُلكُ في قُريشٍ، والقضاءُ في الأنصار، والأذانُ في الحبشة، والسُّرعةُ في اليمن**»(١).

فقد جعل النبي ﷺ الأذان في الحبشة ورئيسهم بلال رضي الله عنه، قال الملا علي القاري: (والأذانُ في الحبشة، أي: لأنّ رئيس مُؤذّنيه ﷺ كان بلالًا رضي الله عنه وهو حبشيٌّ)(٢).

= ومساجدنا في الوقت المعاصر، وتقلص لأدواره التي تبث إلينا الأخبار عن زمن رسول الله ﷺ من اتساع عملها وتنوع حقائبها وجميل حركتها، ومنها: بيان المشاركة للجميع بين الفعل والمشاهدة وهو أمر جميل ما روعي فيه الآداب والأخلاق والتعاليم الإسلامية ودليل عملي على مرونة الإسلام وتفاعل أبنائه.

(١) أخرجه أحمد قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: حدثني معاوية بن صالح، قال: حدثني أبو مريم، قال: سمعت أبا هريرة... به. (٦/ ٤٠٣)، حديث رقم: (٣٢٣٩٥)، والترمذي (الكلام على رفعه ووقفه)

ويشهد للمرفوع له حديث آخر عند أحمد قال: حدثنا الحكم بن نافع، قال: حدثنا إسماعيل ابن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن كثير بن مرة، عن عتبة بن عبد السلمي، أن النبي ﷺ قال: «**الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة، والهجرة والجهاد في المسلمين**» (٢٩/ ٢٠٠)، حديث رقم: (١٧٦٥٤) وإسناده حسن، قال المناوي: قال الزمخشري: والدعوة في الحبشة، يعني الأذان وجعله في الحبشة تفضيلا لبلال ورفقا منه ينظر: فيض القدير ٣/ ٥٠٨.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ٩/ ٣٨١٧٧، حديث رقم (٦٠٠١).

وقال الصنعاني: (لأن منهم بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويحتمل أن مراده أن أوائل هذه الأمور كانت لهؤلاء، أو أنهم أحق بها إن وجدوا)[1].

قلت: وهذا الذي قاله الصنعاني هو الأقرب عندي؛ فاختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مؤذنًا ورافعًا لنداءِ الحقّ، عامله الأول كفاءة بلال ونداوة صوته، ويبقى أمر الأذان في أبناء الحبشة في المجتمع الإسلامي إن وجد منهم من يحمل صوتًا نديًّا ونطقًا سليمًا فيقدم على غيره[2]، إكرامًا وتشريفًا لمكانة بلال، وصيانة للمعروف المقدّم من دولتهم مع المسلمين هناك، وهذا الإكرام وهذه الوظيفة مع شرفها وشرف مَن يقوم بها تجعلنا ننظر إلى زاوية التوظيف النبوي لأبناء الأقليات المسلمة عنده من غير العرب لتأكيد المساواة بين يديه، وتقديم الأكفاء منهم، وردّ الجميل والصنيع لهم[3] لما قاموا به مع الوجود الإسلامي عندهم.

---

(١) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير ١٠/ ٤١٩.

(٢) كما في حديث عبد الله بن زيد في قصة الأذان وفيه قال: (فلما أصبحت أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرته بما رأيت، فقال: **«إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك»** قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به).
أخرجه أحمد في مسند عبد الله بن زيد قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثني أبي، عن محمد ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن محمد بن عبد الله ابن زيد بن عبد ربه، قال: حدثني عبد الله بن زيد، قال: لما أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناقوس... الحديث (٢٦/ ٤٠٢)، حديث رقم: (١٦٤٧٨)، وإسناده حسن فيه محمد بن إسحاق صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث هنا.

(٣) وهذا المنهج سنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من المواقف ردًّا للجميل الذي يساق معه أو مع أحد من أمته، ومن ذلك كما عند البخاري عن محمد بن جبير، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في أسارى بدر: **«لو كان المطعم بن عدي حيًّا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»**، (٤/ ٩١)، حديث رقم: (٣١٣٩)، (والمطعم بن عدي) هو الذي سعى في نقض الصحيفة التي علقتها قريش على الكعبة، وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب؛ =

ثالثًا: توقير لغتهم بين المسلمين في الدولة الإسلامية.

ومن معالم التعامل أيضًا مع أتباع الدولة الحبشية في الدولة الإسلامية الأم توقير لغتهم واحترامها، وقد كان هذا من رسول الله ﷺ بأشكال متعددة منها:

ـ استخدام بعض الكلمات المشتركة بيننا في الحديث النبوي: فمن طالع السنة المشرفة يجد أن النبي ﷺ استخدم في تعبيراته وحديثه بعضًا من كلمات الأمم السابقة، وخاصة أمة الحبشة والمشتركة مع العربية، وقد ذكرت ذلك تفصيلًا في الفصل السابق، وسأبين الدلالات من هذا، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن شقيق، قال: جلس عبدُ الله، وأبو موسى فتحدّثا: فقال أبو موسى: قال النبيُّ ﷺ: «**إنّ بين يدي السّاعة أيّامًا، يُرفعُ فيها العلمُ، وينزلُ فيها الجهلُ، ويكثُرُ فيها الهرجُ**»[1] ـ وفي رواية[2]: قال: قُلنا: وما الهرجُ؟ قال: «**القتلُ**» ـ قال أبو موسى: (والهرجُ: القتلُ بلسان الحبشة)[3].

ويلاحظ هنا في رواية الإمام البخاري أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو مَن

= لأنهم نصروا النبي ﷺ.

(١) أصل الهرج الكثرة في الشيء والاتساع، والهرج: الفتنة في آخر الزمان. والهرج: شدة القتل وكثرته. وفي الحديث: (بين يدي الساعة هرج): أي قتال واختلاط. وقال أبو موسى: الهرج، بلسان الحبشة: القتل. ينظر: تاج العروس ٦/ ٢٧٥.
قال الدكتور محمد عبد الوهاب فضل: (واستعمال العرب الهرج بمعنى القتل لا يمنع كونها لغة الحبشة، وإن استعمالها في الاختلاط والاختلاف). ينظر: كتاب رفع شأن الحبشان، للإمام السيوطي رحمه الله تعالى تحقيق الدكتور، ص١٤١ هامش (١٢٩).

(٢) رواية الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٣٦٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب: الفتن)، (باب: ظهور الفتن)، (٩/ ٤٨)، حديث رقم: (٨٠٦٤).

سكن الحبشة قد سمع الحديث وبيّن معنى الهرج، وعلم أنها كلمة حبشية استعملها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثه، ثم بين معناها بالعربية لمن أسمعه وكان معه.

ـ **استيضاح النبي لمعني كلامهم بين يديه:** وهذا أيضًا جاء في السنة أنهم إذا ما تحدّثوا بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغتهم، فقد كان يشاركهم النبي في حوارهم بطلب ترجمة ما يخرج من عباراتهم وكلماتهم الحبشية التي كانوا يتحدثون بها أحيانًا بين يديه، ومن ذلك عند أحمد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنّ الحبشة كانت تزفنُ ـوفي رواية: يزفنون[1] ـ بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتكلمون بكلامٍ لهم فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يقولون؟**» قال: يقولون: مُحمّدٌ عبدٌ صالحٌ)[2].

ـ **كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع بعضهم بلغتهم:** وهذا شكل ثالث من أشكال التوقير لأبناء الحبشة في لغتهم، وقد كان يفعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمقاصد متعددة، ومنها احترام الوافد عليه واستمالة قلبه، كما جاء عند البخاري عن أُمّ خالدٍ بنت خالدٍ، قالت: قدمتُ من أرض الحبشة، وأنا جويريةٌ، فكساني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خميصةً لها أعلامٌ، فجعل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسحُ الأعلام بيده ويقول: «**سناه، سناه**» قال الحُميديُّ: (يعني حسنٌ، حسنٌ)[3].

---

(١) قال النووي: (يزفنون) هو بفتح الياء وإسكان الزاي وكسر الفاء ومعناه يرقصون وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص؛ لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم فيتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات. ينظر: شرح مسلم للنووي ٦/ ١٨٦.

(٢) أخرجه أحمد: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس به (٢٠/ ١٧)، حديث رقم: (١٢٥٤٠) وإسناده صحيح، ولمسلم عن عائشة، قالت: (جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد... الحديث) (كتاب: العيدين)، (باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية معه) (٢/ ٦٠٩)، حديث رقم: (٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب: مناقب الأنصاب)، (باب: هجرة الحبشة)، (٥/ ٥٠)، حديث =

التعليق:

ومن خلال ما ذكرته مختصرًا من توقير لغة أتباع الدولة الحبشية ومن جاء منها عند رسول الله ﷺ وبين يدي المسلمين، يطرح تساؤلًا لماذا استخدم النبي ﷺ بعض كلمات الدولة الحبشية؟

والإجابة نجليها في الأسباب التالية:

١ـ مراعاة إيصال الحديث والعلم النبوي بالمشترك اللفظي لكل من يحضر بين يديه ما تحمّل اللفظ ذلك، حتى يفهم عنه ويعيه الجميع ولا يستحكم عليهم، قالت الدكتورة آمنة الزعبي في تعليقها على استخدام النبي ﷺ كلمة «الهرج»، وتبيين مرادها كما في رواية أخرى أنه ﷺ المُبين[1] : (ولعل ما يمكن ملاحظته على نص الحديث: أنه يذكر أن مَن أصّله في اللسان الحبشي هو

= رقم: (٣٨٧٤).

(١) رواية الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٣٦٩٥) وعنده من رواية حذيفة قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط، قال: سمعت أبي يذكر عن حذيفة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: **«علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا»**، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة: «القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحدا».

قال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح لكن إياد بن لقيط لم يدرك حذيفة، ويشهد له حديث أبي موسى الأشعري عند الطبراني كما في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم يسم. وفي باب الهرج الذي بين يدي الساعة عن عبد الله بن مسعود، سلف برقم (٣٦٩٥) و (٤١٨٣). وإسناده صحيح. وعن أبي هريرة سلف برقم (٧١٨٦). وينظر شواهده عندهما. ينظر: المسند ٣٨/ ٣٣٦، حديث رقم (٢٣٣٠٦).

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكأن رواية الحديث تفيد أنه كان يعرف مصدر هذه الكلمة، وأن القوم الذين كانوا يجلسون إليه كانوا لا يعرفون الكلمة أو استعمالها، علمًا بأنها في دلالات أخرى معروفة في اللسان العربي)[1].

٢ـ وفيه أيضًا استمالة قلوب كل من حضر بين يديه باستخدام شيء من لغته، وهذه الكلمة الواحدة تفعل الكثير من جذب الانتباه، والفرح باستخدام لغتهم، ورفع الحواجز ومراعاة الجميع، وغير ذلك من الدلالات، وكون أبي موسى حاضرًا ربما يدلل على وجود بعض من أصحاب السفينتين اللتين وفدتا من الحبشة وفيها صحابة النبي وأبناؤهم الذين ولدوا هناك، أو كان حاضرًا مع مَن كان من أهل الحبشة في المدينة، فناسب وجودهم ذكر الحديث فاستخدمها.

٣ـ والحديث الثاني: يستدل به على تركهم استخدام لغتهم في الدولة الإسلامية وعدم حملهم على الحديث باللغة العربية، ومرونة التعامل النبوي في ذلك، بل وطلبه ترجمة ما يقولون لمعايشته معهم، وسكوته إقرار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قاموا به، وتوقير واحترام للسان الذي ينطقون به.

٤ـ وأما الحديث الثالث: ففيه مراعاة الأجيال التي لا تعرف العربية، أو كانت لغتها الأم الحبشية؛ لكونها ولدت هناك ونشأت على هذه اللغة، فإذا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستخدم كلماتهم في التعبير عن فرحته بهم وسعادته بجميل هديته على صغارهم، وفي ذلك: من إزالة الحواجز، ومراعاة المقابل، ولين القلوب، ومرونة التعامل، وتحبيب الجيل الثاني في قدوتهم وتقدير لغة الآخرين وتسنين

(١) ينظر: بحث جهود العلماء المسلمين في تأصيل المفردات الحبشية، ص ٧٨، وهو بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد السابع، العدد ٣ عام ١٤٣٣هـ ٢٠١١م.

ذلك في المجتمع الإسلامي، وغير ذلك ما يؤكد ما أشرنا إليه من فقه التعامل المحمود لأتباع الدولة الحبشية في المجتمع النبوي.

رابعًا: الصلاة على من مات منهم من المسلمين في بلادنا.

يقدِّم لنا النبي ﷺ معلمًا آخر من معالم التعامل بين الدولة الإسلامية وأبناء الدولة الحبشية في مدينته، وهو وإن كان أمرًا يتعلّق بفرد من المسلمين إلا أننا لا ينبغي أن نغفل عن جانب مهم من جوانب ارتباط هذه الشخصية بالدولة الحبشية، خاصة وأنه على رأسها، بل له الفضل الأكبر بعد الله عزّ وجلّ مع الوجود الإسلامي الأول هناك، فإن أول صلاة على الغائب كانت من نصيب هذا العلم الأسمر الذي حمل بياضًا قلبيًّا فاق بياض الثلج، وكأن التكريم الإلهي له والنبوي بتشريع جديد وجليل نظير ما قدمه في خدمة دينه وإخوانه فرفع شأنه، وكان هذا بداية لما يكون بعده من مكرمات الله عليه، فقد أخرج البخاري عن أبي هُريرة رضي الله عنه: «أنّ رسول الله ﷺ نعى النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه؛ خرج إلى المُصلى، فصفّ بهم وكبّر أربعًا»: وعنه رضي الله عنه، قال: نعى لنا رسولُ الله ﷺ النّجاشيّ صاحب الحبشة، اليوم الذي مات فيه، فقال: «**استغفروا لأخيكُم**» وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «أنّ رسول الله ﷺ صلى على النجاشيّ، فكُنتُ في الصّفّ الثّاني أو الثّالث».

وقد دل هذا الفعل النبوي ـ إضافة لأفعال أخرى معه ـ على عدة معالم مهمة؛ كل معلم منها عنوان لقيم سامية وأخلاق نبيلة وتوجيهات فريدة وسياسة عظيمة قدّمها النبي ﷺ ليتعلّم الجميع منها أفرادًا ودولًا، وهي كما يلي:

١ـ (عالمية أخوة الدين):

فالتأكيد المستمر من النبي ﷺ على عالمية أخوة الدين تأكيدًا قوليًّا

وعمليًّا بين جميع المسلمين، فلا فرق بينهم على أساس لونٍ أو قبيلة أو لغة أو مكان.

٢. (مراعاة مشاعر الأقلية المسلمة في مصابهم):

فهو يؤكد أهمية أن يتفاعل الأكثرية المسلمة مع الأقلية المسلمة معهم في كافة الأحداث بجميع صور التفاعل المعهودة المادية والوجدانية، وتفعيل ذلك دليلٌ على الاهتمام الحقيقي، ومعاهدة أخبار الجميع، والمشاركة فيها مشاركة جماهيرية تتعلمها الأجيال وتثلج صدور أتباع هذه الدولة الحبشية من المسلمين داخليًّا وخارجيًّا.

٣. (جانب من جوانب التعريف بالنبي ﷺ والرسالة):

ففيه رسالة إلى الأقليات المسلمة المهاجرة ببيان صورة التعامل الراقي في الفعل النبوي المؤسسي، وهو باب عظيم في التعريف بالنبي ﷺ وسيرته ينبغي أن يصدَّر للآخر أفرادًا ومؤسسات.

٤. (أهمية الثروة البشرية في الأمة الإسلامية):

الأمة تتألم بمجموعها على فقدان فرد واحد منها، سواء كان حاكمًا أو محكومًا، أبيض أو أسمر، ذكرًا أو أنثى، وهذا لعَمري من أروع الرسائل من النبي ﷺ على أهمية الفرد الواحد والثروة الحقيقة في الأمة الإسلامية، فهي تتألم بمجموعها عليه عند وجود أذى له في دنياه، أو فقده عند مماته، الواحد كالجميع لا يفرق العدد في الشعور ولا في شكل التفاعل الحقيقي الذي يقدم.

٥. (تعظيم ميزان الفرد في أمة الإسلام):

وفيه دلالة أخرى وهي أن إخوان رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه

الواحد منهم يساوي أمة بأكملها تقوم له الأكثرية دفاعًا وتحيةً وفرحًا وحزنًا ما يدل على أهمية المعادن والقامات عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي زمن رسول الله ما يستنهض الهمم لمعرفتهم حق المعرفة والتماس سيرتهم والنظر في حركة حياتهم.

٦ـ (عدم نسيان الجهود المقدمة):

فالنعي الذي يحمل لغة الفقد والحزن يؤكِّد التقدير لذلك الشخص الذي وقف موقف البطولة مع المسلمين دفاعًا وحمايةً، ويعلم الجميع أن الرجل يصنع ذكراه وبطولته وخاتمته وسيرته التي تفوق الأرجاء بالعمل لهذا الدين وأبنائه.

٧ـ (التخليد التاريخي للرمز الإسلامي أيا كان موقعه):

فاليوم الذي مات فيه النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له من الدلالات العظيمة: إعلام الله لنبيه ولأمته منزلة النجاشي عند الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته ورسله من القبول والرضا، لينتقل تلقائيًّا إلى الجموع البشرية من أمة النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وضع القبول له في الأرض ليس فقط في زمانه، بل في جميع الأزمنة من لدن رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يوم القيامة.

خامسًا: إعلان رموزهم في الدولة الإسلامية وبيان سبقهم وتقدمهم.

وهـذا أيضًا مما يضاف إلى معالم تعامـل الدولة الإسلاميـة بقيـادة رسولنا الكريم مع الأقليات الموجودة في الدولة ومنهم أبناء الحبشة المسلمين، فقد أعلن وجهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبق وتقدّم رموزهم إلى الإسلام والجنة[1]، في صورة يجمعهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه في سياق واحد، يحمل معاني متعددة ومفاهيم

(١) قال المناوي في شرحه مفسرا: (أنا سابق العرب... إلخ). أي: متقدمهم إلى الجنة أو إلى الإسلام، ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣٧٦.

عميقة رائعة، فقد أخرج البزار عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّبّاقُ أربعةٌ: أنا سابقُ العرب، وسلمانُ سابقُ فارس، وبلالٌ سابقُ الحبش، وصُهيبٌ سابقُ الرّوم»[1].

فالحديث يدلل على نقاط تزيد في جمالية فقه التعامل مع الأقلية في البلاد الإسلامية وفي الصدر منهم أبناء الحبشة محور الحديث والكتاب.

وبعض هذه الدلالات أوضحها فيما يلي:

ـ التأكيد على الأخوة الإسلامية التي تجمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا ورئيسًا

(١) أخرجه البزار قال: حدثنا عبدة بن عبد الله، حدثنا موسى بن مسعود، حدثنا عمارة بن زاذان، عن ثابت، وهذا الحديث لا نعلم رواه، عن ثابت، عن أنس إلا عمارة بن زاذان (١٣/ ٣٠٧)، حديث رقم: (٦٩٠١) قال الهيثمي: سنده حسن، وقال العراقي: حديث حسن أخرجه البزار هكذا في مسنده، وأخرجه غيره بمعناه، وقال: رجاله كلهم ثقات. ينظر: فيض القدير ٣/ ٤٣.
وقال السيوطي وتابعه المناوي والصنعاني: حديث حسن. ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣٧٦. وينظر: التنوير شرح الجامع الصحيح ٤/ ٢٠٦.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان، وهو ثقة وفيه خلاف. مجمع الزوائد ٩/ ٣٠٥.
الحديث في سنده عمارة بن زاذان الصيدلاني، أبو سلمة البصري، قال ابن عدي: لا بأس به ممكن يكتب حديثه، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ويحتج به وليس بالمتين، وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أحمد شيخ ثقة ما به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي ويعقوب الفسوي: ثقة. وقال ابن معين: صالح، وضعفه كل من العقيلي والموصلي والنسائي والدارقطني، وقال ابن حجر: صدوق إلا أنه كثير الخطأ.
قلت: الرجل لا بأس به، وحديثه حسن كما حسن حديثه الهيثمي والعراقي والسيوطي والمناوي والصنعاني، ويجب النظر في مدرسة من ضعفه فجميعهم من مدرسة التشدد في الرواة، والله أعلم. ينظر: الجرح والتعديل ٦/ ٣٦٥- ٣٦٦، رقم (٢٠١٦)، والتقريب ٢/ ٤٩، رقم (٣٦٧)، والتهذيب ٧/ ٤١٦، رقم (٦٧٦).

لدولته مع إخوانه وأصحابه ورعيته تأكيدًا يحمل لغة التواضع والحب والتقدير وإعلاء المكانة.

ـ إكرام أهل الإسلام منهم، بل والاعتراف المعلن للأمم لمَن حضر منهم ولمن يأتي بعدهم بسبقهم.

ـ جمعهم مع المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سياق واحد ما يشعرهم بالقرب والدنوّ والمصاحبة الدنيوية والأخروية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ـ كما أنه يحمل لغة الاعتراف بالسبق وتمييز رموز الأمم مع مظلة الإسلام، لكن التمييز هنا تمييز إكرام لأقلية ولغة وعرق مع إسلامهم يدفعهم بالافتخار برمزهم والسير على منوالهم.

ـ يدفع أبناء الأقليات في البلدان المسلمة للسعي لإيجاد خلفهم على نسق مكرمهم ورمزهم.

ـ كما أنه تزيين وتتويج للأمم غير العربية بين العرب وإعلاء من مكانتها، وتأكيد تفوق أبنائها.

ـ وأيضًا مثل هذه الخصيصة تدفع الباقين منهم إلى مزيد من العمل والإنتاج وتخلق جوًّا بين جميع أبناء الإسلام عامة وأهل هذه الأقليات خاصة إلى المسارعة في الخيرات.

ـ والحديث من أهم دلالاته تحقيق لغة المساواة دون محاباة على حسابهم، أو نقيصة بينهم وبين إخوانهم والتأكيد على أن التقدّم لمن قدم واجتهد.

ـ ويهدم هذا الحديث العنصرية المهلكة في كل موطن فلا تقديم لأحد على غير سبب، أو استئثاره بالفضل دون غيره لنعرة أو قومية.

وجميع ما سبق يضاف إلى تنوع معاملة الدولة الإسلامية مع أتباع وأبناء البلاد الأخرى وفي مقدمهم الحبشة بما يكمل نظم العقد الثمين في الرقي والأخوة والتعامل المحمود، وغياب أي مظهر لتفريق أو تمييز إلا بالتقوى والإيمان والسبق إلى الإسلام والجنان.

سادسًا: استعمال بعضهم لخصوصية وتكاليف مهمة.

من معالم التعامل أيضًا التي تقدمها الدولة الإسلامية للأقليات بينها هو انتخاب واستعمال بعضهم لخصوصية مهام وتكاليف عظيمة لصيقة بالقيادة ـ المتمثلة برسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بل ويتعلق بها سلامة الدولة الإسلامية ككل، وهذا يمثل أمرًا عظيما واستمرارًا لمزيد ما تقوم به دولة الإسلام تجاه أبناء الأقليات ومنهم الحبشة من خير وفعل، وأجلي هذه السياسة بعد ذكر الراوية الدالة على العنوان والمتعلقة بأبناء الحبشة.

أخرج أحمد بسنده عن ذي مخمرٍ[1] ـ وكان رجُلًا من الحبشة يخدمُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كُنّا معه في سفرٍ، فأسرع السّير حين انصرف، وكان يفعلُ ذلك لقلة الزّاد، فقال له قائلٌ: يا رسول الله، قد انقطع النّاسُ وراءك، فحبس وحبس

(١) ذو مخبر، يقال: ذو مخمر الحبشي، ابن أخي النجاشي. وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخدمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث، وقال ابن الأثير: وكان يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عنه: أبو حي المؤذن، وجبير بن نفير، والعباس بن عبد الرحمن، وأبو الزاهرية، وعمر بن عبد الله الحضرمي، روى حريز بن عثمان، عن راشد بن سعد المقرئ، عن أبي حي المؤذن، عن ذي مخمر، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله فجعله في قريش**».
ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٢٢، والاستيعاب ٢/ ٤٧٥، والإصابة ٢/ ٣٤٨.

النّاسُ معه حتى تكاملوا إليه، فقال لهم: «هل لكُم أن نهجع هجعةً»؟ ـ أو قال له قائلٌ ـ فنزل ونزلوا، فقال: «من يكلؤُنا الليلة؟». فقُلتُ: أنا، جعلني الله فداءك، فأعطاني خطام ناقته، فقال: «هاك لا تكونُنّ لُكع». قال: فأخذتُ بخطام ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخطام ناقتي، فتنحّيتُ غير بعيدٍ، فخليتُ سبيلهما يرعيان، فإنّي كذاك أنظُرُ إليهما حتى أخذني النّومُ، فلم أشعُر بشيءٍ حتى وجدتُ حرّ الشّمس على وجهي، فاستيقظتُ، فنظرتُ يمينًا وشمالًا، فإذا أنا بالرّاحلتين منّي غير بعيدٍ، فأخذتُ بخطام ناقة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبخطام ناقتي، فأتيتُ أدنى القوم فأيقظتُهُ، فقُلتُ لهُ: أصليتُم؟ قال: «لا». فأيقظ النّاسُ بعضُهم بعضًا، حتى استيقظ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا بلالُ، هل في الميضاة ماءً» ـ يعني الإداوة ـ قال: نعم، جعلني الله فداءك، فأتاه بوضوءٍ، فتوضّأ، لم يلُت منه التُّراب، فأمر بلالًا فأذّن، ثم قام النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلى الرّكعتين قبل الصُّبح وهو غيرُ عجلٍ، ثم أمرهُ، فأقام الصّلاة، فصلى وهو غيرُ عجلٍ، فقال له قائلٌ: يا نبيّ الله، فرّطنا، قال: «لا، قبض الله عَزَّوَجَلَّ أرواحنا وقد ردّها إلينا، وقد صلينا»[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٢٨: ٣٠)، حديث رقم: (١٦٨٢٤)، قال: حدثنا أبو النضر، حدثنا حريز، عن يزيد بن صليح عن ذي مخمر... به، قال محققو المسند: إسناده حسن، يزيد ابن صليح ـ يقال: صالح، ويقال: صبيح ـ وهو الرحبي ـ من شيوخ حريز، وقد انفرد عنه ـ واختلف فيه، فقد وثقه أبو داود بتوثيق شيوخ حريز كلهم، فقال: شيوخ حريز كلهم ثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني: لا يعتبر به، وقال الذهبي في الميزان: لا يكاد يعرف، وقال الحافظ في التقريب: مقبول. قلنا: فهو حسن الحديث، وقد ثبت سماعه من ذي مخبر عند البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٣٤٢، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. أبو النضر هو هاشم بن القاسم، وحريز: هو ابن عثمان الرحبي، وأخرجه أبو داود (٤٤٥) و (٤٤٦) مختصرا، والطبراني في مسند الشاميين (١٠٧٤) و (١٠٧٥)، وفي الأوسط (٤٦٥٩) من طرق عن حريز بن عثمان، بهذا الإسناد، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد =

وقد دلّ الحديث على استعمال النبي ذا مخمر وهو من أبناء الحبشة لخدمته وانتخابه وتقريبه منه.

وهذا الحديث يحمل كثيرًا من الدلالات المهمة:

أ ـ الصحابي الجليل ذو مخمر الحبشي من الوافدين على النبي ﷺ من أبناء الحبشة، قال ابن الأثير: (وكان فيمن قدم من الحبشة إلى النبيّ ﷺ وكانوا اثنين وسبعين رجلًا، ولزم ذو مخمر النبيّ يخدمه)[1].

ب ـ تنوع خدام النبي ﷺ ومرافقيه من كل المسلمين، وانتقاء أفراد منهم من أهل الحبشة وأبنائها ما يؤكد سمة ما نبرزه من حسن تعامل واحترام وتقريب من النبي لأصحابه بشكل عام، والأقليات منهم بشكل خاص، وأهل الحبشة في القلب منهم.

ت ـ الخدمة في المجتمع النبوي تعني ما يوازيها الآن في الواقع المعاصر من حقائب وزاريه ومستشارين وحاملي أسرار الدولة[2]، فمن يخدم يطّلع على

= ١/ ٣١٩-٣٢٠، وقال: روى أبو داود طرفًا منه، ورواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد ثقات، وأخرجه الطحاوي فى شرح معاني الآثار ١/ ٤٦٤ مختصرا، والطبراني في الكبير (٤٢٢٨) من طريق داود بن أبي هند، عن العباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم، عن ذي مخبر، به، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٢٠، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه العباس بن عبد الرحمن، روى عنه داود بن أبي هند، ولم أر له راويا غيره، وروى عن جماعة من الصحابة.

(١) ينظر: أسد الغابة ٢/ ٢٢٢.

(٢) ذكر الإمام المزي أسماء من شرف بخدمة النبي ﷺ، فقال: في ذكر خدمه ﷺ من الأحرار: (وكان يخدمه ﷺ من الأحرار: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، وربيعة بن كعب، وهند بن حارثة، وأخوه أسماء بن حارثة، الأسلميون، وأبو ذر الغفاري، وبلال بن رباح المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخبر، ويقال: =

كثير من الأمور، ويكون قريبًا من مواطن الحدث، ومقربًا من رئيس الدولة وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ث ـ قد عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي ابن من أبناء الحبشة المسلمين لحراسة المجموع وتولي مسئولية تأمينهم، وإيقاظهم للصلاة وهذه مهام عظيمة في وقتها، فليس هناك أكثر من تأمين القيادة والناس وسد ثغرة الاعتداء عليهم أو النيل منهم، وكل هذا دليل الثقة والمكانة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج ـ يجب الإشارة أيضًا إلى حسن التعامل النبوي معه عندما أخطأ ذو مخمر ونام وضيع على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الصلاة على وقتها، فلم يقابل بتعنيف ولا تجريح ولا سلب للمهام ولا نفي عن موطن الخدمة، بل مرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الحدث مرورًا كريمًا، ووجّهه توجيهًا جميلًا معالجًا إياه بهديه من حكمة ومرونة وتخفيف؛ حتى لا يكون ذلك مذمةً لذي مخمر، أو دافعًا لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتغيير معاملة له على أثر غضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو تقريعه ولو بكلمة، وهو ما لم يفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا منهجه بشكل عام لكن مع صاحبه الحبشي وخادمه المقرب له دلالة من محبة وقربة وإنسانية وتهوين وتعليم، وخاصة لأبناء الأقليات وفي الصدارة منهم أهل الحبشة.

= ذو مخمر الحبشي ابن أخي النجاشي، ويقال: ابن أخته، وبكير، ويقال: بكر، ابن شداخ لليثي. وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه، كان إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار. وكان أبو أيوب الأنصاري صاحب رحله). تهذيب الكمال ١/ ٢٠٦.

قلت: والأسماء المذكورة التي كانت تخدمه عظيمة جليلة: فيها من السابقين ورؤساء القبائل وذوي القربى، ولهم مكانة عظيمة وتفرد ملموس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سابعًا: الاستحقاق المالي بينهم ورده فيهم.

من معالم تعامل الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ مع الأقليات المسلمة فيها: مراعاة الاستحقاق المالي لكل فرد من أفرادها ممن يعيش بينهم، وقد جعل الشرع الحنيف أموال الناس لهم تمتعًا بها في حياتهم مع أخذ ما يكون فرضًا عليهم وهو الزكاة، أو نفلًا منهم عن طيب خاطر واختيار، فإذا مات أحدهم فإن النبي ﷺ يجعل مال أحدهم كبقية المسلمين في ورثته، فكيف لو لم يكن لهذا الرجل من يرثه من أهل وأقارب؟

ولهذا فإن النبي ﷺ سنّ لمن يموت ولا وارث له أن يكون ماله مردودًا في قومه يوزع عليهم، وهذا له دلالات عظيمة نجليها بعد هذا الأثر المتعلق بأهل الحبشة؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة، عن سُليمان بن يسارٍ قال: توفّي رجُلٌ من الحبشة، فأتي رسولُ الله ﷺ بميراثه، قال: «**انظُروا هل له وارثٌ؟**»، فلم يجدوا له وارثًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**انظُروا من هاهُنا من مُسلمي الحبشة، فادفعوا إليهم ميراثهُ**»[1].

وهذا الحديث وإن كان مرسلًا، إلا أن له شاهدًا صحيحًا من فعله ﷺ، أخرجه الترمذي عن عائشة، أنّ مولًى للنبيّ ﷺ وقع من عذق نخلةٍ فمات، فقال النبيُّ ﷺ: «**انظُروا هل له من وارثٍ؟**». قالوا: لا، قال: «**فادفعوه إلى بعض أهل القرية**».....

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في (كتاب: الفرائض)، (باب: الرجل يموت ولا يعرف له وارث)، (٦/ ٢٩٧)، حديث رقم: (٣١٥٨٩) حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن سليمان بن يسار وإسناده إلى سليمان إسناد حسن فيهم محمد بن إسحاق وهو صدوق ولكن للمرسل حديث حسن يشهد له كما في الهامش التالي.

وعند أحمد: «أعطوا ميراثه رجُلًا من أهل قريته». قال الترمذي: (وهذا حديثٌ حسنٌ)[1].

وهذه الأحاديث والآثار تدل على منهج مهمّ من منهاج التعامل النبوي مع الأقليات المسلمة في الدولة الإسلامية، وهو تمام العدل والقسط ورعاية المصلحة، فقوم الرجل وعشيرته وبطنه أولى بماله عند غياب ورثته، وهذا الإجراء النبوي لم نجد له مثيلًا أو نسمع عنه في أي تعامل من أي دولة ـ قديمًا كان أو حديثًا ـ مع الأقليات عندها على مدى القرون والحضارات، فما أن يموت الرجل إلا وتردّ أمواله وممتلكاته إلى خزانة الدولة وبيت المال ووزارته، لكن هذا المنهج الرائع يضيف إلى معالم التعامل المحمود من الدولة الإسلامية مع الأقليات عندها قوة وعظمة، خاصة أن هذا الأمر تقوم عليه الدولة قيامًا حقيقيًّا، بل ربما تطلَّب هذا الأمر وقتًا طويلًا للبحث عن أهله وأبناء وطنه لإيصال الحقوق إليهم[2].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم (٢١٠٥)- حدثنا بندار، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن مجاهد وهو ابن وردان، عن عروة، به وكذا أخرجه أحمد في مسند عائشة (٤/ ٥٠٣)، حديث رقم: (٢٥٠٥٤) وفيه مجاهد بن وردان. قال ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين وابن الأصبهاني: هو عبد الرحمن بن عبد الله الجدلي.

(٢) كما جاء عند أبي داود: حديث رقم (٢٩٠٣)- حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي، حدثنا المحاربي، عن جبريل بن أحمر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: إن عندي ميراث رجل من الأزد، ولست أجد أزديا أدفعه إليه؟ قال: «اذهب فالتمس أزديا حولا» قال: فأتاه بعد الحول، فقال: يا رسول الله، لم أجد أزديا أدفعه إليه؟ قال: «فانطلق فانظر أول خزاعي تلقاه فادفعه إليه» فلما ولى قال: «علي الرجل» فلما جاءه، قال: «انظر كبر خزاعة فادفعه إليه» إسناده حسن فيه جبريل بن أحمر وهو صدوق حسن الحديث وبقية رواته ثقات ينظر: تقريب التهذيب، ص١٣٨، وتحرير تقريب التهذيب ١/ ٢٠٩.

ودلالات هذا المنهج والتعامل المأخوذ من هذه الأحاديث أجليها فيما يلي:

أ ـ فهو أولًا يوضح سياسة من سياسات الدولة الإسلامية بشكل عام ومع الأقليات عندها بشكل خاص، خاصة فيما يتعلق بالمال والممتلكات الخاصة بهم.

ب ـ هذا الفعل النبوي يضيف لمنظومة الأمن في الدولة الإسلامية عنصرًا أساسيًّا يتعلّق بالأمن المالي وخاصة مع الأقليات بينهم، فالمرء المغترب وطنًا أو لسانًا يعيش في كنف الدولة الإسلامية وهو مؤمَّن في نفسه وعرضه وماله.

ت ـ ويؤكد هذا المنهج النبوي وهذا التعامل المحمود عدم طمع الدولة الإسلامية قيادةً أو رعيةً في أموال الناس وممتلكاتهم، بل إنها تقوم بدورها المنشود لإيصاله إلى أصحابه، ووضعه في مكانه الصحيح إذا ما عاد الأمر إليها في توجيهه.

ث ـ وفيه بيان عدم استغلال الدولة الإسلامية للأقليات لضعف شوكتهم، أو انتهاج لغة التطفيف معهم مقارنة بالأكثرية أو أبناء الدولة الأصليين، بل الواقع المطل برأسه من خلال هذه الأحاديث والآثار أن ما عقد للأقليات من توجيهات وتسنين لم يكن ليفعل في الأكثرية كما فعل مع الأقليات.

ج ـ فيه التأكيد من الدولة الإسلامية على أن المرء المغترب لا يجب أن يُفصل عن أهل بلده في حياته أو بعد مماته، وأن عقدة الوطن ورحم البيئة سيظلان لهما من المكانة والاستحقاق حتى وإن كانوا جميعًا تحت ظل الإسلام.

ح ـ وهذا المنهج أيضًا أدعى إلى تأكيد الارتباط الوطني والقومي داخل الدولة الإسلامية، وأن الخير ممدود محقق فيهم، وهو وإن كان يصل إلى بعضهم بالموت فهو أولى أن يصل بينهم في الحياة.

خ ـ أن على الدول والمؤسسات الحاكمة جميعًا أن تتعلّم من الدولة الإسلامية

البحث والتحري عمن يستحق المال والممتلكات للأقليات بينهم بحثًا حثيثًا وتحريًا حقيقيًّا يعلن نزاهة المؤسسة عندها وصدق إيصال الحقوق إلى أهلها.

ثامنًا: الحرية لأبنائهم (تفعيل العتق في صفوفهم).

من معالم التعامل أيضًا التي قدّمتها الدولة الإسلامية بقيادتها مع أبناء الأقليات المسلمة عندها وخاصة أهل الحبشة الكرام هو تفعيل العتق في صفوف من استرق منهم وإعطاؤهم حريتهم من عبودية كان نظام الحياة آنذاك قد فرضها، وجاء الإسلام بشريعته لتقليصها والقضاء عليها، وليس هذا البحث مجال التوسع في هذا الموضوع، لكنه هنا دليل على تفعيل العتق من المسلمين بشكل عام وخاصة مع أبناء الحبشة، فقد أخرج ابن إسحاق في السير قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: (رأيتُ أبا نيزر[1] ابن النجاشي، فما رأيتُ رجُلًا قطُّ عربيًّا ولا عجميًّا أعظم ولا أطول ولا أوسم منهُ، وجده علي بنُ أبي طالبٍ مع تاجرٍ بمكة فابتاعه منه وأعتقه مُكافأةً للنجاشي لما كان ولي من أمر جعفر وأصحابه، فقُلتُ لأبي: أكان أبا نيزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيته لقُلت رجُلٌ من العرب)[2].

(١) ذكر الحافظ ابن حجر روايات أخرى فيه، فقال: أبو نيزر، بكسر أوله وسكون التحتانية المثناة وفتح الزاي المنقوطة بعدها مهملة، ذكره الذهبي مستدركا، وقال: يقال: إنه ولد النجاشي، جاء وأسلم، وكان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مؤنته.

قلت: وقرأت قصته في كتاب الكامل لأبي العباس المبرد، وهي في ربعه الأخير، قال: حدثنا أبو محلم محمد بن هشام بإسناد ذكره أن أبا نيزر كان من أبناء بعض ملوك الأعاجم، فرغب في الإسلام صغيرا، فأسلم عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان معه في مؤنته، ثم كان مع فاطمة، ثم مع ولدها، ينظر: الإصابة ٧/ ٣٤٣.

قلت: ولم أقف على سنده، وسند ابن إسحاق أولى بالقبول فروايته عن أبيه إسحاق وهو ثقة وقد أدرك أبا نيزر ورآه، ولعله حدثه بهذا، والله أعلم.

(٢) ينظر: سيرة ابن إسحاق (١/ ٢٢٠).

قلت: لم أقف على ما أوصل ولد النجاشي لأن يباع ويدخل في الرق، إلا أن أسباب ذلك من الممكن أن تتعدد: فربما كان ذلك قبل ملك والده وفي فترة اضطهاده، وربما خسر بعض ولده في الحروب التي كان يخوضها النجاشي في توطيد ملكه، وربما سرق ولده كما كانت عادة بعضهم في الاسترقاق بسرقة الأبناء والهروب بهم بعيدًا لبيعهم، وربما غير ذلك، لكن المهم هنا هو الوقوف على فعل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا، وبيان الحكمة والمقصد منه ردًّا لجميل والده النجاشي وحسن فعله مع الوجود الإسلامي هناك، كما جاء عند ابن إسحاق مقابلة لما كان من والده في تعامله مع المسلمين في الحبشة أكّد ذلك السهيلي في شرحه قائلا: (وأنّ عليّا وجده عند تاجرٍ بمكّة فاشتراه منه وأعتقه مُكافاةً لما صنع أبوه مع المُسلمين)[1].

وهذا يجعلنا نقف على كيف تعاملات الدولة الإسلامية مع أتباع الحبشة لتسطر مزيدا من معالم وأوجه التعامل المحمود مع أبناء الدولة المضيفة للوجود الإسلامي.

وختامًا..

فإن هذا المنهج الإسلامي والتعامل النبوي يدلان كيف كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يتعاملون مع الأقليات في الدولة الإسلامية داخليًّا في أرض الدولة الإسلامية خاصة مع أهل الحبشة المكرمين[2].

---

(١) ينظر: الروض الأنف (٣/ ١٥٩).

(٢) قلت: وهناك أحاديث أخرى تتعلق بمعالم التعامل منها حديث أخرجه الطبراني (٢/ ١٦١)، حديث رقم: (١٥٤١) ـ حدثنا أحمد قال: نا محمد بن عمار الموصلي قال: نا عفيف بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، أن رجلا من الحبشة أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، فضلتم علينا بالألوان والنبوة. أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به، وعملت بمثل ما عملت به، إني لكائن معك في الجنة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: =

(٢)
معالم التعامل مع أتباع الدولة الحبشية خارجيًّا

أولًا: موادعة الحبشة في بلادهم ما وادعونا.

ساق النبي ﷺ حديثًا يتعلق بالحبشة والترك تكلّم العلماء كثيرًا في

= «نعم»، ثم قال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله، كتب الله له مائة ألف حسنة» فقال: يا رسول الله، كيف نهلك بعد هذا؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن الرجل يوم القيامة ليجيء بالعمل، لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله، فتكاد تستنفد ذلك كله، لولا ما يتفضل الله به من رحمته». ثم نزلت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾، فقال الحبشي: يا رسول الله، وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك؟ فقال النبي ﷺ: «نعم». فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: (فأنا رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته) لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا أيوب، تفرد به: عفيف، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، وأخرجه في الكبير أيضًا (١٢/ ٤٣٦)، حديث رقم: (١٣٥٩٥) ـ حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عمار الموصلي به.

قلت: وآفته أيوب بن عتبة مجمع على تضعيفه. ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٤٠٨، وتقريب التهذيب، ص١١٨.

قلت: وهو مع ضعفه غير الشديد يحمل كثيرا من المعاني والتوجيهات منها: (التكريم العملي له، وبيان طبيعتهم الجميلة وصدق مشاعرهم، وروعة حبهم للجنة والجوار النبوي في الدنيا والآخرة وهو دليل الحب للنبي ﷺ وفيه بيان المساواة وأن التكريم الأخروي لا يفرق بين لون ونوع، وبيان كيفية قبول الآخر، وفتح الباب له وتكريمه والتأكيد على المعاني المقبولة على المستوى الإنساني وغير ذلك).

شرحه وبيان علّته؛ أخرجه أبو داود في سننه في مواضع:

الأول: عن أبي سكينة رجُلٌ من المُحرّرين، عن رجُلٍ من أصحاب النبيّ ﷺ، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «**دعوا الحبشة ما ودعوكُم، واترُكوا التُّرك ما تركوكُم**».

والثاني: عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرجُ كنز الكعبة إلاّ ذو السّويقتين من الحبشة**»[1].

وقد تناول العلماء الحكمة من حديث رسول الله ﷺ مجتهدين في ذلك على أقوال: منها ما قاله الإمام البغوي رضي الله عنه: (وجه تخصيص الحبشة والترك بترك الحرب معهم ما داموا تاركين لها: أن الحبشة بلادهم وعرة حارّة جدًّا، بينها وبين المسلمين مفازات شديدة وقفار وبحار، فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم؛ لكثرة التعب وعظم المشقة، وأما الترك فبأسهم شديد، وبلادهم بعيدة

(١) الحديث الأول: أخرجه أبو داود في (كتاب: الملاحم)، (باب: النهي عن تهييج الترك والحبشة)، (٤/ ١٢٢)، حديث رقم: (٤٣٠٢) قال أبو داود: حدثنا عيسى بن محمد الرملي، حدثنا ضمرة، عن الشيباني، عن أبي سكينة به.
والثاني: (باب: النهي عن تهييج الحبشة)، حديث رقم: (٤٣٠٦) عن القاسم بن أحمد البغدادي، حدثنا أبو عامر، عن زهير ابن محمد، عن موسى بن جبير، عن أبي أمامة به، وهذا إسناد حسن في الشواهد من أجل موسى بن جبير، فقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويخالف. وأخرجه أحمد (٢٣١٥٥) عن عبد الرحمن بن مهدي، والأزرقي في أخبار مكة، ص ٢٧٧ من طريق سعيد بن سلمة، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٩١٢)، والبزار في مسنده (٢٣٥٥)، والحاكم ٤/ ٤٥٣، والبيهقي ٩/ ١٧٦ والخطيب في تاريخه ١٢/ ٤٠٣ من طريق أبي عامر العقدي، كلاهما عن زهير بن محمد، بهذا الإسناد، إلا أن البزار فمن بعده صرحوا باسم الصحابي وأنه عبد الله بن عمرو ابن العاص.

أيضًا، باردة لا تخلو صيفًا وشتاءً من الثلوج، وجند العرب كانوا من البلاد الحارة، وأمزجتهم حارة، فلم يكلفهم أيضًا دخول بلاد غير ملائمة لطباعهم، وأما إذا دخلوا بلاد الإسلام قهرًا؛ فلا يباح لأحد ترك المقاتلة معهم)[1].

وزاد ابن رسلان في شرح سنن أبي داود حِكمًا أخرى فقال: (يقال: إن نهر النيل الواصل إلى مصر من بلادهم يأتي، فإذا شاءوا حبسوه، وبين المسلمين وبينهم مهاد عظيمة ومفاوز شاقة، فلم يكلف الشارع المسلمين دخول ديارهم؛ لعظم ما يحصل لهم من التعب والمشقة في ذلك؛ ولأن الحبشة ستأتي إلى الكعبة وتستخرج كنز الكعبة كما سيأتي في الباب الذي بعده، فلا يطاقون)[2].

ومن الممكن أن يضاف إلى ما ذكر من الحكم في التوجيه النبوي حكمتين:

الأولى: أن يكون هذا الحديث مؤكِّدًا لمذهب القائلين بأن الأصل في التعامل مع الآخر هو السلم، وأن الجهاد والقتال في الإسلام إنما هو جهاد الدفاع لا جهاد الطلب، وهذا الحديث أحد أدلتهم القوية، فقد عدد الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي أدلة هذا المذهب وصدَّرها بعبارة مهمة فقال: (وكان يكفينا سقوط هذه الأدلة ـ أدلة القائلين بجهاد الطلب (الهجوميون) ـ وظهور تهاونها وتفاوتها، ومع هذا سنورد هنا على وجه الإجمال ما استدل به خصوم الهجوميين من أدلة واعتبارات شرعية تؤيد موقفهم، وتدل بوضوح على شرعيته، وقوة استناده إلى مصادر الإسلام، وأدلته الأصلية، أجل، لقد استند القائلون بأن الإسلام سلم لمن سالمه، وحرب على من حاربه، وأنه لم يشرع قتال المسالمين الذين مدوا أيديهم بطلب المصالحة أو المعاهدة، وألقوا إلى المسلمين السلم، وكفّوا أيديهم عنهم، بجملة وافرة من الأدلة).

(١) ينظر: شرح مصابيح السنة للإمام، البغوي ٥/ ٥٣٢.
(٢) شرح سنن أبي داود، لابن رسلان ١٧/ ١١١.

وساق أكثر من ثلاثة عشر دليلًا مجملًا على ذلك منها حديثنا هذا معقبا: (والترك كانوا وثنيين، والحبشة كانوا نصارى)[1]. ومعنى كلامه أن اختلاف الدين لم يكن هو الأساس في الاقتتال، بل المحاربة والاعتداء.

قلت: وقد أكد هذا المعنى أيضًا الدكتور محمود النمر عندما تحدث عن أنظمة العالم مع الإسلام وما يجب تجاهها قائلًا: (**رابعًا:** أنظمة السلام المناصر: فهؤلاء يحافظ على السلام معهم، ولا يجوز حربهم، بل برهم والقسط معهم كالنجاشي، وكل دولة تناصر قضايا المسلمين فهي دولة بر وسلام ومناصرة، **خامسًا:** أنظمة السلام على الأصل أو دول المتاركة: وهم الدول البعيدة عن دول الإسلام غالبًا، فالأصل معهم الدعوة والسلام وتركهم **«اتركوا الترك ما تركوكم، وذروا الحبشة ما وذروكم»**..[2]).

فهذا أولًا وهو ما ندين لله عَزَّوَجَلَّ به، وتؤكده كثرة الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

الثانية: وهو ما يتعلق بالكلام على الحبشة وأهلها، وما أراه قويًّا في التعليل، وقد ألمح له الدكتور محمود النمر في عبارته السابقة قائلا: (وكل دولة تناصر قضايا المسلمين فهي دولة بر وسلام ومناصرة).

نعم: هذا هو بيت القصيد عندي أنه من باب حسن المعاملة ورد الجميل والإحسان لمن أحسن إليك، فقد ناصروا المسلمين واستضافوهم وأحسنوا جوارهم، والإسلام لا يعرف نبذ العهود ولا جحود الفضل ولا نسيان المعروف مع الأفراد، فكيف بالدول والجماعات؟! وعليه فإن التوجيه النبوي يحمل على هذا الأمر عرفانًا وتقديرًا وصونًا

(١) ينظر: فقه الجهاد، للدكتور يوسف القرضاوي ١/ ٤٢٧.
(٢) المقدمة في فقه العصر ١/ ٢٨٨.

للمعروف الذي قدمته أرض الحبشة لإخوانه وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا ما أكده الأستاذ محماس بن عبد الله الجلعود قائلا: (أما بلاد الحبشة فقد اعتبرت في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أكثر من بلاد محايدة، بل هي بلاد مناصرة لأهل الإيمان، لمعاملتها الحسنة للمسلمين في هجرتهم إليها أيام النجاشي)[1].

وقد وقفتُ على سبب للحديث يعزّز ويؤكد هذا المعنى نقله جمال الدين بن حديدة وعزاه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، قال أبو عبيد القاسم: إن النجاشيّ أسلم وبعث إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكسوة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اترُكوا الحبشة ما تركوكم»**[2].

فيفهم منه أن الأصل من مقصد كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوجيهاته لأمته بعدم التعرض لأهل الحبشة جاء واضحًا في سياق الرد الحسن والتعامل المحمود الذي يقابل ما فعله النجاشي مع النبي من توقير وهدية، وإن كان توجيه النبي أعلى قدرًا وأعظم أثرًا، والله أعلم.

وهذا الحديث بهذا الفهم يدلل على عناوين مهمة، وهي كما يلي:

أ ـ إعلان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر والتصريح جهارًا به على مرأى ومسمع من الناس ليكون كعهد أبرم إليهم، فيسر به أهل الحبشة بين المسلمين في المدينة ويطير بريده إلى قومهم في أرض الحبشة فيسمعون ويسرون به.

ب ـ يؤكد أيضًا على الاعتراف والتعظيم لما قام به أهل الحبشة مع المسلمين،

(١) ينظر: الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية ٢/ ٦٢٣.

(٢) ينظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ٢/ ٣٦، ولم أقف على قول أبي عبيد هذا في مصنفاته.

ويضاف قوله ﷺ إلى تعدد مكافأتهم مع ما مضى، بل ربما كان هذا الإعلان أهم ما يقدمه قائد دولة لدولة أخرى حكامًا ومحكومين.

ت ـ يؤكد الحديث عدم وجود مدة زمنية لهذا الأمر، فالعهد النبوي ماضٍ لا يقف عند حدود زمن ولا نظام حكم ما دام الشرط قائمًا والاعتداء منهم بعيدًا، وهذا يعد سابقة في نظم السياسات الدولية آنذاك، يعيش معه الناس في البلاد بدوام عهد طويل أمده، متعاقب عليه أنظمته.

ث ـ الحديث يعتبر توجيهًا لكل المسلمين وخاصة من يتصدر منهم حكمًا أو مسئولية بانتهاج نفس المنهج النبوي قياسًا عليه في جميع البلاد التي تستضيف المسلمين وتقدّم لهم يد العون والمساعدة والمعاملة الحسنة الإنسانية.

ج ـ هذا الحديث من أهم الأحاديث التي ترسم جزءًا من معالم السياسة الشرعية مع الأخرين، ويجب أن يكون هذا الحديث حاضرًا بقوة في تقرير السياسات وصياغة الدساتير وإبرام المعاهدات في الأنظمة الإسلامية فيما يتعلق بالآخر وكيفية التعامل معه.

ح ـ الحديث أيضًا من أهم أحاديث التعريف بالإسلام وبرسول الإسلام خاصة في بلاد الغرب لبيان منهجه الرائع، ودرء للشبهات المخالفة لبيانه، فهو دليلٌ على إفشاء السلم المجتمعي والدولي من الإسلام انطلاقًا إلى العالم كله ترسيخًا وإفشاء.

ثانيًا: تقديم وتقدير قادتهم في مواطنهم وسلطانهم.

أيضًا من معالم تعامل الأكثرية المسلمة ودولتهم بقيادة النبي ﷺ مع دولة الحبشة رعيةً وحاكمًا، أن النبي قدّر وقدّم النجاشي في سلطانه تقديمًا

له دلالاته المهمة، خاصة وأن هذا التقدير منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تنوّع في كثير من المواطن التي سبق الحديث عنها من قبل الهجرة الأولى واستمر ذلك حتى بعد عودة المهاجرين منها إلى وطنهم الأم المدينة المنورة لنيل شرف جوار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكني أقدم لصورة هذا التقدير والتقديم اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكيلا عنه في تزويجه بأم المؤمنين حبيبة، كما أخرج أحمد عن أُمّ حبيبة، أنّها (كانت تحت عُبيد الله بن جحشٍ، وكان أتى النجاشيّ ـ وقال عليٌّ ابنُ إسحاق: وكان رحل إلى النجاشيّ ـ فمات، وإنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج أُمّ حبيبة وإنّها بأرض الحبشة، زوجها إيّاه النجاشيُّ ومهرها أربعة آلافٍ، ثم جهّزها من عنده، وبعث بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع شُرحبيل ابن حسنة، وجهازُها كُله من عند النجاشيّ، ولم يُرسل إليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيءٍ، وكان مُهورُ أزواج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع مائة درهمٍ)[1].

(١) أحمد (٤٥/ ٣٩٨)، حديث رقم: (٢٧٤٠٨) حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن معمر، وعلي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة به قال محققو المسند: حديث رجاله ثقات، وقد اختلف في إسناده على الزهري: فرواه عبد الله بن المبارك ـ كما في هذه الرواية، وعند أبي داود (٢١٠٧)، والنسائي في المجتبى٦/ ١١٩، وفي «الكبرى» (٥٥١٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٦١)، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٤٠٢)، والدارقطني في السنن ٣/ ٢٤٦، والحاكم ٢/ ١٨١، والبيهقي في السنن ٧/ ١٣٩ و٢٣٢، وفي الدلائل ٣/ ٤٦٠ ـ وعبد الرزاق ـ فيما أخرجه أبو داود (٢٠٨٦) (مختصرًا)، والدارقطني في السنن ٣/ ٢٤٦ ـ كلاهما عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة، به، موصولا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ورواه يونس ـ فيما أخرجه أبو داود (٢١٠٨) ـ وعبد الرحمن بن عبد العزيز ـ فيما أخرجه ابن سعد ٨/ ٩٩، والحاكم ٤/ ٢٢ ـ وعبيد الله ابن أبي زياد ـ فيما أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٤٠٣، والحاكم ٤/ ٢٠ ـ ثلاثتهم عن الزهري، بنحوه مرسلًا. =

ولقد بينتُ ما يتعلق بهذا الحديث عند الكلام عن الحضور الاجتماعي للوجود الإسلامي في بلاد الاغتراب من حيث ما يجب أن يكون عليه الوجود الإسلامي في هذا الباب، أما المنحى هنا فيتعلق بمعاملة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كرئيس لدولة استقبلت الوجود الإسلامي، وأحسنت جوارهم، وهذا بطبيعة الحال معلم من معالم تعامل الأكثرية المسلمة بقيادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الدولة المضيفة، واختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكيلا عنه في عقد زواجه من أم المؤمنين حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع وجود بني عمه جعفر وثلة من قومه وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هناك له دلالاته، منها:

أ ـ التقدير والاحترام الذي يسوقه ويؤكده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكنه له.

ب ـ ومنها احترام الرجل في سلطانه وتقديمه وعدم تقديم أحد عليه والتكبير به، وهذا له دلالاته التعريفية بالإسلام ورسول الإسلام في أرض الحبشة إذا ما فشا هذا الأمر واشتهر.

ت ـ وهو أيضًا رسالة قوية تحمل شكلًا من رد الجميل والعرفان الذي قدمه النجاشي للمسلمين هناك، وأعظم الردّ أن يكون في موطن الرجل يساق له ويجهر به.

= قال الدارقطني في العلل ٥/ ورقة ١٨٧: والمرسل أشبههما بالصواب، وأخرجه ابن سعد ٨/ ٩٧-٩٨، والحاكم ٤/ ٢٠-٢٢ من طريق إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أم حبيبة، مطولا. وهذا إسناد منقطع.
وفي الباب: عن محمد الباقر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم، مرسلًا، عند ابن سعد ٨/ ٩٩ من طريق الواقدي.

ث ـ وهو دليل أخوة الدين التي لا تعرف تمييزا ولا عنصرية على أساس قبيلة أو لغة أو عرق أو لون؛ وهو ما جاء به الإسلام موجهًا ورسونا الكريم ﷺ مطبقا ومنفذا.

ج ـ والاختيار له تبعاته المحمودة على المسلمين هناك في أرض الحبشة من تقدير النبي ﷺ للنجاشي رضي الله عنه وتقديمه مزيد حسن رعاية واهتمام واستمرار المعاملة الحسنة المقدمة لهم ومنهم.

ح ـ والفعل النبوي كذلك من أعظم ما يخلد ذكراه في عقول أبناء الحبشة داخليًّا وخارجيًّا مما يؤكّد الاهتمام ويرفع المكانة ويقرّ الأعين لديهم جميعًا

خ ـ وهي رسالة للمسلمين أنفسهم هناك باحترام النجاشي وتقديره واستمرار التعامل معه بصورة يحترم فيها الرجل كملك وسلطان وإن كان مسلمًا، بل يزيد الإسلام ترسيخ ذلك.

د ـ ثم في النهاية هذا من أعظم ما يقدَّم في معترك الفعل النبوي السياسي، وخاصة السياسة الخارجية في كسب الرجال بالمواقف، والتعامل بين رئيسين، واحترام النظام العام والبروتوكول الدولي المحافظ على هيبة الملوك والسلاطين وطرق التعامل معهم، ما لم يكن ذلك بطبيعة الحال مخالفًا لشرع أو دين.

ذ ـ ولا ينبغي أن يفوتنا التنبيه على المقابل الذي قدّمه النجاشي رضي الله عنه للنبي ﷺ أمام ذلك من الإكرام: من التكلفة المادية والاحتفالية، والتجهيز والإرسال لأم المؤمنين أم حبيبة احترامًا ومحبةً لرسولنا رضي الله عنه ولأمنا رملة رضي الله عنها فرضي الله عن النجاشي من مسلم وملك، وهنيئًا له وكالة رسول الله ﷺ.

ثالثًا: إكرام الوافدين منهم علينا.

ومن معالم تعامل الدولة المسلمة مع أبناء الدولة المضيفة إكرام الوافد منها وخاصة الرسل القادمة على قيادة الدولة وإنزاله منزلًا يليق به، وسوق كثير من مظاهر التكريم والضيافة والتودّد لهم، وقد قام النبي ﷺ مع الرسل الوافدين من أهل الحبشة بذلك، فقد أخرج البزار في مسنده عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: (لمّا أتينا النجاشيّ، فأردنا الخُروج من عنده حمّلنا وزودنا وأعطانا، ثم قال: أخبروا صاحبكُم بما صنعتُ بكُم، وهذه رُسُلي معكُم، وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّه رسولُ الله، فقُل لهُ: استغفر لي، قال جعفرٌ: فخرجنا من عنده إذا أتينا المدينة، فتلقّاني النبيُّ ﷺ فاعتنقني... الحديث) وفيه: (فقال جعفرٌ: فقُلتُ للرّسول: انطلق، فأبلغ صاحبك ما رأيت من النبيّ ﷺ، انطلق، فأبلغ صاحبك ما رأيت من النبيّ ﷺ)[1].

(١) أخرجه البزار في مسنده (٤/ ١٥٩)، حديث رقم: (١٣٢٨) قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي الكوفي، قال: نا أسد بن عمرو، قال: نا مجالد بن سعيد، عن عامر يعني الشعبي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه، وقال هذا الحديث لا نعلم روي عن جعفر متصلًا إلا من حديث أسد بن عمرو، عن مجالد بهذا السند، وقد روى هذا الحديث أجلح، عن الشعبي، قال: لما قدم جعفر من الحبشة، ولم يذكر فيه عن عبد الله بن جعفر، وإسناده ضعيف فيه مجالد بن سعيد قال ابن سعد، ويحيى بن معين، والنسائي: (ضعيف)، وقال أبو حاتم: (لا يحتج بحديثه، وليس بقوي في الحديث)، وقال ابن عدي: (عامة ما يرويه غير محفوظ)، وقال ابن حجر: (ليس بالقوي تغير في آخر عمره)، ذكره ابن حبان في المجروحين، مات سنة أربع وأربعين ومائة، روى له مسلم مقرونا بغيره، والباقون سوى البخاري
ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٤٩، التاريخ الكبير ٨/ ٩، الضعفاء للبخاري ١/ ١١٢، الضعفاء للنسائي ١/ ٩٥، الجرح والتعديل ٨/ ٣٦١، المجروحين ٣/ ١٠: ١١، الكامل ٦/ ٤٢٠: ٤٢٢، تهذيب الكمال ٢٧، ٢١٩: ٢٢٥، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٤: ٢٨٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٧، تقريب التهذيب: ٥٢٠. =

ففي قول جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرسول ووفد النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (انطلق فأبلغ صاحبك ما رأيت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). بيان لما رآه ولمسه هذا الرسول من كرم وحسن معاملة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم تفصيل هذا الإكرام وتحديد معالمه يدل على تنوعه وكثرته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له إكرامًا له ولمن جاء من عنده، ولأهله الذين قدَّموا الخير للوجود الإسلامي وأحسنوا معاملتهم.

وفي الفعل النبوي دلالات:

أ ـ رد الجميل الذي ينبغي أن يكون بمثله أو أكثر منه، وخاصة إذا كان من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يفوق الوصف ويدهش الآخر بفعله تكريمًا ومحبةً وصونًا للمعروف السابق[1].

= وقد رواه البزار في الحديث الذي بعده (١٣٢٩) ـ قال حدثناه محمد بن عبد الملك، قال: نا خالد بن عبد الله، عن أجلح، عن الشعبي (١٣٣٠) وحدثناه يحيى بن معلى بن منصور، قال: نا إبراهيم بن يحيى بن هاني، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أجلح، عن الشعبي، عن جعفر، فذكر قصة جعفر، وأسنده وعلته الانقطاع بين الشعبي وجعفر فهو ضعيف أيضًا لكن أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤٢٤٩) قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني، ثنا الهيثم بن خالد، ثنا أبو غسان النهدي، ثنا الأجلح بن عبد الله، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أدري بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**». مختصرا هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي في تعليقه ـ صحيح فقد صح الحديث فتعدد الطرق يقوي الرواية إلى التحسين، والله أعلم.
وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه أسد بن عمرو، ومجالد بن سعيد، وثقهما غير واحد وضعفهما جماعة، وبقية رجاله ثقات ـ مجمع الزوائد ٩/ ٤١٩.

(١) لعل هناك حديثًا يؤكد شكلًا من أشكال التعامل معهم، ولكنه ضعيف جدًّا، أخرجه ابن أبي الدنيا (باب: ما جاء بالمكافأة عن الصنائع) (ص١١١)، حديث رقم: (٣٦٧) قال حدثني أبو بكر بن سهل التميمي، قال: حدثني علي بن الحسن النسائي، نا العلاء بن هلال الرقي، =

ب ـ بيان جزء من سياسة وهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الآخر، وكيف كان يتعامل مع الوفود والرسل الذين قدموا من بلاد قدمت الخير لإخوانه وأصحابه، علمًا بأن الوفد لم يأتِ ما يستدل على أنهم كانوا من المسلمين.

ت ـ إكرام الوفود والرسل هو من باب إكرام مَن بعثها وأوفدها فكأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بما قام مع النجاشي في قومه ورسله، وإن لم يكن موجودًا بشخصه.

ث ـ لم يطلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوفد والرسل أن يبلّغوا عنه ما قام به معهم من إكرام وحسن ضيافة؛ لأنه قام به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتغاء وجه الله تعالى، وتسنينًا لهديه وإحقاقًا لمن له يدٌ على إخوانه وغير ذلك من دلالات الإخلاص والأجر، إنما كان الطالب بهذا جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما له من فوائد ومآلات.

ج ـ في إبلاغ النجاشي ما قام به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفعل المحمود وتنوعه معهم ما يثلج صدر النجاشي، ويؤكّد المكانة والمنزلة له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن فيه نشرا لمزيد من الأجواء التي تحمل المحبة والود وحسن السلوك والمعاملة بينه وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ح ـ يزيد هذا الفعل النبوي مع الرسل بناء جسور التواصل والمعاملات بين

= نا طلحة بن زيد الرقي، نا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي قتادة قال: لما قدم وفد النجاشي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام يخدمهم بنفسه، فقلنا: تكفى ذاك يا رسول الله، قال: «**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين**».
وآفته طلحة بن زيد الرقي وهو متروك الحديث ينظر: (تقريب التهذيب ص٢٨٢)، وقال أبو حاتم: هذا حديث باطل، وطلحة بن زيد ضعيف الحديث ينظر: العلل٦/ ٢٤٢، وإن استشهد به الحافظ العراقي في جملة من الأحاديث على شدة تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٩٨).

البلدين، ويفتح لأبواب أخرى ما بين المدينة والحبشة من مأمن وتجارة وزيارة وغير ذلك.

خ ـ في إبلاغه كذلك دفع لكل منتقص أو متربص يريد أن يوقع العداوة أو يؤكد شبهة أو جحودا من طرف المسلمين ورسولهم لعرفان ما قام به النجاشي معهم، وهذا يسد كل باب ويكمم فم كل متربص.

د ـ في تكرار جعفر طلبه من الرسل إبلاغ الفعل النبوي معهم تأكيد ولفتٌ للانتباه، وأن هذه الرسالة التي ينطلقون بها إلى النجاشي وبلاطه مهمة، ولعل جعفرًا أراد أن يؤكد أمورًا من خلال هذا الطلب، وهذه الرسالة للنجاشي في المقام الأول تأكيد على حب جعفر ذلك وفرحه بما قدم لرسل النجاشي من النبي ﷺ لهم، أو أنه أردا بهذه الرسالة تأكيد شيء للمسلمين هناك أو لغيرهم من أهل الحبشة.

رابعًا: إرسال الرسل والسفراء بلغتهم.

وقد بينا عند الحديث عن معالم تعامل الوجود الإسلامي مع الدولة المضيفة في قضية تعلم اللغة «لغة القوم» أهمية ذلك، وقد كان النبي ﷺ قد أرسل إليهم بعد ذلك من يدعوهم إلى الإسلام، وكان موفده هناك عمرو بن أمية الضمري يتحدث بلغتهم ويتكلم معهم وفيه: من الدلالات: (من احترام المقابل، وإكرام لغته، وتأكيد حسن التعامل، ورفع الحواجز، وتوصيل المشاعر، وحس عرض الرسائل، وغير ذلك).

خامسًا: إرسال الهدايا لهم في ديارهم.

مما يضاف إلى المعالم التي قامت بها الدولة الإسلامية مع الدولة المضيفة خارجيًّا إرسال الهدايا لهم:

ومن ذلك: ما قام به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه؛ فقد أخرج سعيد بن منصور قال: نا مُسلمُ بنُ خالدٍ، عن موسى بن عُقبة، عن أُمّه أُمّ كُلثوم، قالت: (لمّا تزوج رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ سلمة قال لها: «**إنّي قد أهديتُ للنّجاشيّ أواقي من مسكٍ وحُلةً، ولا أُراه إلا قد مات، ولا أرى هديّتي التي أهديتُ إليه إلا سترُدُّ إليّ، فإذا رُدّت إليّ فهي لك**». فكان كما قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات النجاشيُّ، ورُدّت هديّتُهُ، فلمّا رُدّت إليه الهديّةُ أعطى كُل امرأةٍ من نسائه أوقيّةً من ذلك المسك، وأعطى سائره أُمّ سلمة، وأعطاها الحُلة)[1].

ومنه: ما أخرجه أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك أنّ ملك الرّوم أهدى إلى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستُقة سُندُسٍ فلبسها، فكأنّي أنظُرُ إلى ثدييه يتذبذبان، فجعل أصحابُه يلمسونها ويقولون: لأنزل عليك هذا من السّماء، فقال: «**ما تعجبون منها فوالذي نفسي بيده لمنديلٌ من مناديل سعد بن مُعاذٍ في الجنّة ألينُ من هذا**». ثم بعث بها إلى جعفرٍ، فلبسها، ثم جاء، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّي لم أُعطكها لتلبسها**» قال: ما أصنعُ بها؟ قال: «**أرسل بها إلى أخيك النجاشيّ**»[2].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (كتاب: الوصايا)، (باب: في المكاتب يموت ويترك ورثه)، (١/ ١٦١)، حديث رقم: (٤٨٥) وفيه مسلم بن خالد الزنجي ضعفه البخاري وابن المديني، وقال ابن عدي حسن الحديث وأرجو أنه لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ أحيانا وقال عثمان الدارمي عن بن معين ثقة وقال الساجي صدوق كان كثير الغلط وقال ابن معين: ثقة صالح الحديث وقال ابن حجر ففقيه صدوق كثير الأوهام ينظر: تاريخ ابن معين ٣/ ٦٠ تهذيب الكمال ٢٧: ٥٠٩ وما بعدها، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٢٩، تقريب التهذيب ص٥٢٩.

قلت: وقد حسن الحديث الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥/ ٢٢٢.

(٢) ما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣/ ٥٢٧)، حديث رقم: (٢١٦٩) قال: حدثنا حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد =

وهذا أيضًا له دلالات معهودة معروفة منها:

ـ مكانة القيادة العادلة والراشدة لهذه الدول عند الدولة الإسلامية.

ـ رد الهدية بالهدية[1].

= ابن جدعان ضعيف مات سنة إحدى وثلاثين. ينظر: تقريب التهذيب ص٤٠١.
وله شاهد ضعيف قد يتقوى به، ويشهد أن للقصة أصلا، أخرجه أحمد حديث رقم (١٤٧٣٨) قال: حدثنا موسى، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ أهدى إليه راهب من الشام جبة من سندس، فلبسها النبي ﷺ، ثم أتى البيت فوضعها، وأخبر بوفد يأتيه، فأمره عمر بن الخطاب أن يلبس الجبة لقدوم الوفد، فقال النبي ﷺ: «**لا يصلح لنا لباسها في الدنيا، ويصلح لنا لباسها في الآخرة، ولكن خذها يا عمر**». فقال: أتكرهها وآخذها؟ فقال النبي ﷺ: «**إني لم آمرك أن تلبسها، ولكن ترسل بها إلى أرض فارس، فتصيب بها مالًا**»، فأبى عمر، فأرسل بها النبي ﷺ إلى النجاشي، وكان قد أحسن إلى من فر إليه من أصحاب محمد ﷺ.
وآفته عبد الله ابن لهيعة ـ بفتح اللام وكسر الهاء ـ ابن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري القاضي، صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما مات سنة أربع وسبعين، وقد ناف على الثمانين. ينظر: تقريب التهذيب، ص٣١٩، وأيضا فيه عنعنة أبي الزبير عن جابر فهو ثقة إلا أنه يدلس.

(١) فقد أهدى النجاشي للنبي ﷺ خفين ساذجين أسودين، فقد أخرج أحمد في مسنده (٢٢٩٨١) ـ حدثنا وكيع، حدثنا دلهم بن صالح، عن شيخ لهم يقال له حجير بن عبد الله الكندي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن النجاشي (أهدى إلى النبي ﷺ: خفين أسودين ساذجين فلبسهما، ثم توضأ ومسح عليهما).
قال محققو المسند: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، دلهم بن صالح الكندي ضعيف، وحجير بن عبد الله الكندي مجهول... وأخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص ١٣٣ من طريق محمد بن مرداس الأنصاري، عن يحيى بن كثير، عن الجريري، عن عبد الله بن بريدة، به. ويحيى ابن كثير ـ وهو أبو النضر صاحب البصري ـ ضعيف.
وأخرج البيهقي في الكبرى ١/ ٢٨٣ عن أبي عبد الله الحاكم، عن أبي العباس محمد بن يعقوب، عن العباس بن محمد الدوري، عن عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه، عن أبي =

ـ زيادة المحبة.

ـ تأكيد وجود جسور التواصل.

ـ تأكيد عدم نسيانهم أو نسيان ما قدم لهم.

ـ محاولة لتلمس ما يرد به الجميل من حسن الهدية وقيمتها.

ـ التأكيد على التفكر الدائم في صنيعهم.

ـ تعليم المهاجرة كيف تتعامل مع البلد المضيف وأهلها إن هم تركوها أو انتقلوا منها إلى بلادهم أو غيرها... وغير ذلك من المعاني والدلالات العظيمة في هذا الباب.

= إسحاق الشيباني، عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبة، أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على خفيه، قال: فقال رجل عند المغيرة بن شعبة: يا مغيرة، ومن أين كان للنبي ﷺ خفان؟ قال: فقال المغيرة: أهداهما إليه النجاشي. قال البيهقي: وهذا شاهد لحديث دلهم بن صالح. وإسناده رجاله ثقات كلهم.

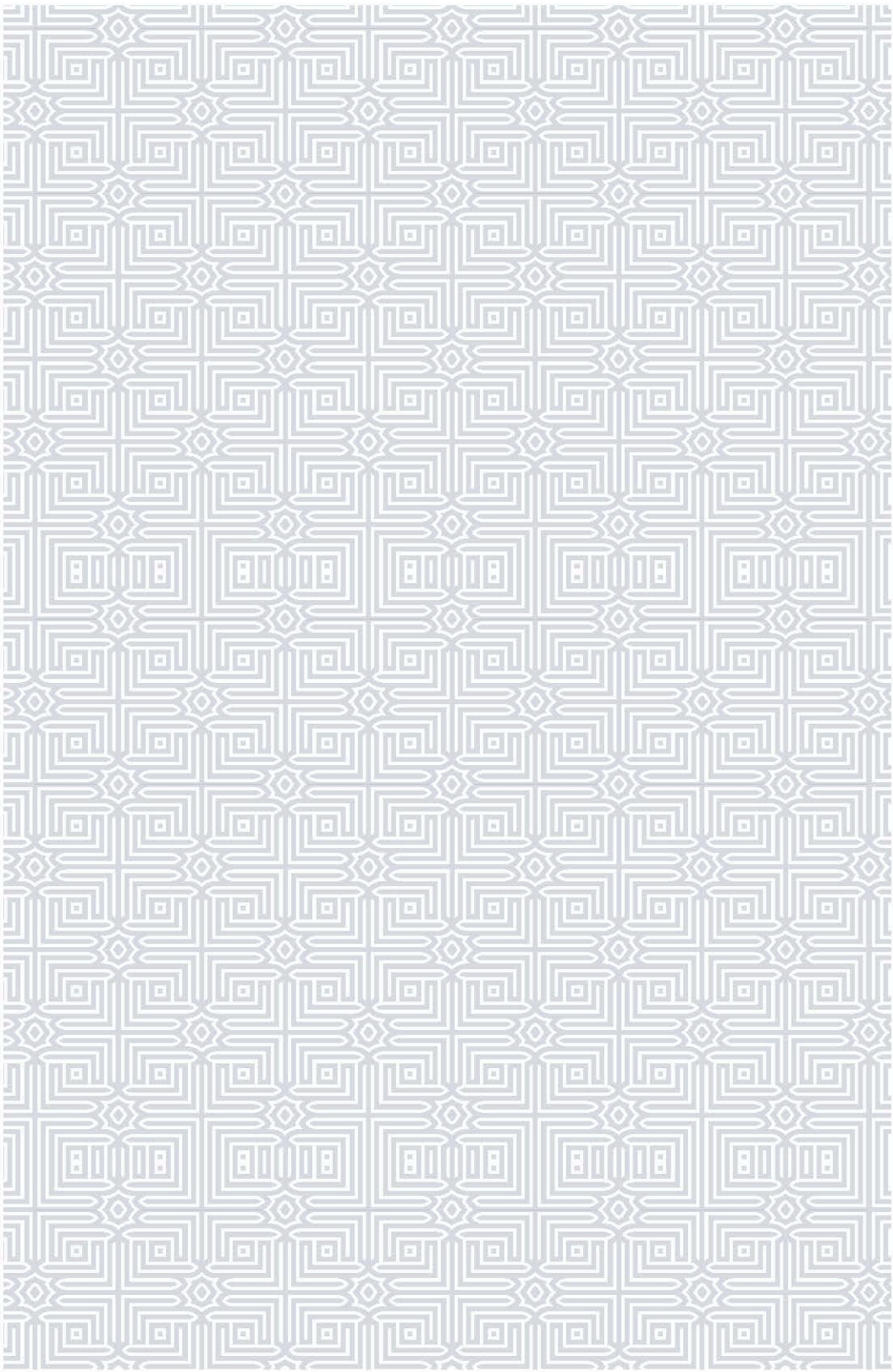
وقوله: أسودين ساذجين: الساذج، بفتح الذال وكسرها: هو الخالص غير المشوب وغير المنقوش، أي: غير منقوشين، أو على لون واحد لم يخالط سوادهما لون آخر، أو لا شعر عليهما، وهو معرب، فارسيته: ساده. ينظر: المسند ٣٨/ ٨٤.



الفصل الثامن

معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي المغترب





تمهيد

في هذا الفصل أجلي آخر ما أراه واجبًا إبرازه من معالم الوجود الإسلامي، فأسطر آخر معلم من معالم التعامل مع الوجود الإسلامي المغترب قبل وبعد اغترابه، وكنت دائمًا أتساءل قبل أن أستقرِئ النصوص وأجمعها: هل هناك دولة ترعي المغتربين من أبنائها بشكل رسمي قبل هجرتهم وأثنائها وبعدها كما قام به النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم؟ وإذا كان هذا الأمر في الواقع المعاصر أصبح من أعمال السفارات والقنصليات للدول مع أبنائها؛ فإن النبي ﷺ بمنهجه المتكامل، وتأسيسه المنفرد، وهديه السماوي قد قام بكل هذا وأتمه، بل بلغ ما لم تبلغه أغلب الدول في الواقع المعاصر من التعامل مع أبنائها المغتربين وخاصة بعد عودتهم إلى أحضان بلدهم الأم.

من أجل هذا فإني أقسم هذا الفصل إلى قسمين أساسين:

الأول: معالم تعامل الأكثرية المسلمة (الدولة الأم) مع الوجود الإسلامي قبل الهجرة وأثنائها.

والثاني: معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي بعد عودتهم.

(١)
معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي قبل وأثناء هجرتهم

أولًا: الاجتماع والتشاور الجماعي لبحث قرار الهجرة.

هذا الأمر قد بدأ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه عندما اشتدت الأمر عليهم، فقد اجتمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصحابة وشاورهم وبحث معهم الحلول واختار قرار الهجرة إلى الحبشة للنجاة، وقد أكدت هذا أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديث عند إسحاق بن راهوية: (عن أُمّ سلمة زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا فُتن أصحابُه بمكّة أشار عليهم أن يلحقوا بأرض الحبشة فخرجنا أرسالًا... الحديث).

ويجب أن نبين أن النبي مع صحابته في بادئ الأمر لم يكوّنوا دولة بالمعنى المعهود، ولكنهم كانوا على الأقل كيانًا جماعيًّا مكوَّنًا من قيادة وأتباع ونظام يزداد كل يوم كمًّا وكيفًا، ويؤطروا من خلاله لما ينفعهم ويقوم على مصلحتهم في ضوء تعاليم دينهم الجديد الدين الإسلامي.

وفي الحديث مفاهيم رائعة تبين معالم تعامل قيادة المسلمين مع المهاجرين الأُوَل قبل الهجرة، وهي كما يلي:

أ ـ التفكير الدائم من القيادة الإسلامية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبناء دولته

وإخوانه من المسلمين المستضعفين وكيفية تحقيق سلامتهم، وهو أول علامات معالم التعامل ما تحمل: (لغة الاهتمام بهم ـ والحب الصادق في الله ـ والخوف علي الجميع دون تمييز ـ وانتفاء الأنا في التفكير والنجاة ـ وتقديم مصلحتهم حتى مع ابتعادهم ـ وبذل الوقت والجهد في نجاتهم ـ وغير ذلك)[1].

ب ـ أهمية الاجتماع الفوري عند شدة الأزمات ووقوعها وخروج الأمر عن السيطرة لدراسة الموقف ووضع الحلول.

ت ـ عدم الانتظار الطويل حتى يعم البلاء، أو يصعب الحل، فالسرعة مع الاهتمام عاملان مهمّان في إنجاح المهمة وخلاص المستضعفين.

ث ـ تأسيس منهج ومبدأ التشاور من أول مجيء الإسلام، وهذا فيما لا وحي فيه ملزم، وهو منهج إلهي وتفعيل نبوي؛ تفعيل مبدأ الشورى معهم في اختيار الأرض البديلة[2].

---

(١) يقول الدكتور منير الغضبان في هذا السياق: (رسول الله هو الذي وجه الأنظار إلى الحبشة، وهو الذي اختار المكان الآمن لجماعته ولدعوته، كي يحميها من الإبادة، وهذا يقتضي من قيادة الدعوة الإسلامية في كل عصر أن تخطط بحكمة وعمق بالغَين لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض الآمنة، التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزًا من مراكز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيسي للخطر، أو وقع احتمال اجتياحه، فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايهم، دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم، وداعية واحد يعادل كل كفار الأرض بل يرجح عليهم). ينظر: فقه السيرة النبوية، ص٢٣٤.

(٢) جاءت روايات أخرى بألفاظ تدل على انتهاج منهج التشاور والاختيار للأرض البديلة منها، كما في رواية ابن إسحاق عند ابن هشام في السيرة: (قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال ﷺ لهم: =

ج ـ ترك مساحة الاختيار للفعل من عدمه؛ ولذلك لم يلزم أحدا منهم بهجرة ولا بقاء، ولما عادوا في الهجرة الأولى لم يزجر أحدًا ولم يعاتب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ح ـ وأن من منهج الشورى إيضاح مقصد الاختيار وحكمته، وهذا ما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيان أسباب اختيار هذه الأرض البديلة من مقومات أرض وحاكم.

خ ـ وضع آلية الخروج، وكانت كما أخبرت أم المؤمنين أم سلمة أرسالًا، أي جماعات متفرقة يتقوّى بعضهم ببعض، ويكونوا مع ذلك خفيفي الحركة لا ينالهم عدو ولا تعوقهم كثرة[1].

وجميع ما ذكرناه يعتبر أول لبنة في صرح تعامل الراعي مع الرعية، كيف تتعامل هذه القيادة مع أبنائها عندما تجد الخطر محدقا بها؟ فهي وإن عجزت عن الدفاع عنهم لانعدام أسباب النصر والمواجهة، فهي لا تعجز في التخطيط لها ورسم طريق نجاتها والحفاظ عليها.

= «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإنَّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا»..). سيرة ابن هشام ١/ ٣٢١.

(١) قال ابن حجر: وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وقيل: وامرأتان، وقيل: كانوا اثني عشر رجلا، وقيل: عشرة وأنهم خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار. ينظر: فتح الباري ٧/ ١٨٨.

قلت: وقد جاء عند محمد بن يوسف الصالحي ما يستشهد به في ذلك قال: (وكان مع أبي بكر الحارث بن خالد، فقال أبو بكر: فإن معي رجلا من عشيرتي. فقال له ابن الدغنة: دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك. فقال له أبو بكر: فأين حق المرافقة؟ فقال الحارث: أنت في حل فامض فإني سأمضي لوجهي مع أصحابي. فمضى حتى صار إلى الحبشة). ينظر: سبل الهدى والرشاد٢/ ٤١٠.

قلت: ولم أقف على هذه الرواية عند غيره.

ثانيًا: تلمّس أخبار المهاجرين والاطمئنان على سلامتهم.

تأتي هذه الخطوة الثانية بعد التشاور والاختيار والانطلاق إلى الأرض الجديدة، فتبدأ القيادة الإسلامية في تلمس أخبار المهاجرين ومعرفة آخر أخبارهم وبذل السعة في الإحاطة بأوضاعهم وسلامة وصولهم واستقرارهم، وهذا ما قام به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل مستمرٍّ، ولقد جاءت الرواية تدلل على هذا السلوك وتحمل معها توجيهات نبوية ينبغي الوقوف معها وتعلمها، فقد أخرج ابن أبي عاصم عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج عُثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُهاجرًا إلى الحبشة ومعه ابنةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحتبس على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرُهم، فكان يخرُجُ يتوكّفُ[1] عنهم الخبر، فجاءته امرأةٌ فأخبرتُهُ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صحبهما الله تعالى إنّ عُثمان لأولُ من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوطٍ عليه السّلامُ»**[2].

---

(١) التوكف: التوقع والانتظار، ويقال: هو يتوكف الخبر، أي يتوقعه، ونقول: ما زلت أتوكفه حتى لقيته. ينظر: لسان العرب ٩/ ٣٦٤.

(٢) رواه ابن أبي عاصم قال: حدثني محمد بن عبدالرحيم، نا بشار بن موسى الخفاف، نا الحسن بن زياد، إمام مسجد محمد بن واسع، قال: سمعت قتادة، يقول: حدثني النضر بن أنس، الآحاد والمثاني ١/ ١٢٣، أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة ٣/ ٢٥٥، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٥٩٦، وفي الأوائل (ق ١٥/ ١)، والطبراني في الكبير ١٤٣/ ١/ ٤٧، والبيهقي في الدلائل، وفي إسناده بشار بن موسى الخفاف مختلف فيه، قال الذهبي: بشار ابن موسى أبو عثمان العجلي المحدث الكبير، أبو عثمان العجلي- وقيل: الشيباني- البصري، الخفاف، نزيل بغداد له عن: شريك، وأبي عوانة، ويزيد بن زريع، وعبيد الله بن عمرو، وطبقتهم. وعنه: أحمد بن حنبل، وابنه عبد الله، وصالح جزرة، والحسن بن علويه، والبغوي، وآخرون اختلف في توثيقه، ضعفه أبو زرعة، قال أحمد: يكتب حديثه، وكان حسن الرأي فيه، وقال ابن معين، والنسائي: ليس بثقة، وقال أبو داود: أنا لا أحدث عنه، قال ابن عدي: (رجل مشهور بالحديث، ويروي عن قوم ثقات، وأرجو أنه لا بأس به، =

وفي هذا الحديث من الدلالات ما يلي:

ـ فيه المتابعة المستمرة للمهاجر، وما تئول إليه الأمور، والاطمئنان على أحوالهم، وهذا واضح من كلمة أنس: (احتبس عليه خبرهم). أي: طال أمر

= ولم أر في حديثه شيئا منكرا). قال: وبلغني أن ابن المديني كان حسن الرأي فيه. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان صاحب حديث يغرب، وقال الحاكم أبو أحمد: (ليس بالقوي عندهم). قال: وأنا أبو العباس الثقفي سمعت الفضل بن سهل، وذكر عنده بشار بن موسى فأساء القول فيه، وقال الخليلي فيه: (لين). قال عنه الإمام أحمد: كان معروفا، كان صاحب سنة، وقال عثمان الدارمي: بلغني أن أحمد حسن القول فيه. وقال ابن المديني: ما كان ببغداد أصلب في السنة منه، وقال أيضًا: كان بشار صاحب سنة، وقد دافعت عنه، قال عنه ابن حجر: (ضعيف، كثير الغلط، كثير الحديث).

قلت: وهو وإن كان الأكثر على تضعيفه، إلا أن قول ابن عدي فيه، وقد ساق حديثه هذا يجعل الحديث عندي في دائرة القبول لا الضعف، فلم يكن حكمه عليه إلا بعد ذكره هذا الحديث، فلعله مما لم ينكر عليه أو قوي فيه، ومعلوم أن ابن عدي يذكر الجرح مفسرا ويسوق الأحاديث المعلة فيه، ويرجحه أن الهيثمي أعلّ الحديث بشيخه الحسن بن زياد، فقال: رواه الطبراني، وفيه الحسن بن زياد البرجمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (٩/ ٨١) وكذلك الحديث عزاه الحافظ في المطالب العالية ٤/ ٥٤-٥٥، لأبي يعلى، وسكت عليه، وكذلك فعل في الفتح (٧/ ١٨٨) بعد أن عزاه ليعقوب بن سفيان، فلعل سكوت ابن حجر في الموضعين يستدل على أنه ليس ضعيف على إطلاقه، وأن هذا هذه الرواية في دائرة القبول، ويؤيده تصحيح ابن الجوزي لحديث سيق بإسناده ينظر: إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه، ص٣٨٢، والله أعلم. فلعل القول الأخير فيه أنه ضعيف، وقد يقوى في بعض أحاديثه، والله أعلم.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٢، والتاريخ الكبير ٢/ ١٣٠، والضعفاء والمتروكين، للنسائي، ص٢٤، والجرح والتعديل ٢/ ٤١٧، والكامل، لابن عدي ١/ ٧١، ١٢٣، وتهذيب الكمال لوحة ١٤٦، ١٤٧، وتذهيب التهذيب ١/ ٨٢/ ٢، وميزان الاعتدال ١/ ٣١٠، ٣١١، والمغني في الضعفاء ١/ ١٠٤، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٤١، والتقريب، رقم: (٦٧٤).

الوقوف على الجديد، وهو دليل المتابعة والانشغال المستمر.

ـ وفيه بيان الخوف الشديد على الأقلية المسلمة من القائد والمؤسسة الإسلامية.

ـ وفيه ما يترتب عليه من أثر ذلك في نفوس الأتباع، سواء من يعيش في وطنه، أو من يهاجر إلى وطن آخر.

ـ وهو دليل الميدانية عند القيادة الإسلامية في تتبع الأخبار والاهتمام، وذلك بالخروج بنفسه، وجمع أسباب وسبل التقصي للاطمئنان.

وأما السؤال عنهم وهم هناك: فلم يفت النبي ﷺ أن يبعث في الاطمئنان عليهم والكلام في شأنهم عند ملك الحبشة؛ ففي المسند عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال: لمّا انصرفنا من الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالًا من قُريشٍ كانوا يرون مكاني... الحديث). وفيه قال: (فوالله إنّا لعنده إذ جاء عمرو بنُ أُميّة الضّمريُّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه إليه في شان جعفرٍ وأصحابه)[1].

فمن مهام عمرو بن أمية التي أرسله النبي ﷺ في تنفيذها غير الدعوة إلى الإسلام، هو الكلام في شأن جعفر وأصحابه من اطمئنان وسؤال عليهم،

(١) أخرجه أحمد (٢٩/ ٣١٢)، حديث رقم: (١٧٧٧٧) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد، مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس عن عمرو به، قال محققو المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد، راشد مولى حبيب لم يرو عنه غير يزيد بن أبي حبيب، ووثقه ابن معين وابن حبان، وحبيب بن أبي أوس- ويقال: حبيب بن أوس- روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات، والحديث في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٩- ٢٩١ عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

وتنسيق بين القيادات في شأن بقائهم على الوجه المحمود، وكل هذا له دلالاته العظيمة في نفوس المهاجرين ونفوس الدولة المضيفة لهم.

وعمومًا...

فإن أعظم ما يستفاد من هذا المنهج النبوي أن يبين أن المهاجرين سيظلون أبناء الدولة، وأنه لا تنقطع الصلة عنهم بابتعادهم، بل ربما يزداد الاهتمام بهم في غربتهم أكثر مما كانوا بين يديه، فيظل السؤال والتفقد والاطمئنان عنوانًا في التعامل والتواصل بين المقيم والمسافر، وهذا يجعل المهاجر يفخر ببلده، ويذكّر بقِيمه، وينتظر العودة يومًا ما إليه بعد أن يكون قد قدم ما عليه[1].

ثالثًا: التواصل المستمر مع الوجود الإسلامي.

هناك روايات تبين أن التواصل كان مستمرًّا مع المسلمين في الحبشة، كما كان هناك متابعة من النجاشي لبعض شئون المسلمين، قد ذكرها فضيلة الدكتور عمار منلا، وهي كما يلي:

١ـ فقد ورد في الروايات وصول خبر سجود أهل مكة للمهاجرين الأوائل في

(١) ومما يضاف إلى الباب لكن من طريق ضعيف الدعاء للمغترب والمهاجر وتعليمه وتزويده ما يستأنس به من الدعاء: الطبراني في الأوسط٢/ ٦١، حديث رقم: (١٢٥٠) ـ حدثنا أحمد قال: نا إسحاق قال: نا عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم، عن أبيه، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما وجه رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، شيعه، وزوده هذه الكلمات: **«اللهم الطف لي في تيسير كل عسير، فإن تيسير كل عسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة»**. قال البيهقي: عبد الرحمن بن إبراهيم هذا مدني في حديثه ضعف. الدعوات الكبير ١/ ٣٥٨، وقال ابن حجر: قلت: إسناده مظلم وما حدث به العلاء أبدًا. انتهى. وقال العقيلي: مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه. ينظر: لسان الميزان ٤/ ٥١٥.

السنة الخامسة، فعادوا بسبب ذلك من الحبشة.

٢ـ طلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من المهاجرين في الهجرتين الأولى والثانية، أن يعود إلى مكة، ليذهب مع الأنصار معلِّمًا وسفيرًا، وكان منزلُه في المدينة على أسعد بن زُرارة.

٣ـ طلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مجموعة من المهاجرين في الهجرة الثانية أن يلحقوا به إلى المدينة، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين رجلًا، منهم عثمان، ورقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤ـ لما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصول أبي موسى الأشعري إلى الحبشة أمره أن يبقى هناك.

٥ـ إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي لخطبة أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعمائة دينار.

٦ـ فرح النجاشي بانتصار المسلمين في بدر، عندما أخبره أحد عيونه بذلك، فأرسل إلى جعفر وبشره بذلك.

٧. وصول بعض الأحكام لهم؛ كالصلاة مثلا: يقول ابن حزم في هذا الباب: (وهكذا كان الصحابة الذين بأرض الحبشة والصلاة قد فرضت بمكة إلى بيت المقدس، وعرفوا ذلك فصلّوا كذلك بلا شك، ثم حولت القبلة إلى الكعبة بالمدينة بعد ستة عشر شهرًا من الهجرة، ولا خلاف بين أحد أنهم لم يلزمهم التحول إلى الكعبة، ولا سقط عنهم فرض الصلاة، ولا كان لهم أن يصلوا إلى غير القبلة التي صح عندهم الأمر بها ما لم يبلغهم النسخ، وقد سمّى الله تعالى صلاة من مات

قبل أن يبلغهم بالنسخ إيمانًا، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[1].

وهكذا فعل أهل قباء صلوا نصف صلاتهم إلى بيت المقدس، ولا شك أنهم لم يبتدئوها إلى بيت المقدس إلا والقبلة قد نسخت، لكن لما لم يعلموا ذلك لم يلزمهم ما لم يعلموا ولا سقط عنهم ما كان لزمهم إلا بعد بلوغ النسخ إليهم).

وقال في موضع آخر (إنه قد صحّ وثبت عند جميع أهل العلم أن المسلمين كانوا بأرض الحبشة، وبأقصى جزيرة العرب، فنزل الأمر من الله تعالى على رسوله ﷺ ما لم يكن فيه قبل ذلك أمر؛ كالصوم والزكاة، وتحريم بعض ما لم يكن حرامًا كالحق، وإمساك المشركات وغير ذلك. فلا شك في أنه لم يأثم أحد منهم بتماديه على ما لم يعلم نزول الحكم فيه).

وقال أيضًا: (كذلك كانت صلاة أهل قباء، ومن كان بأرض الحبشة إلى بيت المقدس صلاةً تامةً، وإن كان النسخ قد وقع بالقبلة إلى الكعبة على من بلغه؛ لأنهم لم يعلموا ذلك، ولكن أجرهم على صلاتهم كذلك أجران، وأما من بلغه ذلك ثم نسيه، أو تأول فيه فأجرهم على صلاته كذلك أجرًا واحدًا؛ لأنهم مجتهدون أخطئوا ما عند الله عزوجل، وهم مأمورون باستقبال الكعبة، ولكنهم غير ملومين ولا آثمين في ترك ذلك؛ لأنهم معذورون بالجهل، وهذا بين وبالله تعالى التوفيق، وليس كذلك أهل قباء، ومن كان بأرض الحبشة، لأفرضهم البقاء على ما بلغهم، حتى ينتقل بلوغ النسخ إليهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

ولعله قصد أو أراد تأخير البيان عن وقت الحاجة، وليس عدم التبليغ مطلقًا، لكن كيف كان يتم ذلك، ومن كان يقوم به، ومتى؟).

لم ترد روايات في ذلك، ولعل الأمر لشهرته أو كثرته لم يذكر.

ولكن حصلت أحداث أخرى تم فيها ذكر الأسماء بالتفصيل، فقد ورد في الرواية اسم من أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة أم حبيبة من النجاشي، وهو عمرو بن أمية الضمري، وورد كذلك اسم من أرسله النجاشي معها وهو: شرحبيل ابن حسنة، أحد المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الثانية.

نعم وجد الصحابة في الحبشة عند أول وصولهم أمنًا وطمأنينة وسكينة، فأمنوا بعد خوف، واطمأنوا بعد اضطراب، وسكنوا بعد قلق واتقاء ورعب، كما قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث طويل تصف فيها أحوالهم عند الوصول إلى الحبشة[1]

رابعًا: تفعيل المؤاخاة بين المقيمين والمهاجرين.

ذكر ابن إسحاق في سيرته عند الكلام عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من آخى بينهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يلفت الانتباه أنه تمت مؤاخاة بين صحابيين مهاجري وأنصاري لكنها مؤاخاة عن تباعد أسوق الرواية ومن بعد أوضح دلالاتها:

قال ابن إسحاق: (فكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيّد المُرسلين، وإمام المُتّقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطيرٌ ولا نظيرٌ من العباد، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخوين، وكان حمزةُ بنُ عبد المُطّلب، أسدُ الله وأسدُ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزيدُ بنُ حارثة، مولى رسول الله

(١) ينظر: بحث الهجرة إلى الحبشة، للدكتور عمار منلا، ص١٨١.

ﷺ، أخوين، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحُدٍ حين حضره القتالُ إن حدث به حادثُ الموت، وجعفرُ بنُ أبي طالبٍ ذو الجناحين، الطّيّارُ في الجنّة، ومعاذُ بنُ جبلٍ، أخو بني سلمة، أخوين قال ابنُ هشامٍ: وكان جعفرُ بنُ أبي طالبٍ يومئذٍ غائبًا بأرض الحبشة)[1].

وقفتُ طويلًا حول مؤاخاة النبي ﷺ بين جعفر ومعاذ بن جبل، هل كان ذلك حقًّا؟ وهل عبارة ابن هشام معقبا على ابن إسحاق تؤكدها أم تنفيها؟

والجواب من وجهة نظري أنها تؤكدها لا تنفيها لعدة وجوه:

١ـ ليس مثل ابن إسحاق وهو إمام في السيرة يغفل عن مثل هذا أو يغلط فيه، خاصة وأنه يعرف سيرة جعفر رضي الله عنه ومكثه وانتقاله منذ أن خرج من مكة وعاد عام خيبر وسطر ذلك في سيرته.

٢ـ تناقل علماء السير والتراجم قول ابن إسحاق في ذلك وسكتوا عنه، ولم يعقب أحد منهم ما يقويه، أو على الأقل لم ينفوه، وخاصة ابن حجر في الإصابة الذي من منهجه الترجيح في مثل هذا، وكذلك ابن عبدالبر في الاستيعاب، والذهبي في تذهيب تهذيب الكمال، والزركلي في الأعلام وغيرهم[2].

٣ـ تعقّب الحافظ ابن كثير رواية ابن إسحاق لكنه أورد لها وجهًا في نهاية كلامه، وهو ما يقوّى عندي، فقال: (وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع، كما سيأتي بيانه، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل

(١) سيرة ابن هشام/ ٥٠٥.

(٢) ينظر: الاستيعاب ٣/ ١٤٠٣، وتذهيب التهذيب ٩/ ١٨، والإصابة ١/ ٥٩٢، والأعلام ٧/ ٢٥٨.

أول مقدمه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المدينة؟ اللهم إلا أن يقال: إنه أرصد لأخوته إذا قدم حين يقدم)[1].

٤ـ وجود شبه لهذا الفعل من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواقف أخرى يستحضر بين يديه غائبًا وكأنه حاضرًا معه، كما فعل مع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقصد ذلك تأكيد مكانته وحضوره وإشراكه في الأجر؛ كما عند أحمد عن أبي سلمة بن عبد الرّحمن، قال: أشرف عُثمانُ من القصر، وهو محصورٌ، فقال: أنشُدُ بالله مَن شهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حراءٍ، إذ اهتزّ الجبلُ فركله بقدمه، ثم قال: «اسكُن حراءُ، ليس عليك إلا نبيٌّ، أو صدّيقٌ، أو شهيدٌ». وأنا معهُ؟ فانتشد له رجالٌ، قال: أنشُدُ بالله مَن شهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بيعة الرّضوان، إذ بعثني إلى المُشركين، إلى أهل مكّة، قال: «هذه يدي، وهذه يدُ عُثمان» فبايع لي؟ فانتشد له رجالٌ... الحديث)[2].

وعلى ما ذكرته مرجحًا فإن تفعيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المؤاخاة لها دلالات:

أ ـ فهي رسالة قوية للمهاجرين الأول والوجود الإسلامي في الحبشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينساهم ولم ينشغل عنهم بغيرهم، بل هم معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاضرون في كل خطوة وخير وتحصيل أجر.

ب ـ في هذه المؤاخاة ما يُذهب عن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحشة الغربة، ويشد من أزرهم، ويخفف من طول الاغتراب عن إخوانهم، قال السهيلي: (آخى رسولُ الله

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٧٨)، حديث رقم: (٤٢٠) قال: حدثنا أبو قطن، حدثنا يونس ـ يعني ابن أبي إسحاق ـ عن أبيه حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. أبو قطن: اسمه عمرو بن الهيثم بن قطن، وأخرجه ابن أبي عاصم (١٣٠٩)، والنسائي ٦/ ٢٣٦.

ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليُذهب عنهم وحشة الغُربة ويُؤنسهم من مُفارقة الأهل والعشيرة ويشُدّ أزر بعضهم ببعض)[1].

ت ـ وأيضًا في اختيار جعفر بن أبي طالب دون غيره مع معاذ بن جبل هو اختيار تمثيلي لرئيس الجالية الإسلامية في الحبشة مع أخ له لم يلقه ليكون بمثابة مؤاخاة بين الوجود كلّه ممثلًا في رئيس جاليتهم، والأنصار جميعًا ممثلين في معاذ ابن جبل رضي الله عنه.

ث ـ وهي رسالة قوية للأنصار والمجتمع النبوي بمكانة الوجود الإسلامي الأول في الحبشة، فلا ينسوهم أو يهمشوهم عند عودتهم.

ج ـ اختيار النبي ﷺ لكلا الصحابيين اختيار مدروس فيكاد الأخوان جعفر ومعاذ يلتقيان في كثير من الأمور سنًّا وفهمًا وعقلًا وعلمًا، وغير ذلك، ولو تتبعنا سمات تكوين شخصية معاذ لوجدناها مقاربة جدًّا لشخصية جعفر التي تحدثنا عنها من قبل.

ح ـ ولعل أيضًا من جماليات المؤاخاة أن يتمّ تبادل الرسائل بين جعفر ومعاذ، أو تكون مهمة معاذ نقل الجديد إلى جعفر وتتبع الأخبار عنده ويُشركان بعضَهما في الدعاء والنصح.

خ ـ وإذا كانت المؤاخاة من النبي ﷺ بينهما مرصودة عند عودة جعفر، ففيها من المعاني العظيمة: تقدير جعفر وعدم نسيانه، ومجازاة على الخير الذي قدمه، وإدخال السرور عليه، وترصيد عالم من علماء الأمة بمصاحبته بعد عودته لتعليمه ما فاته، وغير ذلك.

---

(١) ينظر: الروض الأنف للسهيلي ٤/ ١٧٨.

وختامًا...

فإننا نستفيد من هذا المبحث أنه يجب أن نفعِّل المؤاخاة بين الوجود الإسلامي داخل بلاد الاغتراب وخارجها مع الأكثرية المسلمة، فما المانع أن تكون وسائل التواصل الحديثة والزيارات الميدانية والتعهد المستمر بين الإخوة المقيمين والمهاجرين عنصرًا من عناصر الدعم والمساندة، وتخفيف الاغتراب وتثبيت القلب ومجاوزة الصعاب، ومحافظة على الوحدة والجماعة المؤمنة وغير ذلك، مما أفرزته المؤاخاة التي سنّها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة والمدينة.

وقد عبّر الإمام أبو زهرة عن ذلك قائلا: (وعندي أن المؤاخاة تتجه إلى تكوين وحدة الجماعة المؤمنة، ولذلك كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أولًا، وكانت بين المهاجرين بعضهم مع بعض ثانيًا، وبين الأنصار بعضهم مع بعض ثالثًا، أوسهم مع خزرجهم، ليقضي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الثغرة السابقة بالألفة التي تجمع القلوب، وتزيل نفارها، فالمؤاخاة كانت لتكون الأخوة بين النسيب الشريف والمولى الضعيف، لذلك كانت المؤاخاة جاعلة: حمزة بن عبد المطلب أخًا لزيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمؤاخاة كانت لتكون الجماعة كما ذكرنا، ولوضع مبدأ المساواة عمليا)[1].

(١) خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢/ ٤٩١.

(٢)
معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي بعد عودتهم

قدَّمت الدولة الإسلامية (الأم) بقيادة النبي ﷺ نموذجًا رائعًا في التعامل مع أبنائها المهاجرين العائدين إلي رحابها وربوعها أرضًا وشعبًا وقيادةً، فالاهتمام بالمهاجر لم يكن مداره فقط في دار هجرته وغربته بما تقدّم بيانه سابقًا، إنما ازداد هذا الاهتمام تنوعًا وكثرةً وتفردًا بعد عودتهم، وقد جاءت المواقف النبوية الفريدة لتسطر هذا التنوع والتفرد مع المهاجرين الأُوَل مهاجري الحبشة بعد عودتهم، ولنبين ذلك تفصيلا من خلال روايات السنة المشرفة:

أولًا: تقديم الرعاية الكاملة للعائدين منهم.

فقد أخرج أحمد بسنده عن مُحمّد بن حاطبٍ، عن أُمّه أُمّ جميلٍ بنت المُجلل، قالت: (أقبلتُ بك من أرض الحبشة حتى إذا كُنتُ من المدينة على ليلةٍ ـ أو ليلتين ـ طبختُ لك طبيخًا، ففني الحطبُ، فخرجتُ أطلُبُهُ، فتناولت القدر، فانكفأت على ذراعك، فأتيتُ بك النبيّ ﷺ، فقُلتُ: بأبي وأُمّي يا رسول الله، هذا مُحمّدُ ابنُ حاطبٍ، فتفل في فيك، ومسح على رأسك، ودعا لك، وجعل يتفُلُ على يديك، ويقول: **«أذهب الباس ربّ النّاس، واشف أنت الشّافي، لا شفاء إلا شفاؤُك، شفاءً لا يُغادرُ سقمًا»**.....

فقالت: فما قُمتُ بك من عنده حتى برات يدُك)[1].

فمن خلال هذه الرواية نستطيع أن نبرز أول ما كان يقدم للمهاجرين العائدين من أرض الحبشة، ماذا فعلت معهم الدولة الإسلامية الأم؟ وكيف تفاعلت قيادتها معهم؟ وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولنقف على أهم المعالم في هذا الحديث الشريف:

أ ـ أبرزت الرواية ما لاقاه المهاجرون الأُوَل في طريق عودتهم من ابتلاءات واختبارات يعظم بها الأجر، وترتفع معها المكانة والقدر.

ب ـ انطلاق أم جميل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بولدها يدلل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زال الملاذ الذي يهرول إليه المؤمنين في كل ما ينزل بهم، أو يلمّ بحياتهم، حتى وإن كانوا أبعد الناس عنه مكانًا ولم يجالسوه زمانًا، لكنه أقرب الناس إليهم قلبًا ووجدانًا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٩١)، حديث رقم: (١٥٤٥٣) - حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، ويونس بن محمد، قالا: حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال إبراهيم بن العباس في حديثه: ابن إبراهيم بن محمد بن حاطب، قال: حدثني أبي، عن جده محمد بن حاطب. إسناده حسن في الشواهد، وهذا فيه عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم: ضعفه أبو حاتم، وقال: روى عن أبيه أحاديث منكرة، وذكره المؤلف في الثقات ٨/ ٣٧٢، وأورده البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٣٣٠، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وأبوه عثمان ذكره المؤلف في الثقات ٥/ ١٥٤، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه وهو شيخ.
قلت: شاهده الحسن أخرجه احمد في الحديث رقم (١٥٤٥٢) قال حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن سماك، قال: قال محمد بن حاطب: انصبت على يدي من قدر، فذهبت بي أمي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في مكان، قال: فقال كلاما فيه: «أذهب البأس، رب الناس ـ وأحسبه قال ـ اشف أنت الشافي». قال: وكان يتفل. وهذا إسناد حسن من أجل سماك بن حرب، وهو صدوق. ينظر: تقريب التهذيب، ص ٢٥٥.

ت ـ تعريف أم جميل بولدها وهو من أبناء المهجر تعريفًا وإعلامًا به وبيانًا للحظة دخوله، وقد علمت منزلة الناس عند نبيهم وأخلاقه في إدناء الناس منه، وعدم رد من يطلبه، وخاصة المهاجرين منهم، فتصيب منه تفرغًا له واهتمامًا بشأنه ونجدة لما لحق به.

ث ـ لم تغير الغربة في أهلها علاقتهم بنبيهم فشعار (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ) متجذرٌ راسخٌ في عمق القلب وصدق المحبة، فلا يقاربه أحدٌ في موقع القلب، ولا يداينه أحدٌ في المحبة حتى وإن كانا الوالدين.

ج ـ قدَّم النبي ﷺ الرعاية الفورية لمحمد بن حاطب وأمه رعايةً تخالطُ بريقه ونفثه ويجتمع عليها قلبه ويديه، ويزيد فوقها دعاء وطلب وشفاء من الله عزوجل.

ح ـ الرعاية التي قدّمها النبي ﷺ تبرز في عدة صفات وصور لأولاد المهاجرين وفي تعامله مع أم جميل وولدها، وهي سمة عامة في جميع أفعاله ﷺ مع الناس:

١ـ فهي رعاية فورية لهما: فلا تسويف معهما، ولا انتظار ومكث لمكانة الحاضرين القادمين من بعيد وخطورة ما قدموا به.

٢ـ وهي اهتمامية: بالمقام الأول فلا مجال معهما لبرود تفاعل أو تقليل شأن، أو وجود أولوية عليهما، أو تقديم مقيم على مهاجر، أو حاضر على غائب.

٣ـ وهي كلية: فالحضور من جنابه ﷺ كاملا فلا وجود بانتصاف حال، أو ازدواجية أعمال أو شرود فكر، أو جسد بدون روح، يشعر الملهوف معه بعدم اكتراث لهما أو تهوين أمرهما الجلل الذي ألمَّا بهما وطلبًا العون في سبيل رفعه.

٤ـ **وتحمل الرعاية أيضًا سمة التفرغ الكامل** لهما فيترك جميع ما في يده من أجلهما ويؤجل أعمالًا كان قد شرع فيها أو قارب منها، فلا تأجيل لها ولولدها ولا انشغال بغيرهما عنهما.

٥ـ **وهي إنسانية صحية:** تؤكّد تعدد رعايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتنوعة والتي تناسب الحاضر والموطن بين يديه، فيُزيل ضررًا لحق بصبي، ويخفف ألمًا ألَمَّ بأمه، ودائمًا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب القادم في مطلبه فتأتي الرعاية في بابها المتنوع.

٦ـ **وهي مباشرة منه:** فلا يوكل أمرَهما لأحد من جلسائه أو مستشاريه، وخاصة إذا علم أنَّ القادم عليه يقصده هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الأمرَ لا يوكل فيه.

٧ـ **وهي رعاية شاملة متوازنة** جمعت بين الرعاية الروحية والمادية تحيط بالقادم فيغنم ماديًّا بُرءًا ومعافاةً في جسده، كما يغنم دعاءً ومحبةً وقربةً وشعورًا، فيخرج وقد خلد هذا الأمر معه ووجد أثره في نفسه وحياته.

وختامًا...

أقول: إن الرعاية التي قدّمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كقيادة للمسلمين ودولتهم، وبهذه السمات التي تطرّقت لها، تظهر الهوة العظيمة التي عليها قيادات دول الإسلام في التعامل مع المغترب العائد ما يجعلهم أمام أنفسهم في حرَج شديد وبعد أشد في اتباع منهج النبي وسنته، فالاهتمام والمباشرة والدعم والتفرغ والتنوع والتعدد والرعاية الكاملة للمغترب والمهاجر قوبلت اليوم بالاستغلال والتهميش والتقليل والتحقير والتسفيه، وغير ذلك إلا من رحم الله، وهذا قليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانيًا: الاحتفال بقدومهم وإكرامهم.

ومن معالم تعامل الدولة الإسلامية مع أبنائها العائدين من هجرتهم وغربتهم بعد إسعاف المحتاجين وتقديم الرعاية الفورية لهم، يأتي الاحتفال بقدومهم وإكرامهم بصنوف الإكرام المتعدد منه، وهو ما أسسه أيضًا النبي ﷺ مع المهاجرين الأُوَل العائدين من الحبشة على النحو التالي:

ـحسن استقبالهم وإعلان الفرح بقدومهم:

كما جاء عند ابن أبي شيبة قال: (أُتي رسولُ الله ﷺ حين افتتح خيبر فقيل لهُ: قدم جعفرٌ من عند النجاشيّ، فقال: «**ما أدري بأيّهما أنا أفرحُ بقُدوم جعفرٍ أو بفتح خيبر**» ثم تلقّاه والتزمه وقبّل ما بين عينيه)[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة- حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي (٦/ ٣٨١)، حديث رقم: (٣٢٢٠٦) مرسلا أبو داود (٥٢٢٠) وفي المراسيل، كما في تحفة الأشراف (١٣/ ٢٤٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد (٣٦٣) وابن الأعرابي في القبل (٣٧).
والطبراني في الكبير (١٤٦٩)عن علي بن مسهر الكوفي، وابن سعد عن عبد الله بن نمير، وابن سعد (٤/ ٣٥)، والبيهقي (٧/ ١٠١) وفي الآداب (٢٩٧)، عن سفيان الثوري، وابن الأعرابي (٣٨)عن سفيان بن عيينة، وقد ورد موصولا، فقد خالفهم الحسن بن الحسين العرني، فرواه عن الأجلح بن عبد الله عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، أخرجه الحاكم (٣/ ٢١١) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٤٦)، والأول أصح، لوجود الحسن بن الحسين العرني، قال أبو حاتم في الجرح (٣/ ٦): لم يكن بصدوق عندهم، وقال ابن عدي في كامله (٣/ ١٨١): روى أحاديث مناكير، ولا يشبه حديثه حديث الثقات، ولم ينفرد به الأجلح بن عبد الله، بل تابعه إسماعيل بن أبي خالد وزكريا بن أبي زائدة عن الشعبي مرسلا، وقال البيهقي: والمحفوظ هو الأول مرسل. ينظر: للتوسع في تخريجه: أنيس الساري بتخريج أحاديث فتح الباري ٦/ ٤٣٩٢: ٤٣٩٥.
قلت: قد صح موصولًا عن الحاكم في المستدرك من طريق آخر عن جابر رضي الله عنه =

-إكرامهم المالي فور مجيئهم:

كما جاء عند الإمام مسلم: عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: (فوافقنا رسول الله

= (٢/ ٦٨١)، حديث رقم: (٤٢٤٩) قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني، ثنا الهيثم بن خالد، ثنا أبو غسان النهدي، ثنا الأجلح بن عبد الله، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أدري بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: في التعليق صحيح.

قلت: إسناده حسن لوجود الأجلح بن عبد الله، وهو صدوق كما قال الحافظ ابن حجر، وبقية رواته ثقات، والراوي عنه أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، وهو إمام ثقة متقن صاحب كتاب، كما قال الحافظ ابن حجر وغيره، فالأقرب عندي أنه الأجلح نفسه يكون قد رواه مرة بالإرسال ومرة بالوصل فاختلف عنه. والله أعلم.

ينظر قول الحافظ في الأجلح في: تقريب التهذيب، ص٩٦، وفي أبي غسان النهدي، ص٥١٦.

وقد قال الشيخ الألباني: حديث حسن، أخرجه الحاكم ٤/ ٢١١، والطبراني في الكبير، عن الشعبي مرسلا، وسنده صحيح، وقد وصله الحاكم من طريق أخر عن الشعبي عن جابر، وفي سنده ضعف، ولذلك قال الذهبي في (التلخيص): «الصواب مرسل»، وله طريق آخر، رواه البيهقي، كما في (البداية): ٤/ ٢٠٦، من طريق أبي الزبير عن جابر، وفي سنده من لا يعرف، وله شاهد من حديث أبي جحيفة، أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ص٨، وسنده ضعيف؛ لكن أخرجه في الكبير من طريق اخر، كما يستفاد من المجمع: ٩/ ٢٧٢. وبالجملة فالحديث قوي بهذه الطرق، وقد صححه الحاكم. ينظر: فقه السيرة للغزالي ص٣٥١.

قلت: وقول الشيخ الألباني إنما هو في رواية الحاكم المشار إليها أولًا رواية الحسن العرني، ولم أجد من تعرض لرواية الحاكم التي ذكرتها برواية أبي غسان النهدي عن الأجلح، بل الجميع ممن حقق الحديث ذكر الرواية الثانية عند الحاكم رواية الحسن بن الحسين العرني عن الأجلح، ولم يكن الحسن مع ضعفه متفردا بذلك، بل رواه عنه موصولا كذلك أبو غسان النهدي كما بينت ووافق الذهبي تصحيح الحاكم فقوي ما حكمت به، والله أعلم.

ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئًا، إلا لمن شهد معهُ، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفرٍ وأصحابه، قسم لهم معهم، قال: فكان ناسٌ من النّاس يقولون لنا ـ يعني لأهل السّفينة ـ: نحنُ سبقناكُم بالهجرة).

ـ تسنين السنة الجديدة منه ﷺ على أيديهم (صلاة التسابيح):

كما عند أبي داود عن أبي كبشة الأنماري، قال جعفر رضي الله عنه: قال لي النبيُّ ﷺ: «**ائتني غدًا أحبوك، وأُثيبُك، وأُعطيك**» حتى ظننتُ أنه يُعطيني عطيّةً، قال: «**إذا زال النّهارُ، فقُم فصل أربع ركعاتٍ**»، فذكر نحوهُ، قال: «**ثُمّ ترفعُ رأسك يعني من السّجدة الثّانية، فاستوِ جالسًا، ولا تقُم حتى تُسبح عشرًا، وتحمد عشرًا، وتُكبر عشرًا، وتُهلل عشرًا، ثم تصنع ذلك في الأربع الرّكعات**»، قال: «**فإنّك لو كُنت أعظم أهل الأرض ذنبًا غُفر لك بذلك**»، قُلتُ: فإن لم أستطع أن أُصليها تلك السّاعة؟ قال: «**صلها من الليل والنّهار**»[1].

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٠)، حديث رقم: (١٢٩٩) قال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع: ثنا محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن الأنصاري، وإسناده صحيح، وقد أخرجه عن ابن عمر بشاهد قبله بمثله.

قال الأرناؤوط: وحسنه الحافظ ابن حجر، وفي ترجيح اسم الصحابي الأنصاري، قال المزي: يقال: إنه جابر بن عبد الله ورجح الحافظ ابن حجر أنه أبو كبشة الأنماري، قال: وقد وجدت في ترجمة عروة بن رويم من الشاميين للطبراني حديثين أخرجهما من طريق أبي توبة ـ وهو الربيع بن نافع ـ شيخ أبي داود فيه بهذا السند بعينه، فقال فيهما: حدثني أبو كبشة الأنماري. فلعل الميم كبرت قليلًا، فأشبهت الصاد! فإن يكن كذلك؛ فصحابي هذا الحديث أبو كبشة. وعلى التقديرين؛ فسند هذا الحديث لا ينحط عن درجة الحسن، فكيف إذا ضم إلى رواية أبي الجوزاء عن عبد الله بن عمرو، التي أخرجها أبو داود، وقد حسنها المنذري. وممن صحح هذا الحديث أو حسنه ـ غير من تقدم ـ: ابن منده... من طريق =

التعليق:

مما سبق ذكره: فإن الاحتفال بقدومهم وإكرامهم تنوع تنوعًا عظيمًا منه ﷺ باعتباره رسول الله ﷺ أولًا وقائد الدولة الإسلامية ثانيًا، ومن خلال مظاهر هذا الاحتفال يرسم النبي ﷺ شيئًا من أسس التعامل مع العائدين المهاجرين الذين أنهوا أسفارهم وطووا صفحة غربتهم واستقر بهم المقام في بلادهم يغنموا فيها بقية العمر ويقدموا فيها ما يرفع بنائها وأركانها مما حملوه من خبرات وإضافات.

= أبي توبة، عن محمد بن مهاجر حديثا غير هذا. لكن قال فيه: عن محمد بن مهاجر، عن أبي كبشة الأنماري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة من مغازيه... فذكر قصة، وفيها «الإيمان ها هنا» إلى لخم وجذام. فليستظهر بنسخ من سنن أبي داود؛ لاحتمال أن يكون (الأنصاري) محرف من (الأنماري). سنن أبي داود ٢/ ٤٧١. وينظر: كلام الحافظ في النكت الظراف على تحفة الأشراف، لابن حجر ١١/ ١٨٦، حديث رقم: (١٥٦٣٦).

قلت: وقد جاء عند الحاكم ما يشهد أن فعل النبي ﷺ معه إنما كان إثر عودة جعفر رضي الله عنه من الحبشة، حديث رقم (١١٩٦) قال: حدثناه أبو علي الحسين بن علي الحافظ إملاء من أصل كتابه، ثنا أحمد بن داود بن عبد الغفار بمصر، ثنا إسحاق بن كامل، ثنا إدريس بن يحيى، عن حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وجّه رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى بلاد الحبشة، فلما قدم اعتنقه وقبل بين عينيه، ثم قال: «**ألا أهب لك، ألا أبشرك، ألا أمنحك، ألا أتحفك؟...**» الحديث.

قلت: وفي إسناده أحمد بن داود بن عبد الغفار متروك، وقال البيهقي أحمد بن داود المصري ضعيف، وقد روينا في حديث عبد الله بن عمرو في إحدى الروايتين مرفوعًا أنه يقولها قبل القراءة في كل ركعة خمس عشرة مرة وبعد القراءة عشرا، ولا يقولها في جلسة الاستراحة، وروينا عن ابن المبارك أنه سئل عن صلاة التسبيح فذكرها خمس عشرة مرة قبل القراءة وعشرا بعدها، وروي في رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو، ومن رواية عكرمة عن ابن عباس وروينا عن موسى الربذي، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي رافع كذلك مرفوعًا. ينظر: الدعوات الكبرى ٢/ ٢٢.

وقد جاء الفعل النبوي الكريم معهم على مفاهيم ودلالات:

أ ـ فهو دليل بيان قمة الشوق من القيادة الإسلامية لأبنائها والفرح بقدومهم الدال على صدق المشاعر وعمق المحبة لهم والافتخار بهم.

ب ـ وهو دليل على أن القيادة الإسلامية ممثلة في رسول الله ﷺ لا تقل حرارة الاجتماع عنده بإخوانه وأصحابه وأتباعه، ولا عبرة هنا ببعد الزمان والمكان، بل لا يزيد هذا البعد إلا حرارةً وشوقًا.

ت ـ وهو أيضًا تأكيدٌ منه ﷺ لهم على علو مكانتهم ورتبتهم عنده، وتعليم من كانوا بين يديه قدرَهم وعلو شأنهم ومنزلتهم.

ث ـ وهي رسالة موجهة منه ﷺ لأهل المدينة ليستقبلوهم كما استقبلهم النبي ﷺ، ويجرون معهم من الخير والمحبة والإكرام والاحتفال ما أجراه رسول الله ﷺ، والناس على دين ملوكهم.

ج ـ وفي تعدد أشكال التنوع فتح لباب الإكرام المتاح وعدم قصره وحصره في باب واحد، وكل هذا يفتح باب الإكرام وتعدده لكل من تلمّس سنة النبي ﷺ في التعامل مع المهاجرين.

ح ـ وفي مساواة النبي ﷺ مهاجرة الحبشة بالمجاهدين المقاتلين الذين فتحوا خيبر حكمة ولفتة طيبة منه ﷺ، فهي دليل رؤية ما قاموا به لا يقل عن ما قدمه المجاهدون في جهادهم، ففي هجرتهم وغيابهم من الجهاد والمشقة والهلكة مثل ما يلقاه المقاتل في ساحة القتال، وهو تقدير منه ﷺ للمهاجرين على ما قاموا به وتحمّلوه في سبيل الحفاظ على دينهم ووجودهم، وهو أيضًا يحمل لغة التعويض والتخفيف لأعبائهم المادية التي تحمّلوها طوال هجرتهم وفي طريقهم عودتهم.

ثالثًا: تقديم أبنائهم من الجيل الثاني في الاهتمام المادي والمعنوي.

وهو يضاف إلى ما مرّ من لغة الاهتمام، إلا أنه اهتمام من نوع آخر يقصده النبي ﷺ لحِكَم ومقاصد متعددة.

وقد تعدّدت أشكال الاهتمام النبوي لهذا الجيل الثاني:

ـ من تقديم الهدايا لهم ومثاله: ما قام به النبي ﷺ مع أم خالد بنت خالد، كما عند البخاري قالت: قدمتُ من أرض الحبشة، وأنا جويريةٌ، فكساني رسولُ الله ﷺ خميصةً لها أعلامٌ، فجعل رسولُ الله ﷺ يمسحُ الأعلام بيده ويقول: «سناه سناه» قال الحُميديُّ: (يعني حسنٌ، حسنٌ)، وفي رواية أخرى عنده بلفظ: (عن أُمّ خالدٍ بنت خالدٍ: أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرةٌ، فقال: «من ترون أن نكسو هذه» فسكت القومُ، قال: «ائتوني بأُمّ خالدٍ».

ـ ومن السمر والجلوس معهم ومشاركتهم الحديث: كما في حديث ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه: قال: (لمّا رجعت إلى رسول الله ﷺ مُهاجرةُ البحر، قال: «ألا تُحدّثوني بأعاجيب ما رأيتُم بأرض الحبشة؟». قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحنُ جُلوسٌ مرّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحملُ على رأسها قُلّةً من ماءٍ، فمرّت بفتًى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرّت على رُكبتيها، فانكسرت قُلّتُها، فلمّا ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلمُ يا غُدرُ إذا وضع الله الكُرسيّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجُلُ، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلمُ كيف أمري وأمرُك عنده غدًا، قال: يقول رسولُ الله ﷺ: «صدقت، صدقت كيف يُقدّسُ الله أُمّةً لا يُؤخذُ لضعيفهم من شديدهم؟»..).

ـ **ومن معاملتهم معاملة الرجال الكبار كما في مبايعة بعضهم:** كما عند الطبراني: (عن هشام بن عُروة، عن أبيه: أنّ عبد الله بن الزُّبير وعبد الله بن جعفرٍ بايعَا النبيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهما ابنا سبع سنين، وأنّ رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمّا رآهما تبسّم وبسط يده فبايعهما)[1].

ـ **وأيضًا التلطف معهم والدعاء لهم بكل خير:** كما عند أبي يعلى عن عمرو ابن حُريثٍ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرّ بعبد الله بن جعفرٍ وهو يبيعُ بيع الغلمان ـ أو الصّبيان ـ قال: «**اللهم بارك له في بيعه**». أو قال: «**في صفقته**»[2].

وكما عند الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفرٍ، قال: لو رأيتني وقُثم وعُبيد الله ابني عبّاسٍ، ونحنُ صبيانٌ نلعبُ، إذ مرّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على دابّةٍ، فقال: «**ارفعوا هذا إليّ**». قال: فحملني أمامهُ، وقال لقُثم: «**ارفعوا هذا إليّ**»، فجعله وراءهُ، وكان عُبيدُ الله أحبّ إلى عبّاسٍ من قُثم، فما استحى من عمّه أن حمل قُثم وتركهُ، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثًا، وقال كُلما مسح: «**اللهم اخلُف جعفرًا في ولده**»[3].

وقد ذكرت من قبل ما يستفاد من هذه الأفعال النبوية، وما تحمله من أهمية

---

(١) قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه إسماعيل بن عياش، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح). ينظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٥، وقد حكم بجيد إسناده العلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي، كما في سبل الهدى والرشاد ١١/ ١١٢.

(٢) قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجالهما ثقات). مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٦، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن على شرط أبي داود. ينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٦/ ٤١٦.

(٣) إسناده حسن، فيه خالد والد جعفر ـ وهو ابن سارة ـ روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات، وحسن له الترمذي حديثه هذا، وصححه الحاكم، وقال الحافظ: صدوق، وباقي رجاله ثقات.

ودلالة، وذلك عند الكلام على معالم تعامل الدولة الإسلامية بقيادة رسول الله ﷺ مع أتباع الدولة الحبشية، وخاصة في الحديث بلغتهم.

ومن الممكن أن نضيف هنا من هذا التنوع الحاصل أن هذا يبين كيف تفكر القيادة المسلمة بأبناء الحبشة وتستحوذ على جزء عظيم من اهتمامها وتفكيرها؟، وهو دليل منه ﷺ على الدعم الكامل والتقدير الحقيقي للجميع، وخاصة أبناء الوجود الإسلامي، وهو رسالة لمن يتبوأ أمر المسلمين في كيفية التفعيل ورسم سياسة التوجه مع العائدين من أبنائهم، وفيه أهمية التواصل مع الجيل الثاني والثالث من أبناء الوجود الإسلامي في ترسيخ حب الإسلام وبلاد الإسلام، وإزالة الحواجز بينهم وبينها، ودفع أي خاطر لتهميش وجودهم، وإزالة كل المخاوف عندهم منها، أو ما يظن خطأً بقيادتها ورعيتها.

رابعًا: جمل متنوعة من معالم التعامل في حديث واحد.

في حديث واحد تأتي جملة من معالم التعامل المحمود بين الدولة والإسلامية الأم بقيادة النبي ﷺ، وبين المهاجرين العائدين ما يضاف إلى ما سبق من دلالات وأهميات:

فقد أخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (بلغنا مخرجُ النبيّ رضي الله عنه ونحنُ باليمن، فخرجنا مُهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرُهم، أحدُهما أبو بُردة، والآخرُ أبو رُهمٍ، إمّا قال: بضعٌ، وإمّا قال: في ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجُلًا من قومي، فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشيّ بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبيّ ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أُناسٌ من النّاس يقولون لنا يعني لأهل السّفينة: سبقناكُم بالهجرة، ودخلت أسماءُ بنتُ عُميسٍ، وهي ممّن قدم معنا، على حفصة زوج النبيّ

ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيّ فيمن هاجر، فدخل عمرُ على حفصة، وأسماءُ عندها، فقال عُمرُ حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عُميسٍ، قال عمرُ: الحبشيّةُ هذه البحريّةُ هذه؟ قالت أسماءُ: نعم، قال: سبقناكُم بالهجرة، فنحنُ أحقُّ برسول الله ﷺ منكُم، فغضبت وقالت: كلا والله، كُنتُم مع رسول الله ﷺ يُطعمُ جائعكُم، ويعظُ جاهلكُم، وكُنّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايمُ الله لا أطعمُ طعامًا ولا أشربُ شرابًا، حتى أذكُر ما قُلت لرسول الله ﷺ ونحنُ كُنّا نُؤذى ونُخافُ، وسأذكُرُ ذلك للنّبيّ ﷺ وأسألُهُ، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ، ولا أزيدُ عليه، فلمّا جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيّ الله، إنّ عُمر قال: كذا وكذا؟ قال: «**فما قُلت لهُ؟**» قالت: قُلتُ لهُ: كذا وكذا، قال: «**ليس بأحقّ بي منكُم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكُم أنتُم** ـ أهل السّفينة ـ **هجرتان**»، قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السّفينة يأتوني أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدُّنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفُسهم ممّا قال لهم النبيُّ ﷺ، قال أبو بُردة: قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنّه ليستعيدُ هذا الحديث منّي).

إن المتأمل في هذا الحديث ليخرج بجملة من المعاني والمعالم التي تجلي سياسة التعامل النبوي مع المهاجرين العائدين إلى أرضهم ودولتهم، وقبل ذلك أوضح نقطتين مهمتين:

أولًا: لقد أظهر الحديث الشريف ما يدور بين المهاجرين والمقيمين من حوارات ورؤى ربما تحمل لغة التفاضل والتميز، لكنها لا تحمل لغة الانتقاص والتهميش، وشتان بين هذا وذاك، فعمر رضي الله عنه قصد بقوله وفهمه بيان سبق

المهاجرين إلى المدينة بالفضل، وليس في خلده من أتى أولًا كمن أتى ثانيًا، فظن سبقًا بذلك ولم يقصد منقصة لمهاجري الحبشة.

ثانيًا: يعتذر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن يرفع مقالته من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن المسارعة والمسابقة المرجوة لم تكن لبناء مجد شخصي أو استعلاء حياتي، إنما هي كما يظهر تكمن في الأحقية برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة ومجالسة وفوزًا في الدنيا والآخرة، وهذا يعذر فيه كلّ محب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشتاق إليه، حريص على مكانه عنده ومكانته عندهم.

أما عن المنهج النبوي في التعامل معهم، فقد اتضحت معالمه فيما يلي:

أ ـ فتح بابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا لهم دون احتجاب عنهم أو تسويف لرؤيتهم، أو تقديم غيرهم عليهم.

ب ـ تعدد فتح المجال لهم كما مر؛ بين دعمٍ مادي كما قدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمحمد بن حاطب، ومعنوي كما قدمه هنا لأسماء بنت عميس

ت ـ سماع شكوى العائدين من المهاجرين من أهم ما تقدمه القيادة الإسلامية لهم، ولا يقتصر الأمر على السماع، بل يصحبه إظهار التفاعل وإزالة الشكوى بما يثلج الصدر ويسكن الخاطر.

ث ـ فقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إسكان غضبهم بمعرفة ما قالوه أولًا؛ وذلك عندما سأل أسماء فقال: **«فما قُلت لهُ؟»** وفي هذا السؤال منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دلالات:

١ـ منها: الاطمئنان على فقه وفهم أسماء ممثلة عن المهاجرين والمهاجرات، وهذا يبصر القيادة بوضعية المهاجرة الأُوَل من حيث الفهم والفقه وغيرهما من

الأمور، ما يدلل على عدم تغيير بُعد الزمان والمكان سلبًا عليهم، مما ينفي تغيير حرارة دينهم، ونفاذ بصيرتهم وفقههم.

٢ـ **ومنها:** محاولة التخفيف عنهم، وتهدئة روعهم بفتح الكلام والحديث لهم، وإفراغ ما في جعبتهم من كلامهم واستدلالهم، وهذا مهمٌّ عند التنازع تخفيفًا للآلام، وإشعارًا للاهتمام، وتعليمًا للأنام.

٣ـ ولعله أيضًا يسوق هذا الاستماع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها رسم طريقة الإجابة ومفتاحها في الحكم بينها وبين عمر، فإن كان لها فبالإقرار والتأكيد كما هنا، وإن كان غير ذلك فبالتصويب بما لا يجرح أو ينقص أو يزيد الأمر وطأة، وهذا كله من فن التعامل النبوي المحمود مع المشتكي.

ـ ضربت القيادة الإسلامية أروع أوجه الإنصاف بين المقيمين والعائدين، فلا محاباة ولا تطفيف بينهم وبين إخوانهم، حتى وإن كان أحد طرفي النزاع والمشتكى منه أقرب الناس إلى القيادة مكانةً ومنزلةً، وهو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ـ حمل الفعل النبوي دعم القائد وتقديره لهم، وإدخال السرور عليهم، والتأكيد على بيان أسبقيتهم وما قدموه في موازين حسناتهم، وعدم اتهامهم أو بخسهم حقهم.

ـ عمّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحُكم على كل المهاجرين ولم يجعل الحكم لأسماء وحدَها، لاشتراك الجميع فيه، ودفعًا لتوهم خصوصية الحكم لها، بل تأكيدًا على أن الجميع يشمله فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولكُم أنتُم** ـ أهل السّفينة ـ **هجرتان**».

ـ يغلق هذا التعامل أيضًا أي إيذاء مستقبلي أو استخفاف وتعيير ربما يحدث أو ينتقل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لإخوانهم العائدين، ويؤكد خطورة سوء التعامل معهم على نحو مشابه.

ـ وفي النهاية يرسخ هذا التعامل النبوي والحكم القضائي للعائدين في خلد الجميع بأن المهاجرين العائدين أعظم أجرًا وأرفع ذكرًا.

وبهذا يكون النبي ﷺ قد أضاف جُملًا من معالم التعامل بين الدولة الإسلامية بقيادته ﷺ وبين المهاجرين العائدين من أبناء الوطن، تضاف إلى ما ذُكر آنفًا من روعة الفعل وجمال التعامل، وعظم الطريقة المتبعة في سياسته تجاه إخوانه المهاجرين العائدين.

ولا أنسى أن أؤكد أن هناك رسائل عظيمة أخرى في هذا الحديث ميدان الحديث عنها في غير هذا المحور من معالم التعامل بين الدولة والمهاجرين[1].

خامسًا: استعمالهم في الوظائف السيادية:

(محمية بن جزء، ومعيقب بن أبي فاطمة رضي الله عنهم نموذجًا)

ما زال النبي ﷺ بقيادته للأمة الإسلامية يؤسس ويضيف معالم جديدة

(١) **منها**: بيان ما يستشعر به المغترب من معاناة وألم وما يقدمه تضحيات، ومنها: ما يستثمر من قوة المرأة المهاجرة واعتراضها دليل خبرات وفقه لا يحدث إلا في دار الغربة، **ومنها**: أهمية وجود المرجعية المسلمة الدائمة للمسلمين، **ومنها**: الفرح الجماعي بالبشرى والتقدير النبوي لهم، وفيه دلالة على أهمية استرجاع المهاجر الدائم للكلمات التي تؤكد سعيه وتعظم مواقفه.
وأمر أخيرٌ يتعلق بأسماء بنت عميس على وجه الخصوص ينبغي أن نعيه اهتمامًا كبيرًا، فالطرف الآخر في المحاورة مع أسماء بنت عميس ليس صحابيًّا عاديًا، إنما هو عمر الذي فيه ما ليس في غيره مما فاضت به الروايات بيانًا ووصفًا، وكون حجتها كانت أقوى منه ودلالة تأكيد النبي ﷺ على جوابها بالرجحان موقف يكتب بماء العين والذهب للنساء والمرأة في بلوغ عقلهن إلى مجاراة الكبار من الرجال المشهود لهم بالعلم، وأن التجربة التي مررن بها ينبغي أن تقدر وتوضع في الحسبان من حيث التكوين العلمي والحركي والعقلي.

في التعامل مع المهاجرين العائدين من أرض هجرتهم، وفي رأيي أن هذا المعلم هو درة العقد النبوي في التعامل معهم وما قدمه لهم، وخاتمته الثمينة اللازمة، ومن خلال عرضه وبيانه يجب أن يكون مَعْلمًا راسخًا وواضحًا لنا في قراءة هذه المعالم وسياسة التوجيهات النبوية ومدارستها وتنفيذها لمن تبوء مكانة القيادة والرعاية من أمة الإسلام وبلاد المسلمين.

فقد استعمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم في وظائف سيادية وحقائب وزارية ـ إن جاز التعبير ـ ليس فقط فيما يتعلّق بشئون المهاجرين أو العائدين، بل في أمر الدولة الإسلامية[1] ككل مقيمين قبل مهاجرين، والصحابي الجليل محمية بن جزء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعيقيب بن أبي فاطمة نموذجًا على ذلك:

ـ محمية بن جزء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن الحارث بن نوفلٍ الهاشميّ قال: (اجتمع ربيعةُ بنُ الحارث، والعبّاسُ بنُ عبد المُطّلب، فقالا: والله، لو بعثنا هذين الغُلامين

(١) هذا مبحث مهم متعدد في صوره، ومن خلال روايات السيرة النبوية يظهر أنه كان متنوعا وعظيما أذكر من ذلك ما أخرجه ابن سعد في الطبقات في ترجمة خالد بن سعيد بن العاص (٤/ ٩٦) قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني جعفر بن محمد بن خالد، عن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، قال: أقام خالد بعد أن قدم من أرض الحبشة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، وكان يكتب له، وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف، وهو الذي مشى في الصلح بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
قلت: يظهر من خلال الراوية ما تقلده خالد بن سعيد بن العاص من أمور أسندت له، ووظائف عظيمة كان على ثغرها، ومن أراد المزيد فليراجع ترجمته في الطبقات عند ابن سعد، فلقد كان عامل النبي على اليمن وعلى صدقات مذحج، وله ولغيره من مهاجرة الحبشة الكثير من المناقب في هذا الباب، ولكني سأقتصر في صلب هذا المبحث على الصحابيين الجليلين محمية ومعيقيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خشية الإطالة.

ـ قالا لي وللفضل بن عبّاسٍ ـ إلى رسول الله ﷺ فكلماهُ، فأمّرهما على هذه الصّدقات، فأدّيا ما يُؤدّي النّاسُ، وأصابا ممّا يُصيبُ النّاسُ، قال: فبينما هما في ذلك جاء عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فوقف عليهما، فذكرا له ذلك، فقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: لا تفعلا، فوالله، ما هو بفاعلٍ، فانتحاه ربيعةُ بنُ الحارث فقال: والله، ما تصنعُ هذا إلا نفاسةً منك علينا، فوالله، لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك، قال عليٌّ: أرسلوهما، فانطلقا، واضطجع عليٌّ، قال: فلمّا صلى رسولُ الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحُجرة، فقُمنا عندها، حتى جاء فأخذ بآذاننا، ثم قال: «**أخرجا ما تُصرّران**» ثم دخل ودخلنا عليه، وهو يومئذٍ عند زينب بنت جحشٍ، قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم أحدُنا فقال: يا رسول الله، أنت أبرُّ الناس وأوصلُ الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئنا لتُؤمّرنا على بعض هذه الصّدقات، فنُؤدّي إليك كما يُؤدّي الناسُ، ونُصيب كما يُصيبون، قال: فسكت طويلًا حتى أردنا أن نُكلمهُ، قال: وجعلت زينبُ تُلمعُ علينا من وراء الحجاب ألّا تُكلماهُ، قال: ثم قال: «**إنّ الصّدقة لا تنبغي لآل مُحمّدٍ إنّما هي أوساخُ النّاس، ادعوا لي محمية** ـ وكان على الخُمُس ـ **ونوفل بن الحارث بن عبد المُطّلب**» قال: فجاءاه، فقال لمحمية: «**أنكح هذا الغُلام ابنتك**» ـ للفضل بن عبّاسٍ فانكحهُ، وقال لنوفل بن الحارث: «**أنكح هذا الغُلام ابنتك**» ـ لي ـ فانكحني وقال لمحمية: «**أصدق عنهما من الخُمُس كذا، وكذا**».

وقد حمل الحديث الشريف عدة دلالات تتعلق بهذا الصحابي الجليل العائد المهاجر، ومن خلاله برزت معالم التعامل النبوي مع المهاجرين في الاستعمال، ولكن قبل الكلام على هذا التوظيف والاستعمال أوضح نبذة عن هذا الصحابي الجليل محمية بن جزء رضي الله عنه.

فمن هو هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال ابن سعد: هو محميّةُ[1] بنُ جزء[2] بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد الأصغر، وأم محمية بن جزء هند وهي خولة بنت عوف بن زُهير بن الحارث بن حماطة من ذي حليل من حمير، ومحمية بن جزء أخو أم الفضل لبابة بنت الحارث أم بني العبّاس بن عبد المطلب لأمها، كان محمية حليفًا لبني سهم. وقيل: حليفًا لبني جمح، أسلم بمكة قديمًا، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية في روايتهم جميعًا.

قال ابن عبد البر: (كان من مهاجرة الحبشة وتأخّر إيابه منها، أول مشاهده المريسيع، واستعمله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأخماس، وأمره أن يصدق عن قوم بني هاشم في مهور نسائهم، منهم الفضل بن العباس، وأول مشاهده المريسيع وهي غزوة بني المصطلق).

وقال الحافظ ابن حجر: كان قديم الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وكان عامل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الأخماس، ثبت ذكره بذلك في صحيح مسلم، وفي المغازي أن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ استوهب من أبي قتادة جارية وضيئة فوهبها لمحمية بن جزء، وقال الواقديّ: أول مشاهده المريسيع، وقال أبو سعيد بن يونس: شهد فتح مصر ولا أعلم له رؤية)[3].

---

(١) محمية: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر ثالثه، ثم تحتانية مفتوحة. ينظر: الإصابة ٦/ ٣٦

(٢) جزء: بفتح الجيم وسكون الزاي ثم همزة. ينظر: المرجع السابق.

(٣) **قلت:** قد ثبتت رؤيته وصحبته واستعماله، كما في هذا الحديث عند الإمام مسلم رحمه الله تعالى، وكيف ينفي رؤيته وهو ممن أسلم قديما بمكة وهاجر الهجرتين؟!
ينظر: ترجمته في: الطبقات الكبرى ٤/ ١٥٠ والجرح والتعديل ٨/ ٤٢٦، ومعجم الصحابة للبغوي ٥/ ٢٦٢٧، والاستيعاب ٣/ ١٤٦٣، وأسد الغابة ٥/ ١١٣، والإصابة ٦/ ٣٦، وما بعدها.

قلت: فمحمية بن جزء من مهاجرة الحبشة، ومن العائدين منها في حدود سنة خمس أو ست من الهجرة على اختلاف في زمن غزوة المريسيع (بني المصطلق) بين أهل السير، وقد حفت الرواية النبوية، وكذا ترجمته الذهبية بجملة من المعالم والدروس التي تجلي معالم التعامل النبوي والدولة الإسلامية مع العائدين والمهاجرين، وهي كما يلي:

١ـ استعمال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له على الأخماس والصدقات، وهو استعمال أشبه اليوم بحقيبة وزارة المالية، فمحمية بن جزء هو وزير دولة الإسلام للشئون المالية، وهو من المهاجرين العائدين.

٢ـ سرعة استعمال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له وتقديمه على غيره من المقيمين بين يديه له دلالة عظيمة على كافة الأصعدة، ورسالة قوية للداخل والخارج من المسلمين وغيرهم على مكانة المهاجر العائد إلى أرضه وبيئته، وأنه محط نظر القيادة ومؤسسات الدولة إكرامًا وتوظيفًا.

٣ـ من خلال ترجمته يتضح لنا أن مقدمه كان قبل مقدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وهذا يطل بظلاله على معان متعددة، منها: الحرية الكاملة للمهاجرين وأهل الوجود الإسلامي في الانتقال أو البقاء في أرض الهجرة[1]، ومنها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعمله فور وصوله، فقد جاءت بعض الروايات تدلّ على أنه استعمله في نفس الغزوة التي قدم عليها على الأخماس، وهذا يؤكّد مكانة هؤلاء المهاجرين عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم مقدمون عنده ـ هذا مع وجود الكفاءة فيهم ـ تقديرًا لهم وثوابًا على ما قدموه في هجرتهم وخدمة دينهم.

(١) يؤكد هذا حديث أم سلمة وفيه: (حتى خرج من خرج منا راجعًا إلى مكة، وأقام من أقام).

٤ـ من خلال الروايات يتضح أن محمية بن جزء لم تنزع منه هذه الحقيبة الوزارية المتعلقة بأهم مقوم من مقومات الحياة وهو المال، ففي كلام الحافظ ابن حجر ووصفه بأنه كان عامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأخماس دليل على أنه كان استعمالًا طويل الأمد، ولم يكن شرفيًّا أو ارضائيًّا، بل كان على حقيقته وتبعاته وديمومته.

٥ـ **أيضًا** فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أكرم محمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجارية ـ وهذا كان أمرًا طبيعيًّا في وقته ـ كما جاء في ترجمته ووهبها له، وهذا يضاف إلى الإكرام والتقدير الذي أكّد المنهج النبوي وجوده وتنوعه مع المهاجرين العائدين.

٦ـ وهو خاتمة الإكرام له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزويج الفضل بن العباس بن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابنة محمية، وهذه المصاهرة من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبني عمومته ترسخ مكانة العائدين من المهاجرين وتعلي من مكانتهم عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس بعد المصاهرة شيء من محبة وتقدير، وتغلق باب من يدعي أن التكريم كان سياسة فرضتها الظروف لاستيعاب العائدين المهاجرين.

معيقيب بن أبي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لم يكن محمية بن جزء وحده هو الذي استعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين الأُوَل العائدين من الحبشة في تولي وظائف في الدولة، بل كان هناك غيره منهم أيضًا معيقيب بن أبي فاطمة:

قال ابن عبد البر، وابن الأثير: (هو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، حليف لآل سعيد بن العاص بن أمية، أسلم قديمًا بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم هاجر إلى المدينة، عن ابن إسحاق، فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، من بنى أمية. قيل: قدم المدينة في السفينتين والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، وقيل: قدمها قبل ذلك.

كان على خاتم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعمله عمر بن الخطاب خازنا على بيت المال، وأصابه الجذام، وأحضر له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأطباء، فعالجوه، فوقف المرض، وهو الذي سقط من يده خاتم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بئر أريس فلم يوجد، ومذ سقط الخاتم اختلفت الكلمة...)، زاد الذهبي: وكان أمينًاعلى خاتم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد استعمله أبو بكرٍ على الفيء، وولي بيت المال لعُمر[1].

وهذا الصحابي الجليل من مهاجرة الحبشة، استعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خاتمه الذي يختم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به الرسائل والمواثيق الدولية، فهو أشبه بما يعرف اليوم بـ(رئيس ديوان الدولة)، وهو منصب لا شك في أعلى مناصب الدولة أهمية وخطورة؛ إذ يجب أن يكون هذا المنتخب لهذه الوظيفة قد اجتمعت فيه من الملكات ما ليس في غيره من دين وأمانة وكتمان للأسرار وغير ذلك، واختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له يؤكد أن سياسته الشريفة ومنهجه المتكامل في التعامل مع المهاجرين العائدين قائم بذاته ومتنوع في شكله وصوره معهم استيعابًا وتوظيفًا وإكرامًا.

والجميل أيضًا أنه ظلّ حامل الخاتم الشريف حتى عهد عثمان بن عفان وضياعه منه، وهذا يؤكد ما سطرناه في محمية بن جزء أن الاستعمال كان طويلًا ولم ينازعوا عليه، بل زادت مهامهم وتكاليفهم في الوظائف السيادية، فقد استعمله أبو بكر على الفيء كما استعمله عمر على وزارة المالية بجانب وظيفته التي عينه فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) ينظر: ترجمته في الاستيعاب ٤/ ١٤٧٨، وأسد الغابة ٤/ ٤٦٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٣، والإصابة ٦/ ١٥٣.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى ما قدمه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الرعاية الصحية لمعيقيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي رعاية تحت إشراف الدولة وعلى نفقتها، وهو باب آخر يضاف إلى الأبواب التي قدمتها الدولة الإسلامية للمهاجرين العائدين إلى أرضهم وديارهم من معالم التعامل المحمود بينهم.

سادسًا: قبول هدية المهاجرين (عصاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العنزة):

أخرج ابن سعدٍ قال: أنا محمدُ بنُ عُمر، ثنا عبدُ الله بنُ عبد الرّحمن الجُمحيُّ عن الزُّهريّ عن عُروة عن عائشة، قال الواقديُّ: وأنا عبدُ الله بنُ عُمر عن نافعٍ عن ابن عُمر قال: وأنا عبدُ العزيز بنُ مُحمّدٍ عن رُبيح بن عبد الرّحمن بن أبي سعيدٍ الخُدريّ عن أبيه عن جدّه، وقال: أخبرنا عبدُ الله بنُ نُميرٍ، عن حجّاجٍ، عن نافعٍ قالوا: نزل فرضُ شهر رمضان بعد ما صُرفت القبلةُ إلى الكعبة بشهرٍ، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا... الحديث وفيه: (وكان يجعلُ العنزة بين يديه، وكانت العنزةُ للزُّبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة، فأخذها منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

وأكد ابن حبان أن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهبها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وكانت العنزة للزبير بن العوام أعطاها إياه النجاشي، فوهبها الزبير لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2].

وقبول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدية الزبير والتي جاء بها من أرض الحبشة فيه من الدلالات: (من الحب والتقدير له، وحرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إدخال السرور

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٤٨، وما بعدها. ومجموع طرقه يرتقي لتحسين الحديث؛ ففي أحد أسانيده الحجاج بن أرطأة وهو صدوق كثير الخطأ، لكنه توبع كما مر في الرواية.

(٢) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ١/ ٢٠٩.

عليه وعلى المهاجرين بقبول هديته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستعمالها الدائم والجهر بها لما يترتب من هذا الإعلان من مزيد حرص ومودة وبقاء منزلة للزبير والوافدين من الحبشة، ولعلها رسالة أيضًا تضاف إلى إدخال السرور على أتباع الدولة الحبشية في الدولة الإسلامية باستخدام شيء دائم من أرضهم في صلاته، وخاصة في سفره وصلواته الجامعة خارج المسجد، بل توارثها الخلفاء من بعده، وهي العنزة كما قال البدر العيني رحمه الله تعالى[1]... وغير ذلك مما يضيف معلمًا جديدًا من معالم التعامل معهم، ويثري أوجه التواصل بينهم محبة وتعظيمًا وتقديرًا).

وختامًا..

فإن هذا المنهج النبوي الذي غرسه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كرسول الله أولًا، ومسئول دولة الإسلام ثانيًا، وبعده قيادات الدولة الإسلامية من خلفائه الأماثل الراشدين يجلي أسس التعامل المحمود والتقدير في أعلى مستوياته لكل مهاجر عائد إلى بلده وأهله بأن مكانكم في الطليعة، وأهل الكفاءة منكم مقدمون على

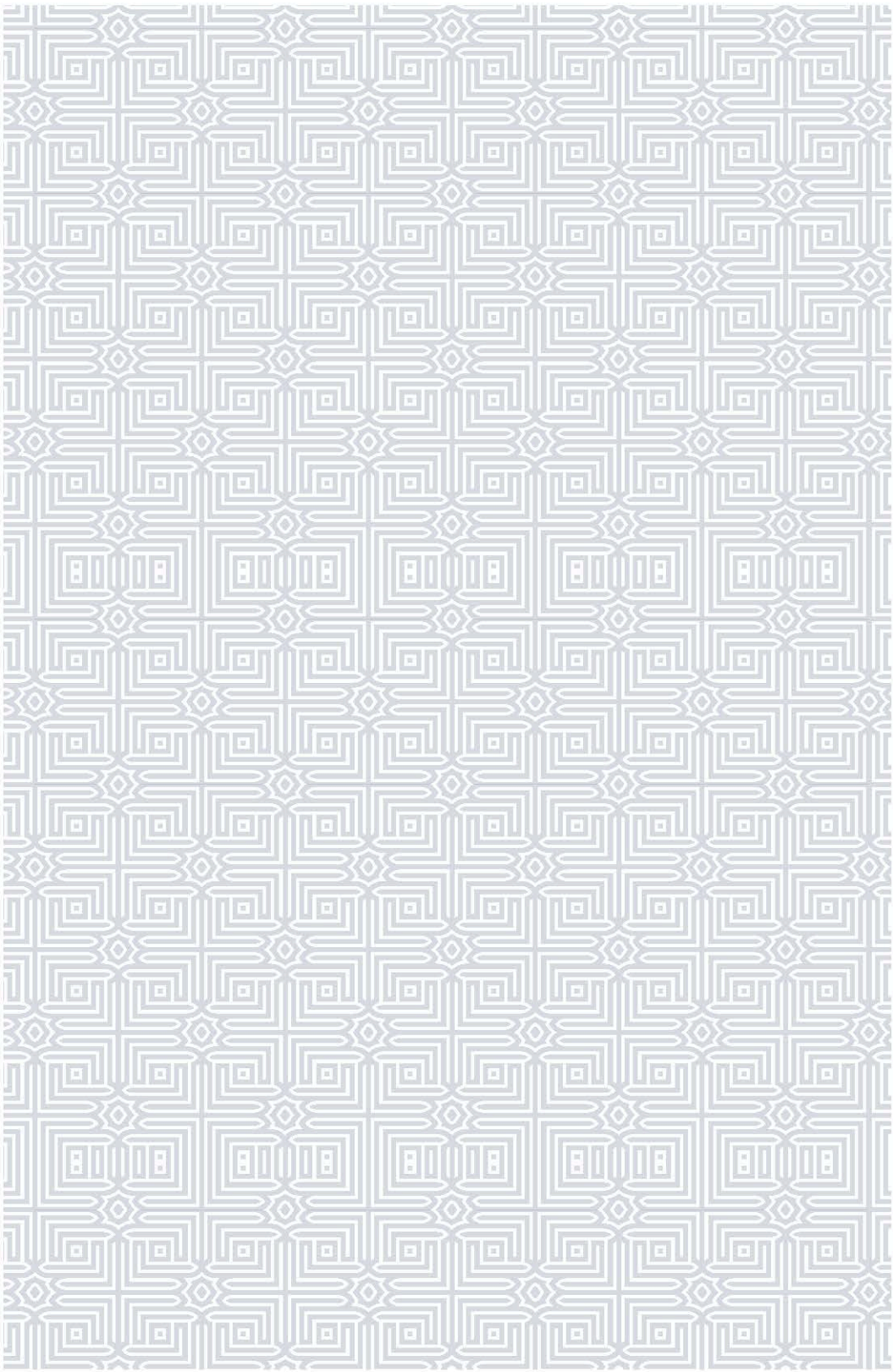
(١) قال البدر العيني: (العنزة وهي بفتح العين المهملة وفتح النون أطول من العصا وأقصر من الرمح وفي طرفها زج كزج الرمح والزج الحديدة التي في أسفل الرمح، يعني السنان، وفي التلويح: العنزة عصا في طرفها الأسفل زج يتوكأ عليها الشيخ، وفي البخاري قال الزبير ابن العوام: رأيت سعيد بن العاصي، وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه حتى أخرجتها متفقئة على حدقته، فأخذها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت تحمل بين يديه وبعده بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، ثم طلبها ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فكانت عنده حتى قتل. وفي مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي: هذه الحربة وتسمى العنزة كان النجاشي أهداها للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكانت تقام بين يديه إذا خرج إلى المصلى وتوارثها من بعده الخلفاء رضي الله تعالى عنهم). ينظر: عمدة القاري ٢/ ٢٩٢.

غيرهم، وأن ابتلاءكم الذي أمضيتم فيه سنين من عمركم له من المثوبة الدنيوية، كما هي في الأخرة[1].



(١) أكتفي بما ذكرته في هذا الفصل من معالم التعامل بين الدولة الإسلامية الأم وبين أبنائها العائدين إليها من هجرتهم وغربتهم وإن كان هناك أمور أكثر من ذلك قد أشرنا إليها سابقًا مما يضاف إلى هذا الفصل منها: التعلم منهم ومن علومهم التي تحملوها في دار هجرتهم، كما بينا ذلك عند الحديث على دور أسماء بنت عميس وما نقلته من علوم وخبرات، ومنها: تعلُّم شيء من لغتهم للحديث مع بعضهم وخاصة الجيل الثاني والثالث بها، وغير ذلك مما فصلنا فيه في مظانه ولا حاجة لتكراره وإنما فقط نشير إليه لتعلقه بهذا الباب.

الملاحق



الملحق الأول
الفوائد العقدية والفقهية
المترتبة على الحبشة وأهلها

في هذا الملحق أحاول أن أجعل بين يدي القارئ فهرسًا مجمعًا ـ بما وقفت عليه ـ للفوائد العقدية والفقهية التي جاءت متعلقة بالهجرة إلى الحبشة، أو لها علاقة بأرضها، أو بأهلها، في محاولة مني لتقديم مادة مهمة للقارئين والباحثين للوقوف على دراسة هذه الفوائد والمسائل وإخراجها في بحوث مستقلة وخاصة في بابي العقيدة والفقه لأهميتهما، وإن كان الباب لا يزال مفتوحًا لاستقصاء كل ما يتعلق بالحبشة ومهاجريها وأرضها بما يتعلق بكل فن وتخصص، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

وصنيعي في هذا الملحق سيكون في الخطوات التالية:

أ ـ ذكر الفائدة أو المسألة المتعلقة بالهجرة إلى الحبشة مع بيان مصدر من مصادر عرضها إشارة إليها، وليست غايتي حصر جميع المصادر التي تحدثت في المسألة.

ب ـ الاكتفاء بذكر بيان المسألة والفائدة إجمالًا دون الكلام بالتفصيل عليها، ولا بيان المذاهب المتكلمة فيها، فما أذكره هنا ما هو إلا إشارة إليها، ولا أدعي حصر جميع المسائل المتعلقة بالحبشة في جانبَي العقيدة والفقه، إنما هي محاولة

مني في تجميع مادتها العقدية والفقهية، وإلا فهذا يجب أن يُفرد له بحثٌ مستقلٌّ وهو جدير بهذا.

ت ـ هذه المسائل راعيتُ فيها وجود الصلة بموضوع الحبشة؛ فقد تتعلّق المسألة بالمهاجرين، وقد تتعلّق بأرض الحبشة، وقد تتعلّق بحاكمها، أو بنظامها القائم آنذاك، وقد تتعلّق بعادتها وثقافتها، أو تتعلّق بالقادمين منها، المهم أن جميعها لها صلة قريبة أو بعيدة بموضع البحث، بنيتُ عليه تلك المسائل.

ث ـ عند الإشارة إلى المصادر التي نصّت عليها المسألة من كتب الفقه أو العقيدة لا ألتزم مذهبًا معينًا في إيرادها، ولا أتتبع تبويبًا معينًا في الفقه، كما لا أتتبع بقية المذاهب في النص عليها، إنما هي بيان بأن هناك مَن فرَّع لها وتكلّم عليها، ومن أراد التوسع يرجع إلى بقية المذاهب غير المذهب المذكور.

ج ـ قد أذكر الدليل الذي اعتمدتُ عليه في المسألة من روايات الحبشة، وقد أذكر بعضًا مما جاء في تحريرها مما نصّ عليه المؤلّف في مصدره.

ح ـ لهذا الفهرس فوائد متعلّقة بالوجود الإسلامي وفقه الأقليات، وخاصة في المنحى الفقهي، حيث سيظهر من خلاله بيان أن هناك فقهًا بُني على المتغيرات الزمانية والمكانية، وتأصيل لفقه المستحدثات والواقع، وربما كانت الحبشة وما يتعلّق بها هي المصدر الوحيد في إقرار بعض العقائد والفقهيات والفتاوى التي قال بها المتخصصون من أهل العقيدة والفقهاء في تأصيل فروعهم، وسيظهر هذا في العرض.

خ ـ لعل من ثمرة منهجي لهذا العرض أني أريد أن أثبت من خلاله أن الهجرة إلى الحبشة هي أول نواة لتأكيد وجود تأصيل فقهي يؤكد على اختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان، وكذلك نواة أول تأصيل لفقه الأقليات والوجود الإسلامي.

د ـ سيظهر من خلال هذا العرض وخاصة في المسائل الفقهية بعض من المسائل التي تُبرهن على الموافقة لأهل الكتاب في بعض من أحكامهم، وكذلك مخالفتهم، وهذا منبعه ما يتماشى مع الشرع الحنيف ويقرّه الإسلام بوحيَيْه، كما سنجد أن هناك بعض الفتاوى التي تخص السياسة الشرعية مأخوذة منهم.

ذ ـ سنجد في هذا الملحق بعض المسائل الفقهية بُنيت على أحاديث الهجرة إلى الحبشة وروايتها، ومن هذه الأحاديث ما لم يصل إلى درجة الصحيح والحسن، ومع ذلك فقد بَنى عليه الفقهاء مسائلهم الفقهية، إما لأنها مقبولة عندهم خاصة إذا كانت في دائرة المراسيل على رأي من كان يعمل بها من الفقهاء، أو لأنه ليس في الباب غيرها، أو أولى منها تأصيلًا للمسالة، وهذا يعضد من أخذنا بها في دائرة بحثنا وتفعيل التعامل بما حملته من دلالات ودروس.

ر ـ أنبِّه على أني لا أتبنى مذهبًا عقديًّا أو فقهيًّا في طرح هذه المسائل، وكذلك في ذكر عناوينها، فليس طرحها أو ذكرها دليل على موافقتي لها أو تعصبي لقائلها ومحررها والعكس، بل الهدف ذكر ما استُنبط من روايات الحبشة وما يتعلّق بها من المسائل المتفق أو المختلف عليها.

ز ـ كما أنني لن أتبع تقسيمًا معينًا في سرد هذه الفوائد والمسائل، إنما الغاية ذكرها والتنبيه عليها.

س ـ سأبدأ في هذا الملحق بذكر الفوائد العقدية، ثم أتبعها بالفوائد الفقهية التي نصّت على المسألة وإيرادها مع الإشارة إلى المراجع في الهامش وبيان بطاقتها تسهيلا على الباحثين العودة إليها، وحتى لا يسقط منها شيء في ثبت المراجع والمصادر.

وختامًا..

ما سيأتي هو محاولة مني في جمع باب مهم في إبراز فقهٍ يرتبط بالحبشة وما يتعلق بها من قريب أو بعيد؛ أتركه بين يدي القارئ إتمامًا للفائدة وفتحًا لباب من أبواب البحث العلمي في تأصيل ذلك والتوسع فيه والاستفادة منه.



(١)
الفوائد العقدية المتعلقة بالحبشة وأحداثها وما يتعلق بها

١ـ مسألة: الكلام على ما جاء في إثبات عرش الله عَزَّوَجَلَّ:

لحديث (أسماء بنت عميس أنّ جعفرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جاءها إذ هم بالحبشة وهو يبكي، فقالت: ما شأنُك؟ قال: رأيتُ فتًى مُترفًا من الحبشة؛ شابًّا جسيمًا مرّ على امرأةٍ، فطرح دقيقًا كان معها، فنسفته الرّيحُ، فقالت: أكلُك إلى يومٍ يجلسُ الملكُ على الكُرسيّ فيأخُذ للمظلوم من الظّالم)[1].

٢ـ مسألة: الكلام في حكم من لم تبلغه الدعوة، ومن تاب عن ذنب أو كفر ثمّ رجع فيما تاب عنهُ، وكذا من لم يبلغه الباب من واجبات الدين:

قال ابن حزم: (مَن لم يبلغه الباب من واجبات الدّين فإنّه معذورٌ لا ملامة عليه، وقد كان جعفر بن أبي طالب وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأرض الحبشة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، والقُرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ إلى جعفر وأصحابه أصلا لانقطاع الطّريق جملة من المدينة إلى أرض الحبشة، وبقوله كذلك ستّ سنين، فما ضرّهم ذلك في دينهم شيئًا إذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض)[2].

---

(١) ينظر: كتاب نقض الإمام أبي سعيد بن عثمان الدرامي على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ (١/ ٤١٧).

(٢) ينظر: كتاب الفصل في الملل والهواء والنحل، لابن حزم ٤/ ٥٠.

٣ـ مسألة: التأكيد على اطلاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بعض الغيوب، وإعلام الله عَزَّوَجَلَّ له بما يكون قبل كونه.

قال أبو البقاء الهاشمي: (ومنها أنه أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموت النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومات وهو بأرض الحبشة وبينهما ما قد علم، أي من المسافة)[١].

٤ـ مسألة التأكيد على نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أخبر به أحبار النصارى ومتديّنوهم:

قال أبو البقاء الهاشمي: (مثل: النجاشي ملك الحبشة وأساقفة نجران ممن آمن وحقّق وأسلم وصدق)[٢].

٥ـ مسألة: التأكيد على أن ما في القرآن الكريم موافق لما في الكتب القديمة التوراة والإنجيل:

قال أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي في الكلام على قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أن علماء المسلمين ذكروا قصة موسى، على وفق ما هي في القرآن، وكان لهم اجتماع بأهل الكتاب واطلاع على علمهم، وأسلم جماعة من أهل الكتاب ووافقوهم على ذلك؛ كعبد الله بن سلام من اليهود، والعاقب والسيد رئيسي نجران من النصارى والنجاشي صاحب الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ناس كثير، فدلّ أن ما في القرآن موافق لما في الكتب القديمة)[٣].

---

(١) ينظر: كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٨٣٣، لصالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (المتوفى: ٦٦٨هـ)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٨٥٨).

(٣) ينظر: كتاب الانتصارات الإسلامية لكشف شبه النصرانية (١/ ٣٢٩)، لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبي الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، =

٦ـ مسألة: الكلام على إثبات صفة العلو لله عَزَّوَجَلَّ:

قال الذهبي: (فمن الأحاديث المتواترة في إثبات العلو حديث أسماء بنت عُميسٍ أنّ جعفرًا جاءها إذ هم بالحبشة يبكي، فقالت: ما شأنُك؟ قال: رأيتُ فتًى مُترفًا من الحبشة شابًّا جسيمًا مرّ على امرأةٍ فطرح دقيقًا كان معها فنسفته الرّيحُ، فقالت: أكلُك إلى يوم يجلسُ الملكُ على الكُرسيّ فيأخُذُ للمظلوم من الظّالم)[1].

٧ـ مسألة التأكيد على إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ردًّا على الرافضة:

قال الذهبي في ذكر الأحاديث التي تدلّ على مكانته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وفي البُخاريّ عن عائشة قالت: فلمّا ابتُلي المُسلمون خرج أبو بكر مُهاجرًا إلى الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال أين تُريدُ يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي... الحديث بطوله)، ثم قال بعدها: (وأبو بكر أفضلهم ـ أي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ وكلهم خاطبوه بخليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن سمّاهم الله صادقين لا يتفقون على ضلالة)[2].

= تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(١) ينظر: كتاب العلو للعلي الغفار، للذهبي، ص٨٢، حديث رقم: (١٨٧)، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ص٥٥٥، للحافظ الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٨ـ مسألة: الكلام على الاجتماع في بعض الليالي والأخذ بالذّكر الجهريّ على صوتٍ واحدٍ:

وفيها تفصيل الكلام على متى تكون بدعة ومتى لا تكون؟ وفيها قضية إنشاد الشعر في هذه الحلقات بالتلحين والترجيع، قال الشاطبي في بيان مذهبه في رد فعل الترجيع بالشعر واستحداث النغم: (لكنّ العرب لم يكُن لها من تحسين النّغمات ما يجري مجرى ما النّاسُ عليه اليوم، بل كانوا يُنشدون الشّعر مُطلقًا من غير أنّ يتعلموا هذه التّرجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يُرقّقون الصّوت ويمُطّطونه على وجهٍ لا يليقُ بأُمّيّة العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكُن فيه إلذاذٌ ولا إطرابٌ يُلهي، وإنّما كان لهم شيءٌ من النّشاط؛ كما، كان الحبشةُ وعبدُ الله بنُ رواحة يحدوان بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

٩ـ مسألة إثبات التوحيد لله وعدم الإشراك به:

والكلام على من اتخذ الصالحين شريكا مع الله عَزَّوَجَلَّ، قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: (وقد ثبت في صحيح البُخاريّ، وكُتُب التّفسير، وقصص الأنبياء وغيرها، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وغيره من السّلف، أنّ هذه أسماءُ قومٍ صالحين في قوم نوح، فلمّا ماتوا عكفوا على قُبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم، وأنّ هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب...) ومن ذلك: (وفي الصّحيحين أنّه ذُكر في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حُسنها وتصاوير فيها، فقال: إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ

(١) ينظر: كتاب الاعتصام (١/ ٣٤٦) لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة)[1].

١٠ـ مسألة: هل يحتاج من يتكلم في العقيدة إلى علم الكلام والجدل أم لا:

فقد استدلّ بعضُ مَن كتب في العقيدة وردّ على المعترض الذي أوجب تعلّم المناظرين من دعاة المسلمين علم الكلام والجدل، منهم ابن الوزير فقد قال: (وقد عرضتْ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسبابٌ تقتضي الخوض في ذلك ـ أي الكلام ـ كذلك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلم يحض أحدٌ منهم في ذلك على أساليب أهل الكلام، وقد كان رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بالله وأحب للدعاء بالحكمة إلى الله، فأعرض عمن خاض بالباطل في آيات الله ولم يزدهم على تبليغ آيات الله...). ثم قال: (ألا ترى إلى قصّة جعفر بن أبي طالب، ومهاجرة الحبشة مع النجاشي، وما راجعه به خطيبهم جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قيل للنجاشي: إنّهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، وكانت النّصارى يعبدون عيسى، ويستعظمون القول بأنه عبد من عبيد الله، فلمّا سألهم النجاشي عن ذلك؟ أجابوا بكلام الله تعالى، واحتجّوا به على صحّة عقيدتهم، وتلا جعفر على النجاشي صدر سورة مريم، حتى بكى النجاشي وأصحابه، وكان ذلك سبب إسلام النجاشي)[2].

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٨٢، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢/ ٥٨٣، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبي عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله =

١١ـ مسألة: المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين:

ومنها: قال أبو المعالي محمود الألوسي: (ومنها اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، هذه المسألة من خصال الكتابيين أيام جاهليتهم. ودليل ذلك حديث الصّحيحين: أنه ذُكر في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حُسنها وتصاوير فيها، فقال: «إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة»...)[1].

١٢ـ مسألة: تفنيد مكائد الرافضة في الكلام على أم المؤمنين عائشة:

قال شاه عبد العزيز دهلوي: (ومن مكائدهم ـ الرافضة ـ أنهم يقولون: أهل السنة رووا في كتبهم الصحيحة ما يزري بشأن النبي ﷺ؛ من تركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الغيرة؛ حيث يروون عن عائشة أنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون بالدرق والحراب يوم العيد». فإن في هذه الرواية إراءة اللعب وتقرير الحبشة عليها في المسجد، ونظر زوجة الرسول إلى غير المحارم، وأن أهل السنة يروون أن رسول الله ﷺ قال: «أتعجبون من غيرة سعد، وأنا أغير منه، والله أغير مني». وأدنى الناس لا يرضى برؤية زوجته إلى الأجانب ونظرها إلى لعبهم ولهوهم فضلًا عن سيد الكونين ﷺ.

= أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

(١) ينظر: فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله)، ١/ ١٣٢، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ)، تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

والجواب: أن هذه القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب، وكان النساء من أمهات المؤمنين وغيرهن يخرجن إذ ذاك بلا حجاب ويخدمن الأزواج ولو بحضور الأجانب باتفاق الفريقين..)[1].

١٣ـ مسألة: الإيمان باليوم الآخر وقيام الساعة عند الأمم السابقة:

وفيه براءة الناس من بعضهم البعض وإثبات الاحتكام بين يديه: لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمّا رجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهاجرةُ البحر قال: «**ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس إذ مرّت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدقت صدقت، كيف يقدس الله تعالى قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم**»[2].

---

(١) ينظر: مختصر التحفة الاثني عشرية المكيدة الثانية عشر، ص٤٥، لعلامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية: (سنة ١٢٢٧هـ) الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ٢/ ٨٣٩، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٤ـ مسألة: جواز مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم في أمور الشرع:

والدليل على جواز مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم قوله ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص: وكانت صغيرة ولدت بأرض الحبشة: «هذا سناء». والسناء الحسن في لغتهم؛ لأنها كانت من أهل هذه اللغة، وكذلك يترجم القرآن في لغتهم؛ لأنها كانت من أهل هذه اللغة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويترجمه بالعربية.

كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ليقرأ ويكتب له ذلك؛ حيث لم يأتمن اليهود عليه، وكثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم صحة القول[1].

١٥ـ مسألة أن الرسل تبشر بآخرهم:

قال الدكتور فالح الدوسري: (إن الله سبحانه قد جعل من ضمن ما شرعه لعباده أن السابق من الأنبياء يبشر باللاحق، وأن المتأخر يؤمن بالمتقدم، وكما في الأثر الذي رواه الإمام أحمد أيضًا بسنده إلى عبد الله بن مسعود في قصة وفد قريش إلى النجاشي في طلب المهاجرين إلى الحبشة وفيه: «قال جعفر بن أبي طالب: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد، فقالوا: له ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عَزَّوَجَلَّ، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا ألّا نسجد لأحدٍ إلا لله عَزَّوَجَلَّ وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم! قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال:

(١) ينظر: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (١/ ١٤٤) لفالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (ت: ١٣٩٢هـ)، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

نقول كما قال عَزَّوَجَلَّ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذان، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الذي يبشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم)[1].

١٦ـ مسألة: المتشككون في الأصنام والأوثان من أهل مكة قديمًا:

قال الدكتور محمد الفيومي: (وهم أربعة: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علمًا من أهل الكتاب، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصّر وفارق الإسلام حتى هلك هناك نصرانيًّا، وكان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمر بأصحاب رسول الله وهم هناك من أرض الحبشة فيقولون: فقحنا ـ أي أبصرنا ـ وصأصأتم؛ أي تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو: فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال: أعبد رب إبراهيم ونادى قومه يعيب ما هم عليه)[2].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٥٦ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص٣٥٦، لمحمد إبراهيم الفيومي (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٧. مسألة حكم تشييد وتجصيص القبور وزخرفتها:

قال صالح الأطرم: (لا يجوز تشييدها ولا زخرفتها؛ لأن هذا من باب الغلو المؤدي إلى اعتقاد تعظيمها والاعتقاد به... فعن أم سلمة أنها ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حُسنها وتصاوير فيها، فقال: **«إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة»**...)[1].

١٨. مسألة من أدلة إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسل:

قال البيهقي: (وقد سلك بعض مشايخنا ـ رحمنا الله وإياهم ـ في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحسّ لمن شاهدها، ومن طريق الاستفاضة لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلًا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين)، ثم ذكر قصة جعفر بن أبي طالب وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع النجاشي، ليدلل بها على صحة هذه الطريق... فساق الحديث، ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد سوقه لهذا الحديث وجه الاستدلال به، حيث قال: (فهؤلاء مع النجاشي وأصحابه استدلوا بإعجاز القرآن على صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ادعاه من الرسالة، فاكتفوا به وآمنوا به، وبما جاء به من عند الله، فكان فيما جاء به إثبات الصانع وحدوث العالم).

---

(١) ينظر: الأسئلة والأجوبة في العقيدة، ص٥٢، لصالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم (المتوفى: ١٤٢٨هـ)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

قال الدكتور أحمد بن عطية معلقا: (ولم يكن البيهقي ـ بكلامه هذا ـ ليظن بأن النجاشي وأصحابه لا يعرفون وجود الله تعالى، فلما أخبرهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الذي عرف صدقه عن طريق معجزته وهي القرآن علموا ذلك ـ لكنه يقصد بهذا أن ثبوت صدق الرسول بالمعجزة التي استدل بها هؤلاء يقتضي تصديقه في جميع ما يخبر به)[1].

١٩ـ مسألة ما أحدث الإسلام في مجال العقائد والعبادات والسلوك عما كان عليه أهل الجاهلية:

قال الدكتور حمود الرحيلي: (أحدث الإسلام في مجال العبادات والسلوك تغييرًا جذريًّا بين ما كان عليه الناس في جاهليتهم من عادات باطلة، وما دعا إليه الإسلام من عبادات وأحكام شرعية، وأخلاقية لها وزنها وقيمتها في تربية الفرد والجماعة، فالأمة على منهاج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الملائم للفطرة البشرية، ولها وزنها وارتباطها بالعقيدة، وتحقيق العبودية لله تعالى وحده، وأوضح دليل على هذه النقلة هو ما جاء في حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة؛ إذ يمثل صورة واضحة لما كان عليه العرب في الجاهلية من ضلال وفساد في العبادات والسلوك، كما يوضِّح لنا النقلة الكبيرة التي أحدثها الإسلام الذي بُعث به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال جعفر: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش... الحديث)[2].

---

(١) ينظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٣٠، بتصرف يسير، وأصل الكتاب: رسالة دكتوراه، لأحمد بن عطية بن علي الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، وأصل كلام البيهقي في كتاب الاعتقاد، ص١١.

(٢) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ٢/ ٦٩٦، لحمود بن أحمد بن =

٢٠ـ مسألة: الوجد والرقص عند الصوفية:

ومن أدلتهم أن الحبشة زفنت والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إليهم، قال الدكتور غالب عواجي: (وأما احتجاجهم بزفن الحبشة، فإن الزفن أيضًا نوع من المشي مع الرقص، ويشير كذلك إلى الاعتداد بالنفس، وأكثر ما يفعل عند اللقاء في الحرب إظهارًا للشجاعة وعدم المبالاة بالعدو، وليس المقصود منه الرقص والطرب كما عند الصوفية)[١].

٢١ـ مسألة: الاستدلال بالسنة على النهي عن التشبه بالكافرين:

قال ابن تيمية: (وعلى التقديرين: يُعلم أنّ مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة، والنهي عن هذا العمل ـ بلعنة اليهود والنصارى ـ مستفيض عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ففي الصحيحين عن أم سلمة أنها ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حُسنها وتصاوير فيها، فقال: **«إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة»**. ثم قال: فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد، على قبر الرجل الصالح ـ صريح في النهي عن المشابهة في هذا ودليل على الحذر من جنس أعمالهم، حيث لا يُؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس)[٢].

= فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(١) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ٣/ ١٠٤٤، وما بعدها، لغالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص٥٢، هذبه وخرج أحاديثه: شحاتة =

٢٢ـ مسألة تحريم تصوير ذوات الأرواح ولعن المصورين:

لحديث عائشة وأم سلمة عن كنيسة الحبشة[١].

٢٣ـ مسألة سد الذرائع في مسائل العقيدة:

لحديث أم حبيبة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما ذكرتا كنيسة رأينَها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**». قال ابن حجر: (وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك)[٢].

٢٤ـ مسألة العوامل الخارجية لنشأة علم العقيدة:

قال الدكتور عثمان جمعة ضميرية: (نشير إلى العوامل الخارجية التي ساهمت في نشوء وتطور التدوين في الجانب العقائدي، وهي احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الفلسفية، عن طريق اللقاء المباشر والجدل مع

= محمد صقر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر).

(١) ينظر: الإرشاد إلى توحيد رب العباد، ص٧٧، جمع وتأليف: عبد الرحمن بن حماد آل عمر، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر: سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، ص٢٠٥، لعبد الله بن شاكر الجنيدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤)، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢هـ، وينظر: كلام ابن حجر في فتح الباري١/ ٥٢٥.

أصحابها، من ذلك النصارى؛ فقد بدأ الجدال بينهم وبين المسلمين في الحبشة أولًا، عند الهجرة الأولى للمسلمين في حقيقة المسيح، وفي الكلمة وغيرها، وفي مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح)[1].

٢٥. مسألة من أشراط الساعة قتال الحبشة وهدم الكعبة:

لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم؛ فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة**». وفي رواية: «**اتركوا الترك ما تركوكم واتركوا الحبشة...**» الحديث[2].

٢٦. مسألة تعامل المسلمين مع الكفار المحايدين:

قال الدكتور محماس الجلعود: (فإن زال المانع والتزم غير المسلمين جانب السلم مع المسلمين وسارت العلاقات بينهما سيرًا طبيعيًّا دون أن يكدر صفوها شيء وجب اعتبار هؤلاء محايدين، ووجب الكف عن أذاهم وحسن معاملتهم.

ومن الأمثلة العملية على وجود المحايدين من الإسلام ما يلي:

حالة أهل الحبشة فقد اعتبرها المسلمون من البلاد التي لا يجوز بدؤها بالقتال، فقد ورد فيما يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم..**» الحديث. ثم قال: (أما بلاد الحبشة فقد اعتبرت في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أكثر من بلاد محايدة، بل هي بلاد مناصرة لأهل الإيمان، لمعاملتها الحسنة للمسلمين في

---

(١) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص٦٣، د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم: د. عبد الله ابن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: صحيح أشراط الساعة، ص٧٧، ١٤٧، لعصام موسى هادي، الدار العثمانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

هجرتهم إليها أيام النجاشي، ولكن بما أن أحكام الإسلام لم تكن نافذة فيها فهي ليست دار إسلام، وباعتبارها مسالمة لأهل الإسلام مناصرة لهم فهي ليست دار حرب، وعلى هذا يمكن أن تسمى (دار حياد) بمفهوم العصر الحاضر)[1].

٢٧. مسألة الدخول في حماية الكفار:

قال الدكتور محماس: (يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانيًّا عند الهجرة إلى الحبشة ثم أسلم بعد ذلك، أو كان مشركًا كما حصل من المهاجرين إلى الحبشة)[2].

٢٨. مسألة: الحالات التي لا يخرج فيها الحاكم بغير شريعة الله عَزَّوَجَلَّ من الإسلام:

قال الدكتور منقذ السقار: (منها أن يكون عاجزًا عن تطبيق الشريعة، فهذا لا يكفر، لأن الأوامر الشرعية مقرونة بالاستطاعة؛ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[3].

وقد ضرب العلماء أمثلة لذلك، أوضحها النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان ملكًا على قومه، فأسلم دونهم، وما قدر على تعلّم الشريعة فضلًا عن تطبيقها، ومع ذلك فإن أحدًا لا يشكّ في صحة إسلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول شيخ الإسلام: النجاشي، هو وإن كان ملك النصارى، فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، بل إنما دخل معه نفرٌ منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه، فصلى عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ينظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ٢/ ٦٢٢، لمحماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٨٢٢.

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٦).

بالمدينة، خرج بالمسلمين إلى المصلى، فصفهم صفوفًا، وصلى عليه، وأخبرهم بموته يوم مات وقال: «إن أخًا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات»...)[1].

٢٩. مسألة نقد أصول مذهب الشيعة الإمامية في تكفير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال الدكتور ناصر القفاري: (سادسًا: من المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ وأحداثه المعلومة المستفيضة حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنهم لم يؤثروا على الله شيئًا، وبلغ المكروه بهم كل مبلغ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيد الله تعالى بهم نبيه، وأظهر بهم دينه، فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره؟ أم كيف يجترئ على سبهم وانتقاصهم مَن يزعم أنه مسلم.؟! ومَن يُراجع أحداث السيرة وما لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه من أذى واضطهاد، حتى رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحملوا اضطهاد قريش في بطحاء مكة، وقاسوا مرارة المقاطعة وشدة الحصار في الشعب، وعانوا من فراق الوطن والأهل والعشيرة فهاجروا إلى الحبشة...)[2].

٣٠. مسألة: نقد أصول الشيعة الإمامية في ادعائهم قتل بعض أمهات المؤمنين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال الأستاذ ياسين الخليفة: (المسلك الثاني: صرف معنى الأحاديث الصحيحة إلى ما يوافق هواهم ـ الشيعة ـ استغل الرّافضة قصة سقي عائشة وحفصة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدواء في مرضه، فقالوا: سقتاه السُّمّ، وهذا هو نص الرواية الصحيح... وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أولُ ما اشتكى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت ميمونة، فاشتدّ مرضُه حتى أُغمي عليه، فتشاور نساؤُه في

(١) ينظر: التكفير وضوابطه، ص١٠٩، لمنقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي.

(٢) ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ عرض ونقد ٢/ ٧٧٠، لناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

لدّه فلدّوهُ، فلمّا أفاق قال: «ما هذا؟» فقُلنا: هذا فعلُ نساءٍ جئن من هاهُنا ـ وأشار [الراوي] إلى أرض الحبشة ـ وكانت أسماءُ بنتُ عُميسٍ فيهنّ، قالوا: كُنّا نتّهمُ فيك ذات الجنب يا رسول الله، قال: «إنّ ذلك لداءٌ ما كان الله عَزَّوَجَلَّ ليقرفُني به لا يبقينّ في هذا البيت أحدٌ إلاّ التدّ إلاّ عمٌّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، يعني العبّاس، قال: فلقد التدّت ميمونةُ يومئذٍ وإنّها لصائمةٌ لعزمة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)[1].

٣١ـ مسألة: في بعض طرق دفاع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

ومنها بيان فضائلهم وجهٌ من أوجه الدفاع عنهم، مثال: حديث أسماء بنت عميس مع عمر، وفيه: (فلما جاءت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا! فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال أبو بردة فقالت أسماء: فلقد، رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني)[2].

٣٢ـ مسألة في حكم الثناء على غير المسلمين:

قال أبو فيصل البدراني: (وأما إن كان الثناء عليهم ومدحهم بسبب وموجب شرعي، أو على الأقل يكون على وجهٍ لا يدعو للفتنة بهم ولا موالاتهم، فلا بأس

---

(١) ينظر: إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة، ص١١٨، لياسين الخليفة الطيب المحجوب، مؤسسة الدرر السنية ـ المملكة العربية السعودية ـ الظهران، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، وينظر: هناك رد فضيلته على هذه الشبهة.

(٢) ينظر: الإصابة في الذب عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ص٢٩٧، للشيخ الدكتور مازن بن محمد ابن عيسى.

بذلك، ومنه ما يرويه محمد بن إسحاق أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما اشتد أذى قريش لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»...)[1].

٣٣-مسألة في جواز كتم الإيمان عند الضرورة:

قال الدكتور سعيد القحطاني: (القسم الرابع: يكتمون إيمانهم في أقوامهم، ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون، الذي يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ؛ فإنه كان ملك نصارى الحبشة، وكان في الباطن مؤمنًا، وغير هؤلاء كثير)[2].

٣٤-مسألة: إثبات صفة القعود لله عزوجل:

قال شمس الدين بن المحب: (الدليل السادس: عن جابرٍ قال: لمّا قدم جعفرُ ابنُ أبي طالبٍ من أرض الحبشة، تلقّاه رسولُ الله ﷺ، فلمّا نظر جعفرٌ إلى رسول الله ﷺ حجل؛ إعظامًا منه لرسول الله ﷺ، فقبّل رسولُ الله ﷺ بين عينيه، وقال لهُ: «يا حبيبي، أنت أشبه النّاس بخلقي وخُلُقي، وخُلقت من الطّينة التي خُلقتُ منها، يا حبيبي، حدّثني عن بعض عجائب أرض الحبشة». قال: نعم، بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، بينا أنا قائمٌ في بعض طُرُقها، إذا أنا بعجوزٍ على رأسها مكتلٌ، وأقبل شابٌّ يركُضُ على فرسٍ لهُ، فزحمها، وألقى المكتل عن رأسها، فاستوت قائمةً، وأتبعته البصر، وهي تقولُ: الويلُ لك غدًا إذا جلس الملكُ على كُرسيّه، فاقتصّ للمظلوم من الظّالم. قال جابرٌ: فنظرتُ إلى

(١) ينظر: الولاء والبراء والعداء في الإسلام، ص٦٤ لأبي فيصل البدراني.

(٢) ينظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، ١/ ٤٧٩، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

رسول الله ﷺ وإنّ دُموعه لتنحدرُ على عينيه مثل الجمار، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «لا قدّس الله أُمّةً لا يأخُذُ المظلومُ حقّه من الظّالم، غير مُتعتعٍ»... ثم قال: فالحاصل أنّ صفة القعود والجلوس كان السّلف يذكرونها ولا ينكرونها؛ لأنّ هذا سبيل الصّفات كلها؛ فإنّها تثبت على ما يليقُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)[1].

٣٥ـ مسألة: بيان ملامح سدّه ﷺ جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بعبادة الله ومعاملته:

ومنها: أنه ﷺ نهى عن البناء في القبور، وعن اتخاذها عيدًا، وعن اتخاذها مساجد، فقال لما ذكرت له أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور. قال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[2].

وختامًا...

فهذا ما وقفتُ عليه من مسائل عقدية، وإن كنت أؤمن أن ما تُرك أكثر مما ذكرت، فجميع النصوص التي وردت في الحبشة تحمل زخمًا من هذه المسائل والفوائد الجديرة بتجميعها وبيان التفصيل والمذاهب فيها، وهذا غيض من فيض أسأل الله تعالى أن يوفق من يقوم بها حق القيام.

---

(١) ينظر: صفات رب العالمين لابن المحب الصامت، ص٧٠: ٧٢ لشمس الدين ابن المحب الصامت (٧١٢هـ - ٧٨٩هـ)، تحقيق: فواز بن فرحان بن راضي الشمري رسالة: ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف: أ. د هشام بن إسماعيل الصيني، ١٤٣٦ هـ.

(٢) ينظر: الشرك في القديم والحديث ١/ ٦١٢، لأبي بكر محمد زكريا، أصل هذا الكتاب: رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢)
الفوائد الفقهية المتعلقة بالحبشة وأحداثها وما يتعلق بها

١ـ مسألة حكم حق اللجوء السياسي في الدول غير الإسلامية:

ففي موسوعة الفقه الميسر: (إن مصطلح حق اللجوء السياسي من المصطلحات الحديثة، فإذا كان الشخص مهددًا بقتله ويخاف على نفسه أو دينه، واضطرّ إلى طلب اللجوء إلى بلد آخر، فإن عليه أن يبدأ بطلب اللجوء إلى بلد إسلامي، فإن لم يُدرِك ذلك فلا مانع من لجوئه إلى بلد غير إسلامي بشرط أن يأمن على إقامة دينه، وألّا يعين على المسلمين، وأن ينوي الرجوع إلى بلد الإسلام متى ما تحقّق له ذلك، إلا إذا كان في بقائه مصلحة للإسلام والمسلمين، ويستدل لذلك بما فعله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لما هاجروا من مكة المكرمة بعد اضطهادهم من مشركي مكة إلى الحبشة ودخولهم بجوار النجاشي، وهو حينذاك غير مسلم)[1].

٢ـ مسألة حكم الإقامة والعمل في بلاد غير المسلمين:

قال الدكتور فضل بن عبد الله: (والوظيفة في البلاد غير المسلمة جائزة؛

(١) ينظر: الفقه الميسر ١٣/ ١٣٤، أ. د. عبد الله بن محمد الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم الموسى، مدار الوطن للنشر، الرياض ـ المملكة العربية السعودية الطبعة: ج٧ و١١-١٣: الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

لعموم أصل الإباحة، ومن ادّعى المنع فعليه بالدليل الصحيح الصريح الخالي من المعارضة، والنهي عن الإقامة بين ظهراني المشركين كان للإلزام بالهجرة إلى المدينة، فلمّا فتحت مكة رفع الإلزام بـ«لا هجرة بعد الفتح»، ويحمل المنع بعدها على حالة الحرب؛ لإمكان إصابة مقيمين من المسلمين، ولأنه ـ أي المقيم ـ ناقص النصرة، لا نصرة له في حالة استنصاره، وهو في بلد معاهدة ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[1]، وهذه من علل النهي عن الإقامة... فالبراءة في حديث: «**أنا بريء من مقيم بين ظهراني المشركين تتراءى نارها**» هي براءة تبعة من إصابته حال حدوث حرب، فلا يلزم إثم ولا دية؛ لتعذّر التمييز بين مشرك ومسلم مقيم بينهم، ولأن الصحابة بأمر من النبي ﷺ أقاموا في الحبشة مهاجرين الهجرتين، واستمروا بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ولم يلزمهم بترك بلاد الكفر إلى المدينة، كما ألزم من كان في مكة، وكانت الحبشة على النصرانية، فدلّ على جواز الإقامة في بلد غير مسلمة، ولا يقال: هو منسوخ بحديث المنع؛ لعدم ثبوت التاريخ، بل هو دليل على ما قدّمنا أنه نهى لرفع التبعية والمسئولية عن المقيم في بلد الحرب حال الحرب، ولأنه لو حمل حديث المنع من الإقامة في بلاد الكفار على عمومه للزم وجوب هجرة المسلمين كافة إلى بلاد الإسلام، وهذه مشقة خارجة عن المعتاد، وقد نسخ هذا بـ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**». فلو منع من أسلم من الإقامة في أهله وأرضه لشق ذلك على من أراد أن يسلم في أصقاع الأرض، وللزمه الهجرة، ولم يقل بهذا أحد من أهل الإسلام، ولأدى ذلك إلى الصد عن الدخول في الإسلام لهذه المشقة؛ لأن مفارقة الوطن والأهل من أعظم المشقات)[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٧٢).

(٢) ينظر: المقدمة في فقه العصر ١/ ٧٧، د. فضل بن عبد الله مراد، الجيل الجديد ناشرون، =

٣ـ مسألة حكم المس والمصافحة والمعانقة والتقبيل بين الرجال:

قال الكاساني: (وأمّا حُكمُ المسّ فلا خلاف في أنّ المُصافحة حلالٌ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تصافحوا تحابّوا». وروي عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنّه قال: «إذا لقي المُؤمنُ أخاه فصافحه تناثرت ذُنوبُهُ». ولأنّ النّاس يتصافحون في سائر الأعصار في العُهود والمواثيق، فكانت سُنّةً مُتوارثةً، واختُلف في القُبلة والمُعانقة. قال أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يُكره للرّجُل أن يُقبل فم الرّجُل أو يده أو شيئًا منهُ، أو يُعانقهُ، وروي عن أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه لا بأس به (ووجهُهُ) ما روي أنّه «لما قدم جعفرُ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الحبشة عانقه سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبّل بين عينيه»، وأدنى درجات فعل النبيّ الحل)[1].

٤ـ مسألة في بيان ما يفسد الصلاة (الكلام فيها):

قال أبو المعالي الحنفي: (إذا تكلّم في صلاته ناسيًا أو عامدًا أو خطًا أو قاصدًا قليلًا أو كثيرًا، تكلم لإصلاح صلاته بأن قام الإمام في موضع بالقعود، فقال: اقعد. أو قعد والإمام في موضع القيام، فقال له، المقتدي، قم أولًا لإصلاح صلاته، ويكون الكلام من كلام الناس استقبل الصلاة عندنا لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من قاء أو رعف في صلاته فلينصرف وليتوضأ وليبن على صلاته ما لم يتكلم». وهذا قد تكلّم فلا شيء في ظاهر هذا الحديث، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قدم من الحبشة فوجد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصلاة، فسلم

= صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م.

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٥/ ١٢٤، لعلاء الدين، أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

عليه فلم يرد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال ابن مسعود: فأخذني ما قرب وما بعد. فلما فرغ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لي: «**يا ابن مسعود، إن الله تعالى يحدث من أمره ما يشاء، وإن من جملة ما أحدث ألا نتكلم في صلاتنا**»، وهذا إذا تكلم على وجه يسمع منه، فأما إذا تكلم على وجه لا يسمع منه إن كان بحيث يسمع نفسه تفسد صلاته، وإن كان بحيث لا يسمع نفسه إن لم يصحح الحروف لا يضره، وإن صحح الحروف، حكي عن الكرخي: أنه تفسد صلاته، وحكي عن الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الفضل أنه لا تفسد صلاته)[1].

٥ـ مسألة: في الحجاب ستر للعورة:

لحديث عائشة قالت: (رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن)[2].

٦ـ مسألة مسح الحصى في المسجد:

قال بدر الدين العيني: وروى الأئمة الستة في كتبهم عن معيقيب، أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**لا تمسح الحصى وأنت تصلي، وإن كنت لا بد فاعلا فواحدة**»، ولفظ المصنف منقول عن المشايخ منهم شمس الأئمة الكردي أنه قال: سأل أبو ذر خير البشر عن تسوية الحجر، فقال خير البشر: «**يا أبا ذر مرة أو ذر**»... ومعيقيب

(١) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني ١/ ٣٨٢، لأبي المعالي برهان الدين محمود ابن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، وينظر: رأي الشافعية في الام ١/ ١٤٦.

(٢) ينظر: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ٢/ ٢٥٤، ليوسف بن موسى بن محمد، أبي المحاسن جمال الدين الملطي الحنفي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، عالم الكتب – بيروت.

ابن أبي فاطمة الدوسي من مهاجرة الحبشة شهد بدرًا، وكان على خاتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعمله أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على بيت المال، وتوفي في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1].

٧ـ مسألة الصّلاة في السّفينة:

الأصلُ فيها ما روي «أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا بعث جعفر بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحبشة أمره أن يُصلي في السّفينة قائمًا، إلا أن يخاف الغرق» وعن سويد بن غفلة قال: سالت أبا بكرٍ وعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الصّلاة فيها، فقال: إن كانت جاريةً فصلِّ قاعدًا، وإن كانت راسيةً فصلِّ قائمًا يتوجّه المُصلي فيها القبلة بأن يدور إليها كيفما دارت السّفينةُ عند الافتتاح وفي الصّلاة؛ لأنّه يُمكنُه الاستقبالُ من غير مشقّةٍ بخلاف الدّابّة؛ إذ لا يُمكنُه الاستقبالُ إلى القبلة مع سير الدّابّة، والقادرُ على القيام في السّفينة والقادرُ على الخُروج عنها صلى قاعدًا، فيها لفٌّ ونشرٌ، أي القادرُ على القيام فيها صلى قاعدًا، والقادرُ على الخُروج عنها صلى فيها جازت تلك الصّلاةُ، يعني أنّ القضاء لا يلزمُ؛ لأنّ الغالب العجزُ واسوداد العين، والغالبُ كالكائن، لكنّه ترك الأفضل والأفضلُ القيامُ في الأول والخُروجُ في الثّاني)[2].

وعند الشافعية: (يجوز أن يصلي الفرض والنفل في السفينة، سواء كانت واقفة

(١) ينظر: البناية شرح الهداية ٢/ ٤٣٧، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: درر الحكام شرح غرر الأحكام ١/ ١٣١، لمحمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا ـ أو منلا أو المولى ـ خسرو (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

أو سائرة؛ لأنه يتمكن فيها من القيام، والركوع، والسجود)[1].

٨.مسألة الصلاة على الغائب:

قال أبو عبد الله المالكي: (ولا يُصلى على غائبٍ كغريقٍ، وأكيل سبُع وميّتٍ في أرض الكُفّار. قال أحمدُ: أي تُكرهُ، ونصُّه اللخميُّ اُختُلف في الصّلاة عليه فمنعها مالكٌ في المُدونة.. إلخ، فاستُفيد منه أنّها ممنوعةٌ على مذهب المُدونة، لكن اللخميُّ يُطلقُ المنع كثيرًا على الكراهة، وقيل: تحرُمُ...

وقال ابنُ حبيبٍ وابنُ أبي سلمة: يُصلى عليه، وصلاتُه ﷺ بالمدينة على النجاشيّ يوم موته بأرض الحبشة من خُصوصيّاته ﷺ بدليل عدم صلاة أُمّته عليه ﷺ، وفيها أعظمُ الرّغبة وأيضًا الأرضُ رفعته له فصلى عليه، وهو مُشاهدٌ له قبل دفنه، فهي كصلاة إمامٍ على ميّتٍ رآه ولم يره المأمومون، ولا خلاف في جوازها، وردّ ابنُ العربيّ الجوابين بأنّ كُلا من الخُصوصيّة والرّفع يفتقرُ لدليلٍ وليس بموجودٍ)[2].

٩.مسألة حكم مشاركة الأسير المسلم في قتال المشركين على المشركين:

قال الإمام الشافعي: (ولو أُسر جماعةٌ من المُسلمين فاستعان بهم المُشركون على مُشركين مثلهم ليُقاتلوهم، فقد قيل: يُقاتلونهم، وقيل: قاتل الزُّبيرُ وأصحابٌ له ببلاد الحبشة مُشركين عن مُشركين..). قال: (ولا نعلمُ خبر الزُّبير يثبُت ولو ثبت

(١) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي٢/ ٤٤٠، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: منح الجليل شرح مختصر خليل ١/ ٥٢٧، لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبي عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

كان النجاشيُّ مُسلمًا كان آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

١٠ـ مسألة قبول الهبة والهدية (حكم التراخي بين القبول والإيجاب فيها):

قال أبو الحسين اليمني الشافعي: (الهبة والهدية وصدقة التطوع حكمها واحد، وكل لفظ من هذه يقوم الألفاظ يقوم مقام الآخر، ولا يصح شيء من هذا كله إلا بالإيجاب والقبول، ويكون القبول فيه عقيب الإيجاب، كما قلنا في البيع، وقال أبو العباس: يصح أن يكون القبول في ذلك متراخيًا عن الإيجاب، لـ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهدى إلى النجاشي وكان في أرض الحبشة»...)[2].

١١ـ مسألة حكم افتداء اليمين:

قال ابن نصر الثعلبي المالكي: (يجوز افتداء اليمين، وهو أن يبذل شيئًا لتسقط عنه؛ لأنه إجماع الصحابة، وروي أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصمه يهودي إلى عمر، وادعى عليه أربعة آلاف درهم، فوجبت عليه اليمين، فأبى أن يحلف وغرم المال، فلما فعل ذلك قال: والله ما له علي شيء، فقال عمر: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خفت أن يصادف يميني قدرًا فيقول الناس: ظلم عثمان اليهودي، ولم ينكر عليه عمر؛ ولأن ابن مسعود أُخذ بأرض الحبشة فصالح عن نفسه بدينارين، ولأن في الاستحلاف مذلة وامتهانًا، فجاز للإنسان الافتداء منها صيانة للعرض)[3].

---

(١) ينظر: الأم ٤/ ٢٥٦، للشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: البيان في مذهب الشافعي ٨/ ١١٢.

(٣) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة ١/ ١٥٨٨، لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، تحقيق: حميش عبد الحق، المكتبة =

١٢ـ مسألة حكم تقبيل القادم من السفر:

قال ابن حجر الهيتمي: (ويُسنُّ تقبيلُ قادمٍ من سفرٍ، ومُعانقتُه للاتّباع الصّحيح في جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا قدم من الحبشة)[١].

١٣ـ مسألة من لم يبلغه الحكم الشرعي:

قال ابن تيمية: (ثم مَن لم يبلغه خبر النسخ لبعد البلاد فعذر بها كما عذر أهل قباء وغيرهم، فإن القبلة لما حوّلت لم يبلغ الخبر إلى مَن بمكة من المسلمين، ومن كان بأرض الحبشة من المهاجرين، مثل جعفر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن كان قد أسلم ممن هو بعيد عن المدينة إلى مدة طويلة أو قصيرة، ولم يأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا منهم بإعادة ما صلاه إلى بيت المقدس قبل علمه بالناسخ، وما ذلك إلا لأنه معذورٌ لعدم العلم، وأنه كان متمسكًا بشريعة، فلما لم يبلغه نسخها لم يثبت في حقه حكم النسخ؛ لأن الله لا يكلفه علم الغيب)[٢].

١٤ـ مسألة: حكم النيابة بالتوكيل في الزواج:

في الموسوعة الفقهية الكويتية: (المرادُ بانعقاد النّكاح بالنيابة هو التوكيل في عقد النكاح إذ أن النيابة والوكالة مُتساويان وقيل: إنّ النيابة أعمُّ لانفرادها فيما إذا

= التجارية، مصطفى أحمد الباز ـ مكة المكرمة أصل الكتاب: رسالة دكتوراه.

(١) ينظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٩/ ٢٣٠، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: شرح العمدة لابن تيمية في بيان مناسك الحج والعمرة، ص٥٤٨، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ) تحقيق: د. صالح بن محمد الحسن، مكتبة الحرمين - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

ولى الحاكمُ أميرًا أو قاضيًا فهو نائبٌ عمّن ولاّه وليس وكيلًا، وقال الكاسانيُّ: النّكاحُ كما ينعقدُ بطريق الأصالة ينعقدُ بطريق النّيابة بالوكالة والرّسالة؛ لأنّ تصرُّف الوكيل كتصرُّف الموكّل، وحُكمُ التّوكيل في النّكاح أنّه جائزٌ باتّفاق الفُقهاء، والدّليل على جوازه ما ورد عن أُمّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها كانت عند ابن جحشٍ فهلك عنها، وكان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، فزوجها النجاشيُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عندهم، فإن كان فعل ذلك بأمر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو وكيلُهُ، وإن كان فعله بغير أمره فقد أجاز النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقدهُ، والإجازةُ اللاّحقةُ كالوكالة السّابقة)[1].

١٥. مسألة جواز التزويج على القليل والكثير من المهور:

لحديث أُمّ حبيبة أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها ـ وهي بأرض الحبشة ـ زوجها النجاشيُّ وأمهرها أربعة آلافٍ وجهّزها من عنده، وبعث بها مع شُرحبيل ابن حسنة ولم يبعث إليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيءٍ، وكان مهرُ نسائه أربعمائة درهمٍ. رواه أحمد والنسائي[2].

١٦. مسألة: جواز ولاية السلطان لمن لا ولي له:

لحديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت بأرض الحبشة، فمات عنها زوجها عبيد الله بن جحش، فزوّجها النجاشي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجه الدلالة: في هذا

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٤١/ ٢٤٧ صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، وينظر: أيضًا: توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام ١/ ١٧٨.

(٢) ينظر: بستان الأحبار مختصر شرح نيل الأوطار ٢/ ٢٤٢، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

الحديث ثبتت ولاية السلطان ولاية عامة، في الأموال وغيرها، فكانت له الولاية في النكاح كالأب[1].

١٧ـ مسألة: الإمهار عن الغير:

يجوز لحديث أمّ حبيبة: (أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة، فزوّجها النجاشي النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع شرحبيل ابن حسنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2].

١٨ـ مسألة: ولا يحل نكاحُ غائبةٍ إلا بتوكيلٍ منهاعلى ذلك:

قال ابن حزم: (ولا يحل إنكاحُ غائب إلا بتوكيلٍ منه ورضًا، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[3]. وقد تزوج رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ حبيبة أُمّ المُؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي بأرض الحبشة وهو بالمدينة برضاهما معًا)[4].

١٩ـ مسألة حكم لبس اللون الأسود:

في الموسوعة الكويتية: (أجاز الفُقهاءُ لبس الأسود بغير كراهةٍ في ذلك للرّجُل

(١) ينظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي ٣/ ١٧٦، إعداد: مجموعة من الباحثين، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة ٥/ ١٧٩، لحسين بن عودة العوايشة، المكتبة الإسلامية (عمان ـ الأردن)، دار ابن حزم (بيروت ـ لبنان)، الطبعة الأولى، من ١٤٢٣ - ١٤٢٩هـ.

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٦٤).

(٤) ينظر: المحلى بالآثار ٨/ ١٦٨، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الفكر - بيروت.

والمرأة، لما روي... وعن أُمّ خالدٍ قالت: أُتي النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ؟ قال: «من ترون نكسو هذه الخميصة؟». فأسكت القومُ، فقال: «ائتوني بأُمّ خالدٍ»، فأتي بي إلى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فألبسنيها بيده وقال: «أبلي وأخلقي» مرّتين، وجعل ينظُرُ إلى علم الخميصة ويُشيرُ بيده إليّ ويقول: «يا أُمّ خالدٍ هذا سنا، هذا سنا». وفي هذا الحديث دليلٌ على أنّه يجوزُ للنّساء لباسُ الثّياب السّود، ولا خلاف في ذلك عند العُلماء كما قاله الشّوكانيُّ)[1]

٢٠. مسألة: حكم الصّور في الكعبة والمساجد وأماكن العبادة:

ينبغي تنزيه أماكن العبادة عن وُجود الصّور فيها، لئلا يئول الأمرُ إلى عبادتها... وفي الصّحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا اشتكى ذكر بعضُ نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يُقال لها مارية، وكانت أُمُّ سلمة وأُمُّ حبيبة أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُل الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا فيه تلك الصّور، أولئك شرارُ الخلق». فهذا يُفيدُ تحريم الصّور في المساجد. والله أعلمُ[2].

٢١. مسألة حكم اتخاذ المساجد على القبور:

يحرم اتخاذ المساجد على القبور لما في الصّحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا اشتكى ذكر بعضُ نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يُقال لها: مارية، وكانت أُمُّ سلمة وأُمُّ حبيبة أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُل الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا،

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٦/ ١٣٣.
(٢) ينظر: المرجع السابق ١٢/ ١٢٧، وما بعدها.

ثم صوروا فيه تلك الصّور، أولئك شرارُ الخلق». فهذا يُفيدُ تحريم اتخاذ المساجد على القبور. والله أعلمُ[1].

٢٢ـ مسألة حكم دفع الرشوة للوصول إلى حق أو دفع ظلم:

قال الخطابيُّ: (الرّاشي المُعطي، والمُرتشي الآخذُ. وإنّما يلحقُهما العُقوبةُ معًا إذا استويا في القصد والإرادة. فرشا المُعطي لينال به باطلًا ويتوصّل به إلى ظُلمٍ، فأمّا إذا أعطى ليتوصّل به إلى حقٍّ أو يدفع عن نفسه ظُلمًا، فإنّه غيرُ داخلٍ في هذا الوعيد حديث: «لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرّاشي والمُرتشي» ـ وروي أنّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ في شيءٍ وهو بأرض الحبشة، فأعطى دينارين حتى خُلي سبيلُهُ)[2].

٢٣ـ مسألة: في أن الغنيمة لكل من دخل دار الحرب قبل قسمتها:

قاله أبو حنيفة قال البيهقي: (وعنده ـ أي أبي حنيفة ـ في الصحيح عن أبي موسى الأشعريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة هجرتهم، وقال: (في بضع وخمسين رجلًا من قومي)، إمّا قال: اثنين وخمسين، أو ثلاثة وخمسين، ونحن ثلاثة إخوة: أبو موسى، وأبو رهم، وأبو بردة، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشيّ بأرض الحبشة، وعنده جعفر ابن أبي طالب وأصحابه، فأقبلنا جميعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيء إلا

---

(١) ينظر: الأحكام الشرعية الكبرى (٢/ ٥٢٦)، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٩/ ٧٩.

لمن شهد الوقعة، إلا لجعفر وأصحاب السّفينة، قسم لهم، وقال: «**لكم الهجرة مرّتين: هاجرتم إلى النجاشيّ، وهاجرتم إليّ**»..)[1].

٢٤ـ مسألة حكم اتخاذ النعش للميت:

قال أبو جعفر الطحاوي: (إن النعوش قد اتّخذت في خلافة أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أول من اتّخذت له فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أنّها قالت لهم قبل وفاتها: إنّي امراة ضئيلة يراني النّاس بعد وفاتي! فقالت أم سلمة وأسماء بنت عُميس: إنّها رأت في أرض الحبشة النعوش فاتخذ لها نعش، فحملت فيه وبقيت النّاس على ذلك إلى يومنا هذا)[2].

٢٥ـ مسألة في حكم طهارة المسك وبيعه:

وحكمهما الجواز؛ ففي موسوعة الإجماع في الفقه: (والمسك الذي هو الطيب الخالص الذي لم يخلط مع غيره، يجوز بيعه، إذا كان خارجًا عن وعائه، بإجماع العلماء... وجه الدلالة: عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما تزوجني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني قد أهديت إلى النجاشي حُلة، وأواقي مسك، ولا أُراه إلا قد مات، وسترد الهدية، فإن كان كذلك فهي لك**». قالت: فكان كما

(١) ينظر: مختصر خلافيات البيهقي ٥/ ٤٧، لأحمد بن فرح (بسكون الراء) بن أحمد بن محمد ابن فرح اللخمي الإشبيلي، نزيل دمشق، أبي العباس، شهاب الدين الشافعي (المتوفى: ٦٩٩هـ)، تحقيق: د. ذياب عبد الكريم ذياب عقل، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: مختصر اختلاف العلماء ١/ ٣٨٨٩، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مات النجاشي، وردت الهدية، فدفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كل امرأة من نسائه أوقية مسك، ودفع الحلة، وسائر المسك إلى أم سلمة. ووجه الدلالة: أن ما جازت هديته، جاز بيعه، كسائر المملوكات)[1].

٢٦. مسألة حكم التوسعةُ في العيدين والجُمُعة:

(تتأكّدُ مشروعيّةُ التّوسعة على العيال في أيّام الأعياد بأنواع ما يحصُل به لهم بسطُ النّفس وترويحُ البدن من كلف العبادة، كما أنّ إظهار السُّرور في الأعياد شعارُ هذا الدّين، واللعبُ والزّفنُ في أيّام العيدين مُباحٌ، في المسجد وغيره، إذا كان على النّحو الوارد في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في لعب الحبشة بالسّلاح)[2].

٢٧. مسألة حكم اللعب بالسلاح والدفوف في العيد:

قال القرافي: (ولا يُنكرُ في العيد لعبُ الغلمان بالسّلاح والصّبية بالدُّفوف لما في الصّحيحين: بينما الحبشةُ يلعبون عند النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحرابهم دخل عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، قال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعهم يا عُمرُ»، وكره مالكٌ لعبهم في المسجد، ويُحملُ الحديثُ أنّهم كانوا يُرون من المسجد، وفيهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّ أبا بكرٍ دخل عليها في أيّام منًى وعندها جاريتان تضربان بالدف والنّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسجًّى عليه بثوبٍ، فانتهرهما فكشف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهه فقال: «دعهما يا أبا بكرٍ؛ فإنّها أيّامُ عيدٍ»[3].

---

(١) ينظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي بتصرف يسير ٢/ ٢٦١، وما بعدها، إعداد: مجموعة باحثين، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٤/ ١٦٦.

(٣) ينظر: الذخيرة للقرافي ٢/ ٤٢٦ لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن =

٢٨ـ مسألة جواز لعب الصغار في المسجد بما لا معصية فيه:

لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (لقد رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا على باب حُجرتي والحبشةُ يلعبون في المسجد، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستُرُني بردائه، أنظُرُ إلى لعبهم. متفق عليه)[١].

٢٩ـ مسألة حكم تقبيل الجبهة:

صرّح الفُقهاءُ بجواز تقبيل الرّجُل جبهة الرّجُل، ووجهه، ورأسه، إذا كان على وجه المبرّة والإكرام، أو الشّفقة عند اللقاء والوداع، واحترامًا مع أمن الشّهوة، وقد ثبت أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عانق جعفرًا حين قدم من الحبشة وقبّل بين عينيه[٢].

٣٠ـ مسألة ما يستحب في المؤذن (أن يكون في ولد من جعل فيه):

قال النووي: (وينبغي أن يكون عارفًا بالمواقيت؛ لأنّه إذا لم يكُن عارفًا غرّ النّاس بأذانه، والمُستحبُّ أن يكون مِن ولد مَن جُعل الأذانُ فيهم، أو من الأقرب فالأقرب إليهم؛ لما روى أبو محذورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جعل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأذان لنا». وروى أبو هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُلكُ في قُريشٍ والقضاءُ في الأنصار والأذانُ في الحبشة**»...)[٣].

= المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(١) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي ٢/ ١٧٥، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١٥/ ١٠٥.

(٣) ينظر: المجموع شرح المهذب ٣/ ١٠٢ مع تكملة السبكي والمطيعي، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٣١ـ مسألة حكم الذبح بمدى الحبشة (أي آلة الذبح عندهم):

وهو حرام؛ لما جاء في الحديث؛ قال السرخسي: (وعن رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أنهر الدّم وأفرى الأوداج فكُل ما عدا السّنّ والظُّفر والعظم، فإنّها مُدى الحبشة**». والمُرادُ بيانُ آلة الذّبح، وفيه دليلٌ أنه يُشترطُ للذكاة آلةٌ مُحدّدةٌ يحصُلُ بها إنهارُ الدّم، وإفراءُ الأوداج، والإنهارُ التّسييلُ، ومنه سُمّي النّهرُ؛ لأنّ الماء يسيلُ فيه، والنّهارُ تجري فيه الشّمسُ بمرأى العين من العباد، والإفراءُ القطعُ، والمُرادُ بالأوداج الحُلقومُ والمريءُ والودجان، وفي هذا بيانُ أنّ المطلوب من الذّكاة تمييزُ الطّاهر من النّجس بتسييل الدّم من الحيوان، والمُرادُ بما استُثني من السنّ والظُّفر المُركّب؛ لأنّه باستعمال ذلك يصيرُ قاتلًا لا ذابحًا، فإنّهما منهُ، وآلةُ الذّبح غيرُ الذّابح، وإنّما يحصُلُ بانقطاع الأوداج بالقوة لا بحدّة الآلة، ألا ترى أنّه قال: «**فإنّها مُدى الحبشة**»، وهم إنّما يعتادون الذّبح بسنّ أنفُسهم، وظُفُر أنفُسهم، وذلك يحرُمُ بالاتّفاق)[1].

٣٢ـ مسألة: حكم عمل نبيذ الأُسكُرُكة[2] (خمر الحبشة) وبيعه:

قال ابن رشد: الأسكركة هي الغبيراء التي سئل عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما ذكره مالك في موطئه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، فقال: (لا خير فيها ونهى عنها)، وهو شراب يعمل من الأرز، روي عن صفوان بن محرز قال: سمعت أبا موسى يخطب على هذا المنبر وهو يقول: (ألا إن خمر أهل المدينة البسر والتمر،

---

(١) ينظر: المبسوط ١١/ ٢٢٧، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) الأسكركة: بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف الأولى وفتح الثانية وبينهما راء ساكنة وضبطناه أيضًا بالسين المضمومة هو شراب الذرة. ينظر: الذخيرة للقرافي ١٢/ ٢٠١.

وخمر أهل فارس العنب، وخمر أهل اليمن البتع وهو العسل، وخمر الحبشة الأسكركة وهو الأرز). وقد قيل في الأسكركة: إنه نبيذ الذرة، وقيل: إنها التي تسمى بمصر فقاع الشعير. فالأسكركة وسائر الأنبذة والأشربة التي تسكر بمنزلة الخمر في تحريم القليل والكثير منها[1].

٣٣. مسألة: استعمال ما يصنعه غير المسلمين:

وحكمه الجواز: (لما في صحيح مُسلمٍ: كان خاتمُ رسول الله ﷺ من ورقٍ، وكان فصُّه حبشيًّا، أي: كان صانعُه حبشيًّا، أو كان مصنوعًا كما يصنعُه أهل الحبشة، فلا يُنافي رواية: أنّ فصّه منهُ)[2].

٣٤. مسألة حكم استئجار الكفار في أمور المسلمين:

قال أبو عمر الدبيان: (اختار بعض أهل العلم ومنهم البخاري في صحيحه أنه لا يجوز استئجار الكافر إلا في حال الضرورة، فقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله: «باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، وعامل النبي ﷺ يهود خيبر». قال الحافظ في الفتح: (هذه الترجمة مشعرة بأن المصنف يرى بامتناع استئجار المشرك حربيًّا كان أو ذميًّا إلا عند الاحتياج إلى ذلك، كتعذر وجود مسلم يكفي في ذلك، وقد روى عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب، قال: لم يكن للنبي ﷺ عمال يعملون بها نخل خيبر، وزرعها، فدعا النبي ﷺ يهود خيبر، فدفعها إليهم.. الحديث). وفي قصة استشهاده بقصة معاملة

(١) ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٨/ ٥٥١)، لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١١/ ٣٤.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهود خيبر على أن يزرعوها، وباستئجاره الدليل المشرك لما هاجر على ذلك نظر؛ لأنه ليس فيها تصريح بالمقصود من منع استئجارهم). وعقب المؤلف بما يدل على الجواز: (استئجار الكفار على أمور البناء والخياطة والصناعات، ودليله: قد استعان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنجاشي في هجرة أصحابه إلى الحبشة، واستعان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبد الله بن أريقط كدليل له في هجرته إلى المدينة، واستعان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمطعم بن عدي في إجارته له حين رجع من الطائف إلى مكة)[1].

٣٥. مسألة حكم الاحتفالات والندوات والإنشاد في المسجد:

قال الدكتور فضل بن عبد الله: (والاحتفالات والندوات والإنشاد في المساجد جائز، لحدوث ما يدل على ذلك في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كان ينصب المنبر لإلقاء حسان الشعر، وكان الحبشة يرقصون في المسجد وهو ينظر، وكذا يجوز مداواة مريض في المسجد)[2].

٣٦. مسألة حكم صيد دجاج الحبش للمحرم:

(يُختلفُ في دجاج الحبش وتُسمّى الدّجاجة السّنديّة وهي تُشبه الدّجاج، فقال الشّافعيُّ في دجاج الحبشة: الجزاءُ؛ لأنّها وحشيّةٌ، وعن ابن حنبلٍ لا جزاء فيه، ومُقتضى المذهب ـ المالكي ـ أن يُنظر، فإن كانت ممّا يطيرُ كانت على حُكم الحمام الذي في الدّور انتهى والله أعلمُ)[3].

---

(١) ينظر: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة ٩/ ١٨٤، لأبي عمر دبيان بن محمد الدبيان، تقديم: مجموعة من المشايخ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

(٢) ينظر: المقدمة في فقه العصر ١/ ٤٦٠.

(٣) ينظر: مواهب الجليل على مختصر خليل ٣/ ١٦٨.

وفي تحفة المحتاج: الخامسُ من المُحرّمات على الذّكر وغيره اصطيادُ كُل حيوانٍ مأكولٍ برّيٍّ مُتوحّشٍ جنسُهُ، وإن استأنس هو كدجاج الحبشة، كما استُفيد ذلك من ذكر الاصطياد؛ إذ المصيدُ حقيقةً كُل مُتوحّشٍ طبعًا لا يُمكنُ أخذُه إلا بحيلةٍ طيرًا كان أو دابّةً مُباحًا أو مملوكًا؛ قال تعالى ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[1]...)[2].

٣٧.مسألة: عدم جواز ابتداء الحبشة بالحرب:

قال ابن رشد: (روي عن مالكٍ أنّه قال: لا يجوزُ ابتداءُ الحبشة بالحرب ولا التّركُ؛ لما روي أنّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «ذروا الحبشة ما وذرتكُم». وقد سُئل مالكٌ عن صحّة هذا الأثر، فلم يعترف بذلك، لكن قال: لم يزل النّاسُ يتحامون غزوهم)[3].

٣٨.مسألة حكم لعب الشطرنج وشهادة لاعبه:

قال أبو الحسين العمراني الشافعي: (والدليل على أنه مكروه: ما روى الحسن عن جماعة من الصحابة: «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن اللعب بالشطرنج». وروي: أن عليا كرم الله وجهه مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾[4]، وروي عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (اللاعب بالشطرنج أكذب

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٦).

(٢) ينظر: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج ٤/ ١٧٨، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحياني، دار حراء – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٣) ينظر: بداية المجتهد ٢/ ١٤٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: (٥٢).

الناس، يقول: قتلت، والله ما قتل). قال الشافعي رحمه الله تعالى: (ولأنه ليس من أفعال المروءات والديانات، وإنما يفعله من لا ديانة له) فكرهه. ولأنه يأتي بألفاظ لا حقيقة لها، كقوله: شاه مات، وأكلت الفرس، وأكلت الفيل. ولا يفسق بذلك، ولا ترد به الشهادة. وبه قال مالك، وقال أبو حنيفة: (ترد به الشهادة) ودليلنا: أن الشطرنج موضوع على تعلّم تدبير أمر الحرب، وربما يتعلّم الإنسان بذلك القتال، وكل سبب يتعلم به أمر الحرب والقتال.. كان مباحًا؛ بدليل ما روي «عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (مررت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوم من الحبشة يلعبون بالحراب، فوقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إليهم، ووقفت من خلفه، فكنت إذا عييت.. جلست، وإذا قمت.. أتقي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »، ولأنه أخف ممن يرى استباحة نكاح المتعة، وبيع الدرهم بالدرهمين، وإتيان النساء في أدبارهن، فإذا لم ترد الشهادة بهذه الأسباب.. فلأن لا ترد باللعب بالشطرنج أولى)[1].

٣٩ـ مسألة: حكم شهادة المتسابق في المسابقات المشروعة:

قال ابن قدامة: (فأمّا المُسابقةُ المشروعةُ، بالخيل وغيرها من الحيوانات، أو على الأقدام، فمُباحةٌ لا دناءة فيها، ولا تُردُّ به الشّهادةُ، وقد ذكرنا مشروعيّة ذلك في باب المُسابقة. وكذلك ما في معناه من الثّقاف، واللعب بالحراب. وقد لعب الحبشةُ بالحراب بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقامت عائشةُ خلفه تنظُرُ إليهم، وتستترُ به، حتى ملت. ولأنّ في هذا تعلمًا للحرب، فإنّه من آلاته، فأشبه المُسابقة بالخيل والمُناضلة، وسائر اللعب، إذا لم يتضمّن ضررًا، ولا شغلًا عن فرضٍ، فالأصلُ

(١) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي ١٣/ ٢٨٧، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

إباحتُهُ، فما كان منه فيه دناءةٌ يترفّعُ عنه ذوو المُروءات، منع الشّهادة إذا فعله ظاهرًا، وتُكرّر منهُ، وما كان منه لا دناءة فيه، لم تُردّ بها الشّهادةُ بحالٍ)[1].

٤٠.مسألة: حكم إطالة الأظفار:

(يحرم لأن إطالة الأظفار من شيم الحبشة، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما الظفر فمدى الحبشة». ومن العجب أن الشيطان لعب على بعض النساء حتى أصبحن يطلن ظفر الخنصر، فهذا حرام؛ لأن هذا تشبه بالكفار؛ ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقّت في الظفر، والشارب، والإبط، والعانة ألا تترك فوق أربعين يومًا)[2].

٤١.مسألة: في استحباب استرضاء الزوجة:

قال الإمام الزركشي: (كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبعُ رضاها كلعبها باللعب، ووقوفه في وجهها لتنظُر إلى الحبشة يلعبون، واستنبط العُلمَاءُ من ذلك أحكامًا كثيرةً فما أعظم بركتها)[3].

٤٢.مسألة: في إقرار المثل في المعاملات المالية مع الآخر:

قال الإمام الطحاوي: (ففي مقدار العشور قال: وإنّما ذهب أصحابنا في اعتبار

---

(١) ينظر: المغني ١٠/ ١٥٣، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة.

(٢) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٢/ ٤٠٤، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

(٣) ينظر: الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة ١/ ٤٣، لأبي عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

ما يُؤخذ من الحربيّ بما يأخُذون منا بما روى ابن المُبارك قال: أخبرنا ابن عُيينة عن ابن أبي نجيح، أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل المُسلمين الذين يدخلون أرض الحبشة، كيف يصنعون بكم إذا دخلتُم أرضهم؟ قالوا: يأخُذون منا عشر ما بعنا. قال: فخُذوا منهم مثل ما يأخُذون منكُم)[1].

٤٣ـ مسألة في بيان أول موروث في الإسلام:

قال الشيخ العلامة خليل المالكي: (أول موروث في الإسلام عدي بن نوفل ابن عبد العزى، هاجر هو وابنه النعمان إلى أرض الحبشة فمات بها، وورثه ولده هناك، فكان أول وارث)[2]

٤٤ـ مسألة ما ينبغي استخدامه من المعاريض:

قال السهيلي: (وذكر الكتابُ الذي كتبه النجاشيّ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعله بين صدره وقبائه، وقال للقوم: أشهدُ أنّ عيسى لم يزد على هذا، وفيه من الفقه أنّه لا ينبغي للمُؤمن أن يُكذّب كذبًا صُراحًا، ولا أن يُعطي بلسانه الكُفر، وإن أُكره ما أمكنه الحيلةُ، وفي المعاريض مندوحةٌ عن الكذب)[3].

---

(١) ينظر: مختصر اختلاف العلماء ١/ ٤٦٥، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧.

(٢) ينظر: لوامع الدرر في هتك أستار المختصر ١٤/ ٥٦٠، شرح «مختصر خليل»، للشيخ خليل ابن إسحاق الجندي المالكي (ت: ٧٧٦ هـ)، لمحمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (١٢٠٦-١٣٠٢هـ) تصحيح وتحقيق: دار الرضوان نواكشوط - موريتانيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٣) ينظر: الروض الأنف، تعليق: الدكتور الوكيل ٣/ ٢٦١.

وختامًا...

فإنني أؤكد ـ بعد سرد هذه المسائل ـ أن هناك أكثر منها، ولعلي أصبت في بيان أهمها، لكن النصوص التي وردت في الحبشة تحمل زخمًا من هذه المسائل والفوائد الجديرة بتجميعها وبيان التفصيل والمذاهب فيها.

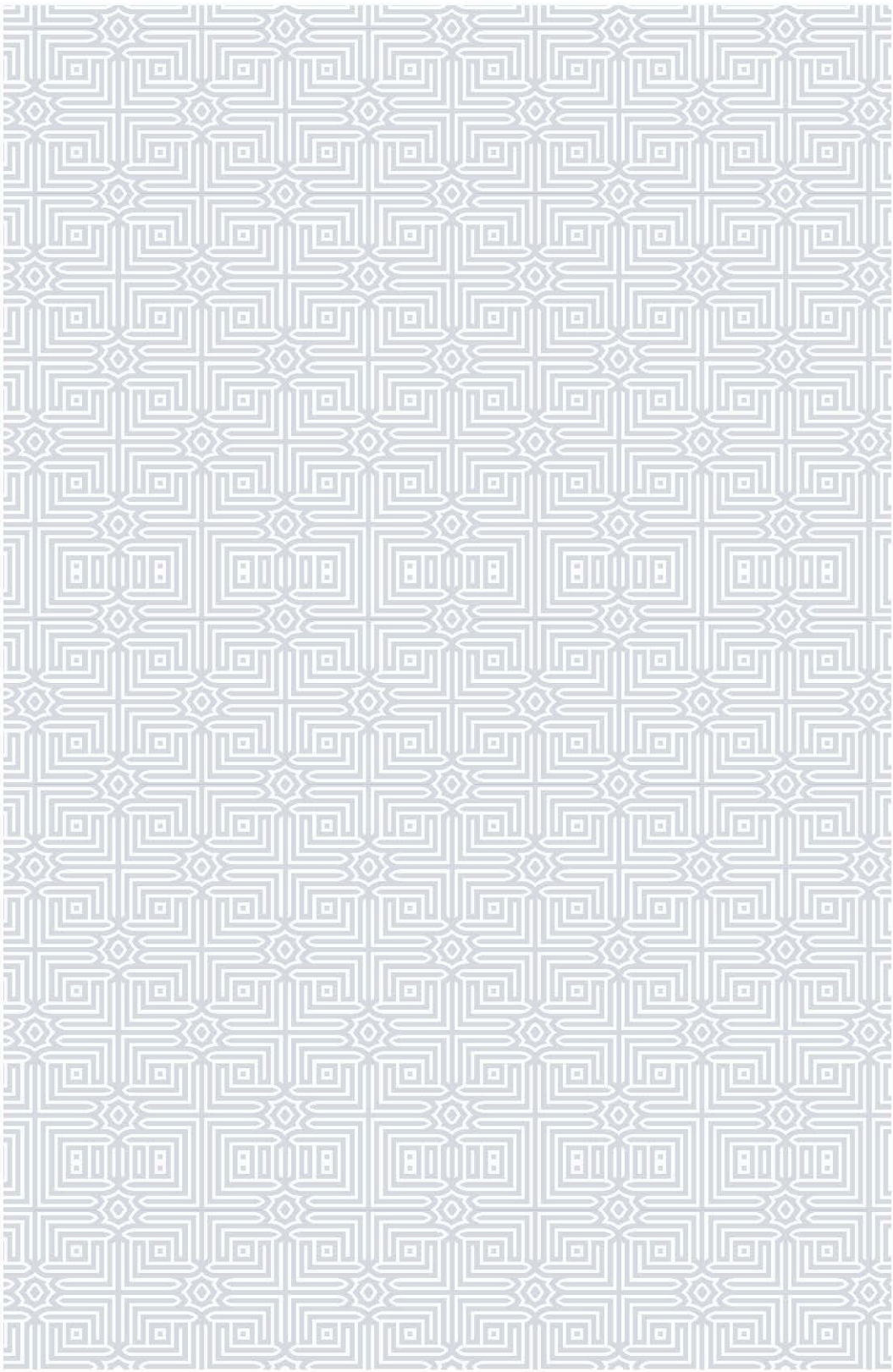
أسأل الله تعالى أن تخرج في بحث يؤكد صاحبه من خلاله ما يبنى على اختلاف الأرض والبيئة والثقافات من فتاوى، وأن المستجدات قد أعارها الشارع الحكيم اهتمامًا عظيمًا، وفقنا الله لفهم كتابه وسنة نبيه ﷺ.





أحاديث
الهجرة إلى الحبشة





أحاديث الهجرة إلى الحبشة
جمعًا ودراسة

جاءت أحاديث وروايات الهجرة إلى الحبشة على قسمين:

القسم الأول: الأحاديث الطوال للهجرة المباركة، وهي من حديث كلٍّ من: أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجعفر بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

والقسم الثاني: أحاديث مختصرة لبعضٍ من مشاهد ومواقف الهجرة، وفي هذا الفصل سأكتفي بتخريج ودراسة الأحاديث الطوال تاركًا تخريج ودراسة القسم الثاني عند الاستدلال به في مكانه وموضعه.

الأحاديث الطوال
في الهجرة إلى الحبشة

١ـ حديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال الإمام أحمد: حدّثنا يعقوبُ، حدّثنا أبي، عن مُحمّد بن إسحاق، حدّثني مُحمّدُ بنُ مُسلم بن عُبيد الله بن شهابٍ، عن أبي بكر بن عبد الرّحمن بن الحارث ابن هشامٍ المخزوميّ، عن أُمّ سلمة ابنة أبي أُميّة بن المُغيرة، زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشيّ، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ، فلمّا بلغ ذلك قُريشًا، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشيّ فينا رجُلين جلدين، وأن يُهدوا للنّجاشيّ هدايا ممّا يُستطرفُ من متاع مكّة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدمُ، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يترُكوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هديةً، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة ابن المُغيرة المخزوميّ، وعمرو بن العاص بن وائلٍ السّهميّ، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريقٍ هديّته، قبل أن تُكلموا النجاشيّ فيهم، ثم قدّموا للنجاشيّ هداياه، ثم سلوه أن يُسلمهم إليكُم قبل أن يُكلمهم، قالت: فخرجا فقدما على النجاشيّ، ونحنُ عنده بخير دارٍ، وعند خير جارٍ، فلم يبق من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلما النجاشيّ، ثم قالا لكُل بطريقٍ منهم: إنّه قد صبا إلى بلد الملك منّا غلمانٌ سُفهاءُ، فارقوا دين قومهم ولم يدخُلوا في دينكُم، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفُه نحنُ ولا أنتُم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم

لنرُدّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فتُشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يُكلمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنّهما قرّبا هداياهم إلى النجاشيّ فقبلها منهما، ثم كلماهُ، فقالا لهُ: أيُّها الملكُ، إنّه قد صبا إلى بلدك منّا غلمانٌ سُفهاءُ، فارقوا دين قومهم، ولم يدخُلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفُه نحنُ ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرهم، لترُدّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكُن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشيُّ كلامهم، فقالت بطارقتُه حولهُ: صدقوا أيُّها الملكُ، قومُهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا هيمُ الله، إذا لا أُسلمُهم إليهما، ولا أُكادُ قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم: ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان أسلمتُهم إليهما ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاهم فلمّا جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرجُل إذا جئتُموهُ؟ قالوا: نقولُ والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كائنٌ في ذلك ما هو كائنٌ.

فلمّا جاءوهُ، وقد دعا النجاشيُّ أساقفتهُ، فنشروا مصاحفهم حولهُ، سألهم فقال: ما هذا الدّينُ الذي فارقتُم فيه قومكُم، ولم تدخُلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأُمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فقال لهُ: أيُّها الملكُ، كُنّا قومًا أهل جاهليةٍ نعبدُ الأصنام، ونأكُلُ الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، يأكُلُ القويُّ منّا الضّعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا نعرفُ نسبهُ، وصدقهُ، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّدهُ، ونعبُدهُ، ونخلع ما كُنّا نعبُدُ نحنُ وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المُحصنة، وأمرنا أن نعبُد الله وحده لا نُشركُ به شيئًا، وأمرنا بالصّلاة، والزّكاة، والصّيام.

قال: فعدّد عليه أُمور الإسلام، فصدّقناه وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحدهُ، فلم نُشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كُنّا نستحل من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا، وشقّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيُّها الملكُ.

قالت: فقال له النجاشيُّ: هل معك ممّا جاء به عن الله من شيءٍ؟

قالت: فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النجاشيُّ: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيتهُ، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشيُّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرُجُ من مشكاةٍ واحدةٍ، انطلقا فوالله لا أُسلمُهم إليكُم أبدًا، ولا أُكادُ.

قالت أمُّ سلمة: فلمّا خرجا من عنده، قال عمرو بنُ العاص: والله لأنبئنّهم

غدًا عيبهم عندهم، ثم أستاصلُ به خضراءهم، قالت: فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرّجُلين فينا ـ: لا تفعل فإنّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنّه أنّهم يزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيُّها الملكُ، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عمّا يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألُهم عنهُ.

قالت: ولم ينزل بنا مثلُهُ، فاجتمع القومُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكُم عنهُ؟ قالوا: نقولُ والله فيه ما قال اللهُ، وما جاء به نبيُّنا كائنًا في ذلك ما هو كائنٌ، فلمّا دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفرُ بنُ أبي طالبٍ: نقولُ فيه الذي جاء به نبيُّنا: هو عبدُ الله ورسولُهُ، وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشيُّ يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابنُ مريم ما قُلت هذا العود، فتناخرت بطارقتُه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتُم والله، اذهبوا، فأنتُم سُيومٌ بأرضي ـ والسُّيومُ: الآمنون ـ من سبّكُم غُرّم، ثم من سبّكُم غُرّم، فما أُحبُّ أنّ لي دبرًا ذهبًا، وأنّي آذيتُ رجُلًا منكُم ـ والدّبرُ بلسان الحبشة: الجبلُ ـ رُدّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرّشوة حين ردّ عليّ مُلكي، فآخُذ الرّشوة فيه وما أطاع النّاس فيّ، فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحَين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ.

قالت: فوالله إنّا على ذلك إذ نزل به ـ يعني من يُنازعُه في مُلكه ـ قال: فوالله

ما علمنا حُزنًا قطُّ كان أشدّ من حُزنٍ حزنّاه عند ذلك، تخوُّفًا أن يظهر ذلك على النجاشيّ، فيأتي رجُلٌ لا يعرفُ من حقّنا ما كان النجاشيُّ يعرفُ منهُ.

قالت: وسار النجاشيُّ وبينهما عُرضُ النّيل.

قالت: فقال أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من رجُلٌ يخرُجُ حتى يحضُر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

قالت: فقال الزُّبيرُ بنُ العوام: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا.

قالت: فنفخوا له قربةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النّيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنجاشيّ بالظُّهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوسق عليه أمرُ الحبشة، فكُنّا عنده في خير منزلٍ، حتى قدمنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو بمكّة.

تخريج الحديث:

ـ أخرجه أحمد في مسند (حديث جعفر، وهو حديث أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٣٧/ ١٧٠) حديث رقم (٢٢٤٩٨) بلفظه، وابن راهويه في (مسند أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، (٤/ ٧١)، حديث رقم (١٨٣٥) من طريق جرير ابن حازم بلفظ مقارب، والطحاوي في مشكل الآثار (باب: بيان مشكل ما روي فيمن قرأ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾، (١٤/ ٢٤٤)، حديث رقم (٥٥٩٤) من طريق كل من يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعبد الله بن إدريس مختصرًا على حوار جعفر مع النجاشي، وابن خزيمة في (كتاب: الزكاة)، (باب: ذكر البيان أن فرض الزكاة قبل الهجرة...)، (٤/ ١٤)، حديث رقم (٢١١٤) من طريق سلمة

ابن الفضيل مختصرًا على جزء من حوار جعفر مع النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب: السير)، (باب: الإذن بالهجرة)، (٩/ ١٦)، حديث رقم (١٧٧٣٤) من طريق يونس بن بكير الشيباني بجزء من أوله، وأخرجه في الاعتقاد (باب: ذكر بعض ما يستدل به على حدوث العالم)، (١/ ٣٠)، حديث رقم (١١)، وفي شعب الإيمان مقدمة الكتاب، (باب: ألفاظ الإيمان)، (١/ ١٧٩)، حديث رقم (٨١) من طريق جرير بن حازم مختصرًا.

خمستهم (جرير بن حازم، ويحيى بن زكريا، وعبد الله بن إدريس، سلمة بن الفضيل، يونس بن بكير) عن محمد بن إسحاق به.

دراسة إسناد الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

ـ يعقوبُ بنُ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم القُرشي، الزُّهري أبو يوسف المدني، روى عن: أبيه، والليث، وشعبة بن الحجاج وعدة، وعنه: الحسن الحلواني، وأحمد بن حنبل، وابن أخيه عبيد الله بن سعد بن إبراهيم، وجماعة، وقال ابن سعد، والعجلي، وابن معين، وابن حجر: (ثقة) زاد ابن سعد: (مأمون)، وقال أبو حاتم: (صدوق)، وقال الذهبي: (حجة)، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة ثمان ومائتين[1]، والخلاصة فيه: ثقة.

ـ إبراهيمُ بنُ سعد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف أبو إسحاق المدني، ولد سنة ثمان ومائة، روى عن: أبيه سعد، ومحمد بن إسحاق، وشعبة بن الحجاج، وعدة، وروى عنه: عبد العزيز بن عبد الله، وابن مهدي، وعبد الله بن مسلمة

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٤٣، ومعرفة الثقات ٢/ ٣٧٢، والجرح والتعديل ٩/ ٢٠٢، والثقات ٩/ ٢٨٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٨-٣١٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٣، وتقريب التهذيب ص ٦٠٧.

القعنبي، وجماعة، قال أحمد، وابن معين، والعجلي، وابن حجر:(ثقة)، زاد ابن معين: (حجة)، وزاد ابن حجر: (حجة تكلم فيه بلا قادح)، وقال الذهبي: (من كبار العلماء)، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة خمس وثمانين ومائة، روى له الجماعة[١]، فهو ثقة حجة.

ـ **مُحمدُ بنُ إسحاق بن يسار[٢] بن خيار[٣] المدنّي أبو بكرٍ[٤]**، ويقال: أبو عبدالله القُرشي المُطّلبي[٥]، روى عن: صالح بن كيسان، والزهري، وأبان بن صالح، وغيرهم، وروى عنه: زياد بن الطفيل، وشريك بن عبدالله، وجرير بن عبدالحميد، وغيرهم، قال أحمد: (حسن الحديث)، وقال البخاري: (رأيت ابن المديني يحتج بحديثه)، وقال شعبة: (هو أمير المحدثين)، وقال ابن معين: (كان ثقة وكان حسن الحديث)، وقال الشافعي: (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال علي محمد بن إسحاق)، وقال العجلي: (ثقة) ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد: (كان محمد ثقة، وقد روى الناس عنه)، وقال أبو حاتم: (ليس عندي في الحديث بالقوي، ضعيف الحديث يكتب حديثه)، وقال الذهبي: (الإمام الحافظ، مصنف المغازي، كان صدوقًا، من بحور العلم، وله غرائب في سعة ما روي، وحديثه حسن، وقد صححه جماعة)، وقال ابن حجر: (صدوق يدلس[٦]،

---

(١) ترجمته في: معرفة الثقات ١/ ٢٠١، والجرح والتعديل ٢/ ١٠١، والثقات ٦/ ٧، وتهذيب الكمال ٢/ ٨٨: ٩٤، والكاشف ١/ ٢١٢، وتقريب التهذيب ١/ ٨٩.

(٢) يسار: أوله ياء معجمة باثنتين من تحتها وسين مهملة. ينظر: الإكمال ١/ ٣١٧.

(٣) خيار: أوله خاء مكسورة بعدها ياء مفتوحة. ينظر: الإكمال ٢/ ٤٣.

(٤) أبو بكر: كنيته مذكورة في: فتح الباب ١/ ١٠٩.

(٥) المطلبي: بضم الميم وفتح الطاء المشددة وبعد اللام المكسورة باء موحدة هذه النسبة إلى المطلب بن عبد مناف... ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٢٢٥.

(٦) ذكره ابن حجر في المرتبة الرابعة في المدلسين، وهم: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء =

ورمي بالتشيع والقدر)، مات سنة خمسين ومائة، ويقال: بعدها، وممن تكلم في ابن إسحاق رجلان: (هشام بن عروة، ومالك بن أنس)، فأما هشام: فكلامه ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث، وأما مالك: فإنه كان ذلك منه مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يجب[1]، روى له البخاري تعليقًا، ومسلم، والأربعة[2]، **والخلاصة:** أنه صدوق يدلس.

ـ **مُحمدُ بنُ مُسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهابٍ الزُهري**[3] القرشي الفقيه أبو بكرٍ[4] الحافظ المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، روى عن: (عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعدة، وعنه: عطاء بن أبي رباح، ومحمد بن إسحاق، وجماعة)، قال الليث: (كان ابن شهاب يقول: ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته)، قال العجلي: (تابعي ثقة)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال معمر: (ما رأيت مثل الزهري)، سئل أبو زرعة عن الزهري، وعمرو بن دينار، فقال: (الزهري أحفظ الرجلين)، وقال الذهبي: (هو الإمام، العلم، حافظ زمانه)، وقال ابن حجر: (الحافظ، المتقن،

= من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل. ينظر: طبقات المدلسين، ص١٤.

(١) ذكر ابن حبان تفاصيل أقوال هشام، ومالك في ابن إسحاق والرد عليهم. ينظر: الثقات ٧/ ٣٨١.

(٢) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢١، والتاريخ الكبير ١/ ٤٠، ومعرفة الثقات ٢/ ٢٣٢، والجرح والتعديل ٧/ ١٩١، والثقات ٧/ ٣٨٠، ٣٨٥، والكامل ٦/ ١٠٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٥، والكاشف ٢/ ١٥٦، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٤، ولسان الميزان ١/ ٤٥٧، وتقريب التهذيب، ص٤٥٧.

(٣) الزهري: بضم الزاي وسكون الهاء وفي آخرها الراء. ينظر: اللباب ٢/ ٨٢.

(٤) أبو بكر: كنيته مذكورة في: فتح الباب في الكنى والألقاب ١/ ١٠٨.

الفقيه، متفق على جلالته، وإتقانه، وهو مات سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين، وولد سنة خمسين وقيل: إحدى وخمسين، وقيل غير ذلك، روي له الجماعة)[1].

ـ أبو بكر بنُ عبد الرّحمن بن الحارث بن هشامٍ المخزومي المدني، أحد الفقهاء السبعة[2]، قيل: اسمه محمد، وقيل: غير ذلك، والصحيح أن كنيته واسمه واحد، روى عن: أبي هريرة، وأمهات المؤمنين: عائشة، وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وجماعة، وعنه: خالد بن حرملة، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم، قال العجلي: (تابعي ثقة)، وقال ابن سعد: (كان ثقة فقيهًا كثير الحديث)، وقال ابن حجر: (ثقة فقيه عابد)، وذكره مع إخوته وقال: (كلهم أجلة ثقات يضرب بهم المثل)، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة أربع وتسعين، وقيل: غير ذلك روى له الجماعة[3].

ـ أمُ سلمة بنت أبي أُميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القُرشية أم المؤمنين، اسمها هند، تزوجها النبي بعد وفاة زوجها أبو سلمة، وكانت ممن أسلم قديمًا هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة، مناقبها كثيرة، وكانت صاحبة جمال،

(١) ينظر: ترجمته في: التاريخ الكبير ١/ ٢٢٠، ومعرفة الثقات ٢/ ٢٥٣، والجرح والتعديل ٨/ ٧٣، والثقات ٥/ ٢٤٩، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٢٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٧، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٥، وتقريب التهذيب، ص ٥٦.

(٢) الفقهاء السبعة هم أهل الفقه والعلم والفضل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم من التابعين، على اختلاف بين العلماء عليهم، وهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجة بن زيد، وعبيد الله ابن عبد الله، وسليمان بن يسار. ينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم ١/ ٤٣.

(٣) ينظر: ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٠٨، ومعرفة الثقات ٢/ ٣٨٨، والثقات ٥/ ٥٦٠، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١١٢: ١١٨، والكاشف ٢/ ٤١١، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٣٤، وتقريب التهذيب، ص ٦٢٣.

ورأي، وحكمة، يدل عليه ما فعلته مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية، روت عن: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنها: ابناها عمر وزينب، وأخوها عامر، ومواليها: عبد الله ابن رافع، ونافع، وخيرة والدة الحسن وخلق غيرهم، توفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة إحدى وستين، وقيل: اثنتين وستين، وقيل: في أواخر سنة ستين، صلى عليها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا، ودفنت بالبقيع، روى لها الجماعة[1].

الحكم على الحديث:

إسناده حسن؛ فيه محمد بن إسحاق وهو صدوق يدلس، وقد زالت عنه صفة التدليس هنا حيث صرح بالتحديث والسماع من الإمام الزهري، كما في رواية أحمد وغيره[2].

٢ـ حديث جعفر بن أبي طالب، وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

ـ أخرجه البزار، قال: (حدّثنا مُحمّدُ بنُ المُثنّى، قال: نا مُعاذُ بنُ مُعاذٍ، قال: نا ابنُ عونٍ، قال: نا عُميرُ بنُ إسحاق، قال: قال جعفرُ بنُ أبي طالبٍ: يا رسول الله، ائذن لي أن آتي أرضًا أعبُدُ الله بها لا أخافُ أحدًا حتى أموت، قال: فأذن له فأتى النجاشيّ فقال مُعاذٌ: حدّثني ابنُ عونٍ، قال: فحدّثني عُميرُ بنُ إسحاق، قال: حدّثني عمرو بنُ العاص، قال: لمّا رأيتُ جعفرًا وأصحابه آمنين بأرض الحبشة، قُلتُ:

(١) ترجمتها في: الطبقات الكبرى ٨/ ٨٧، وما بعدها، والاستيعاب ٤/ ١٩٢٠، وما بعدها، الإصابة ٨/ ٢٢٠، وما بعدها.

(٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه. ينظر: المسند ٣/ ٢٦٨.

لأقعنّ بهذا وأصحابه، فأتيتُ النجاشيّ، فقُلتُ: ائذن لعمرو بن العاص، فأذن لي فدخلتُ، فقُلتُ: إنّ بأرضنا ابن عمٍّ لهذا، يزعُمُ أن ليس للنّاس إلا إلهٌ واحدٌ، وأنا والله إن لم تُرحنا منهُ، وأصحابه لا أقطعُ إليك هذه النُّطفة أبدًا ولا أحدٌ من أصحابي، فقال: أين هو؟ قال: إنّه يجيءُ مع رسولك، إنّه لا يجيءُ معي، فأرسل معي رسولًا، فوجدناه قاعدًا بين أصحابه، فدعاه فجاء، فلمّا أتينا الباب ناديتُ ائذن لعمرو بن العاص ونادى خلفي ائذن لحزب الله عَزَّوَجَلَّ، فسمع صوتهُ، فاذن له فدخل، ودخلتُ فإذا النجاشيُّ على السّرير، وإذا جعفرٌ قاعدٌ بين يديه، وحوله أصحابُه على الوسائد، ووصف عُميرٌ السّرير، قال عمرٌو: فلمّا رأيتُ مقعده جئتُ حتى قعدتُ بينه وبين السّرير، وجعلتُه خلف ظهري، وأقعدتُ بين كُل رجُلين من أصحابه رجُلًا من أصحابي، قال: فسكت وسكتنا، وسكت وسكتنا، حتى قُلتُ في نفسي: لُعن هذا العبدُ الحبشيُّ، ألا يتكلمُ، ثم تكلم، فقال: نخّروا، قال عمرٌو: أي تكلموا، فقُلتُ: إنّ ابن عمّ هذا يزعُمُ أنّه ليس للنّاس إلا إلهٌ واحدٌ، وأنّك والله إن لم تقتُله لا أقطعُ إليك هذه النُّطفة أبدًا، أنا ولا أحدٌ من أصحابي، فقال: يا أصحاب عمرٍو، ما تقولون، قالوا نحنُ على ما قال عمرٌو، فقال: يا حزب الله، نخّر، قال: فتشهّد جعفرٌ، فقال عمرٌو: فوالله إنّه لأولُ يومٍ سمعتُ فيه التّشهُّد ليومئذٍ، فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُهُ، قال: فأنت فما تقولُ؟، قال: فأناعلى دينه، قال: فرفع يده فوضعها على جبينه، فيما وصف ابنُ عونٍ، ثم قال: أناموسٌ كناموس موسى؟ ما يقول في عيسى؟ قال: يقول: روحُ الله وكلمتُهُ، قال: فأخذ شيئًا من الأرض ما أخطا فيه، مثلُ هذه، وقال: لولا مُلكي لاتّبعتُكُم، اذهب أنت يا عمرو، فوالله ما أُبالي ألا تأتيني أنت، ولا أحدٌ من أصحابك أبدًا، واذهب أنت يا حزب الله، فأنت آمنٌ؛ مَن قاتلك قتلتُهُ، ومن سلبك غرمتُهُ، وقال لآذنه: انظُر هذا فلا تحجبه عنّي إلا أن أكون مع أهلي، فإن كُنتُ مع أهلي فأخبرهُ، فإن

أبى إلا أن تأذن له فأذن لهُ، قال: فلمّا كان ذات عشيّةٍ لقيتُه في السّكّة، فنظرتُ خلفه فلم أر خلفه أحدًا، فأخذتُ بيده فقُلتُ: تعلمُ أنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ مُحمّدًا رسولُ الله؟ قال: فغمزني وقال: أنت على هذا، وتفرّقنا فما هو إلا أن أتيتُ أصحابي، فكأنّما شهدوني وإيّاهُ، فما سألوني عن شيءٍ حتى أخذوني وطرحوني، فجعلوا على وجهي قطيفةً، وجعلوا يغمزوني، وجعلتُ أُخرجُ رأسي أحيانًا حتى انفلتُّ عُريانًا ما عليّ قشرةٌ، ولم يدعوا لي شيئًا إلا ذهبوا به، فأخذتُ قناع امرأةٍ، عن رأسها فوضعتُه على فرجي، فقالت لي: كذا، وقُلتُ: كذا، كأنّها تعجبُ منّي، قال: وأتيتُ جعفرًا فدخلتُ عليه بيته، فلمّا رآني، قال: ما شأنُك؟ قُلتُ: ما هو إلا أن أتيتُ أصحابي فكأنّما شهدوني وإيّاك، فما سألوني عن شيءٍ حتى طرحوا على وجهي قطيفةً غمّوني بها أو غمروني، وذهبوا بكُل شيءٍ من الدُّنيا هو لي، وما ترى عليّ إلا قناع حبشيّةٍ أخذتُه من رأسها، فقال: انطلق، فلما انتهينا إلى باب النجاشيّ نادى: ائذن بحزب الله وجاء آذنُهُ، فقال: إنّه مع أهله، فقال: استأذن لي عليه، فاستأذن له عليه فأذن لهُ، فلمّا دخل، قال: إنّ عمرًا قد ترك دينه واتّبع ديني، قال: كلا، قال: بلى، فدعا آذنهُ، فقال: اذهب إلى عمرٍو، فقُل له: إنّ هذا يزعُمُ أنّك قد تركت دينك، واتّبعت دينهُ، فقُلتُ: نعم، فجاء إليّ أصحابي حتى قُمنا على باب البيت، وكتبتُ كُل شيءٍ حتى كتبتُ المنديل، فلم أدع شيئًا ذهب إلا أخذتُهُ، ولو أشاءُ أن آخُذ من مالهم لفعلتُ، قال: ثم كُنتُ بعدُ في الذين أقبلوا في السُّفُن مُسلمين).

قال البزار: وهذا الحديثُ لا نعلمُه يُروى عن جعفرٍ، عن النبيّ ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا السّند، أخرجه البزار في (مسند جعفر بن أبي طالب)، (٤/ ١٥٣) حديث رقم (١٣٢٥).

ـ وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (باب: ذكر تكليم الله كليمه موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ)، (١/ ٤٣٢) من طريق ابن أبي عديٍّ، بلفظ مقارب، وأبو يعلى الموصلي في (مسند عمرو بن العاص)، (١٣/ ٣٣٥)، حديث رقم (٧٣٥٢) مختصرًا، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (٣/ ٥٣)، حديث رقم (١٩٨٤) نحوه، والطبراني في الأحاديث الطوال (١/ ٤١)، حديث رقم (١٨) جميعهم من طريق النضر بن شميل بنحوه، وكلاهما (ابن أبي عدي محمد بن إبراهيم السلمي، والنضر ابن شميل) عن عبد الله بن عون به.

ـ وأخرجه أحمد في مسنده (حديث جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، (٣/ ٢٦٣) حديث رقم (١٧٤٠) وهو نفس حديث أم سلمة السابق.

دراسة إسناد الإمام البزار:

ـ مُحمّدُ بنُ المُثنّى بن عُبيد بن قيس بن دينارٍ العنزي[1] أبو موسى البصري، روى عن معاذ بن هشام، وحفص بن غياث وجماعة، وعنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وعدة، قال يحيى بن معين: (ثقة)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: (كان ثقة ثبتًا احتج سائر الأئمة بحديثه)، وقال أبو حاتم: (صالح الحديث صدوق)، وقال النسائي: (لا بأس به كان يغير في كتابه)، وقال الذهبي، وابن حجر: (ثقة ثبت)[2]، فهو كما قال ابن حجر.

ـ مُعاذُ بنُ مُعاذ بن نصر بن حسّان العنبري.....

(١) العنزي ـ بفتح العين والنون وفي آخرها زاي ـ وهذه النسبة إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. اللباب ٢/ ٣٦١.

(٢) ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ٦٤٧، والثقات ٩/ ١١١، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٨٣- ٢٨٦، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٩-٣٦٥، والكاشف ٢/ ٢١٤، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٧-٣٧٨، وتقريب التهذيب ص ٥٠٥.

أبو المُثنّى[1] التميمي قاضي البصرة، روى عن: سعيد بن أبي عروبة، وحميد الطويل، وابن عون، وعدة، وعنه: ابناه عبيد الله المثنى، ويحيى بن معين، وعدة، قال أحمد: (معاذ بن معاذ قرة عين في الحديث)، وقال ابن معين، وابن سعد، وأبو حاتم: (ثقة)، وقال ابن نفطويه: (كان من الأثبات في الحديث)، وقال النسائي: (ثقة ثبت)، وقال ابن حجر: (ثقة متقن)، وذكره بن حبان في الثقات وقال: (كان فقيهًا عالمًا متقنًا)، مات سنة تسع وتسعين ومائة، روى له الجماعة[2]، فهو ثقة ثبت.

ـ عبدُ الله بنُ عون بنُ أرطبانٍ[3] المُزني أبو عونٍ[4] البصريّ، روى عن: ابن سيرين، والحسن البصري، والشعبي، وجماعة، وروى عنه: شعبة، وإسماعيل بن عُليّة، والنضر بن شميل وطائفة، قال ابن مهدي: (ما كان بالعراق أحد أعلم بالسنة من ابن عون)، وقال ابن معين: (ثبت)، وقال الذهبي: (أحد الأعلام)، وقال أبو حاتم، وابن سعد، والعجلي، والنسائي، وابن حجر: (ثقة)، زاد ابن سعد: (كثير الحديث ورع)، وزاد العجلي:(رجل صالح)، وزاد النسائي: (مأمون)، وزاد ابن حجر: (ثبت فاضل)، توفي سنة مائة وخمسين[5] روى له الجماعة، فهو إمام ثقة ثبت.

---

(١) أبو المثنى: كنيته مذكورة في: الكنى والأسماء لمسلم ٢/ ٧٨٢.

(٢) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٣، والجرح والتعديل ٨/ ٢٤٨، والثقات ٧/ ٧٨٢، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٣٢: ١٣٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٥، وتقريب التهذيب، ص٥٣٦.

(٣) أرطبان: بمفتوحة فساكنة مهملة فمفتوحة موحدة مخففة ونون. ينظر: المغني في ضبط أسماء الرجال، ص١٩.

(٤) أبو عون: كنيته مذكورة في: الكنى والأسماء، لمسلم ١/ ٦٠٤.

(٥) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٦١، ومعرفة الثقات ٢/ ٤٩، والجرح والتعديل ٥/ ١٣٠، والثقات ٧/ ٤:١٣، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤: ٤٠١، والكاشف ١/ ٥٨٢، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٠٣: ٣٠٤، وتقريب التهذيب ١/ ٣١٧.

ـ **عُميرُ**[1] **بنُ إسحاق أبو مُحمّدٍ القُرشي**، من التابعين، روى عن: الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمرو بن العاص، وعنه: ابن عون، ومحمد بن أبي حميد الأنصاري، وغيرهما.

قال أبو حاتم والنسائي: (لا نعلم روى عنه غيره). قال النسائي: (ليس به بأس)، وقال ابن معين في بعض الروايات، وكذا ابن عدي: (يُكتب حديثه)، وقال ابن معين في رواية أخرى: (ثقة)، وفي رواية: (لا يساوي شيئًا)، وذكره ابن حبان في الثقات، روى له البخاري في الأدب والنسائي.

والخلاصة كما قال ابن حجر: (مقبول)، والخلاصة كما قال النسائي: (ليس به بأس)[2].

ـ **جعفرُ بنُ أبي طالب بن عبد المُطّلب بن هاشم**، أبو عبد الله، ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحد السّابقين إلى الإسلام، وأخو علي؛ شقيقه. روى عن: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنه: ابنه عبد الله بن جعفر، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، مناقبه كثيرة، أحد الأمراء يوم مؤتة حتى قتل. قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين سنة[3].

ـ **عمرو بنُ العاص بن وائلٍ القُرشي**، أبو عبد الله وأبو مُحمّدٍ السهمي، أسلم سنة ثمان قبل الفتح بأشهر، وأمّره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيش ذات السلاسل،

---

(١) عمير: مصغرًا، المغني في ضبط أسماء الرجال، ص: ١٧٩.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ٤/ ٢٥٠، والجرح والتعديل ٦/ ٣٧٥، والثقات ٥/ ٢٥٤، والكامل ٥/ ٦٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦٩: ٣٧٠، والكاشف ٢/ ٩٦، وتهذيب التهذيب ٨/ ١٢٧، وتقريب التهذيب ١/ ٤٣١، ولسان الميزان ٧/ ٣٢٨.

(٣) ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر ١/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء١/ ٢٠٦، والإصابة ١/ ٥٩٢.

روى عنه: ابنه عبد الله، وعروة بن الزبير وآخرون، سكن مصر ومات بها سنة اثنين وأربعين وله سبعون سنة[1].

الحكم على الحديث:

إسناده حسن؛ فيه عمير بن شفيق، وهو مقبول حسن الحديث؛ وبقية رواته ثقات ورواية عمير عن عمرو عن جعفر ليدفع شبهة الانقطاع.

٣ـ حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام البخاري: (حدّثني مُحمّدُ بنُ العلاء، حدّثنا أبو أُسامة، حدّثنا بُريدُ بنُ عبد الله، عن أبي بُردة، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بلغنا مخرجُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحنُ باليمن، فخرجنا مُهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرُهم، أحدُهما أبو بُردة، والآخرُ أبو رُهمٍ، إمّا قال: بضعٌ، وإمّا قال: في ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجُلًا من قومي، فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشيّ بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالبٍ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين افتتح خيبر، وكان أُناسٌ من النّاس يقولون لنا، يعني لأهل السّفينة: سبقناكُم بالهجرة، ودخلت أسماءُ بنتُ عُميسٍ، وهي ممّن قدم معنا، على حفصة زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيّ فيمن هاجر، فدخل عُمرُ على حفصة، وأسماءُ عندها، فقال عُمرُ حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عُميسٍ، قال عُمرُ: الحبشيّةُ هذه البحريّةُ هذه؟ قالت أسماءُ: نعم، قال: سبقناكُم بالهجرة، فنحنُ أحقُّ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكُم، فغضبت وقالت: كلا والله، كُنتُم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطعمُ جائعكُم، ويعظُ

(١) ترجمته في: الاستيعاب ٣/ ١١٨٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٥، والإصابة ٤/ ٦٥٠.

جاهلكُم، وكُنّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايمُ الله لا أطعمُ طعامًا ولا أشربُ شرابًا، حتى أذكُر ما قُلت لرسول الله ﷺ، ونحنُ كُنّا نُؤذى ونُخافُ، وسأذكُرُ ذلك للنّبيّ ﷺ وأسألُهُ، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ، ولا أزيدُ عليه، فلمّا جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيّ الله، إنّ عُمر قال: كذا وكذا؟ قال: «**فما قُلت لهُ؟**» قالت: قُلتُ لهُ: كذا وكذا، قال: «**ليس بأحقّ بي منكُم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكُم أنتُم** ـ أهل السّفينة ـ **هجرتان**»، قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السّفينة يأتوني أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدُّنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفُسهم ممّا قال لهم النبيُّ ﷺ، قال أبو بُردة: قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنّه ليستعيدُ هذا الحديث منّي).

ـ أخرجه البخاري في (كتاب: المغازي)، (باب: غزوة خيبر)، (٥/ ١٣٧) حديث رقم (٣٩٣٠) بهذا اللفظ، وفي (كتاب: فرض الخمس)، (باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين...)، (٢/ ٦١١)، حديث رقم (٢٩١٩) به مختصرًا، وفي (كتاب: المناقب)، (باب: هجرة الحبشة)، (٢/ ٧٦٣)، حديث رقم (٣٦١٢) به مختصرًا، وفي (كتاب: المغازي)، (باب: غزوة خيبر)، (٥/ ١٣٧)، حديث رقم (٣٩٣٢) عن إسحاق بن إبراهيم عن حفص بن غياث عن بريد مختصرًا على جملة منه، ومسلم في (كتاب: فضائل الصحابة)، (باب: من فضائل جعفر ابن أبي طالب وأسماء بنت عميس...)، (١٦/ ٦٥)، حديث رقم (٤٥٦٤) عن محمد بن براد الأشعري ومحمد بن العلاء الهمداني بنحوه، والترمذي في (كتاب: السير)، (باب: ما جاء في أهل الذمة يغزون...)، (١/ ٤٢٣)، حديث رقم (١٤٧٩) من طريق حفص بن غياث عن بريد مختصرًا، وفيه قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، وأبو داود في (كتاب: الجهاد)، (باب: فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له)،

(٢/ ٤٦٩)، حديث رقم (٢٣٥٢) عن محمد بن العلاء مختصرًا على ذكر الغنيمة، وأحمد في (تتمة مسند الكوفيين)، (حديث أبي موسى الأشعري)، (٣٢/ ٤٠٧)، حديث رقم (١٩٦٤٣) من طريق حفص بن غياث عن بريد مختصرًا.

الحكم على الحديث:

حديث متفق عليه؛ رواه البخاري ومسلم، وغيرهم.

٤ـ حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ـ حدّثنا أبو داوُد قال: حدّثنا حُديجُ بنُ مُعاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله ابن عُتبة، عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: (بعثنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشيّ ونحنُ ثمانون رجُلًا ومعنا جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، وعُثمانُ بنُ مظعونٍ وبعثت قُريشٌ عُمارة وعمرو بن العاص وبعثوا معهما هديةً إلى النجاشيّ، فلمّا دخلا عليه سجدا له ودفعا إليه الهدية، وقالا: إنّ ناسًا من قومنا رغبوا عن ديننا، وقد نزلوا أرضك قال: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك. فبعث إليهمُ النجاشيُّ، قال: فقال جعفرٌ: أنا خطيبُكم اليوم فاتّبعوه، حتى دخلوا على النجاشيّ، فلم يسجُدوا له، فقال: ما لكُم لا تسجُدون للملك؟ فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث إلينا نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرنا ألّا نسجُد إلا لله، فقال النجاشيُّ: وما ذاك؟ فأخبر، فقال عمرو بنُ العاص: إنّهم يُخالفونك في عيسى! قال: فما تقولون في عيسى وأُمّه؟ قال: نقولُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، هو روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشرٌ ولم يفرضها ولد، فتناول النجاشيُّ عودًا فقال: يا معشر القسّيسين والرُّهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤُلاء ما يزنُ هذه، فمرحبًا بكُم وبمن جئتُم من عنده، فأنا أشهدُ له أنّه نبيٌّ، ولوددتُ أنّي عنده فأحملُ نعليه، أو قال: أخدُمُهُ، فانزلوا حيثُ شئتُم من أرضي، فجاء ابنُ مسعودٍ فبادر فشهد بدرًا).

ـ أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٢٧٠)، حديث رقم (٣٤٤)، وسعيد ابن منصور في سننه (كتاب: الجهاد)، (باب: رسائل النبي ﷺ ودعوته)، (٢/ ٢٢٧)، حديث رقم (٢٤٨١)، وأحمد في مسنده (مسند المكثرين من الصحابة ـ مسند ابن مسعود)، (٧/ ٤٠٨)، حديث رقم (٤٤٠٠) كلاهما عن حسن بن موسى الأشيب، عن حديج بن معاوية بنحوه، وفيه ذكر أبي موسى معهم وهو خطأ.

دراسة إسناد أبي دواد الطيالسي:

ـ حُديجُ بنُ مُعاوية بن حُديج بن الرَّحيل الجُعفيُّ الكوفيُّ، أخو زُهير بن مُعاوية. روى عن: أبي الزُّبير المكّيّ، وأبي إسحاق، وعنهُ: أبو داود الطيالسي، وسعيدُ بنُ منصورٍ، وأحمدُ بنُ يونُس، وغيرُهم، قال البُخاريُّ: (يتكلمون في بعض حديثه)، وقال أبو حاتمٍ: (محله الصّدقُ، يُكتبُ حديثُهُ)، وقال ابنُ معينٍ: (ليس بشيءٍ)، وقال النسائي، وابن ماكولا: (ليس بالقوي)، وقال أحمد: (لا أعلم إلا خيرًا)، وقال البخاري: (يتكلمون في بعض حديثه)، وقال ابن سعد: (كان ضعيفًا في الحديث)، وقال ابن عدي: (لحُديجٍ أحاديثُ غيرُ ما ذكرتُه عن مشايخه وعامّةُ أحاديثه ينفردُ به عمّن يروي عنه، وأرجو أنّه لا بأس به؛ لأنّي لم أر له حديثًا مُنكرًا قد جاوز الحد)، وقال ابن كثير: (جيد)، وقال ابن حجر: (صدوق يخطئ)، مات سنة إحدى وسبعين ومائةٍ[1]، قلت: فهو لا بأس به، وقول ابن عدي بعد سرد مروياته قول معتمد.

ـ أبو إسحاق[2] هو السبيعي عمرو بنُ عبد الله بن عُبيدٍ الهمداني الكوفي، من التابعين، روى عن: البراء بن عازب رضي الله عنه، وجابر بن سمرة رضي الله عنه، وعمرو

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٣/ ٣١١، والكامل في الضعفاء ٣/ ٣٥٩، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢١٨، وتقريب التهذيب، ص١٥٤.

(٢) أبو إسحاق: كنيته مذكورة في: المقتنى في سرد الكنى ١/ ٦٣.

ابن شرحبيل وعدة، وروى عنه: شريك بن عبد الله النخعي، والأعمش، وطائفة غيرهما، قال ابن معين، وأحمد، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي، وابن عساكر، والذهبي، وابن حجر: (ثقة)، زاد أبو حاتم: (يُشبه الزهري في الكثرة)، وزاد الذهبي: (حجة بلا نزاع، وقد كبر، وتغير حفظه تغير السن، ولم يختلط)، وزاد ابن حجر: (مكثر عابد اختلط بأَخَرَة[1]) توفي سنة تسع وعشرين ومائة، روى له الجماعة[2].

والخلاصة: أنه ثقة ثبت.

ـ عُبيدُ الله بنُ عبد الله بن عُتبة[3] بن مسعودٍ، أبو عبد الله المدنّي الفقيه الأعمى، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى له الجماعة، روى عن: أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة، وروى عنه: الزهري، وأبو الزناد، وكثير، اتفق العلماء على فضله وتدينه وعلمه، قال الزُهري: (ما جالستُ أحدًا من العلماء إلا وأرى أني قد أتيت على ما عنده، وقد كنت أختلف إلى عروة بن الزبير حتى ما كنت أسمع منه إلا مُعادًا، ما خلا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة؛ فإني لم آته إلا وجدت عنده

---

(١) تحدث الإمام العلائي في كتابه (المختلطين) عن أبي إسحاق السبيعي قرابة الصفحتين، وناقش قول من قال باختلاطه ثم قال: (ولم يعتبر أحد من الأئمة ما ذكر من اختلاط أبي إسحاق احتجوا به مطلقا، وذلك يدل على أنه لم يختلط في شيء من حديثه)، وذكره في القسم الأول من الكتاب وهو: (من لم يوجب ذلك له ضعفًا أصلًا، ولم يحط من مرتبته إما لقصر مدة الاختلاط وقلته، وإما لأنه لم يرو شيئًا حال اختلاطه فسلم حديثه من الوهم)، ينظر: المختلطين، ص ٩٣ وما بعدها.

قلت: ولعل ذلك سبب قول الذهبي فيه ما قاله: بأنه تغير حفظه تغير السن ولم يختلط.

(٢) ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٣٤٧، ومعرفة الثقات ٢/ ١٣٩، والجرح والتعديل ٦/ ٢٤٢، والثقات ٥/ ١٧٧، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١١٢: ١٠٢، والكاشف ٢/ ٨٢، وتهذيب التهذيب ٨/ ٥٦: ٥٨، وتقريب التهذيب، ص٤٢٣.

(٣) عتبة: بضم العين وسكون التاء الفوقية المثناة، المغني في ضبط أسماء الرجال، ص١٧٠.

علمًا طريفًا). وقال ابن حبان في الثقات: (كان من سادات التابعين). وقال الطبري: (كان مقدمًا في العلم والمعرفة بالأحكام والحلال والحرام، وكان مع ذلك شاعرًا مجيدًا). وقال الذهبي: (كان من بحور العلم). وقال العجلي وأبو زرعة وابن حجر: (ثقة)، زاد العجلي: (رجل صالح، جامع للعلم، وهو معلم عمر بن عبد العزيز)، وزاد أبو زرعة: (مأمون إمام)، وزاد ابن حجر: (فقيه ثبت)، توفي سنة أربع وتسعين وقيل غير ذلك[1].

ـ عبدُ الله بنُ مسعود بن غافلٍ[2] بن حبيبٍ الهُذلي أبو عبد الرّحمن[3] صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عن: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروى عنه: البراء بن عازب، وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وجماعة، أسلم بمكة قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو صاحب نعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول من جهر بالقرآن، وكان من علماء الصحابة، أمّره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الكوفة، توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين[4].

الحكم على الحديث:

إسناده حسن؛ لوجود حديج بن معاوية، وهو لا بأس به.

---

(١) ينظر: ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٥٠، ومعرفة الثقات ٢/ ١١١، والجرح والتعديل ٥/ ٣١٩، والثقات ٥/ ٦٣، وتهذيب الكمال ١٩/ ٧٣: ٧٦، والكاشف ١/ ٦٨٢، وتقريب التهذيب ١/ ٣٧٢.

(٢) غافل: بمعجمة وفاء. ينظر: المغني في ضبط أسماء الرجال، ص ١٨٩.

(٣) أبو عبد الرحمن، كنيته مذكورة في: الكنى والأسماء، لمسلم ١/ ٥١١.

(٤) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٣/ ١٥٠: ١٦٠، والاستيعاب ٣/ ٩٨٧: ٩٩٤، وتاريخ بغداد ١/ ١٤٧: ١٥٠، وتهذيب الكمال ١٦/ ١٢١: ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١: ٥٠٠، والإصابة ٤/ ٢٣٣: ٢٣٥.

خاتمة وتوصيات

وختامًا...

فإني في تسطير هذا الكتاب قد حاولت فيه الوقوف على بعض معالم الوجود الإسلامي التي قدمها المهاجرون الأُوَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحبشة؛ من خلال ما وصلت إليه ووقفت عليه؛ لتكون واضحةً جليةً لكل وجود إسلامي كائن بالفعل، أو يتكون في أي بلد من بلاد العالم، فهي بمثابة قوانين دستورية ومعالم أساسية لا ينجح الوجود الإسلامي إلا بها، ولا يستقر بغيرها، وألخص أهمها فيما يلي:

١ـ الحضور الأسري في الوجود الإسلامي أساسه الأول ومادته العظيمة الزاهرة الرافدة، وهو عين اهتمامه الأول تكوينًا ومعاهدةً وحضورًا واستثمارًا: **(أسرتك في الغرب عين اهتمامك فاجعلها أمامك)**.

٢ـ المرأة المسلمة في الغرب في القلب من وجودها الإسلامي تأسيسًا وحركةً، فأسس تكوينها الديني وتفرد حركتها الدنيوية، يؤكدان مكانتها في الإسلام وبين المسلمين، ويدفع شُبهًا ومفاهيم خاطئة في الكلام عنها، أو تشويه صورتها، واللعب على تداول قضيتها: **(المرأة المسلمة في الغرب سمو في التكوين؛ وتفوق في الدنيا والدين)**.

٣ـ المرجعية الإسلامية للوجود الإسلامي فردية أو مؤسسية من أهم مرتكزات هذا الوجود في بيئته بقاءً وتقدمًا، وتصديرًا وتعريفًا، مهمته الأساسية تكمن في جمع لُحمة وجوده والمحافظة عليه، والكلام باسمه وبقضاياه مع الآخر، ولا يتم

ذلك إلا بتكوينها واحترامها وتقوية وجودها والالتفاف حولها: **(المرجعية في الوجود الإسلامي قبلة في التوجه وانطلاق منها في التوجيه)**.

٤ـ التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي الحالي وأجياله من بعده ثغرة عظيمة يجب أن تسد، حفاظًا على هذا الوجود، فبه يَفهم الفرد دينه، ويُمارس عبادته الصحيحة، ويَرتبط بمنهجه القويم، ويدرأ شبهات المتربصين والمشككين، ويتحقق من خلاله سنة التبليغ والتوريث النبوي، والحفاظ على الهوية، أيها المسلم.. اعرف ما يجب عليك من دينك ولو في دائرة يومك واختصاصك: **(فمن تثقف وتعلم وعى ونجى، وأمن مواطن الجهل، ومكامن الزلل)**.

٥ـ الوافد الجديد على الوجود الإسلامي هو إضافة لهذا الوجود يزداد به ويزيد بهم، وهو تحقيق لسنة السعي وطلب المعالي في الدنيا قبل الآخرة، ومنهج المهاجرين الأُوَل معه منهج فريد قام على حسن الاستقبال، وحفاوة الترحيب، وتذليل الصعاب، وتخفيف ألم الغربة، وإظهار أخوة الإسلام، وهو دليل على الفهم العالي والوعي الكامل لأهميته، كما أنه يدل على صفاء العقيدة وأخوة الدين، وفهم سنة الأرزاق وحكمة توزيعها والرضا بها: **(وافدك الجديد موضع ترحيب؛ تخفيف غربة، وترسيخ هوية، وتأمين وجود)**.

٦ـ الحضور الاجتماعي للوجود الإسلامي يقوي الصلة، ويذيب الفوارق، وينمي الأخلاق، وهو باب في التعريف بنا عند الآخر؛ يدفع بوجوده العظيم بيننا عندهم سيلًا من الشكوك والمخاوف، ويجيب على كثير من التساؤلات، ويعرف بجانب مهم في الدين، ويعلم الجميع بحسن طبيعة المسلمين: **(حضورك الاجتماعي بين إخوانك في المناسبات المختلفة خير لك قبل أن يكون لغيرك، فأنت كثير بهم قليل بغيرهم)**.

٧ـ الحضور الاقتصادي للوجود الإسلامي تطبيق عملي لكل ما جاء به الإسلام بوحييه الشريفين؛ من حث على التعمير، وتحقيق للكسب والمعاش، وطرد للفقر وطلب للغني، وهذا الحضور هو الفارق الأول الذي ينظر إليه الأخر واقعيًّا، فهو يؤكد حضورك القوي، وترسيخ مواطنتك، وإضافتك الحقيقية للوطن الجديد، وتدفع من خلاله شبهة الاستغلال والتملّق والاستحواذ على أموال الآخرين، فتسلم لنفسك وتستبرئ لدينك: **(مسعاك وكسبك وتحصيل رزقك سر وجودك القوي، وتأمين لكرامتك، وإضافة خير لوطنك الجديد)**.

٨ـ الحضور الإعلامي باب عظيم لا يوصد، وثغرة عظيمة لا تترك، يجب أن يكون من أولويات عمل الوجود ومسعاه إيجادًا وجودًا، نافذة مفتوحة على المجتمع بأسره، سريع الانتشار، قوي في التأثير، مغير للباطل مؤسس للحق، مزاحم للمتربص والمخالف، مهمته في التعريف بنا وبإسلامنا والدفاع عنا وعن قضايا الوجود الإسلامي: **(حضورك الإعلامي فارق في ترسيخ قدمك، ومعرفة كنهك، وفهم معتقدك)**.

٩ـ الشباب عماد الأمم وحضوره القوي في الوجود الإسلامي ومؤسساته دلالة يقظة هذا الوجود الدائمة، وقوته الماضية، ونشاطه المستمر، وإنتاجه المحكم، وتقدمه المواكب السريع، فلا يصلح وجود بدونه ولا يستوطن أرضًا بغيره، وهو تأكيد على إدراك أهمية الشباب ـ من خلال القراءة الصحيحة للإسلام ـ في الرقي بجميع مناحي الوجود وأنواع حضوره، فيجب تقديمه وإفساح المجال له وتسليم الراية والقيادة لتولي مسئوليته دون معوق أو تهميش: **(الشباب في وجودك المعاصر فهم عميق لسنة سلفك، وإدراك لقيمة وقتك، وتحقيق للمكاسب على أرض واقعك)**.

١٠ـ التعريف بالإسلام من أكبر المهام الملقاة على عاتق الوجود الإسلامي بجميع أفراده، فالتعريف بالإسلام تقوية للوجود وأبنائه بدينهم وارتباطهم المتواصل بوحيه، وهو معايشة عملية واقعية له، وهو تصدير صحيح لحقيقة هذا الدين للآخر: **(عرف بدينك ما استطعت، فبه تعزّ وتتميز، وبدونه تنقص وتهمش)**.

١١ـ المسلم الجديد في الوجود الإسلامي من أهم قضايا الوجود وأخطر ملفاته، بداية من تعريفه بهذا الدين وبيانه له، ومرورًا بتكوينه وتثقيفه الشرعي فيه، وختامًا بتسليمه الراية في تبليغه في أرضه وميدانه، فالوافد رافد للوجود الإسلامي، ومعزز له فهمًا وسوادًا وثقافةً وعرفًا، وأنجح في إيصاله من المهاجر والوافد: **(المسلم الجديد ثمرة هجرتك، وامتداد وجودك، وتوريث ميراثك)**.

١٢ـ يمر على الوجود الإسلامي أفرادًا ومؤسسات معوقات كثيرة يجب أن تدرك سنتها وتعي طبيعة وجودها، فلا تجعلها تعوق سعيك ولا تثني عزيمتك ولا تهمش وجودك أو حضورك، فلا يسلم الفرد والمجموع منها كما أنه لا يركن لها أو يستسلم لمرورها، فاستعن بالله ولا تعجز، وأبصر طريقك ولا تنظر خلفك: **(اجعل صخرة طريقك في وطنك الجديد رمادًا بمعول من فولاذ إيمانك، وأوتاد أسلافك المهاجرين، وضربة بيد نبيك ﷺ)**.

١٣ـ للتعامل مع أبناء الوطن الجديد أسس ومعالم صدّرها المهاجر الأول وعدد أبوابها، نسجها بالاحترام والتقدير، وصبغها بالاعتراف بالجميل، وحدّها بالشفافية والتعايش المحمود، وزيّنها بالتعاون المستمر، وهندمها بالسلم المجتمعي، فكانت حقيبتهم راسخة في الأذهان، ومسطرة في الكتب بجميل الأقوال والأفعال: **(وجودك في بلاد الغرب وجود أخلاق وحسن تعامل؛ يسمو الوجود الإسلامي**

معه، ويدهش الآخر لرؤيته وتفعيله بجماله وكماله، ويحطم من خلاله صخور فكرتهم الخاطئة عنك).

١٤ـ الوجود الإسلامي حاضر في أزمات الوطن الجديد فهو منهم، يفرحه ما ينفعه ويقويه ويحزنه ما يضره ويضعفه، فلا يكون حاضرًا في المغنم شحيحًا في المغرم، فوارق سطّرها المهاجرون الأول لكل أبنائهم من بعدهم دليلًا على جميل تأسيسهم، وروعة حركتهم، ونقاء سريرتهم: **(تواجدك في أزمات وطنك الجديد من أصول معدنك، وفقه مرحلتك، وتأمين مستقبلك، وصدق إخلاصك).**

١٥ـ لا يعرف الوجود الإسلامي التقوقع على النفس والاستعلاء بالجهل والاكتفاء بالتحصيل الأول، فحرصه على تعلم الجديد كحرصه على خوفه الشديد من ضياع ما حصله وتعلمه في وطنه الأم، وهو يبرهن على فاعلية حركة هذا الوجود، وطلب النافع لارتقائه ومواكبة عصره ونشر ما ينفع الفرد والوجود والأمة جميعا: **(تعلّم ما فتح لك باب علم، واكتسب الجديد النافع، فما يكون بين يدك اليوم قد لا يتوفر غدا ليبقى خلفك).**

١٦ـ ضربت الدولة المضيفة أروع الأمثلة في التعامل المحمود مع الوجود لإسلامي الأول، منشأ ذلك وأساسه العدل والإنصاف والحرية، وأخلاق الوجود الإسلامي نفسه بما قدمه في الوطن الجديد أمر يحتاج أن يجلى لكل دولة وحكومة تتعامل مع الوجود الإسلامي لتقدمه وتحافظ عليه وتنميه وتعدد وسائله.

١٧ـ تعاملت الدولة الإسلامية الأم مع الدولة المضيفة والوطن الجديد للوجود الإسلامي بأسمى درجات التعامل والتفاعل والتقدير، فقد ميزت رعاياهم وردت الجميل لمن يعيش عندها من أبنائها، بل واختصتهم بالوظائف، ووقرت من لغتهم ورفعت من قدوتهم ومرجعيتهم، وعدم التعرض بالأذى لهم... إلخ في كثير

من هذه المعالم التي تضاف إلى منهج التعامل الإسلامي مع الدول والجاليات، والتي توضح بجلاء تام فهم طبيعة الإسلام وقادته العظام وأفراده الصالحين، بما لا يقل في الدور عما حدث مع وجودهم إن لم يفقه.

١٨ـ لم تنس الدولة الإسلامية الأولى يومًا أتباعها ولم تغب عن أبنائها في أي مكان كانوا فيه ونزلوا إليه، اجتماع دائم لبحث أمورهم وشؤنهم ـ وتلمس مستمر لأخبارهم والاطمئنان عليهم، والتواصل المحمود معهم، وتقديم جميع أشكال الرعاية لهم، وغير ذلك في صورة متكاملة منظمة لرسم سياسة لتعامل الدول مع أبنائها داخليًّا وخارجيًّا بكافة أشكال وتنوع هذا التعامل، وهو الذي سطره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع دولته الأولى مع الوجود الإسلامي الأول.

أهم التوصيات:

ـ السيرة النبوية والسنة المشرفة مليئة بالكنوز التي يجب أن تخرج للأمة الإسلامية في أبهى حلة، ولذا فلا يستطيع الإنسان الوقوف على حدث بعينه إلا إذا جمع شوارده منها دون الاكتفاء بأحدهما، فعلى كل باحث تصدر للكتابة عن قضية أن يهتم أولًا بجميع جزئيات موضوعه وروايته الكاملة من جميع كتب السنة والسيرة المشرفة.

ـ أنصح بإعادة كتابة تحليلات للسيرة النبوية بما يخدم الوجود الإسلامي والمغترب في جميع مناحي حياته.

ـ المسلم الجديد يحتاج لكتابات مستمرة في جميع أنواع العلوم الشرعية بما يتناسب مع فهمه وواقعه ومستجداته وسؤالاته.

ـ أرجو أن يهتم أبناء كل تخصص، وأن يتوسعوا من خلاله بإبراز أنواع الحضور المتنوع للوجود الإسلامي، فما ذكر إنما هو إشارات تحتاج إلى استفراغ جهد، وتأصيل أكبر وتجميع أدق، وكتابات متخصصة.

ـ أوصي بعمل معرض خاص للهجرة إلى الحبشة، وجلسات عمل ومناقشة حول أحداثها، لما يبين ما كان فيها من أنواع الحضور للوجود الإسلامي الأول.

ـ كما أرجو أن يترجم هذا الكتاب وغيره إلى كل لغة أوربية وغيرها لقلة المكتوب في خدمة الوجود الإسلامي ولو أن يترجم مختصرا.

ـ أوصي بشرح الفوائد العقدية والفقهية التي ختمت بها الكتاب في كتاب أو بحث مستقل يتضمن بيانها على التفصيل وما وراءها من معالم ومقاصد وفقهيات.

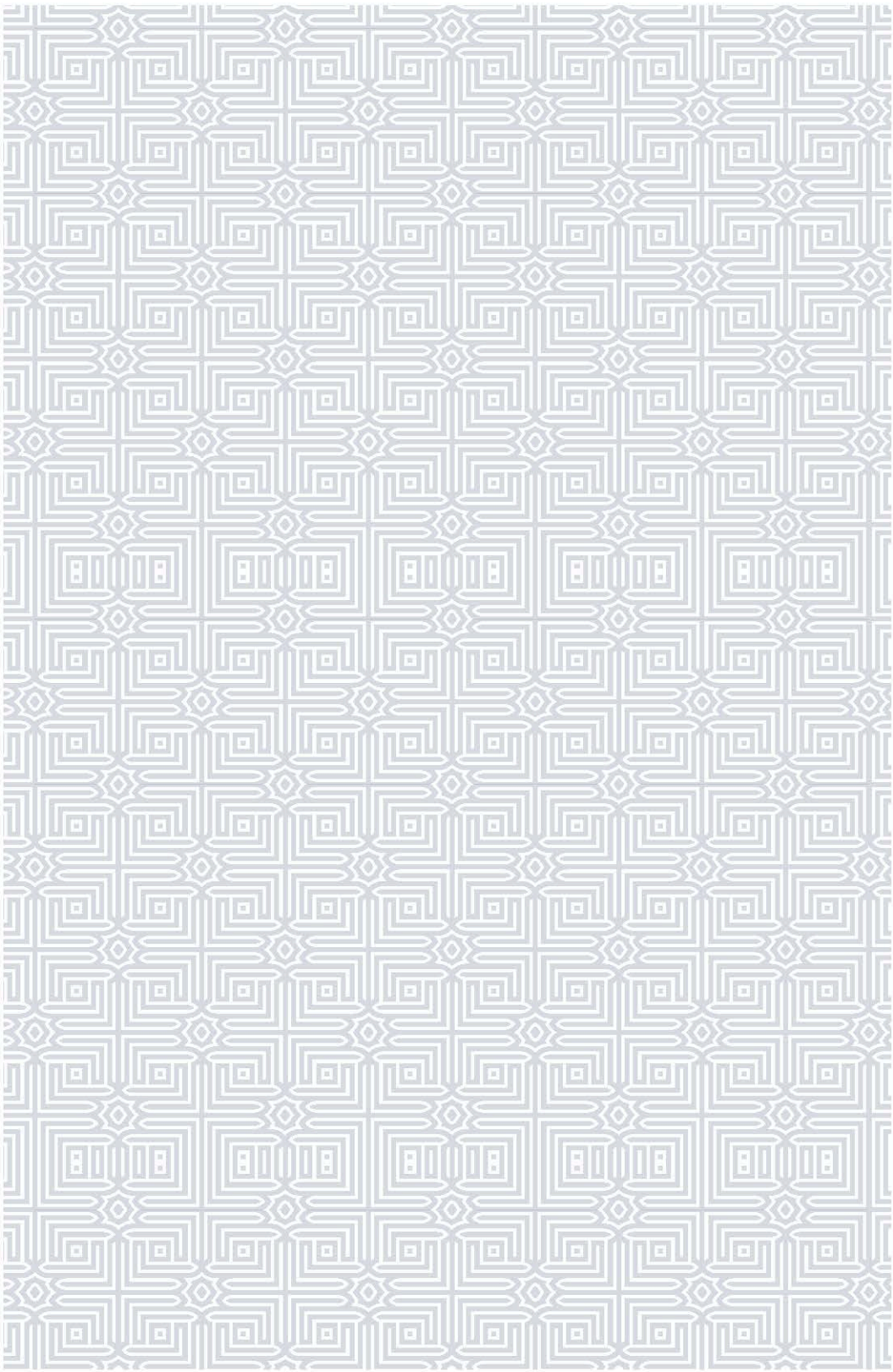
وختامًا...

فهذا جهد الفقير إلى عفو ربه عَزَّوَجَلَّ، وإني أقرّ أنني بشر يعتريني ما يعتريهم من سهو وخطأ ومجانبة صواب ونقص، ولولا ستر الله عَزَّوَجَلَّ وفضله ما انبرى قلم ولا تزينت صحيفة، وقد حاولت أن أكتب شيئا لله عَزَّوَجَلَّ أخدم به سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإخواني المسلمين في الغرب، فلعل الله عَزَّوَجَلَّ اطلع على قلبي فيه أثناء خطه وتسطيره، فوجد بذرة خير ولحظة صدق نبتت فعمّت وشفعت، فتنفع يوم لقائه سبحانه، وادعوه عَزَّوَجَلَّ أن يكتب لي الثواب والنفع ولكتابي القبول والنشر، وأن يستعملني في خدمة ديني وإخواني، ولا يستبدلني، وأن يغفر لي ولوالدي ولمن علمني، ولمن قرأ كلمة فاستغفر لي ولهم.

فلله الحمد والمنة، ومنه العفو والمغفرة، ولإخواني وأخواتي التقدير والمحبة فيه والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د. أحمد طه عبد القادر عبد الله

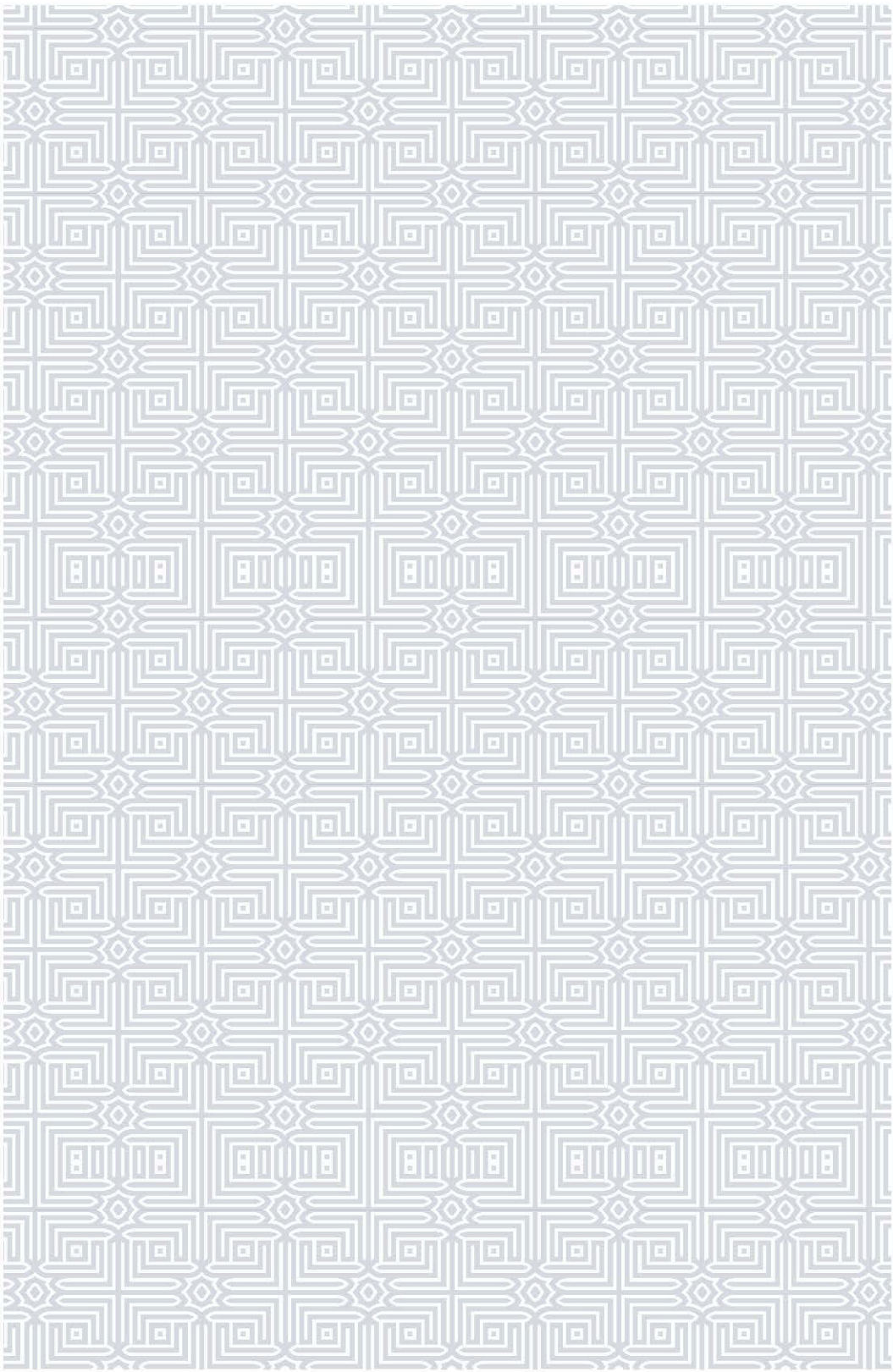




الفهارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار
- فهرس الفرق والأقوام والقبائل والجماعات والديانات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأيام والغزوات والوقائع والحروب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الأشعار.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾	٢٤	١٢٦
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٦٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾	١٤٣	٥٣٤
سورة آل عمران		
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١	٢٠٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	١٠٢	٧
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾	١٩٩	٤١٥
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾	١	٧
﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا ﴾	٤٣	١٩، ٤٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾	٩٧-٩٩	٧٩
﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٠٠	٧١، ٢٤٤، ٣٣٧، ٣٣٨
سورة المائدة		
﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾	٢	٣٢٢
﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٥	١٥٠
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٢-٨٣	١٢٦، ٢٨٨
﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾	٩٦	٦٠٨
سورة الأنعام		
﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾	١٦٤	٥٩٩
سورة الأعراف		
﴿ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾	٤٤	١٩
سورة الأنفال		
﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾	٧٢	٥٩١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾	٦	١٨، ١٩
سورة الإسراء		
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾	٧٠	١١٨
سورة مريم		
﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾	١	١٩٤، ٢٩٣، ٦١٨
سورة الأنبياء		
﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ ﴾	٥٢	٦٠٨
سورة النور		
﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾	٣٥	٤٢١
﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾	٣٩	١٩
سورة الشعراء		
﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾	٢١٤	٣١٤
سورة النمل		
﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾	٢٣	١٨
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾	٢٤	١٨
﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦ ﴾	٣٥-٣٦	٤١٨
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦ ﴾	٥٦	٦٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾	٥٦	١٠٥
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾	٧٠-٧١	٧
سورة فاطر		
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۭ ١٤ ﴾	١٤	٢٥٣
سورة الرحمن		
﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧ ﴾	١٧	٢٢
سورة الحديد		
﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾	٢٨	٤٢١
سورة الحشر		
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾	٩	٢١٤
سورة التغابن		
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾	١٦	٥٨٥
سورة الملك		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾	١٥	١٠٥، ٢٤٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المزمل		
﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾	٦	٤٢٢
سورة الإنسان		
﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾	١	١٢٩
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ ﴾	٢٠	١٢٩
سورة التكوير		
﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ ﴾	٢٤	٦٢٠

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
«أبلي وأخلقي»	٦٠٠
«اتركوا الترك ما تركوكم، وذروا الحبشة ما وذروكم»	٥١٠، ٥٨٤
«اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرجُ كنز الكعبة إلاّ ذو السّويقتين من الحبشة»	٥٠٨، ٥١١، ٥٨٤
«أتعجبون من غيرة سعد، وأنا أغير منه، والله أغير مني»	٥٧٦
«أجرين بلسان الحبشة»	٤٢١
«أخالُ واحدًا منكُما يصبرُ على صاحبه»	١٤٠
«أخرجا ما تُصرّران»	٥٥٧
«إذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفّني غير مفتونٍ»	٦٨
«إذا زال النّهارُ، فقُم فصل أربع ركعاتٍ»	٥٤٦
«إذا لقي المُؤمنُ أخاه فصافحه تناثرت ذُنوبُهُ»	٥٩٢
«أذهب الباس ربّ النّاس، واشف أنت الشّافي، لا شفاء إلا شفاؤُك، شفاءً لا يُغادرُ سقمًا»	٥٤٠
«أرسل بها إلى أخيك النجاشيّ»	٥٢٠
«ارفعوا هذا إليّ»	٥٥٠
«استغفروا لأخيكُم»	٢٨٤، ٤٩٣
«اسكُن حراءُ، ليس عليك إلا نبيٌّ، أو صدّيقٌ، أو شهيدٌ»	٥٣٧
«أشبهت خلقي وخُلُقي»	١٩٦
«أصدق عنهما من الخُمُس كذا، وكذا»	٥٥٧
«اعجل ـ أو أرني ـ ما أنهر الدّم، وذُكر اسمُ الله عليه، فكُلوا ليس السّنّ، والظُّفُر، وساحدّثُكُم عن ذلك، أمّا السّنُّ: فعظمٌ، وأمّا الظُّفُرُ: فمُدى الحبشة»	٤٠٦

الحديث	رقم الصفحة

«أعطوا ميراثه رجُلًا من أهل قريته» ٥٠٣
«ألا تُحدّثوني بأعاجيب ما رأيتُم بأرض الحبشة؟» .....٢٧١، ١٢٨، ٥٤٩، ٥٧٦
«الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحنُ نسيرُ إليهم» ٨٤
«السُّبّاقُ أربعةٌ: أنا سابقُ العرب، وسلمانُ سابقُ فارس، وبلالٌ سابقُ الحبش، وصُهيبٌ سابقُ الرّوم» ٤٩٦
«السّنا شفاءٌ من الموت» ٤٣٧
«الطّعامُ بالطّعام مثلًا بمثلٍ» ٢٣٣
«القتلُ، ويُلقى بين النّاس التّناكُرُ فلا يكادُ أحدٌ أن يعرف أحدًا» .....٤٢٣، ٤٨٩
«اللهم اخلُف جعفرًا في ولده» ٥٥٠
«اللهم اغفر للنّجاشيّ» ٣٨٧
«اللهم أنج سلمة بن هشامٍ، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عيّاش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المُستضعفين من المُؤمنين، اللهم اشدُدْ وطأتك على مُضر، اللهم سنين كسنيّ يوسُف» ٩٨
«اللهم بارك له في بيعه» ٥٥٠
«المُلكُ في قُريشٍ، والقضاءُ في الأنصار، والأذانُ في الحبشة، والسُّرعةُ في اليمن» .....٤٨٧، ٦٠٤
«المُؤمنُ الذي يُخالطُ النّاس، ويصبرُ على أذاهم، أعظمُ أجرًا من الذي لا يُخالطُهم، ولا يصبرُ على أذاهم» .....٢٣٠، ٣٤٢
«أما الظفر فمدى الحبشة» ٦١٠
«إن أخًا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات» ٥٨٦
«إنّ الرّجُل إذا مات في غير مولده، قيس له من مولده إلى مُنقطع أثره في الجنّة» ٣٤١
«إنّ الصّدقة لا تنبغي لآل مُحمّدٍ إنّما هي أوساخُ النّاس، ادعوا لي محمية ـ وكان على الخُمُس ـ ونوفل بن الحارث بن عبد المُطّلب» ٥٥٧
«إنّ أولئك إذا مات فيهمُ الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك التّصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة» ..... ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣

الحديث — رقم الصفحة

«إنّ بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ فالحقوا ببلاده» ١١٥
«إنّ بين يدي السّاعة أيّامًا، يُرفعُ فيها العلمُ، وينزلُ فيها الجهلُ، ويكثُرُ فيها الهرجُ» ... ٤٨٩
«إنّ ذلك لـداءٌ ما كـان الله ليقذفُني بـه لا يقيـنّ في البيت أحـدٌ إلا التـدّ إلا عـمٌّ رسول الله ﷺ» ..... ١٦٠، ٤٣١، ٥٨٧
«إنّ في الصّلاة شُغلًا» ٢٠٥
«إنّ لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما غلبكُم منها، فاصنعوا به هكذا» ٤٠٦
«إن هذا والذي جاء به عيسى من مشكاة واحدة» ١٩٥
«أنا أحكُمُ بينكُم! أمّا أنت يا زيدُ فمولى الله ومولى رسوله، وأمّا أنت يا عليُّ فأخي وصاحبي، وأمّا أنت يا جعفرُ فشبيه خَلقي وخُلُقي، وأنت يا جعفرُ أولى بها تحتك خالتُها، ولا تُنكحُ المرأةُ على خالتها ولا على عمّتها» ٤٤٢
«أنا بريء من مقيم بين ظهراني المشركين تتراءى نارها» ٥٩١
«أنت أشبهت خلقي وخُلُقي» ٤٤٢
«أنت منّي، وأنا منك» ٤٤٢
«أنت مولاي» ٤٤٢
«أنج المستضعفين» ٩٨
«انظُروا من هاهُنا من مُسلمي الحبشة، فادفعوا إليهم ميراثهُ» ٥٠٢
«انظُروا هل له من وارثٍ؟» ٥٠٢
«أنكح هذا الغُلام ابنتك» ٥٥٧
«إنّي قد أهديتُ للنّجاشيّ أواقي من مسكٍ وحُلةً، ولا أُراه إلا قد مات، ولا أرى هديّتي التي أهديتُ إليه إلا سترُدُّ إليّ، فإذا رُدّت إليّ فهي لك» ..... ٥٢٠، ٦٠٢
«إنّي قد رأيتُ أرضًا ذات نخلٍ، فاخرُجوا» ٣٤٣
«إنّي لم أُعطكها لتلبسها» ٥٢٠
«أوقد عليها ألفُ عامٍ حتى احمرّت، وألفُ عامٍ حتى ابيضّت، وألفُ عامٍ حتى اسودّت، فهي سوداءُ مُظلمةٌ لا يُطفا لهبُها» ١٢٦

الحديث — رقم الصفحة

«أولم ولو بشاة» ٢٣٢
«أولئك إذا مات منهم الرّجُلُ الصّالحُ بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا فيه تلك الصّورة أولئك شرارُ الخلق عند الله» ..... ١٦٨، ٥٨٩، ٦٠٠، ٦٠١
«ائتني غدًا أحبوك، وأُثيبُك، وأُعطيك» ٥٤٦
«ائتوني بأُمّ خالدٍ» ..... ٥٤٩، ٦٠٠
«بماذا تستمشين؟» ١٦٧
«بماذا كُنت تستمشين؟» ٤٣٦
«تصافحوا تحابّوا» ٥٩٢
«تفرّقوا في الأرض» ٧٣
«تهادوا تحابوا» ٤١٩
«ثُمّ ترفعُ رأسك ـ يعني من السّجدة الثّانية ـ فاستوِ جالسًا، ولا تقُم حتى تُسبح عشرًا، وتحمد عشرًا، وتُكبر عشرًا، وتُهلل عشرًا، ثم تصنع ذلك في الأربع الرّكعات» ٥٤٦
«حارٌّ حارٌّ» ..... ١٦٧، ٤٣٦
«دعهم أمنًا بني أرفدة» ..... ٤٢٣، ٤٨٥
«دعهم يا عُمرُ» ٦٠٣
«دعهما يا أبا بكرٍ؛ فإنّها أيّامُ عيدٍ» ٦٠٣
«دعوا الحبشة ما ودعوكُم، واترُكوا التُّرك ما تركوكُم» ٥٠٨
«ذروا الحبشة ما وذرتكُم» ٦٠٨
«سناه سناه» ..... ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٩٠، ٥٤٩
«صحبها الله تعالى إنّ عُثمان لأولُ من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوطٍ عليه السّلامُ» .. ٥٢٩
«صدقت كيف يُقدّسُ الله أُمّةً لا يُؤخذُ لضعيفهم من شديدهم؟» ..... ١٢٨، ٢٧٢، ٥٤٩، ٥٧٧
«صلها من الليل والنّهار» ٥٤٦
«ظننتُم أنّ الله عزّ وجل سلطها عليّ، ما كان الله ليُسلطها عليّ، والذي نفسي بيده، لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدّ إلا عمّي» ..... ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٦

الحديث — رقم الصفحة

«علمُها عند ربي لا يُجليها لوقتها إلا هو، ولكن أُخبرُكُم بمشاريطها وما يكونُ بين يديها؛ إنّ بين يديها فتنةً وهرجًا» ٤٢٣
«فادفعوه إلى بعض أهل القرية» ٥٠٢
«فإنّ بها ملكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ فالحقوا ببلاده» ٣٨٢
«فأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يُدليه في حُفرته» ابن عمر ١٣٠
«فإنّك لو كُنت أعظم أهل الأرض ذنبًا غُفر لك بذلك» ٥٤٦
«فإنّها مُدى الحبشة» ٦٠٥
«فما سُقت فيها؟» ٢٣٢
«فما قُلتِ لهُ؟» ..... ١٦١، ٥٥٢، ٦٣٢
«كان فيمن كان قبلكُم رجُلٌ قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهبٍ، فأتاه فقال: إنّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتلهُ، فكمّل به مائةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجُلٍ عالمٍ، فقال: إنّه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التّوبةِ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أُناسًا يعبُدون الله فاعبُد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنّها أرضُ سوءٍ...» ٧٧
«كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله فجعله في قريش» ٣١١
«ككوةٍ بلسان الحبشة» ٤٢١
«لا تمسح الحصى وأنت تصلي، وإن كنت لا بد فاعلا فواحدة» ٥٩٣
«لا قدّس الله أُمّةً لا يأخُذُ المظلومُ حقّه من الظّالم، غير مُتعتعٍ» ٥٨٩
«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» ٥٩١
«لا يُؤمنُ أحدُكُم، حتى يُحبّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه» ..... ٢١٤، ٢١٥
«لا، قبض الله عزّ وجل أرواحنا وقد ردّها إلينا، وقد صلينا» ٤٩٩
«لا» ..... ٣٤٢، ٤٩٩
«لعن الله من آوى مُحدثًا» ٣٧٧

الحديث — رقم الصفحة

«لكم الهجرة مرّتين: هاجرتم إلى النجاشيّ، وهاجرتم إليّ» ٦٠٢
«لما قدم جعفرُ بنُ أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة عانقه سيّدُنا رسولُ الله ﷺ
وقبّل بين عينيه» ٥٩٢
«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق
حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه» ..... ٧٤، ١٠٦، ٣٩٩، ٥٨٨
«لو كان في شيءٍ شفاءٌ من الموت لكان في السّنا» ..... ١٦٧، ٤٣٧
«ليس بأحقّ بي منكُم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكُم أنتُم ـ أهل السّفينة ـ
هجرتان» ..... ١٦١، ٥٥٢، ٥٨٧، ٦٣٢
«ما أدري أنا بفتح خيبر أفرحُ أم بقُدوم جعفرٍ؟» ٣٨٧
«ما أدري بأيّهما أنا أفرحُ بقُدوم جعفرٍ أو بفتح خيبر» ٥٤٤
«ما أنت بمُحدّثٍ قومًا حديثًا لا تبلُغُه عُقولُهم، إلا كان لبعضهم فتنةً» ٢٥٧
«ما أنهر الدّم وأفرى الأوداج فكُل ما عدا السّنّ والظُّفر والعظم، فإنّها مُدى الحبشة» ... ٦٠٥
«ما تعجبون منها فوالذي نفسي بيده لمنديلٌ من مناديل سعد بن مُعاذٍ في الجنّة ألينُ
من هذا» ٥٢٠
«ما من قلبٍ إلا وهو بين أُصبُعين من أصابع رب العالمين، إن شاء أن يُقيمه أقامهُ،
وإن شاء أن يُزيغه أزاغهُ» ٣٥٣
«ما هذا يا جعفرُ؟» ٤٤٢
«ما هذا؟» ..... ٤٣١، ٥٨٧
«ما يقولون؟» ..... ٤٢٤، ٤٩٠
«مات اليوم رجُلٌ صالحٌ» ١١٧
«من ترون نكسو هذه الخميصة؟» ..... ٥٤٩، ٦٠٠
«من قاء أو رعف في صلاته فلينصرف وليتوضأ وليبن على صلاته ما لم يتكلم» ٥٩٢
«من قال: لا إله إلا اللهُ، كان له بها عهدٌ عند الله، ومن قال: سُبحان الله، كتب الله
له مائة ألف حسنةٍ» ١٢٩

الحديث	رقم الصفحة
«من يكلؤُنا الليلة؟»	٤٩٩
«مهيم يا عبد الرّحمن؟»	٢٣٢
«نعم»	١٢٩
«هاك لا تكونُنّ لُكع»	٤٩٩
«هذا سناء»	٥٧٨
«هذا فعلُ نساءٍ جئن من هؤُلاء»	١٦٠
«هذه يدي، وهذه يدُ عُثمان»	٥٣٧
«هل لكُم أن نهجع هجعةً»	٤٩٩
«هل من رجُلٍ يحملُني إلى قومه، فإنّ قُريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي..»	٦٨
«هو بلسان الحبشة قيامُ الليل»	٤٢٢
«والذي نفسي بيده، إنّ الرّجُل يوم القيامة ليجيءُ بالعمل، لو وُضع على جبلٍ لأثقلهُ، فتقومُ النّعمةُ من نعم الله، فتكادُ تستنفدُ ذلك كُلهُ، لولا ما يتفضّلُ الله به من رحمته»	١٢٩
«والله إنّك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله عز وجل، ولولا أنّي أُخرجتُ منك ما خرجتُ»	٦٤
«وجه الأرض»	٤٢٤
«وعزتي وجلالي لا تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي إلا أكثرت ضحكها معي في الجنة»	١٢٧
«وعليها السّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ»	٢٢٢، ٣١٢
«ولكُم أنتُم ـ أهل السّفينة ـ هجرتان»	٥٥٢
«وهي أرضُ صدقٍ»	٧٨
«يا أبا ذر مرة أو ذر»	٥٩٣
«يا ابن مسعود، إن الله تعالى يحدث من أمره ما يشاء، وإن من جملة ما أحدث ألا نتكلم في صلاتنا»	٥٩٣

الحديث	رقم الصفحة

«يا أُمّ خالدٍ هذا سنا، هذا سنا» ٦٠٠
«يا بلالُ، هل في الميضاة ماءٌ» ٤٩٩
«يا حبيبي، أنت أشبه النّاس بخلقي وخُلُقي، وخُلقت من الطّينة التي خُلقتُ منها،
يا حبيبي، حدّثني عن بعض عجائب أرض الحبشة» ٥٨٨
«يا زيدُ، تعلم لي كتاب يهود، فإنّي والله ما آمنُ يهود على كتابي» ٤٢٩
«يا ليته مات في غير مولده» ٣٤١
«يا مُقلب القُلوب ثبت قُلوبنا على دينك، والميزانُ بيد الرّحمن يخفضُه ويرفعُهُ» ٣٥٣

فهرس الآثار

الآثر	الراوي	الصفحة
«أن النبي ﷺ نهى عن اللعب بالشطرنج»	الحسن	٦٠٨
«أنّ رسول الله ﷺ صلى على النجاشيّ، فكُنتُ في الصّفّ الثّاني أو الثّالث»	جابر بن عبد الله	٢٨٤، ٤٩٣
«أنّ رسول الله ﷺ نعى النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه؛ خرج إلى المُصلى، فصفّ بهم وكبّر أربعًا»	أبو هريرة	٢٨٣، ٤٩٣
«أنّه ﷺ لمّا بعث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحبشة أمره أن يُصلي في السّفينة قائمًا، إلا أن يخاف الغرق»	–	٥٩٤
«جعل رسولُ الله ﷺ الأذان لنا»	أبو محذورة	٦٠٤
«رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون بالدرق والحراب يوم العيد»	عائشة	١٢٧
«كان رسولُ الله ﷺ يقبلُ الهديّة ويُثيبُ عليها»	عائشة	٤١٩
«لعن رسول الله ﷺ الرّاشي والمُرتشي»	–	٦٠١
«مررت ورسول الله ﷺ بقوم من الحبشة يلعبون بالحراب، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليهم، ووقفت من خلفه، فكنت إذا عييت.. جلست، وإذا قمت.. أتقي برسول الله ﷺ »	عائشة رضي الله عنها	٦٠٨

فهرس الفرق والأقوام والقبائل والجماعات والديانات

أئمة الجرح والتعديل: ٥٨.
الأحباش: ١٧٠، ٢٤٢، ٣١١، ٣٨٨، ٤٤٣، ٤٨٥، ٤٨٦.
الأحلاف: ٥٤، ٣٣١.
أسلم: ٤٢٤.
الأشعريون: ٤٨٥.
أصحاب النبي ﷺ = الصحابة.
الأقليات: ٢٠، ٣٩، ٤١، ١٧٠، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٤٧٦، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٢-٥٠٦، ٥٦٨.
أقيال حضرموت: ٤٢٢.
آل بيت رسول الله ﷺ: ٥٦٠.
آل سعيد بن العاص بن أمية: ٥٦٠.
آل فرعون: ٥٨٨.
أمهات المؤمنين: ١٥٩، ١٦٢، ١٦٩، ١٧١، ٣٥٠، ٥٧٧، ٦٢٤، ٦٢٥.
الأنصار: ٥٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٧، ٣٣٣، ٤٢٢، ٤٨٥، ٤٨٧، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩، ٦٠٤.
أهل التاريخ: ٣٥٠.
أهل الجاهلية: ١٩٢.
أهل الحبشة: ٢٩، ١٢٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٧٥، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١١، ٥١٦، ٥١٩، ٥٨٤، ٥٨٦.
أهل الحجاز: ٤٢٢.
أهل الحديث = المحدثون = علماء الحديث: ٢٧، ٣٥، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٣٥٠، ٥٩، ٦٢٢.
أهل السفينة: ١٦٠، ١٦١، ٥٤٦، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٨٧، ٦٣٢.
أهل السفينتين: ١٤٦.
أهل السودان والحبش: ٢٨، ٢٩.
أهل السير: ٥٩، ١١٩، ١٢٠، ١٤٤، ٢٨٤، ٥٥٩.
أهل العقيدة: ٥٦٨.
أهل اليمن: ٢١٧، ٢١٩، ٦٠٦.
أهل قباء: ٥٣٤، ٥٩٧.
أهل مكة: ١٧٥، ١٧٦، ٢٥٣، ٥٣٢، ٥٣٧.
بطارقة النجاشي: ١٩٣، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٧٥، ٣٩١، ٤١٨، ٤٢٤، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٦٣، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٩.
بنو أرفدة: ٤٢٣، ٤٨٥.
بنو أسد: ٣٢٩، ٣٣١.
بنو الحارث بن فهر: ٣٣١.

بنو العباس: ٥٥٨.
بنو أمية: ٣٢٩، ٥٦٠.
بنو تيم بن مُرّة: ٣٣١.
بنو جمح بن عمرو: ١٤٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٥٥٨،.
بنو زهرة: ٣٢٩، ٣٣١.
بنو سلمة: ٥٣٦.
بنو سهم: ٣٣٠، ٥٥٨.
بنو ضمرة: ١٢٠، ٤٧٩.
بنو عامر بن لؤي: ١٤٣، ٣٣٠.
بنو عبد الدار: ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١.
بنو عبد بن قصي: ٣٢٩.
بنو عبد مناف: ٣٣١، ٣٣٢.
بنو عدي بن كهب: ٣٢٩، ٣٣١،.
بنو عدي: ٢٣٣، ٣٢٩، ٣٣١.
بنو مالك: ٥٤.
بنو محارب بنُ فهر: ٣٣١.
بنو مخزوم: ٣٢٩، ٣٣١،.
بنو نوفل: ٣٢٩.
بنو هاشم: ١٩٢، ٥٥٨.
التابعون: ٥٩، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٦.
الثقات: ٥٨.
ثقيف: ٥٤.
الجاليات: ٢٠، ١٣٦، ١٥٣، ٢٦٠، ٣٢٦، ٦٤٢.
جهينة: ٤٢٤.
الحَبَش والسودان: ٢٨.
الحبشان: ٢٨.
حِمْيَر: ٣١١، ٥٥٨.
الحنيفية: ٣٤٨.
خزاعة: ١٣٨.
رهط المُغيرة: ٥٤.
السلف الصالح: ٣٩، ٥٧٤، ٥٨٩.
شراح الحديث: ٣٥٠.
الشيعة: ٥٨٦.
الصحابة اليمانيين: ٢١٨.
الصحابة: ١٠، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٥٩، ٦٦، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١٨، ١٤٤، ١٧٠، ١٨١، ١٨٨، ١٩٨، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٨٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٤٣، ٤٧٤، ٥٠٨، ٥١١، ٥٢٦، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٧٣، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٦، ٦٠٨، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٤٣.
العجم: ٤٢٠.
العرب: ٣١، ٣٢، ٩٤، ١٩٥، ٣١٠، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٨٨، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥٣٤، ٥٧٤، ٥٨١، ٥٨٦.
فقهاء الحنفية: ٥٦.
الفقهاء السبعة: ٦٢٤، ٦٣٥.
فقهاء الشافعية: ٥٦، ١٠٩.
الفقهاء: ٢١، ٣٥، ٣٥٠، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٤.
القدماء المصرين: ٣١.
قريش: ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٥٤، ٦٨، ٧٠، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٥،

١٠٧-١١٠، ١٢١، ١٣٧، ١٤٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٣، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣١١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٥، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠١، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٨٧، ٥٣١، ٥٧٨، ٥٨٦، ٥٨٨، ٦٠٤، ٦١٦، ٦٣٣.

قيس عيلان: ٣٢٩.

اللاجئون: ٩٥، ١٢٠، ١٩٩، ٣٢٦، ٣٥٧، ٤٤٩، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٥.

لعقة الدّم: ٣٣١.

المسيحية: ٣١.

مضر: ٩٨.

المطيبون: ٣٣١.

المكيون: ١٦٦.

ملوك اليمن: ٤٢٢.

المهاجرات: ٣٥، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٩، ٢٢٦، ٥٥٣.

مهاجرة الحبشة: ٣٥، ٤٠، ٨٤، ١٨٥، ٢٣٣، ٢٧٣، ٢٨٧، ٣٣٩، ٤٢٦، ٥٤٨، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٧٥، ٥٩٤.

المهاجرة اليمانين: ٢١٩.

المهاجرون = المهاجرة = المهاجرة الأول: ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٦، ١٧٢، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤-٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٨١-٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٦٩، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٦، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٤، ٥١٣، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٧٨، ٥٨٥، ٥٩٧، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٤١.

النصرانية: ١١٨، ١٣٢، ١٥٦، ١٩٤، ٢٩٩، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٥٧٩، ٥٩١.

وفد أبي موسى الأشعري: ٢٣٩.

وفد عبد القيس: ٢٠٧، ٤٨٥.

اليمين المتطرف: ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٩٣، ٤٥٧.

اليهود: ٣١، ٢٣٢، ٣٤٦، ٤٢٩، ٥٧٢، ٥٧٨، ٥٨٢.

فهرس الأعلام

أبرهة (جارية النجاشي): ٢٢١، ٢٢٢، ٣١١، ٣١٢، ٤١٩.
ابن أبي الزناد: ٤٣٢.
ابن أبي العز الحنفي: ٥٧٤.
ابن أبي حاتم: ٣٣٧.
ابن أبي ذئب: ٣٤٩.
ابن أبي سلمة: ٥٩٥.
ابن أبي شيبة: ٢٣٥، ٢٧٤، ٢٨٢، ٣٥٨، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٩، ٤٥٢، ٥٠٢، ٥٤٤.
ابن أبي عاصم: ٥٢٩.
ابن أبي نجيح: ٦١١.
ابن الأثير: ١٨١، ٣٠٩، ٣١١، ٣٥١، ٥٠٠، ٥٦٠.
ابن الأعرابي: ٤٤٢.
ابن الدغنة: ٣٥، ٧٤، ٨٧، ٥٧٣.
ابن العربي: ٥٩٥.
ابن القيم: ٧٦، ٣٥٠.
ابن الكلبي: ٥٥.
ابن المبارك: ٤٧٩، ٦١١.
ابن النديم: ٥٧.
ابن الوزير: ٥٧٥.
ابن تيمية: ٤١٤، ٥٨٢، ٥٩٧.
ابن جريج: ٦٠٦.
ابن جماعة: ٣٥٠.
ابن حبان: ٧٨، ١٠٧، ٣٤٩، ٥٦٢، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٦.
ابن حبيب: ٥٩٥.
ابن حجر العسقلاني: ٥٣، ٥٤، ٢٤٣، ٣٠٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٧، ٤٢٢، ٤٣٦، ٥٣٦، ٥٥٨، ٥٨٣، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦.
ابن حجر الهيتمي: ٥٩٧.
ابن حزم: ٢٤، ٣٥٠، ٥٣٣، ٥٧١، ٥٩٩.
ابن خزيمة: ٣٤٩، ٦٢٠.
ابن خلكان: ٥٥.
ابن رجب الحنبلي: ٥٨.
ابن رسلان: ٥٠٩.
ابن رشد: ٦٠٥.
ابن سعد: ٥٢، ٥٤، ١٤٢، ١٥٦، ٣١١، ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٤٢٦، ٤٤١، ٥٥٨، ٥٦٢، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٩، ٦٣٤.
ابن سيد الناس: ٤٦، ١٣٨، ٣٥٠.
ابن سيده: ١٨.

ابن عبد البر: ٥٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٥١، ٥٣٦، ٥٥٨، ٥٦٠.
ابن عمر: ٥٨، ١٢٩، ١٣٠، ٢٣٠، ٢٧٧، ٥٦٢، ٥٨٤، ٦٢٣.
ابن فارس: ١٨.
ابن كثير: ٢٤، ٢٥، ٤٦، ٥٠، ١١٩، ٣٥٠، ٥٣٦، ٦٣٤.
ابن ماجه: ١٢٨، ١٦٧.
ابن نصر الثعلبي المالكي: ٥٩٦.
ابن هبيرة: ٣٥٠.
أبو البقاء الهاشمي: ٥٧٢.
أبو الحسن الندوي (الشيخ): ٢٦، ٨١، ٨٩، ١١٨، ١٣٢، ١٩٢.
أبو الحسين اليمني العمراني الشافعي: ٥٩٦، ٦٠٨.
أبو الزاهرية: ٣١١.
أبو الزناد: ٦٣٥.
أبو العباس: ٥٩٦.
أبو المعالي الحنفي: ٥٩٢.
أبو الوليد القرطبي: ٣٥٠.
أبو بردة: ١٦٠، ١٦١، ٢١٣، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٨٧، ٦٠١، ٦٣١، ٦٣٢.
أبو بكر الصديق: ٣٥، ٧٤، ٨٧، ٨٨، ٢٣٨، ٤٣٨، ٤٣٩، ٥٦١، ٥٧٣، ٥٩٤، ٦٠٢، ٦٠٣.
أبو بكر النيسابوري: ٣٤٩.
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: ٦١٦، ٦٢٤.
أبو بكر محمد بن الفضل: ٥٩٣.
أبو جعفر الطحاوي: ٦٠٢.
أبو جهل بن هشام: ٧١، ٩٨، ٢٨٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢.
أبو حذيفة بن عتبة: ٢٣١، ٣٢٩.
أبو حنيفة: ٥٩٢.
أبو حي المؤذن: ٣١١.
أبو داود السجستاني: ٣٤٧، ٣٥١، ٤١٢، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٤٦، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٣.
أبو داود الطيالسي: ٥٢٠، ٦٣٤.
أبو رهم: ١٦٠، ٢١٣، ٥٥١، ٦٠١، ٦٣١.
أبو زرعة: ٣٣٧.
أبو زكريا العنبري: ٥٣.
أبو سبرة بن أبي رهم: ٢٣٢.
أبو سعيد الخدري: ٧٧، ٥٦٢، ٦٣٥.
أبو سعيد بن يونس: ٥٥٨.
أبو سفيان: ١٩٥، ٣٤٨، ٣٥١.
أبو سكينة رجل من المحررين: ٥٠٨.
أبو سلمة بن عبد الأسد: ١٣٧، ٢٣٢، ٣٢٩، ٦٢٤.
أبو سلمة بن عبْد الرحْمن: ٦٣، ٥٣٧.
أبو طالب ٧٤، ١٢١.
أبو طلحة الأنصاري: ٥٣.
أبو عبد الله المالكي: ٥٩٥.
أبو عبيد القاسم بن سلام: ٥١١.
أبو عبيدة بن الجراح: ٣٣٠.
أبو عروبة: ٤٣٩.
أبو عمر الدبيان: ٦٠٦.
أبو فيصل البدراني: ٥٨٧.
أبو قتادة: ٥٥٨.

أبو كبشة الأنماري: ٥٤٦.
أبو مالك الأشجعي: ٣٤٣.
أبو محذورة: ٦٠٤.
أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس.
أبو نعيم: ١٠٨، ٣٥١، ٣٩٨.
أبو نيزر (ابن النجاشي) مولى علي بن أبي طالب: ١٦٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٤٦٦، ٥٠٥.
أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر.
أبو يعلى الموصلي: ٥٥٠، ٦٢٨.
أبو يوسف: ٥٩٢.
أبي بن كعب: ٢٧٧.
أحمد بن حنبل: ٥٦، ٦٨، ٣١٢، ٣٤٣، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٨٧، ٥٥٠، ٥٧٨، ٦٠٧، ٦١٦، ٦٢١.
أحمد بن صالح المصري: ٥٨.
أحمد بن عطية (الدكتور): ٥٨١.
الأخنس بن شريق: ٣٣١، ٣٣٢.
أرمى بن أصحمة: ٣١٠.
أزهر بن عبد عوف: ٣٣٨.
إسحاق بن راهويه: ٦٥، ٢٧١، ٥٢٦، ٦٢٠.
إسحاق بن يسار: ٣١٠، ٥٠٥.
أسعد بن زرارة: ٥٣٣.
أسماء بنت عميس الخثعمية: ٣٥، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٠-١٦٢، ١٦٥-١٦٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٥٨، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٣١-٤٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٦٦، ٥٥١-٥٥٤، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٨٦، ٥٨٧، ٦٠٢، ٦٣١، ٦٣٢.
إسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة: ٢٣٦، ٤٥٢.
إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص: ٣٤٧.
الأشعث بن قيس: ٤٢٢.
أكرم ضياء العمري (الدكتور): ٥٠، ١١٠، ٣٤٩، ٣٧٢، ٣٧٥.
أم أيمن: ٤٣٩.
أم جعفر: ٤٣٨.
أم حرملة بنت عبد الأسود بن جزيمة: ١٣٨.
أم سلمة بنت أبي أمية (أم المؤمنين رضي الله عنها): ٣٥، ٦٥، ٦٧-٧٢، ١٠٦، ١١٦، ١٢٦، ١٣٧، ١٥٩، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨ ٢٧١، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٧٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٠-٤٧٢، ٤٧٤، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٩، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٨.
أم كلثوم: ٥٢٠.
أم يقظة بنت علقمة: ٣٣٠.
الإمام أبو القاسم إسماعيل التيمي: ٣٠٩.
الإمام الشافعي: ٥٥، ٥٨، ٥٩٥، ٦٠٧، ٦٠٩، ٦٢٢.
الإمام الطيبي: ٦٨.

أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية (أم خالد - وأم عمرو بن الزبير) ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٩٠، ٥٤٩، ٥٧٨، ٦٠٠.
آمنة الزعبي (الدكتورة): ٤٩١.
أميمة بنت خلف: ١٣٧، ١٤٤، ١٤٦.
أنس بن مالك: ٥٢٠، ٥٢٩، ٦٢٣، ٦٣٦.
البخاري = محمد بن إسماعيل البخاري.
بدر الدين العيني: ٣٥٠.
البراء بن عازب: ١٩٦، ٦٣٤، ٦٣٦.
البزار: ١٨٧، ٣٠٧، ٣٨٦، ٤١٢، ٤٩٦، ٥١٦، ٦٢٥، ٦٢٧.
البغوي: ٣٥١، ٥٠٨.
البلاذري: ٤٣٣، ٤٣٥.
بلال بن رباح: ٢٩، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٨، ٤٩٩.
بلقيس (ملكة سبأ): ٤١٨.
البيهقي: ٥٨، ١٢٦، ٢٤٠، ٣١٠، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٨، ٤٣٨، ٤٥٢، ٤٥٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٦٠١، ٦٢١.
الترمذي: ١٦٧، ٥٠٢، ٥٠٣، ٦٣٢.
الثعلبي: ٣١٠، ٥٩٦.
جابر بن سمرة: ٦٣٤.
جابر بن عبد الله: ٦٨، ١٢٨، ٢٧١، ٢٨٤، ٤٢٤، ٤٩٣، ٥٤٩، ٥٧٧، ٥٨٨.
جبريل عليه السلام: ١٢٦.
جبير بن نفير: ٣١١.
جعفر بن أبي طالب: ٣٠، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٣، ٨٤، ٩٥، ١١١، ١١٣، ١٢١، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٢-١٩٤، ١٩٦-٢٠١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٤-٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦-٢٦٨، ٢٧٤-٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١-٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٧-٣١٠، ٣١٢، ٣٢٢-٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٦٩-٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤١-٤٤٣، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٩، ٤٨٠، ٥٠٥، ٥١٤، ٥١٦-٥٢٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٩، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٨، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦١٥، ٦١٨-٦٢١، ٦٢٥-٦٢٨، ٦٣٠-٦٣٣..
جعفر بن محمد: ٤٦٠.
جلال الدين السيوطي: ٢٩.
جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، ٢٨، ٢٩، ٣٥٠، ٣٥١.
جمال الدين بن حديدة: ٥١١.
جهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري: ١٣٨.
الحارث بن حاطب: ١٤٤.
الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: ٢٧٧.

حاطب بن عمرو بن عبد شمس: ١٤٣، ٢٣٢، ٣٣٠، ٣٤٣.
الحاكم النيسابوري: ١٣٧، ١٤٦، ٢٢١، ٣٤٨، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٣٤.
حبيب بن أبي أوس: ٣١٢.
حجاج (راوٍ): ٥٦٢.
حذيفة بن اليمان: ٤٢٣.
حريز بن عثمان: ٣١١.
حفصة زوج النبي ﷺ: ١٦٠، ١٦١، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٨٦، ٦٣١.
حمزة بن عبد المطلب: ٤٤١، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٩.
حمود الرحيلي (الدكتور): ٥٨١.
خارجة بن زيد: ٤٢٩.
خالد بن الزبير بن العوام: ١٤٤، ١٤٧، ٣٤٠.
خالد بن الوليد: ٩٨.
خالد بن حرملة: ٦٢٤.
خالد بن حزام: ٣٣٨.
خالد بن سعيد بن العاص: ١٣٧، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٢، ٤١٩، ٥٧٨.
الخرائطي: ٣٥٠.
خزيمة بنت جهم: ١٣٨.
الخطابي: ٦٠١.
الخطيب البغدادي: ٥٦.
خليل المالكي: ٦١١.
الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢٢.
خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي: ٣٣٠.
خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة: ٥٥٨.
الدارقطني: ٣٤٨، ٣٤٩.
الذهبي: ٤٦، ٥٠، ٢٢٤، ٢٧٧، ٥٣٦، ٥٦١، ٥٧٣، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٣٦.
ذو السويقتين: ٥٠٨، ٥٨٤.
ذو المشعار الهمداني: ٤٢٢.
ذو مخمر الحبشي (ابن أخي النجاشي): ٣١١، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١.
رؤوف شلبي (الدكتور): ٢١، ٢٦، ٢٨٨.
راشد بن سعد المقرئ: ٣١١.
رافع بن خديج: ٦٠٥.
ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري: ٥٦٢.
ربيعة بن الحارث: ٥٥٦، ٥٥٧.
رقية بنت رسول الله ﷺ: ١٣٧، ١٤٠، ٢٣١، ٣٢٩، ٣٥٧، ٥٢٩، ٥٣٣.
الرمادي: ٣٤٨.
رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة): ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٨٨، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٨، ١٩٦، ١٧١، ١٩٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٦٥، ٣١١، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٦٦، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٧٩، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠.
رملة بنت أبي عوف: ١٤٤.
ريطة: ١٤٥.
الزبيدي (صاحب تاج العروس): ١٨.

الزبير بن العوام: ١٤٧، ٢٣٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٩٠، ٣٩١، ٤١٥، ٤١٦، ٥٦٢، ٥٦٣٦، ٥٩٥، ٦٢٠.
الزبير بن بكار: ٦٣٠.
الزرقاني: ٣١٥.
الزركشي: ٦١٠.
الزركلي: ٥٣٦.
الزهري = محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.
زياد مولى ابن عياش: ٢٧٧.
زيد بن أسلم: ٦٠٥.
زيد بن ثابت: ٥٨٧.
زيد بن حارثة: ٤٤١، ٥٣٥، ٥٣٩.
زيد بن عمرو بن نفيل: ٥٧٩.
زينب بنت الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم: ١٤٥.
زينب بنت جحش: ٥٥٧.
السائب بن عثمان بن مظعون: ١٤٣، ٣٣٠.
سالم بن عبد الله بن عمر: ٥٨.
سامية عبد العزيز منيسي (الدكتورة): ٣١.
السخاوي: ٥٢.
السرخسي: ٦٠٥.
سعد المرصفي (الدكتور): ٧٨، ٨٩، ٩٢، ٩٤.
سعد بن أبي وقاص: ٩٣.
سعد بن الربيع: ٢١٦، ٢٣٢.
سعد بن معاذ: ٥٢٠.
سعد بن معبد: ٢٧٤.
سعيد القحطاني (الدكتور): ٥٨٨.
سعيد بن خولة: ٣٣٠.
سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: ٢٧٧.
سعيد بن عياض: ٤٢١.
سعيد بن منصور: ٥٢٠.
سعيد حوى (الأستاذ): ٢٢، ١٠٩.
سفر الحوالي (الدكتور): ٢١.
سفيان بن عيينة: ٦١١.
السكران بن عمرو بن عبد شمس: ١٤٣، ٣٣٠.
سلمة بن هشام بن المغيرة: ٩٧، ٩٨، ٣٢٩.
سلمى بنت عميس: ٤٤١.
سليط بن سليط: ١٤٣، ٣٣٠.
سليط بن عمرو بن عبد شمس: ١٤٣، ٣٣٠.
سليمان العودة (الدكتور): ٣٣، ٦٧، ١١١، ٣١١.
سليمان بن أرقم: ٥٨.
سليمان بن يسار: ٢٧٧، ٥٠٢.
سليمان عليه السلام: ٤١٨.
السندي: ٤٣٧.
سهلة بنت سهيل بن عمرو: ٣٢٩.
سهيل بن بيضاء: ٢٣٢، ٣٣٠.
سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود: ٣٢٩.
السهيلي: ٢٥، ٦٦، ١٢٠، ١٦٦، ٣٠٩، ٣٥٠، ٤٦٦، ٥٠٦، ٥٣٧، ٦١١.
سودة بنت زمعة بن قيس: ١٤٣، ٣٣٠.
سويد بن غفلة: ٥٩٤.
السيد رئيس نجران: ٥٧٢.
سيد قطب (الأستاذ): ٨٨.

الشاطبي: ٥٧٤.
شاه عبد العزيز دهلوي: ٥٧٦.
شرحبيل ابن حسنة: ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٤٩، ٥١٣، ٥٣٥، ٥٩٨، ٥٩٩.
شرف الدين المقدسي: ٣٥٠.
شمس الأئمة الكردي: ٥٩٣.
شمس الدين بن المحب: ٥٨٨.
صالح الأطرم: ٥٨٠.
الصالحي = محمد بن يوسف الصالحي.
صفاء موسى بيلو عثمان: ٣٦.
صفوان بن محرز: ٦٠٥.
الصنعاني: ٤٨٨.
طارق بن شهاب: ٤٣٩.
الطبراني: ١٢٩، ٢٣٦، ٤٥٨، ٥٥٠، ٦٢٨.
طليب بن أزهر بن عبد عوف: ٣٣٩.
طليب بن عمير بن وهب: ٣٢٩.
طهفة النهدي: ٤٢٢.
عائشة (أم المؤمنين) رضي الله عنها: ٥٤، ٨٧، ١٤٥، ١٦٨، ٣٣٩، ٣٤٩، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٣١ ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٨٥، ٥٠٢، ٥٦٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦٢٤.
عائشة بنت الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم: ١٤٥.
عاتكة بنت عبد العزى: ٣٣٨.
العاقب رئيس نجران: ٥٧٢.
عامر بن ربيعة العنزي: ٧٩، ٢٣٢.
عامر بن هاشم بن عبد مناف: ٣٣١.
العباس بن عبد الرحمن: ٣١١.
العباس بن عبد المطلب: ٥٥٦، ٥٥٨.
عبد الباقي بن قانع: ٣٥١.
عبد الرؤوف المناوي: ١٩.
عبد الرحمن ابن عساكر: ٣٥٠.
عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي: ٣٣٧.
عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي: ٣٤٩.
عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة: ٩٧، ١٩٦، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٠٦، ٤١٩، ٤٨٧، ٤٩٣، ٦٠٤، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣٥.
عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الحزامي: ٣٣٧.
عبد الرحمن بن عوف: ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٢٩، ٦٢١.
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: ٤٧٩.
عبد الرحمن (رجل من أهل صنعاء): ٤٧٩.
عبد الرزاق: ١٣٧، ١٤٤، ١٦٠، ٣٤٨، ٦٠٦.
عبد الستار أبو غدة (الدكتور): ٤٠٧.
عبد الشافي محمد عبد اللطيف (الدكتور): ٥٥، ٥٦.
عبد العزيز بن محمد: ٥٦٢.
عبد الغني الأزدي: ٣٥٠.
عبد الله الجديع (الدكتور): ٥٢، ٥٣.
عبد الله بن أحمد الراوي (الدكتور): ٢١.
عبد الله بن أحمد موفق الدين ابن قدامة: ٦٠٩.
عبد الله بن أريقط: ٦٠٧.

عبد الله بن الحارث بن نوفل: ١٣١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٥٥٦.
عبد الله بن الزبير: ٥٥٠، ٦٣١.
عبد الله بن المطلب: ١٤٤.
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ١٤٤، ١٦٢، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٤٦٦، ٥٥٠، ٦٣٠.
عبد الله بن رواحة: ٥٧٤.
عبد الله بن سلام: ٥٧٢.
عبد الله بن عباس: ١٢٤، ٢٧٧، ٤٤١، ٥٧٤.
عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي: ٥٦٢.
عبد الله بن عتبة: ٦٣٣.
عبد الله بن عدي بْن الحمراء الزهْري: ٦٣.
عبد الله بن عمرو: ٣٤١، ٥٠٨، ٥٨٤.
عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة: ٢٧٧، ٦١٦.
عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري: ٨٣، ١٦٠، ١٦١، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٨٢، ٣٢٤، ٣٣٢، ٤٢١، ٤٥٢، ٤٧١، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥٣٣، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٨٧، ٦٠١، ٦٠٥، ٦١٥، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣.
عبد الله بن مسعود الهذلي: ١٤٣، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٦٧، ٣٢٩، ٣٥٨، ٤٠٢، ٤٥٩، ٥٧٨، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦، ٦٠١، ٦١٥، ٦٣٠، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٦.
عبد الله بن نمير: ٥٦٢.
عبد المجيد النجار (الدكتور) ٢١، ٤٠٥.
عبد المطلب: ٣٣١.
عبد الملك بن مروان: ١٠٤.
عبد الملك بن هشام: ٢٤، ٥٢، ٥٤، ١٧٥، ٢٣١، ٣٥٥، ٥٣٦.
عبد شمس بن عبد مناف: ٣٣٠.
عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي: ٣٤، ٣٥، ١٥٦، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٠، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٩٤، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤٠٢، ٥١٣، ٥٧٩، ٥٩٨، ٥٩٩.
عبيد الله بن عباس: ٥٥٠.
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: ٦٣٥.
عتبة بن غزوان بن جابر: ٣٢٩.
عتبة بن مسعود: ١٤٣.
عثمان بن الحويرث: ٥٧٦.
عثمان بن عفان: ١٣٧، ١٤٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٦٥، ٣٢٩، ٣٥٧، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٦١، ٥٩٣، ٥٩٦.
عثمان بن مظعون: ١٤٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ٢٣٢، ٢٦٦، ٢٩٧، ٣٣٠، ٦٣٣.
عثمان جمعة ضميرية (الدكتور): ٥٨٣.
عدي بن نضلة: ٢٣٤، ٣٣٨.
عدي بن نوفل بن عبد العزى: ٦١١.
عروة بن الزبير: ٧٠، ١٠٤، ١٣٧، ٢٣٦، ٣٤٦-٣٤٩، ٤٣٤، ٤٥٢، ٥٥٠، ٥٦٢، ٦٣١، ٦٣٥.

عروة بن مسعود: ٥٤.
عطاء بن يسار: ٦٠٥.
عكرمة: ٤٢٤.
علي بن إسحاق: ٢٢٠.
علي بن محمد المديني: ٥٦.
علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة: ٣٣٠.
عماد الدين خليل: ٢٧، ١٢٤.
عمار بن ياسر: ٣٢٩.
عمار منلا (الدكتور): ٣٤، ٥٣٢.
عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب: ٤٤١.
عمر بن الخطاب: ٣٢، ٧٩، ٨٧، ١٦٣، ١٦٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣١٨، ٣٥٨، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٩٤، ٦٣٦.
عمر بن الزبير بن العوام: ١٤٤، ١٤٧.
عمر بن عبد الله الحضرمي: ٣١١.
عمرو بن أبي شريح بن ربيعة: ٣٣٠.
عمرو بن العاص: ٢٩، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٩، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٢، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٦٨، ٥٣١، ٥٧٨، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٣.
عمرو بن أمية الضمري: ٣١٠، ٣١٣، ٤٢٦، ٥١٩، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٥.
عمرو بن جهم ١٣٨.
عمرو بن حريث: ٥٥٠.
عمرو بن سعيد: ١٤٢، ١٤٣.
عمرو بن شرحبيل: ٦٣٥.
عون بن جعفر بن أبي طالب: ١٤٤، ١٦٦، ٣٠٩، ٤٦٦.
عياش بن أبي ربيعة: ٩٧، ٣٢٩.
عياض (القاضي): ٤٢٢، ٤٢٣.
عيسى ابن مريم عليه السلام: ١١١، ١٢٠، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤١٢، ٤٦٥، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٧٩، ٦١١، ٦١٩، ٦٢٦، ٦٣٣.
غالب عواجي (الدكتور): ٥٨٢.
فاطمة بنت رسول الله ﷺ: ٤٣٨.
فاطمة بنت المجلل (أم جميل): ١٤٤.
الفاكهي: ١٦١، ٣٢٢.
فالح الدوسري (الدكتور): ٥٧٨.
فرعون: ٣١٣.
الفضل بن العباس: ٥٥٨.
فضل بن عبد الله (الدكتور): ٥٩٠، ٦٠٧.
القاسم بن سلام: ٥٦، ٥١١.
القاسم بن محمد: ٢٤٠.
قثم بن عباس: ٥٥٠.
قدامة بن مظعون: ١٤٣، ٣٣٠.
القرافي: ٦٠٣.
قطن بن حارثة العليمي: ٤٢٢.
قيصر ملك الروم: ٥٧٩.
الكاساني: ٥٩٢.
الكرخي: ٥٩٣.
الكوراني: ٩٨.
لبابة بنت الحارث (أم الفضل): ٥٥٨.

لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب: ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠.
اللخمي: ٥٩٥.
لقمان عليه السلام: ٢٩.
ليلى ابنة أبي حثمة بن غانم: ٧٩، ٣٢٩.
مؤمن آل فرعون: ٥٨٨.
ماجد عرسان الكيلاني (الدكتور): ٢١.
مالك بن أنس (الإمام): ٥٦، ٥٨، ٥٩٥، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢٣.
محب الدين الطبري: ٣٥٠.
محماس بن عبد الله الجلعود: ٥٨٤.
محمد أبو زهرة (الشيخ): ٢٦، ٧١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٩، ٢٣٧، ٢٩٤، ٥٣٩.
محمد العواجي (الدكتور): ٥٨.
محمد الغزالي (الشيخ): ٢٦، ١٢٠، ٤٦٣.
محمد الفيومي (الدكتور): ٥٧٩.
محمد إلياس الفالوذة: ٢٧.
محمد بن أبي حذيفة: ١٤٤.
محمد بن إسحاق بن يسار: ٢٤، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٧٤، ٧٩، ٩٣، ١٢١، ١٤٣، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨٦، ٤٦٠، ٤٦٦، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٣، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٦٠، ٥٨٨، ٦١٦، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٣٠.
محمد بن إسماعيل البخاري (الإمام): ٤٧، ٥٣، ٥٦، ٧٧، ٨٧، ٩٧، ١٢٤، ١٦٠، ١٦٨، ١٩٦، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٨٥، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٧٣، ٥٧٤، ٦٠٦، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٠-٦٣٤.
محمد بن الحسن الشيباني: ٥٦، ٤١٦.
محمد بن الحسن الشيباني: ٥٩٢.
محمد بن المنكدر: ٥٨.
محمد بن جرير الطبري: ٥٧، ١٠٤، ٣١٠، ٦٣٦.
محمد بن جعفر بن أبي طالب: ١٤٤، ١٦٦، ٣٠٩، ٤٦٦.
محمد بن حاطب: ١٤٤، ١٦١، ١٦٥، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٤٣، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٥٣.
محمد بن حمد أبو عمر الصوياني: ٢٧.
محمد بن سلام: ١٦١، ٣٢٢.
محمد بن عمر الأسلمي: ٣٣٠.
محمد بن عمر الواقدي: ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٢٣٢، ٣٤٧، ٥٥٨، ٥٦٢.
محمد بن عمر: ٤٤٢، ٥٦٢.
محمد بن فارس الجميل (الدكتور): ٣٠.
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ١٠٨، ١١٠، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٥٦٢، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٥.
محمد بن يوسف الصالحي: ٥٠.
محمد رمضان البوطي (الدكتور): ٢٥، ٢٦، ٥٥.
محمد عبد الله العوشن (الدكتور): ٢٧، ٣٤٧، ٣٥١.

محمد عدنان السمان (الدكتور): ٩٥.
محمد عمارة (الدكتور): ٤٠٩.
محمد متولي الشعراوي (الشيخ): ٢٢.
محمد موسى الشريف (الدكتور) ٤٩، ٥١.
محمد هيكل ١٠٩.
محمود الألوسي (أبو المعالي): ٥٧٦.
محمود النمر (الدكتور): ٥١٠.
محمية بن جزءبن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد الأصغر: ٥٥٥-٥٦١.
مروان محمد شاهين (الدكتور): ٣٨.
المزي: ٣٥٠.
مسلم بن خالد: ٥٢٠.
مسلم بن الحجاج (صاحب الصحيح): ٧٧، ١٢٤، ١٦٠، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٥٧، ٣٣٢، ٥٤٥، ٥٥٦، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٣.
مصطفى السباعي (الدكتور): ٢١٤.
مصعب بن عبد الله بن الزبير: ١٤٦، ٥٣٣.
مصعب بن عمير: ٢٣٢، ٣٢٩.
المطعم بن عدي: ٦٠٧.
المطلب بن أزهر بن عبد عوف: ٣٣٩.
المطلب بن عبد مناف: ٣٣٠.
معاذ بن جبل: ٥٣٦، ٥٣٨.
معتب بن عوف بن عامر: ٣٢٩.
معتمر بن سليمان: ٢٣٦، ٤٥٢.
معمر بن عبد الله بن نضلة: ٢٣٣، ٣٤٩.
معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي: ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٩٣.
المغيرة بن شعبة: ٥٤، ٥٥.
المقداد بن عمرو: ٣٢٩.
المقريزي: ٣٣.
المقوقس: ٥٥.
الملا علي القاري: ٣٥٠.
ملك الروم: ٥٢٠.
المنذر بن عبد الله: ٣٣٧.
منقذ السقار (الدكتور) ٥٨٥.
منير الغضبان (الدكتور): ٢١، ٢٦، ٢٧، ٧٨، ٨٤، ١٩٤، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٧٥.
المهندس فتحي غيث: ٣١.
موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم: ١٤٥.
موسى بن عقبة: ٥٢٠.
موسى عليه السلام: ١٢٦، ١٩٤، ٢٨٥، ٣١٣، ٥٧٢، ٦١٨، ٦٢٦، ٦٢٧.
ميمونة رضي الله عنها: ١٦٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٥٨٦، ٥٨٧.
ناصر القفاري (الدكتور): ٥٨٦.
نافع مولى ابن عمر: ٢٧٧، ٥٦٢، ٦٢٥.
النجاشي: ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٦٨، ٦٩، ٩٥، ١٠٤، ١٠٨-١١٣، ١١٥-١٢٢، ١٢٦، ١٦٠، ١٦٦، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣-٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٤-٢٣٩، ٢٤٧-٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٣-٢٩٩، ٣٠١-٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩-٣١٥، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٦٩،

٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٦-٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠-٤٠٢، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢-٤٥٤، ٤٥٧-٤٦١، ٤٦٣-٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧-٤٨٠، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥١٠-٥٢٠، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٤٤، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٣٢، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٧، ٦١١، ٦١٦-٦٢١، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٣.

نجم الدين سليمان بن عبد القوي (أبو الربيع): ٥٧٢.

النسائي: ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٤٣٢، ٥٩٨، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٥.

النعمان بن عدي بن نوفل بن عبد العزى: ٢٣٤، ٣٣٨.

النواس بن سمعان الكلابي: ٣٥٣.

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: ٥٥٧.

نوفل بن عبد مناف: ٣٣٠.

النووي: ١٨١، ٦٠٤.

هاشم بن عبد مناف: ٣٣١.

هرقل عظيم الروم ١٩٥، ٣٤٨، ٣٥١.

هشام بن العاصي بن وائل: ٣٣٠.

هشام بن عروة: ٣٣٧.

همينة بنت خلف = أميمة بنت خلف.

وائل بن حجر الكندي: ٤٢٢.

الواحدي: ١٢٥.

الواقدي = محمد بن عمر الواقدي.

ورقة بن نوفل: ٣٤٨، ٥٧٩.

وليد العمري (الدكتور): ٢٧.

الوليد بن المغيرة: ١٧٦، ١٧٧.

الوليد بن الوليد: ٩٧، ٩٨.

وهبة الزحيلي (الدكتور): ٢١.

ياسين الخليفة: ٥٨٦.

يحيى بن زكريا بن أبي زائدة: ٦٢٠، ٦٢١.

يحيى بن سعيد القطان: ٥٨.

يحيى بن معين: ٥٦، ٥٨، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٥.

يزيد بن القعقاع، أبو جعفر: ٢٧٧.

يعقوب (راوٍ): ٦١١.

يوسف أحمد: ٣٢.

يوسف عليه السلام: ٩٨.

يونس بن بكير الشيباني: ١٦٦، ٣٠٩، ٣٤٩، ٤٦٦، ٦٢١.

فهرس الأيام والغزوات والوقائع والحروب

أحد: ٨٤.
البيعة الأولى: ٥٤.
الحملة المصرية: ٣٣.
الخندق: ٨٤.
خيبر: ١٦٠.
ذات السلاسل: ٦٣٠.
صلح الحديبية: ٥٤، ٨٤.
غزوة أحد: ٥٧.
غزوة بدر: ٨٤
فتح خيبر
فتح مصر: ٥٥٨.
المريسيع وهي غزوة بني المصطلق: ٥٥٨.
الهجرة الأولى إلى الحبشة: ٣٣.
الهجرة الثانية إلى الحبشة: ٣٦.
هجرة يثرب: ٨٤.
واقعة (بادقي): ٣٣.
واقعة (صبر كوري): ٣٣.
يوم بعاث: ٥٤.
يوم بيعة الرضوان: ٥٣٧.
يوم حراء: ٥٣٧.
يوم مؤتة: ٦٣٠.

فهرس الأماكن والبلدان

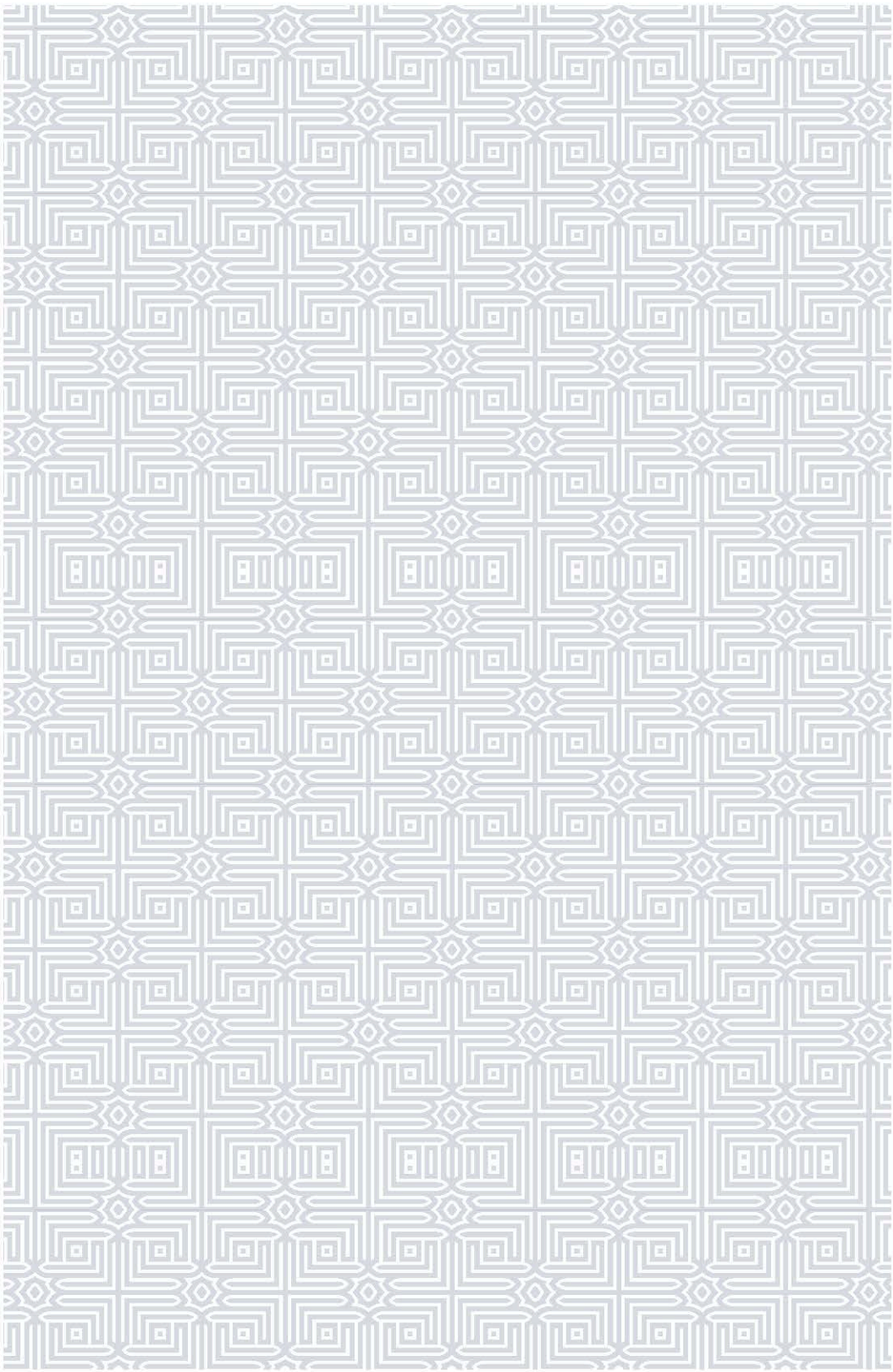
أحد ٨٤، ٣٢٩.
الأزهر الشريف: ٣٣.
أوروبا: ٢٣، ٤٠، ٤٨، ٢١٦، ٢١٧، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٩٢، ٣٢٥.
بئر أريس: ٥٦١.
بدر: ٥٤، ٤٧٩.
برك الغماد: ٧٤، ٥٧٣.
بطحاء مكة: ٥٨٦.
البقيع: ٢٣٢، ٣٤٠، ٦٢٥.
بلاد البلقان: ٢١٧.
بلاد العرب: ١٢٠.
بيت المقدس: ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٩٧.
تهامة: ٤٠٦.
جبل حراء: ٥٣٧.
الجرف: ٢٣٢.
الجزيرة العربية: ٣٢، ٣٦، ١٠٧، ١١١، ١٢٠، ١٩٢.
الحبشة[1].
الحجاز: ٤٢٢، ٦٢٣.
الحزورة: ٦٣.
حضرموت: ٤٢٢.
الخندق: ٨٤، ٣١٢، ٣٢٩، ٥٣١.
ذو الحليفة: ٤٠٦.
السودان: ٢٨، ٢٩.
سوريا: ٢١٦.
سوق المدينة: ٢٣٢.
سوق مكة: ٦٤.
الشام: ٥٧، ٣١١، ٦٢٣.
شعب أبي طالب: ٥٨٦.
الطائف: ٦٠٧.
العراق: ٥٧، ٢١٦، ٦٢٩.
القارة: ٧٤، ٨٧، ٥٧٣.
كنيسة الحبشة: ١٧٣، ٤٠٦، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٩، ٦٠٠.
كنيسة مارية: ١٦٨، ٤٠٦.
الكوفة: ٦٣٦.
المدينة المنورة: ٣٤، ٥٤، ٨٣، ٨٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٨٧، ٤٢٣، ٤٤٩، ٤٨٣، ٤٨٤،

(١) لم نرصد أرقام الصفحات الخاصة بورود بلاد الحبشة في البحث لكثرتها، فلا تكاد تخلو صفحة منها إلا القليل النادر، باعتبارها أساس في البحث.

٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٢، ٥١١، ٥١٣، ٥١٦،
٥١٩، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠،
٥٤٨، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٧١، ٥٨٦، ٥٩١،
٥٩٥، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٣٥.
مصر: ٥٥، ٥٠٩، ٥٥٨، ٦٠٦، ٦٣١.
مكة المكرمة: ٣٤، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧١،
٧٢، ٧٣، ٨١، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٨،
١٠٥، ١٠٨، ١١٠، ١١٦، ١٣١، ١٣٧،
١٥٦، ١٧٥، ١٩٣، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣١،
٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٧،
٣١٠، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٩،
٣٧٥، ٣٨٤، ٣٩١، ٤١٨، ٤١٩، ٤٤١،
٥٠٥، ٥٠٦، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٦،
٥٣٧، ٥٣٩، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٨٦، ٥٩٠،
٥٩١، ٥٩٧، ٦٠٨، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٣٦.
منى: ٥٤، ٦٠٣.
نجد: ٤٢٢.
يثرب: ٨٤.
اليمن: ٨٣، ١٦٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٣٠٥،
٣٣٢، ٤٢٢، ٤٨٧، ٥٥١، ٦٠٦، ٦٣١.

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
ألا ليت شعري كيف في النّأي جعفرٌ	الأقاربُ	٥	أبو طالب	١٢١
ألا كُل شيءٍ ما خلا الله باطلُ	زائلُ	١	لبيدُ بنُ ربيعة	١٧٦، ١٧٧
يا راكبًا بلغن عنّى مُغلغلةً	والدّين	٦	عبد الله بن الحارث	١٣١، ٢٤٣



ثبت المصادر والمراجع

- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البويري الكناني الشافعي، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية**، شمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، النشر: ١٤١٨هـ.
- **الآحاد والمثاني**، أبو بكر بن أبي عام وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: د. باسم فيل أحمد الجوابرة، دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- **الأحاديث الصحاح الغرائب للمزي**، عبد الرحمن بن يوسف بن الزكي عبد الرحمن زين الدين أبو الفرج (ابن الحافظ جمال الدين المزي)، تحقيق ودراسة: إبراهيم بن علي بن محمد آل كليب، مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
- **الأحاديث الطوال**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت.
- **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار**، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد ابن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر - بيروت.

- **أخلاق النبي وآدابه**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- **إرشاد القاي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني**، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنوري، قدم له: د سعد بن عبد الله الحميد، راجعه ولخص أحكامه وقدم له: أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المأربي، دار الكيان - الرياض، مكتبة ابن تيمية - الإمارات.
- **الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية**، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **الاستيعاب في بيان الأسباب «أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم»**، سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- **الأسماء والصفات للبيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.
- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: أحمد عام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م
- **الإفصاح عن معاني الصحاح**، يحيى بن (هبيرة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.
- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، سعد الملك، أبو نر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- **الأم**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **الإملاء المختر في شرح غريب السير**، مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشنيالجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب، استخرجه وصححه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري**، أبو حذيفة، نبيل بن منور بن يعقوب بن سلطان البارة الكويتي، تحقيق: نبيل بن منور بن يعقوب البارة، مؤسسة السماحة، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **أهداف التربية الإسلامية**، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، الطبعة الأولى.
- **الأهوال**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، عام النشر: ١٤١٣هـ.
- **أوائل المؤلفين في السيرة النبوية**، الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ضمن سلسلة دراسات إسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، العدد ١١١، لعام ٢٠٠٥.
- **الأوائل لابن أبي عام**، أبو بكر بن أبي عام وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد بن نار العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **البعث والنشور**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عام الشوامي الأثري، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ ابن معين (رواية الدوري)**، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المصري بالولاء، البغدادي، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي)**، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المصري بالولاء، البغدادي، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث - دمشق.
- **تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٨٧هـ.
- **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **تحرير علوم الحديث**، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: عبد المد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيمة، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
- **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عام بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **تفسير الشعراوي - الخواطر**، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- **التلخي الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.
- **التنوير شرح الجامع الصغير**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم النعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتحيحه والتعليق عليه ومقابلة أوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي البستي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **الجامع الصحيح للسيرة النبوية**، الأستاذ الدكتور سعد المرفي، مكتبة ابن كثير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن نار النار، دار طوق النجاة (مورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الجامع في الجرح والتعديل [لأقوال البخاري**، ومسلم، والعجلي، وأبي زرعة الرازي، وأبي داود، ويعقوب الفسوي، وأبي حاتم الرازي، والترمذي، وأبي زرعة الدمشقي، والنسائي، والبزار، والدارقطني]، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري، حسن

عبد المنعم شلبي، أحمد عبد الرزاق عيد، محمود محمد خليل العيدي، الدكتور محمد مهدي المسلمي، أيمن إبراهيم الزاملي، إبراهيم محمد النوري، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأناري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض.
- **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٠م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- **حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، محمد حسين هيكل (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الكتب - الطبعة الثانية.
- **خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤٢٥هـ.

- **خلاصة سير سيد البشر**، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية - الرياض.
- **درء تعارض العقل والنقل**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- **دراسة في السيرة**، عماد الدين خليل، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٢٥هـ.
- **الدرر في اختار المغازي والسير**، النمري، الحافظ يوسف بن البر، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **الدعوات الكبير**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى للنسخة الكاملة، ٢٠٠٩ م.
- **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها**، دكتور رؤوف شلبي، دار القلم، الطبعة الثالثة.
- **دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ.
- **الرباعي في الحديث**، أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي بن بشر بن مروان الأزدي المصري، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **الرد على الجهمية**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي، تحقيق: علي محمد نار الفقيهي، المكتبة الأثرية - باكستان.

- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «ما رواه نعيم بن حمادٍ في نسخته زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»)**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الزيادات على كتاب المزني**، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، دراسة وتحقيق: الدكتور خالد بن هايف بن عريج المطيري، دار أضواء السلف، الرياض، دار الكوثر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **سبل الهدى والرشاد**، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- **السنة**، أبو بكر بن أبي عام وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العربية، بيروت.
- **سنن الترمذي= الجامع الكبير**، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- **سنن الدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- **سنن سعيد بن منصور**، أبو عثمان سعيد بن منور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م.
- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.
- **السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- **السيرة النبوية دروس وعبر**، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة – ١٤٢٧هـ.
- **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي البستي، صححه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٧هـ.
- **السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني**، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- **السيرة النبوية**، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

- **السيرة النبوية**، لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الثانية عشرة - ١٤٢٥هـ.
- **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- **شرح السير الكبير**، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي،، الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة بدون طبعة، ١٩٧١م.
- **شرح علل الترمذي**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.
- **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرومي الكرماني، الحنفي، المشهور بـ ابن الملك، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- **شرح معاني الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحبي السبتي، أبو الفضل، دار الفيحاء - عمان، الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ.
- **الشكر**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي - الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.
- **صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ﷺ)**، د. محمد بن صامل السلمي أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، د. عبد الرحمن بن جميل الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، د. سعد بن موسى الموسى أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، د. خالد بن محمد الغيث أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، مكتبة روائع المملكة - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.
- **الضعفاء والمتروكون**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية مقاصده وضوابطه**، د. محمد يسري نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة، بحث محكم من إدارات رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق السنة الخامسة والعشرين، العدد ٢٣٩، لعام ٢٠٠١م.
- **الطبقات الكبرى**، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: زياد محمد منور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأناري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين**، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود ابن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **العلل لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.
- **العلمانية – نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعارة**، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- **فتح الباب في الكنى والألقاب**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، مكتبة الكوثر – السعودية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- **فتح القدير**، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر، الطبعة بدون طبعة وبدون تاريخ.
- **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ.
- **فقه السيرة النبوية**، منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- **فقه السيرة**، محمد الغزالي السقا، دار القلم، دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا من إدارات المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث**، للدكتور عبد المجيد النجار، الإصدار الرابع، الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.، الطبعة (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١-٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء ٢٤-٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الفوة - مصر، الأجزاء ٣٩-٤٥، الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- **القبل والمعانقة والمصافحة**، أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **كتاب الأربعين في صفات رب العالمين**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، قدم له وحقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر بن محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين**، عبد الرحمن بن محمد بن الحسن، ابن منور ابن عساكر الدمشقي الشافعي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **كتاب الأوائل**، أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي الجزري الحراني، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار ابن حزم - لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **كتاب الضعفاء**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **الكتاب المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **كتاب دلائل النبوة**، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
- **الكنى والأسماء**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣هـ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار ادر - بيروت.
- **لسان العرب**، لابن منظور، دار ادر، دار بيروت، سنة١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- **لسان الميزان**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- **المجتبى من السنن = السنن الكبرى للنسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث.
- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

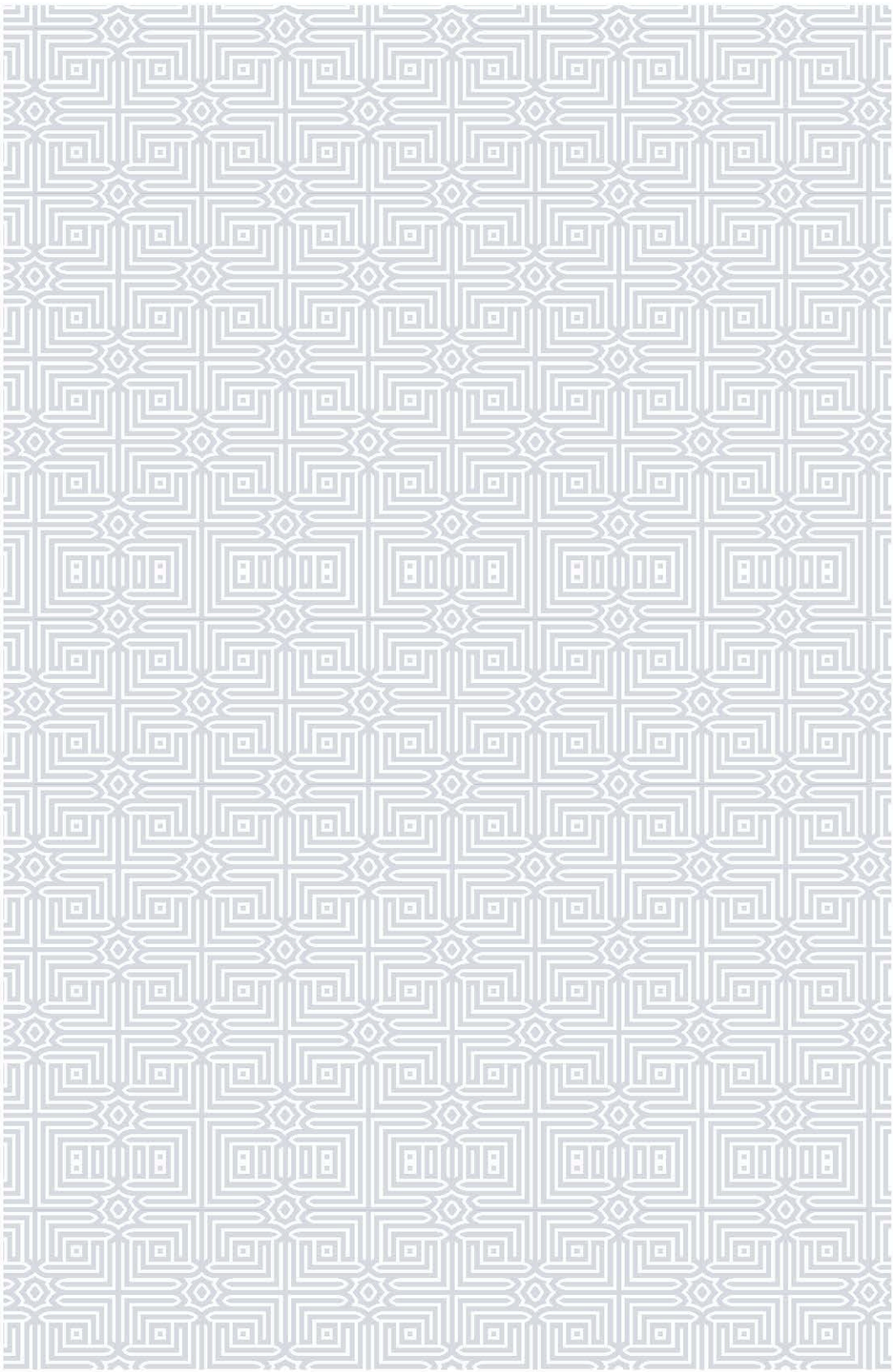
- **المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ**، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأل، الدمشقي المولد، ثم المصري، عز الدين، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشير - عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- **المختلطين**، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، علي عبد الباسط مزيد، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **المخلصيات وأجزاء أخرى**، لأبي طاهر المخلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلص (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي»، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **مرويات الإمام الزهري في المغازي**، محمد بن محمد العواجي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- **مساوئ الأخلاق ومذمومها**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- **مسند أبي داود الطيالسي**، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البرى، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، المولي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **مسند إسحاق بن راهويه**، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد ابن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن بهرام بن عبد المد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
- **مسند الشاميين**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن نار بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **المعجزة الكبرى القرآن**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمدأعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- **معجم الصحابة**، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز ابن عبد المحسن الراشد أبو باسل.
- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.
- **معجم اللغة العربية المعارة**، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **معرفة علوم الحديث**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم ابن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- **المغني في الضعفاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- **المقتنى في سرد الكنى**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **المقدمات الممهدات**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **المقدمة في فقه العصر**، د. فضل بن عبد الله مراد، الجيل الجديد ناشرون - صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م.
- **المنتخب من ذيل المذيل**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ .
- **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله**، أعده: مجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي - أشرف منور عبد الرحمن - عام عبد الهادي محمود - أحمد عبد الرزاق عيد - أيمن إبراهيم الزاملي - محمود محمد خليل)، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، عالم الكتب للنشر والتوزيع - بيروت، لبنان.
- **الموسوعة في صحيح السيرة النبوية**، دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علميا مرتبة على أعوام عمر النبي ﷺ (العهد المكي)، أبو إبراهيم، محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، مطابع الفا - مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

- **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **النكت على كتاب ابن الصلاح**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **هواتف الجنان**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
تقديم بقلم الأستاذ الدكتور العلامة مروان محمد شاهين	٧
مقدمة	١١
تمهيد: عنوان البحث وبيان مفرداته	١٥
(١) عنوان البحث وبيان مفرداته	١٧
كلمة (معالم) في ميزان اللغة	١٧
كلمة: (الوجود الإسلامي)	١٨
لماذا هذا المصطلح؟	٢٠
كلمة (الغرب)	٢٢
(٢) أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع	٢٤
أما القسم الأول: مؤلفات المتقدمين في السيرة النبوية	٢٤
القسم الثاني: مؤلفات المتأخرين في الهجرة إلى الحبشة	٢٦
(٣) ما الذي أضافته هذه الدراسة لما سبق؟	٣٨
(٤) المناهج المتبعة في البحث والدراسة	٤٢
أولًا: المنهج الاستقرائي.	٤٢
ثانيًا: المنهج التحليلي	٤٢
ثالثًا: المنهج الموضوعي	٤٣
رابعًا: المنهج النقدي	٤٣
خامسًا: المنهج الاستنباطي.	٤٣
(٥) منهجي في هذه الدراسة	٤٥

الموضوع	الصفحة

(٦) الكلام على بعض ضوابط التعامل مع السيرة النبوية ورجالها ٤٩
مراسيل الزهري..... ٥٨
الفصل الأول: الهجرة إلى الحبشة والغرب (الأسباب والدوافع) ٦١
أسباب ودوافع انتقال المرء من وطنه..... ٦٣
(١) الافتتان في الدين، والتضييق على العاملين ٦٥
صور الافتتان بين الماضي والحاضر ٦٦
(٢) عدم وجود المنعة في أرضهم أو عناصر الاستقواء المعهودة في زمنهم.. ٧٢
(٣) غياب صفات البيئة المحمودة والمجتمع السليم..... ٧٦
(٤) تحقيق سنة الأخذ بالأسباب في الأمور كلها ٧٩
(٥) التعريف بالإسلام وتبليغه في أرض جديدة ٨١
(٦) تأسيس مفهوم الأرض البديلة ٨٣
(٧) إيلام (الدولة الظالمة) بفقد ثروتها البشرية لهجرتها من بلادهم ٨٦
(٨) تخفيف هموم النبي ﷺ وأعبائه ٨٩
(٩) ترك فسحة للمسلمين لالتقاط الأنفاس وترتيب الأوراق..... ٩١
(١٠) التخوف من نفاد صبر الصحابة رضي الله عنهم ٩٣
(١١) كشف حقيقة قريش للمجتمع الدولي..... ٩٥
(١٢) مراعاة تفاوت الصبر على البلاء والإيذاء..... ٩٧
صور وأسباب أخرى للهجرة والانتقال قديمًا وحديثًا ٩٩
الفصل الثاني: (الحبشة وبلاد الغرب) الوطن الجديد ١٠١
أسس الاختيار ومنطلقات التوجه ١٠٣
(١) طبيعة الأرض (الوطن الجديد) ومواصفات العيش فيه ١٠٤
١ـ وطن يتوفر فيه مقدرات العيش والكسب..... ١٠٤
٢ـ وطن معهود بالمصداقية والخيرية في التعايش والتعامل..... ١٠٥
٣ـ وطن مناخه يساعد على التكيف البيئي، والاستقرار الحياتي..... ١٠٦

الموضوع	الصفحة

٤ـ وطن تمنع طبيعته الجغرافية من وصول الأذى والاعتداء إلى المهاجرين . ١٠٧
٥ـ وطنٌ معروف بالحماية والأمن والحرية ١٠٨
٦ـ وطن يخدم قضايا المهاجر واللاجئ ويقف بجواره ١٠٩
٧ـ وطن معهودٌ نظامه معروف طبيعة شعبه ١١٠
٨ـ وطن يقدر القدوات والمتخصصين ١١١
(٢) الحاكم ومؤسسات الدولة (معالم وسمات) ١١٣
١ـ عدل الحاكم ومؤسسته ١١٣
٢ـ احترام القانون ١١٥
٣ـ المصداقية ١١٥
٤ـ الصلابة في الحكم..... ١١٦
٥ـ الثبات في الحكم والمبادئ، وعدم التقلب في السياسة..... ١١٦
٦ـ الصلاح الإنساني والعمراني ١١٦
٧ـ الإنسانية..... ١١٧
٨ـ النزاهة والترفع عن الأعراض الدنيوية..... ١١٨
٩ـ مواصفات أخرى للحاكم والمؤسسة..... ١١٩
(٣) المشترك الإنساني بين الوطنَيْن القديم والجديد..... ١٢٣
١ـ وجود الروابط والمشتركات الدينية ١٢٣
٢ـ رقة قلوبهم، وسلامة فطرتهم..... ١٢٥
٣ـ متشابهون في كثير من الأهداف الاجتماعية ١٣٠
الفصل الثالث: معالم التعايش والحضور بين المسلمين في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة ١٣٣
معالم التعايش بين المسلمين في بلاد الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة . ١٣٥
(١) الحضور الأسري للوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة ١٣٦

الموضوع	الصفحة

١ـ الهجرة بجميع أفراد الأسرة ودلالة ذلك ١٣٧
٢ـ هجرة أفراد العائلة الواحدة ودلالة ذلك ١٤٢
٣ـ التكاثر الأسري في البلد الجديد ١٤٤
٤ـ الزواج في بلاد المهجر بين أبناء الجيل الثاني ١٤٦
٥ـ التماسك الأسري في الوجود الإسلامي ١٥٥
(٢) الحضور النسائي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب ١٥٨
أولًا: أسس تكوين شخصية المرأة المسلمة المهاجرة من خلال الهجرة
إلى الحبشة..... ١٥٩
أسماء بنت عميس ١٥٩
سمات حركة المسلمة المهاجرة (المغتربة) في بلاد الحبشة..... ١٦٨
١ـ الاندماج والتعايش مع الآخر ١٦٩
٢ـ الزيارات الميدانية ١٦٩
٣ـ اليقظة والتفاعلية..... ١٦٩
٤ـ حرية المرأة في الحركة المجتمعية ١٦٩
٥ـ المسئولية المشتركة مع الرجال ١٧٠
٦ـ تسجيل الأحداث والمواقف..... ١٧٠
٧ـ العمل الجماعي ١٧١
دلالات أخرى في التكوين والحركة للمرأة المهاجرة..... ١٧١
التعليق على ما سبق..... ١٧٢
ولا نغفل هنا نقطتين مهمتين ينبغي الإشارة إليهما ١٧٢
(٣) بناء المرجعية الإسلامية للوجود الإسلامي والالتفاف حولها ١٧٤
المرجعية الفردية في الوجود الإسلامي..... ١٧٤
أولًا: الإحساس الدائم والقوي بإخوانه..... ١٧٨
ثانيًا: المعايشة الكاملة لإخوانه في السراء والضراء. ١٧٨

الموضوع	الصفحة

ثالثًا: الحب العميق في الله. ١٧٨
رابعًا: إيثار الجماعة المسلمة على غيرهم. ١٧٩
خامسًا: يحترم الآخر ولا ينقصه قدره وفعله. ١٧٩
سادسًا: الاعتزاز بدينه والركون لربه. ١٨٠
سابعًا: الجهر بالحق فيما يمس العقيدة والدين. ١٨٠
ثامنًا: التضحية والصبر. ١٨٠
تاسعًا: أخذ الأسوة من نبيِّه وإخوانه. ١٨١
صفات أخرى مهمة ١٨١
(٤) المرجعية المؤسسية (الجماعية) في الوجود الإسلامي ١٨٣
جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رئيس الجالية الإسلامية في بلاد الحبشة ١٨٥
جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الملكات، وأسس الاختيار..... ١٨٧
أولًا: مخالطة المرجعية للوجود الإسلامي. ١٨٧
ثانيًا: المعرفة الجيدة لسوابق الأحداث والإلمام بها (الدراية التاريخية). .. ١٨٨
ثالثًا: حسن عرضه للإسلام والقضية المطروح عليها النقاش. ١٩٠
رابعًا: مطَّلع على الثقافات الأخرى مدرك لها ١٩٣
خامسًا: ذكيٌّ في إدارة الحوار (إعلاء المشتركات). ١٩٣
سادسًا: بعض السمات الإضافية التي أثقلت المرجعية الإسلامية جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ١٩٥
سابعًا: فوائد وجود الرمز الإسلامي في بلاد الغرب وأهميته..... ١٩٧
(٥) الحضور الثقافي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب (التثقيف الشرعي) من خلال الهجرة إلى الحبشة ٢٠٥
أهمية التثقيف الشرعي للوجود الإسلامي ووسائله..... ٢٠٨
أهم وسائل التثقيف الشرعي في بلاد الغرب..... ٢١٠
(٦) حسن استقبال الوافد والمهاجر الجديد في بلاد الغرب ٢١٣

الموضوع	الصفحة

(٧) الحضور الاجتماعي للوجود الإسلامي من خلال الهجرة إلى الحبشة .. ٢٢٠
أثر الحضور الاجتماعي على الوجود الإسلامي اليوم. ٢٢٨
(٨) الحضور الاقتصادي والمعيشي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب..... ٢٣١
الأول: طبيعة وأسماء المهاجرة الأُوَل. ٢٣١
الثاني: من أدلة الحضور الاقتصادي دلالة حديث أم سلمة..... ٢٣٤
الثالث: حديث عبد الله بن مسعود في دلائل النبوة. ٢٤٠
الرابع: دلالة شعر عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر حالهم في أرض الحبشة..... ٢٤٢
(٩) الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب ٢٤٧
نموذج الإعلام المضاد المتربص بالوجود الإسلامي (رسولَا قريش وبطارقة الملك). ٢٤٧
تحليل الموقف إعلاميًّا..... ٢٤٩
أولًا: الجانب التعريفي بالرسالة وأصحابها..... ٢٥٣
ثانيًا: الجانب الدفاعي في الحضور الإعلامي للوجود الإسلامي. ... ٢٥٩
(١٠) الحضور الشبابي للوجود الإسلامي في بلاد الغرب..... ٢٦٥
أولًا: الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي قيادة ومسئولية ٢٦٦
ثانيًا: الحضور الشبابي في الوجود الإسلامي حركةً وتكليفًا. ٢٦٨
ثالثًا: الحضور الشبابي تعايشًا ورصدًا ٢٧١
رابعًا: الحضور الشبابي كقدوات علمية. ٢٧٧
عبدُ الله بنُ عيّاش..... ٢٧٧
(١١) المسلمون الجدد في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة ٢٨٠
أولًا: إسلام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودور الوجود الإسلامي معه. ٢٨٢
١ـ إقراره بالإسلام ونطق الشهادتين..... ٢٨٢
٢ـ صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه بعد وفاته ٢٨٣

الموضوع	الصفحة

٣ـ طلب الاستغفار له وإعلان إخوته ٢٨٤
ثانيًا: ماذا يعني إسلام النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رئيس الدولة)؟..... ٢٨٤
ثالثًا: إسلام وفد آخر من نصارى أهل الحبشة ٢٨٧
رابعًا: لماذا أسلم النجاشي وغيره؟ (عوامل جذب المسلم الجديد) ٢٨٩
١ـ أمور تتعلق بالإسلام نفسه. ٢٩٠
٢ـ أمور تتعلق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٢٩٢
٣ـ أمور تتعلق بالمنهج (القرآن الكريم). ٢٩٣
٤ـ أمور تتعلق بالوجود الإسلامي نفسه ومرجعيته..... ٢٩٦
٥ـ أمور تتعلق بالآخر نفسه (المسلم الجديد) ٢٩٩
ما لا يسع الوجود الإسلامي جهله في التعامل مع المسلم الجديد ٣٠١
دور المسلم الجديد في بلاد الغرب من خلال الحبشة ٣٠٨
(١٢) معالم أخرى للوجود الإسلامي في الغرب من خلال الهجرة إلى الحبشة .. ٣١٧
أولًا: الحضور التعبدي بين الوجود الإسلامي. ٣١٧
الحضور التعبدي في الواقع المعاصر ٣١٩
ثانيًا: الحضور التعاوني بين الوجود الإسلامي..... ٣٢٢
أشكال هذا التعاون في الواقع المعاصر بين الوجود الإسلامي وأثره ٣٢٤
ثالثًا: معلم ربط الأجيال والذرية بالقدوات والرموز الإسلامية. ٣٢٦
رابعًا: الوجود الإسلامي بين القومية والإسلام: (ذوبان الفوارق). ٣٢٨
الفصل الرابع: صعوبات ومخاطر تواجه الوجود الإسلامي من خلال الهجرة إلى الحبشة ٣٣٥
(١) فقدان المهاجر وفقده ٣٣٧
(٢) متاعب للمرأة في الطريق هجرتها ٣٤٣
(٣) الافتتان في الدين ٣٤٤
أسباب هذا الافتتان ٣٥٥

الموضوع	الصفحة

(٤) المضايقات الفردية من أبناء البلد المضيف للوجود الإسلامي..... ٣٥٧
أسباب مضايقات الوجود الإسلامي وكيفية التعامل معها في الواقع المعاصر ٣٦١
الأسباب ٣٦١
طرق التعامل مع هذه المضايقات ٣٦٥
(٥) غياب المشتركات بين الوجود الإسلامي والبلد الجديد..... ٣٦٨
(٦) الملاحقات العدائية..... ٣٧٥
الفصل الخامس: معالم الحضور والعيش بين الوجود الإسلامي والآخر في الحبشة ٣٧٩
(١) فقه التعامل مع المضيف ٣٨١
(٢) الأساس الأول ما صدره الوجود الإسلامي الأول للبلد المضيف شعبًا وحكومةً ٣٨٢
أولًا: إعلان وإبراز محاسن البلد المضيف وجميل فعالهم..... ٣٨٢
(٣) إعلاء المشتركات دائمًا بين الوجود الإسلامي والدولة المضيفة..... ٣٨٩
(٤) متابعة الأحداث المتعلقة بالدولة المضيفة بشكل مستمر ٣٩٠
(٥) التفاعل المحمود بين الوجود الإسلامي والدولة الجديدة ٣٩٥
(٦) احترام القانون وأهمية اللجوء إليه عند المطالب أو التنازع ٣٩٨
أهمية احترام الوجود الإسلامي لقانون الدولة وتفعيله ٤٠٢
(٧) اجتناب ما يتصادم عندهم مع شريعتنا بهدوء..... ٤٠٥
(٨) إنكار الخطأ في المجتمع (كل ما يكدر السلم المجتمعي)..... ٤٠٨
(٩) اعتماد الخطاب العقلي والفطري في الحوار معهم مع الخطاب الشرعي..... ٤٠٩
أهمية تصدير الخطاب العقلي والفطري والكوني في الحوار مع الآخر .. ٤١٣
(١٠) تقديم المساعدات لهم وخاصة عند حلول النوازل ٤١٥

الموضوع	الصفحة
(١١) الهدية لهم شعبًا وحكومةً	٤١٨
(١٢) الأساس الثاني ما أخذه واكتسبه الوجود الإسلامي الأول من البلد المضيف	٤٢٠
تعلم لغة الوطن الجديد	٤٢٠
(١٣) ما نزل بلسان الحبشة من القرآن والسنة وأقوال المفسرين	٤٢١
ما نزل من القرآن الكريم بلغة الحبشة	٤٢١
ما ورد من الحديث بلغة الحبشة	٤٢٢
تفسير المفسرين بعض الكلمات القرآنية بلغتهم	٤٢٤
أهمية تعلم اللغة الجديدة	٤٢٧
اكتساب الجديد من علم ومهارة وعادة حسنة	٤٣٠
(١٤) نموذج اكتساب الجديد من العلم	٤٣١
تعلم الجديد من العلوم الطبية والأدوية	٤٣١
(١٥) نموذج اكتساب المهارات والأفكار الجديدة (النعش للنساء)	٤٣٨
(١٦) نموذج اكتساب العادات والأخلاق المحمودة (الحجل عند الفرح والرضا)	٤٤١
الفصل السادس: معالم تعامل الدولة الجديدة مع الوجود الإسلامي من خلال الحبشة	٤٤٧
توطئة	٤٤٩
(١) حسن استقبالهم والترحيب بهم	٤٥٠
(٢) تقديم المساعدات الفورية للمهاجرين	٤٥٢
١ـ فيما يخص الوجود الإسلامي نفسه	٤٥٣
٢ـ فيما يخص الدولة المضيفة	٤٥٤
(٣) تذليل وتسهيل العيش لهم	٤٥٥
(٤) منع وصول الأذى بكافة أشكاله لهم	٤٥٧

الموضوع	الصفحة

ـ حمايتهم من المتربصين بهم داخليًا وخارجيًا ٤٥٧
ـ تسنين قانون لحمايتهم وتأمينهم ٤٥٧
ـ غلق باب المساومات عليهم ٤٥٩
ـ التعهد بعدم ترحيلهم أبدًا ٤٥٩
ـ تأمين حياتهم في وقت الأزمات والانقلابات ٤٦٠
(٥) التواصل المستمر والمتعدد مع الوجود الإسلامي ٤٦١
١ـ فتح الأبواب وتذليل وصول الوجود الإسلامي دائمًا إليهم ٤٦١
٢ـ السماع منهم لا السماع عنهم فقط ٤٦٣
٣ـ الإرسال الدائم في طلبهم وتجديد الاجتماع بهم ٤٦٥
٤ـ تمييزهم بما يدل على احترامهم ٤٦٧
(٦) ضمان حرية عبادتهم وتأمين مراكزهم ٤٧٠
ـ الأمن الديني: (أمنّا على ديننا) ٤٧١
ـ تحقيق مناط العبودية لله عَزَّوَجَلَّ: (وعبدنا الله عَزَّوَجَلَّ) ٤٧٢
ـ السلم المجتمعي: (لا نُؤذى ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ) ٤٧٣
هل كان للوجود الإسلامي مسجد أو دار عبادة؟ ٤٧٤
(٧) المساواة لا الفوقية في الرؤية والتعامل ٤٧٦
(٨) نقل أخبار دولتهم الأم إليهم ٤٧٩
الفصل السابع: معالم تعامل الدولة الإسلامية (الدولة الأم) مع الدولة المضيفة وأتباعها ٤٨١
تمهيد ٤٨٣
(١) معالم التعامل مع أتباع الدولة الحبشية داخليًا ٤٨٥
أولًا: تمييز رعاياها وسوق الأمن لهم ٤٨٥
ثانيًا: اختصاصهم وإفرادهم بوظائف في الدولة الإسلامية. ٤٨٧
ثالثًا: توقير لغتهم بين المسلمين في الدولة الإسلامية. ٤٨٩

الموضوع	الصفحة

رابعًا: الصلاة على من مات منهم من المسلمين في بلادنا..... ٤٩٣
١ـ (عالمية أخوة الدين)..... ٤٩٣
٢ـ (مراعاة مشاعر الأقلية المسلمة في مصابهم)..... ٤٩٤
٣ـ (جانب من جوانب التعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرسالة) ٤٩٤
٤ـ (أهمية الثروة البشرية في الأمة الإسلامية) ٤٩٤
٥ـ (تعظيم ميزان الفرد في أمة الإسلام) ٤٩٤
٦ـ (عدم نسيان الجهود المقدمة)..... ٤٩٥
٧ـ (التخليد التاريخي للرمز الإسلامي أيا كان موقعه)..... ٤٩٥
خامسًا: إعلان رموزهم في الدولة الإسلامية وبيان سبقهم وتقدمهم. ٤٩٥
سادسًا: استعمال بعضهم لخصوصية وتكاليف مهمة. ٤٩٨
سابعًا: الاستحقاق المالي بينهم ورده فيهم. ٥٠٢
ثامنًا: الحرية لأبنائهم (تفعيل العتق في صفوفهم). ٥٠٥
(٢) معالم التعامل مع أتباع الدولة الحبشية خارجيًّا..... ٥٠٧
أولًا: موادعة الحبشة في بلادهم ما وادعونا. ٥٠٧
ثانيًا: تقديم وتقدير قادتهم في مواطنهم وسلطانهم. ٥١٢
ثالثًا: إكرام الوافدين منهم علينا..... ٥١٦
رابعًا: إرسال الرسل والسفراء بلغتهم..... ٥١٩
خامسًا: إرسال الهدايا لهم في ديارهم. ٥١٩
الفصل الثامن: معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي المغترب.... ٥٢٣
تمهيد..... ٥٢٥
(١) معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي قبل وأثناء هجرتهم .. ٥٢٦
أولًا: الاجتماع والتشاور الجماعي لبحث قرار الهجرة. ٥٢٦
ثانيًا: تلمّس أخبار المهاجرين والاطمئنان على سلامتهم. ٥٢٩
ثالثًا: التواصل المستمر مع الوجود الإسلامي. ٥٣٢

الموضوع	الصفحة

رابعًا: تفعيل المؤاخاة بين المقيمين والمهاجرين. ٥٣٥
(٢) معالم تعامل الأكثرية المسلمة مع الوجود الإسلامي بعد عودتهم ٥٤٠
أولًا: تقديم الرعاية الكاملة للعائدين منهم. ٥٤٠
ثانيًا: الاحتفال بقدومهم وإكرامهم. ٥٤٤
ـ حسن استقبالهم وإعلان الفرح بقدومهم. ٥٤٤
ـ إكرامهم المالي فور مجيئهم ٥٤٥
ـ تسنين السنة الجديدة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أيديهم (صلاة التسابيح) . ٥٤٦
ثالثًا: تقديم أبنائهم من الجيل الثاني في الاهتمام المادي والمعنوي. ٥٤٩
رابعًا: جمل متنوعة من معالم التعامل في حديث واحد ٥٥١
خامسًا: استعمالهم في الوظائف السيادية ٥٥٥
ـ محمية بن جزء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٥٦
فمن هو هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ ٥٥٨
معيقيب بن أبي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٦٠
سادسًا: قبول هدية المهاجرين (عصاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العنزة). ٥٦٢
الملاحق ٥٦٥
المحلق الأول: الفوائد العقدية والفقهية المترتبة على الحبشة وأهلها ٥٦٧
(١) الفوائد العقدية المتعلقة بالحبشة وأحداثها وما يتعلق بها ٥٧١
١ـ مسألة: الكلام على ما جاء في إثبات عرش الله عَزَّوَجَلَّ ٥٧١
٢ـ مسألة: الكلام في حكم من لم تبلغه الدعوة، ومن تاب عن ذنب أو كفر ثمّ رجع فيما تاب عنهُ، وكذا من لم يبلغه الباب من واجبات الدين ... ٥٧١
٣ـ مسألة: التأكيد على اطلاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بعض الغيوب، وإعلام الله عَزَّوَجَلَّ له بما يكون قبل كونه ٥٧٢
٤ـ مسألة التأكيد على نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أخبر به أحبار النصارى ومتديّنوهم ٥٧٢

الموضوع | الصفحة

٥ـ مسألة: التأكيد على أن ما في القرآن الكريم موافق لما في الكتب القديمة التوراة والإنجيل..... ٥٧٢
٦ـ مسألة: الكلام على إثبات صفة العلو لله عَزَّوَجَلَّ ٥٧٣
٧ـ مسألة التأكيد على إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ردًّا على الرافضة ٥٧٣
٨ـ مسألة: الكلام على الاجتماع في بعض الليالي والأخذ بالذّكر الجهريّ على صوتٍ واحدٍ ٥٧٤
٩ـ مسألة إثبات التوحيد لله وعدم الإشراك به ٥٧٤
١٠ـ مسألة: هل يحتاج من يتكلم في العقيدة إلى علم الكلام والجدل أم لا.. ٥٧٥
١١ـ مسألة: المسائل التي خالف فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين..... ٥٧٦
١٢ـ مسألة: تفنيد مكائد الرافضة في الكلام على أم المؤمنين عائشة ٥٧٦
١٣ـ مسألة: الإيمان باليوم الآخر وقيام الساعة عند الأمم السابقة ٥٧٧
١٤ـ مسألة: جواز مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم في أمور الشرع . ٥٧٨
١٥ـ مسألة أن الرسل تبشر بآخرهم..... ٥٧٨
١٦ـ مسألة: المتشككون في الأصنام والأوثان من أهل مكة قديمًا ٥٧٩
١٧ـ مسألة حكم تشييد وتجصيص القبور وزخرفتها..... ٥٨٠
١٨ـ مسألة من أدلة إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسل..... ٥٨٠
١٩ـ مسألة ما أحدث الإسلام في مجال العقائد والعبادات والسلوك عما كان عليه أهل الجاهلية..... ٥٨١
٢٠ـ مسألة: الوجد والرقص عند الصوفية ٥٨٢
٢١ـ مسألة: الاستدلال بالسنة على النهي عن التشبه بالكافرين..... ٥٨٢
٢٢ـ مسألة تحريم تصوير ذوات الأرواح ولعن المصورين ٥٨٣
٢٣ـ مسألة سد الذرائع في مسائل العقيدة ٥٨٣

الموضوع	الصفحة

٢٤ـ مسألة العوامل الخارجية لنشأة علم العقيدة ٥٨٣
٢٥ـ مسألة من أشراط الساعة قتال الحبشة وهدم الكعبة ٥٨٤
٢٦ـ مسألة تعامل المسلمين مع الكفار المحايدين ٥٨٤
٢٧ـ مسألة الدخول في حماية الكفار ٥٨٥
٢٨ـ مسألة: الحالات التي لا يخرج فيها الحاكم بغير شريعة الله عَزَّوَجَلَّ من الإسلام ٥٨٥
٢٩ـ مسألة نقد أصول مذهب الشيعة الإمامية في تكفير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٨٦
٣٠ـ مسألة: نقد أصول الشيعة الإمامية في ادعائهم قتل بعض أمهات المؤمنين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥٨٦
٣١ـ مسألة: في بعض طرق دفاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ٥٨٧
٣٢ـ مسألة في حكم الثناء على غير المسلمين ٥٨٧
٣٣ـ مسألة في جواز كتم الإيمان عند الضرورة ٥٨٨
٣٤ـ مسألة: إثبات صفة القعود لله عَزَّوَجَلَّ ٥٨٨
٣٥ـ مسألة: بيان ملامح سدّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بعبادة الله ومعاملته ٥٨٩
(٢) الفوائد الفقهية المتعلقة بالحبشة وأحداثها وما يتعلق بها ٥٩٠
١ـ مسألة حكم حق اللجوء السياسي في الدول غير الإسلامية ٥٩٠
٢ـ مسألة حكم الإقامة والعمل في بلاد غير المسلمين ٥٩٠
٣ـ مسألة حكم المس والمصافحة والمعانقة والتقبيل بين الرجال..... ٥٩٢٠
٤ـ مسألة في بيان ما يفسد الصلاة (الكلام فيها) ٥٩٢
٥ـ مسألة: في الحجاب ستر للعورة ٥٩٣
٦ـ مسألة مسح الحصى في المسجد..... ٥٩٣
٧ـ مسألة الصّلاة في السّفينة..... ٥٩٤
٨ـ مسألة الصلاة على الغائب ٥٩٥

الموضوع | الصفحة

٩ـ مسألة حكم مشاركة الأسير المسلم في قتال المشركين على المشركين ٥٩٥
١٠ـ مسألة قبول الهبة والهدية (حكم التراخي بين القبول والإيجاب فيها) . ٥٩٦
١١ـ مسألة حكم افتداء اليمين..... ٥٩٦
١٢ـ مسألة حكم تقبيل القادم من السفر ٥٩٧
١٣ـ مسألة من لم يبلغه الحكم الشرعي ٥٩٧
١٤ـ مسألة: حكم النيابة بالتوكيل في الزواج..... ٥٩٧
١٥ـ مسألة جواز التزويج على القليل والكثير من المهور ٥٩٨
١٦ـ مسألة: جواز ولاية السلطان لمن لا ولي له ٥٩٨
١٧ـ مسألة: الإمهار عن الغير..... ٥٩٩
١٨ـ مسألة: ولا يحل نكاحُ غائبةٍ إلا بتوكيلٍ منهاعلى ذلك..... ٥٩٩
١٩ـ مسألة حكم لبس اللون الأسود..... ٥٩٩
٢٠ـ مسألة: حكم الصّور في الكعبة والمساجد وأماكن العبادة..... ٦٠٠
٢١ـ مسألة حكم اتخاذ المساجد على القبور ٦٠٠
٢٢ـ مسألة حكم دفع الرشوة للوصول إلى حق أو دفع ظلم..... ٦٠١
٢٣ـ مسألة: في أن الغنيمة لكل من دخل دار الحرب قبل قسمتها ٦٠١
٢٤ـ مسألة حكم اتخاذ النعش للميت ٦٠٢
٢٥ـ مسألة في حكم طهارة المسك وبيعه ٦٠٢
٢٦ـ مسألة حكم التوسعةُ في العيدين والجُمُعة..... ٦٠٣
٢٧ـ مسألة حكم اللعب بالسلاح والدفوف في العيد..... ٦٠٣
٢٨ـ مسألة جواز لعب الصغار في المسجد بما لا معصية فيه..... ٦٠٤
٢٩ـ مسألة حكم تقبيل الجبهة..... ٦٠٤
٣٠ـ مسألة ما يستحب في المؤذن (أن يكون في ولد من جعل فيه)..... ٦٠٤
٣١ـ مسألة حكم الذبح بمدى الحبشة (أي آلة الذبح عندهم)..... ٦٠٥
٣٢ـ مسألة: حكم عمل نبيذ الأُسكُرُكَة (خمر الحبشة) وبيعه..... ٦٠٥

الموضوع	الصفحة

٣٣ـ مسألة: استعمال ما يصنعه غير المسلمين ٦٠٦
٣٤ـ مسألة حكم استئجار الكفار في أمور المسلمين..... ٦٠٦
٣٥ـ مسألة حكم الاحتفالات والندوات والإنشاد في المسجد..... ٦٠٧
٣٦ـ مسألة حكم صيد دجاج الحبش للمحرم ٦٠٧
٣٧ـ مسألة: عدم جواز ابتداء الحبشة بالحرب ٦٠٨
٣٨ـ مسألة حكم لعب الشطرنج وشهادة لاعبه ٦٠٨
٣٩ـ مسألة: حكم شهادة المتسابق في المسابقات المشروعة ٦٠٩
٤٠ـ مسألة: حكم إطالة الأظفار ٦١٠
٤١ـ مسألة: في استحباب استرضاء الزوجة ٦١٠
٤٢ـ مسألة: في إقرار المثل في المعاملات المالية مع الآخر ٦١٠
٤٣ـ مسألة في بيان أول موروث في الإسلام ٦١١
٤٤ـ مسألة ما ينبغي استخدامه من المعاريض ٦١١
أحاديث الهجرة إلى الحبشة ٦١٣
أحاديث الهجرة إلى الحبشة جمعًا ودراسة ٦١٥
الأحاديث الطوال في الهجرة إلى الحبشة ٦١٦
١ـ حديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٦١٦
تخريج الحديث..... ٦٢٠
دراسة إسناد الإمام أحمد رحمه الله تعالى ٦٢١
الحكم على الحديث..... ٦٢٥
٢ـ حديث جعفر بن أبي طالب، وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٦٢٥
دراسة إسناد الإمام البزار..... ٦٢٨
الحكم على الحديث..... ٦٣١
٣ـ حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ٦٣١
الحكم على الحديث..... ٦٣٣

الموضوع	الصفحة

٤ـ حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٦٣٣
دراسة إسناد أبي دواد الطيالسي ٦٣٤
الحكم على الحديث..... ٦٣٦
خاتمة وتوصيات..... ٦٣٧
أهم التوصيات..... ٦٤٢
الفهارس العامة ٦٤٥
ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٦٤٧
ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٥٣
ـ فهرس الآثار ٦٦١
ـ فهرس الفرق والأقوام والقبائل والجماعات والديانات ٦٦٣
ـ فهرس الأعلام ٦٦٧
ـ فهرس الأيام والغزوات والوقائع والحروب ٦٧٩
ـ فهرس الأماكن والبلدان..... ٦٨١
ـ فهرس الأشعار..... ٦٨٣
ـ ثبت المصادر والمراجع..... ٦٨٥
ـ فهرس الموضوعات ٧٠٧

